س ٠خ السراج المنير فى الاعانة على معرفة كلام ربنا العليم الخبير ، تأليف الخطيب الشربينى ، محمد بن أحمد ـ ٩٧٧ هـ . كتب فى سنة ١٢٤٢ هـ.
٤ ج فى ٨ مجلدات (٢٢٦٧ ق) ٢٣ س
٥ر٢٢×٥ر١٦ سم .
نسخة حسنة ، خطها نسخ معتاد ، ناقصة الاول ، طبع
٢٢٣٥ الازهرية ١ : ٢٦٧ معجم المطبوعات ١ : ١١٠٩
١ ـ التفسير ، القرآن الكريم وعلومه .
أ ـ المؤلف ب ـ تاريخ النسخ ج ـ تفسير الشربينى .

واذا امكن تعجيل الافطار بشيء يسير لا يشغل عن اول الوقت فذلك مستحب

لورود الآثار في تعجيل الافطار كقوله صلى الله عليه وسلم احب عبادي الله اليه

اسرعهم فطرا او كما قال **ويندب المحري في الفجر** اي اذا شك في طلوع

الفجر ندب له ان يترك المفطرات ولو لم يتبين طلوعه عملا بالاحتياط

فلو تسحر وهو شاك في طلوعه او ظان في الطلوع ولم يتبين له انه تسحر بعد الطلوع كان

صومه صحيحا لانه على يقين من الليل **ويندب للصائم البدار** **بتوقي مضار الافطار**

بكرة السيد

الغبار والذباب في فمه لانه مما يجتمع فيه بحيث يمكنه اخراجها من فيه
فيصل مع ذلك الى جوفه فيفسد صومه فان دخل بغير اختياره لم يفسد صومه
ومنها انه اذا استاك نهارا ثم توضأ ان يدخل حلقه مما يجده السواك من خلاف
ريقه لئن ذكر بودي الا افسد صومه ومنها ان يكون له مقصد الحلق
وهو الكندر الكندر هو اللبان الشحري والسواك يحكم بالاصل اي من
شك في فساد صومه بعد صحته لعفاره حكم الاصل وهو الصحة فلو شك هل

باب صفة الصوم وحقيقته

وهو في اللغة الامساك عن الشيء سيبويه وقد يقال للصمت صوم
ومنه قول الله تعالى اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا وفي الشريعة
امساك مخصوص في وقت مخصوص عن شيء مخصوص بشرائط مخصوصة
فالامساك جنس يشمل الصلاة والصوم وغيرهما والمخصوص يخرج الصلاة
والوقت المخصوص يخرج الصوم في غير وقته والشيء المخصوص يخرج
الامساك عن الكلام والاكل ونحوه لانا نقول
عدم الاكل ونحوه لا يبقى في
ان مجرد الصوم بل من شرطه
حكمة الصوم والاصل عدم الصوم
الاصل عدم الصوم هل فيكل
لفظا وكذا الوشكر هل فيكل البقا
رمضان اسم لا فا الاصل البقا
وقيل هذا باق على حاله
الفقيه في نيته الصلاة في
قوله ولا حكم للشك بعد
الفراغ والماضا هل المذهب
فلا فرق بين شك وشك كما
هو المذهب والله
عالم

صامه
الاصل وصوم
ولا يقال الصيام هو الا
مبادي عن المفطرات والاصل
عدم الاكل ونحوه لانا نقول
ان مجرد الصوم بل من شرطه
الكف والاصل عدم الصوم الى بعث
الاصل عدم الصوم هل فيكل
لفظا وكذا الوشكر هل فيكل البقا
رمضان اسم لا فا الاصل البقا
وقيل هذا باق على حاله
الفقيه في نيته الصلاة في
قوله ولا حكم للشك بعد
الفراغ والماضا هل المذهب
فلا فرق بين شك وشك كما
هو المذهب والله
عالم

وهو الذي اراده الله
على القدر الذي ذكر بصفة
ولو هصل ذكر بصفة
وحده الله فرسلم
يا ليل ما ريق الم
يفهم من هذا ان الغبار
اليسير الذي لا يمكن اخراجه
بيده او بنديل لم يفطر
كما هو في الديباج
ينظر فيه لان الظاهر انه
لم يمكنه الاخراج لم يفطر
ولو وصل الخوف فينظر
لا وجه للتظير بل لا يدان
يصل الخوف الذي يمكن الحكم به
ولا احسان
كما يأتي اه
في باب صفة الصوم وحقيقته
سيبويه
وقيل الصوم
الامساك
والصيام
والمعنى
واحد
وهو
الامساك
عن
الشيء
مطلقا
ومنه
قول
الله
تعالى
اني
نذرت
للرحمن
صوما
اي
صمتا
وفي
الشريعة
امساك
مخصوص
في
وقت
مخصوص
عن
شيء
مخصوص
بشرائط
مخصوصة
فالامساك
جنس
يشمل
الصلاة
والصوم
وغيرهما
والمخصوص
يخرج
الصلاة
والوقت
المخصوص
يخرج
الصوم
في
غير
وقته
والشيء
المخصوص
يخرج
الامساك
عن
الكلام
والاكل
ونحوه
لانا
نقول
ان
مجرد
الصوم
بل
من
شرطه
الكف
والاصل
عدم
الصوم
الى
بعث
الاصل
عدم
الصوم
هل
فيكل
لفظا
وكذا
الوشكر
هل
فيكل
البقا
رمضان
اسم
لا
فا
الاصل
البقا
وقيل
هذا
باق
على
حاله
الفقيه
في
نيته
الصلاة
في
قوله
ولا
حكم
للشك
بعد
الفراغ
والماضا
هل
المذهب
فلا
فرق
بين
شك
وشك
كما
هو
المذهب
والله
عالم

من غير ريق وامابضم الفاء المعجمة والخلوف المكث
فلا يصح هاهنا لان خلوف على وزن سجود الم لتغير رائحة الفاه عند
ان حياه الحيوان

الجزيلة وقال تعالى على عبده لما في كل من الوصف بالعبودية والاضافة اليه سبحانه
وتعالى من الاعلام بشرفه واسناده الى ذاته الذي اسرى به الى حضرة قدسه
ليريه من آياته ثم انه تعالى وصف الكتاب بوصفين الاول قوله تعالى قيما يعمل
له اي فيه عوجا اي اختلافا وتناقضا كما قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا والجملة حال من الكتاب الوصف الثاني قوله تعالى قيما قال
ابن عباس يريد مستقيما اي معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط قال الزجاج هذا
عندي مشكل لانه لا معنى لنفي الاعوجاج الا حصول الاستقامة فتفسير
القيم بالمستقيم يوجب التكرار بل المراد من كونه قيما كونه سببا
لهداية الخلق وانه يجري مجرى من يكون قيما للاطفال فالاطفال محتاجون
كل الاحتياج الى القرآن المستقيم القائم بمصالحهم وقال قبل ذكر ان الشيء
يجب ان يكون كاملا في ذاته ثم يكون مكملا لغيره ويجب ان يكون بالغا حاقا في
ذاته ثم يكون فوق التمام بان يفيض عنه كمال الغير فقوله تعالى ولم
يجعل له عوجا اشارة الى كونه كاملا في ذاته وقوله قيما اشارة الى كونه
مكملا لغيره ونظيره قوله تعالى في سورة النمل انه من سليمان وانه بسم الله
الرحمن الرحيم هدى للمتقين فقوله لا ريب فيه اشارة الى كونه في نفسه بالغا في الصحة
وعدم الاخلال الى حيث يجب على كل العاقل ان لا يرتاب فيه وقوله
هدى للمتقين اشارة الى كونه سببا لهداية الخلق وكمالهم فقوله
تعالى ولم يجعل له عوجا قائم مقام قوله تعالى لا ريب فيه وقوله تعالى
قيما قائم مقام قوله تعالى هدى للمتقين واختلف النحويون في ان قيما
تعالى فيما على اوجه الاول قال في الكشاف لا يجوز ان يجعل حالا من
الكتاب لان قوله تعالى ولم يجعل له عوجا معطوف على قوله تعالى انزل
فهو داخل في حيز الصلة وانه لا يجوز قال ولما بطل هذا وجب ان
ينتصب بمضمر والتقدير ولم يجعله له عوجا جعله قيما لانه تعالى اذا نفى عنه

العوج

الي

من الآيات على انه الارض الهيئة لا تبقى كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير
الارض والسماوات وقوم يتعجبون في قصة اصحاب الكهف وسألوها النبي صلى الله
عليه وسلم على سبيل الامتحان قال تعالى ام حسبت اي ظننت ايها
المخاطب يا محمد او غيره ان اصحاب الكهف
والرقيم كانوا من آياتنا عجبا على ما التزم من تهويلات الآيات من الكثرة
من اليهود والعرب والواقع انهم كانوا من العجائب ليسوا بعجب بالنسبة الى
كثرة آياتنا فان من كان قادرا على تخليق السموات والارض كان يستبعد
من قدرته وحفظه ورحمته حفظ طائفة مدة ثلاثمائة واكثر في الغوم
والكهف الغار الواسع في الجبل واختلف في الرقيم فقيل هو اسم كلبهم
قاله ابن عباس ابن ابي الهيثم وليس بشيء الرقيم مجاورا وزاد صيفي سمر وهو بكسر
العين وفتح الميم مجاورا بأعلى فاء ويعمر والقوم في الكهف لعجبه اذ يوم من قتل
سولوح من رصاص رقمت عليه اسمائهم وقصصهم وجعل على باب الكهف
قاله ابن عباس وهو الاظهر للاتفاق عليه وقيل ان الناس سألوا احد نبيهم
يقرأ في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل اخبارهم
وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون غير اصحاب الكهف كانوا ثلاثة
يطلبون الكلأ وكوة فسألهم احدهم المعاش فاووا الى الكهف فانحطت
صخرة وسدت عليهم الباب فقال احدهم اذكروا اكثر عمل حسنة لعل
الله يرحمنا بذكره فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل منهم
وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم وغضب
احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيدر فمر بي بقر فاشتريت فصيلة
والفصيلة ولد الناقة اذا انفصل عن امه فبلغت ما شاء الله فرجع الي
بعجوز شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا ذكره حتى
عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج

عنا

عنا فانفسح عنا الجبل حتى رأوا الضوء واتسع الشق والصداع وجع الرأس
وقال آخر كان في فضل واصاب الناس سنة فجاءتني امرأة تطلب مني
معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم
ذكرت لزوجها فقال اجبي واعطيني عيالك فأتت وسلمت الي نفسها فلما
كشفتها وهممت بما ارتعدت فقلت لها مالك فقالت اخاف الله تعالى
فقلت لها خفيته في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها
اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانفسح حتى تمارفوا وقال
الثالث كان لي ابوان شيخان وكان لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما
ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غنم فلم ارجع حتى امسيت فأتيت اهلي
واخذت محلبي فحلبت فيه وصببت اليهما فوجدتهما نائمين فكرهت
ان اوقظهما فوقفت حابسا محلبي حتى انتظمهما الصبح فسقيتهما اللهم ان
كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا فانفرج الله عنهم فخرجوا وقد
رفع ذلك النعمان بن بشير وقد مناسبة نزول قصة اصحاب الكهف عند
قوله تعالى ويسألونك عن الروح وذكر محمد بن اسحاق سبب نزول هذه
القصة مسندا حاصله قال كان النضر بن الحارث من شياطين قريش وكان
يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قدم
الحيرة وتعلم بها احاديث رستم واسفنديار وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا جلس مجلسا ذكر فيه الله تعالى وحذر قومه ما اصاب
من كان قبلهم من الامم وكان النضر يخلفه في مجلسه اذا قام فقال انا والله
يا معشر قريش احسن حديثا منه فهلم الي فانا احدثكم باحسن من حديثه ثم
يحدثهم عن ملوك فارس ثم قال ان قريشا يقولون هو يعلمه عبيته
ابن ابي معيط الى احبار يهود بالمدينة وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفته
فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم الانبياء فرجا

عن ذلك فهم

حتى قدموا المدينة فسألوا احبار اليهود عن احوال محمد فقال لهم اليهود سلوه
عن فتية ذهبوا في الدهر الاول فان حديثهم عجيب وعن رجل طواف قد بلغ
مشارق الارض ومغاربها وسلوه عن الروح وما هي فان اخبركم بهن نبي
والا فهو متقول فلما قدم النفر وصاحبه مكة قالوا قد جئناكم بفصل ما بيننا
وبين محمد صلى الله عليه وسلم واخبروهم بما قالته اليهود فجاء وا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسألوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما يذكر وثت خمس عشرة ليلة لم ينزل عليه
ذلك ثم جاءه جبريل عليه السلام من عند الله بسورة اهل الكهف فيها
معاتبة الله تعالى اياه على جزيته عليهم وفيها خبر الفتية وخبر
الرجل الطواف ثم بدأ بالفتية فقال اذ اوى الفتية وهم
اصحاب الكهف المسؤل عنهم من جمع فتى وهو الشاب الكامل والشاب
المقبل الى الحق والهدى للسبيل من السيوخ الى الكهف خائفين على ايمانهم
من قومهم الكفار واختلفوا في سبب مصيرهم الى الكهف فقال محمد بن
اسحاق بن يسار مرج اهل الانجيل وكثرت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك
حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين
بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم
يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه
وكان يترك قرى الروم فلا ينزل في قرية نزلها احد الا فتنه عن
دينه حتى يعبد الاصنام او يقتلهم ثم نزل قريبا اهل الكهف وهي
مدينة افسوس فلما نزل بها كبر على اهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا
في كل وجه واتخذ شرطا من الكفار وامرهم ان يتبعوهم في اماكنهم
ويخرجوهم اليه فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح له

للطواغيت

للطواغيت فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يابى ويبعد على الله تعالى فيقتل
فلما راى ذلك اهل الفتية في الايمان جعلوا يسلبون انفسهم للعذاب
والقتل فيقتلونه ويتعذبون ثم جعل ما قطع من اجسامهم على انهور المدينة
من نواحيها وعلى كل باب من ابوابها حتى عظمت الفتنة فلما راى ذلك
الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والدعاء
والتسبيح وكانوا من اشراف المدينة ومن ابناء الروم وكانوا مؤمنين
يكتمون ايمانهم فخرجوا الى الله تعالى وجعلوا يقولون ربنا اكشف عن عبادك هذه
الفتنة وارفع عنهم هذا البلاء حتى يعبدوا عبادتك فيتمادى عليهم ذلك
وقد دخلوا اعمالهم لعلمهم ان لكم الشرط فوجدوهم سجودا على وجوههم يبكون
ويتضرعون الى الله تعالى فقالوا لهم ما خلفكم عن امر الملك الطلقوا اليه
ثم رجعوا فرفعوا امرهم الى دقيانوس فقالوا ايها الناس للذبح لا تتركوا
ولهذه الفتية من اهل بيتك يستهزؤون بك ويعصون امرك فلما سمع ذلك
بعث اليهم فاتي بهم فتيقن اعينهم من الدمع متغيرة وجوههم من التراب فقال
لهم ما منعكم ان تشهدوا الذبح للاصنام التي تعبد في الارض وتجعلوا انفسكم
اسوة بسوءة اهل المدينة فاختاروا لانفسهم ان تذبحوا للاصنام واما ان اقتلكم
فقال له كبيرهم واسمه مكسلمينا ان لنا الها ملأ السموات والارض
عظمته لن ندعو من دونه الها ابدا له الحمد والتسبيح والتكبير من
انفسنا فالصاد ابدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة وخير لما اتطواغيت
فلن نعبدها ابدا اصنع ما بدا لك وقال اصحابه مثل ما قال فلما قالوا ذلك
امر الملك بنزع لباسهم وحليته كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سأفرغ
لكم واجل لكم ما وعدتكم من العقوبة وما ينبغي ان اعجل لكم ذلك الا اني ارى لكم
شبابا حدثية اسنانكم فلعل احب لكم ان اهلكم حتى اجعل لكم اجلا تتذكرون
فيه وترجعون الي عقولكم ثم امرهم فاخرجوا من عنده وانطلق الى مدينة

احزني قريبة منهم ليبعثوا احدهم فلما راي الفتية خروجه بادروا اقتدروا منه وخافوا
اذا قدم مدينتهم ان يذكروهم فايمروا بينهم ان ياخذ كل واحد نفقة من بيت
ربيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم انطلقوا الي كهف قريب من
المدينة فيكونوا فيه ويعبدوا الله حتي اذا جاء دقيانوس اتوه فقاموا
بين يديه فيصنع بهم ما شاء فلما قال لبعضهم ليبعث عمد كل فتي الي بيت ابيه
فاخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي معهم وابنهم كلب كان لهم حتي
اذا اتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه وقال كعب الاحبار مر الكلب
فتبعهم فطردوه فعاد ففعل ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون
مني لا تخشوا جانبي انا احب احباب الله عز وجل فناموا حتي احرسكم
وقال ابن عباس هربوا الليلا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا برعاء
معه كلب فتبعهم علي دينهم وتبعه كلبه فخرجوا من البلد الي الكهف
وهو قريب من البلد قال ابن اسحاق فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا غير
الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد والتفكر في وجه الله تعالي وجعلوا
نفقتهم الي فتي منهم يقال له تملخا فكان يبتاع ازكي طعام من المدينة
سرا وكان من اجلهم واجلدهم وكان اذا دخل المدينة يضع ثيابه كأنه
عليه حسانا ويأخذ ثيابا كثيابه المسافرين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ
ورقه ويطلق الي المدينة فيشتري لهم طعاما ومرافقا ويتجسس
لهم اخبر هل ذكروا اصحابه بشيء ثم يرجع الي اصحابه فلبثوا في ذلك ما
شاء الله ان يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وامر عظماء اهلها ان
يدخلوا اللوطا عنيفة ففزع من ذلك اهل الايمان وكان تملخا يشتري
لاصحابه طعاما فرجع الي اصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل
واخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا من عظماء
المدينة فتزعوا وفزعوا سجودا ويتضرعون ويتعوذون من الفتنة ثم

ان

ان تملخا قال لهم يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم واطمعوا وتوكلوا علي ربكم
فرفعوا رؤسهم واعينهم تفيض من الدمع فطعموا ذلك مع غروب الشمس
ثم حملوا يتحدثون ويتذاكرون ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم كذلك اذ ضرب
الله علي اذانهم في الكهف وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابهم ما
اصابهم وهم موتي موتي وتفقدهم عند رؤسهم فلما كان من الغد تفقدهم
دقيانوس فالتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظمائهم وعظماء المدينة لقد
سألني سائل هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا اطلعوا الذي غيبها علهم
لجهلهم ما جهلوا من امري ما كنت لاجعل عليهم احدا هربوا عبدا كان لي
فقال عظماء المدينة ما انت بحقيق ان ترحم قوما بخرقة مزقة عصاة فقد
كنت اجلت لهم اجلا لو شاء ان يرجعوا في ذلك الاجل لكلمهم لم يتوبوا فلما
قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم ارسل الي اباتهم فاتي بهم فسألهم عنهم
وقال اخبروني عن ابنائكم المردة الذين عصوني فقالوا ايها الملك لم
نغضبك فلم تقتلنا بقوم مردة قد ذهبوا باموالنا واهلكوها في اسواق
المدينة ثم انطلقوا فارتفعوا بجبل يدعي بخلوس فلما قالوا ذلك حلي
سبيلهم وجعل ما يدري ما يصنع بالفتية فالقي الله تعالي في قلبه ان سد
باب الكهف عليهم واراد الله تعالي ان يكرمهم بذلك ويجعلهم اية لامة
تستخلف من بعدهم واراد ان يبين لهم ان الساعة اتية لا ريب فيها واراد
الله ببعثة من في القبور فامر دقيانوس بالكهف ان يسد عليهم وقال
دعوهم كما هم يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروه قبرا
لهم وهو يظن انهم ايقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفي الله تعالي ارواحهم
وفاة النوم وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم
يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مومنين في بيت الملك
دقيانوس يكتمان ايمانهما ايتمر الذي كتم سائل الفتية وخبرهم في لوحين

من رصاص ويجعلوني صماني تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان
وقالا لعل الله يظهر على هولاء الفتية توفاهم مؤمنين يوم القيمة فيعلم
من يفتح عليهم حين هم حتى يقرأ الكتاب فعملا ذلك وبنيا عليهم وبقي
ثلثمائة وتسع سنين ما بقي منهم نعجات وقومه وقرون بعده كثيرة وقد حكى
الله تعالى عنهم انهم لما اووا الى الكهف فقالوا اي عقب استقرارهم ربنا
آتنا من لدنك اي من عندك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن
من عدوك وهيئ لنا من امرنا اي من الامر الذي نحن عليه من
مفارقة الكفار رشدا الرشد والرشد والرشاد نقيض الضلال والغي
تفسير اللفظ وجهان الاول التقدير الذي هيئ لنا امرا ذا رشد اي حتى نصير
بسببه راشدين مهتدين الثاني اجعل امرنا رشدا كلها كقولك رأيته
منك رشدا ولما اجابهم سبحانه وتعالى عبر عن ذلك بقوله تعالى فضربنا
اي عقب هذا القول على اذانهم بمنع السماع اي اماتهم نومة لا
يبقى معها الاصوات الموقظة فحذف المفعول الذي هو الجار بكما يقال بنى
على امرأته يريدون بنى عليها القبة ثم بين تعالى انه انما ضرب على
اذانهم في الكهف اي المعهود وهو ظرف مكان فكان قوله تعالى
سنين ظرف زمان وقوله تعالى عددا اي ذوات عدد فحمل التكثير
والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عند كقول القائل بقيت عنده الاثنين
من نهار وقال الزجاج اذا قل الشيء تهم مقدار عدده فالمحتاج الى اداء بعد
واذا كثر احتاج الى ان يعد ثم بعثناهم اي ايقظناهم من ذلك النوم
لنعلم اي علم مشاهدة وقد سبق نظير هذه الاية في القرآن كثيرا منها
ما سبق في سورة البقرة الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه
وفي آل عمران ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقد بينا على ذلك
في محاله ايا الحزبين اي الفريقين المختلفين في مدة لبثهم احصى لما لبثوا عددا

واختلفوا

واختلفوا في الحزبين المختلفين فقال عطا عن ابن عباس المراد بالحزبين
الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك ورأي اصحاب الكهف
والملوك حزب وقال مجاهد الحزبان من الفتية اذ اصحاب الكهف
لما انتبهوا اختلفوا في انهم كم لبثوا ويدل له قوله تعالى قال قائل منهم كم
لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فالحزب بأن هما
هذان وكان اللذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم اللذين علموا ان لبثهم
قد تطاول وقال الفراء طائفتين من المسلمين في زمان اصحاب الكهف
اختلفوا في مدة لبثهم تنبيه احصى فعل ماض اي ايهم ضبط امر اللاتي
لبثهم واما من جعله افعل تفضيل فقال في الكشاف ليس بالوجه السديد
وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحوه اعدى من الجدري
واقلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع
فكيف به ثم قال تعالى نحن اي بما لنا من العظمة والقدرة الباهرة نقص
عليك يا اشرف الخلق نبأهم اي خبرهم العظيم قصا متلبسا بالحق اي الصدق
انهم فتية اي شباب امنوا بربهم اي المحسن اليهم الذي تفرد بخلقهم وسائر شؤونهم
ثم وصفهم الله تعالى بقوله وزدناهم بعد ان امنوا هدى بما قذفناه في
قلوبهم من المعارف وربطنا على قلوبهم اي قويناها فصاروا حاضرين تحت
القوي مجتمعا غير مبددة كانت حالهم في تجلدهم حالهم في الخلوة اذ
قاموا اي وقت قيامهم بين يدي الجبار فتانوس من عزم بالله به
حين عابتهم على ترك عبادة الاصنام فقالوا ربنا رب السموات
والارض وذلك لانه كان يدعو الناس الى عبادة الهواء فبث
الله تعالى هولاء الفتية حتى عصوا ذلك الجبار واقروا بربوبية الله
تعالى وصرحوا بالبراءة من الشرك والانداد بقولهم لن ندعو من
دونه آلها لان ما سواه عاجز والله لقد قلنا اذا اي اذا ادعونا من

دونه غيره شططا اي قولا ذا بعد عن الحق جدا وقالوا ربنا رب كانوا ابناء عظما
مدينتهم فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد فقال رجل منهم هو اكبر
القوم اني لاجد في نفسي شيئا ما اظن ان احدا يجده قالوا وما تجد قال
اجد في نفسي ان ربي رب السموات والارض قالوا نحن كذلك في انفسنا
جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض وقال عطا قالوا اذ ذاك عند قيامهم
من النوم قاله الرازي وهو بعيد لان الله تعالى استانف قصتهم بقوله
تعالى نحن نقص عليك وقال عبيد بن عمير كانوا اصحاب الكهف فتيانا
مطوقين مسورين ذوي ذوايب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد
لهم عظيم في زي وموكب وخرجوا معهم التي تعبد وغيرها وقد
قذف الله تعالى في قلوب الفتية الايمان وكان احدهم وزير الملك
فامنوا واخفى كل واحد ايمانه فقالوا في انفسهم نخرج من بين اظهر
هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب يعمهم فخرج شاب منهم فحتى انتهى الى ظل شجرة
فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجى ان يكون على مثل امره
من يجيء ان يظهر ذلك ثم خرج آخر فخرج اليهم فاجتمعوا فقال بعضهم
لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا لنخرج
كل فتيين فيخلوا امر فتى فكل يفشي كل واحد سره الى صاحبه فتفقدوا
فاذا امرهم مجتمعا على الايمان واذا كهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم
لبعض هؤلاء قومنا واذا كانوا اسن منا اتقى واجل في الدنيا اتخذوا من
دونه آلهة اشركوهم معه لشبهة واهية لولا اي هلا يأتون عليهم
بسلطان اي دليل بين اي ظاهر منكر ما اتى نحن على تقدير معبوديتها
بالادلة الظاهرة فتسببت عن عجزهم عن دليل انهم اظلم الظالمين فلذلك
قالوا فمن اظلم اي لاحد اظلم ممن افترى اي تعمد على الله اي الملك الاعظم
كذبا بنسبة الشريك اليه تعالى ثم قال بعض الفتية لبعض واذ اي وحين

اعتزلتموهم

اعتزلتموهم اي قومكم وما يعبدون اي واعتزلتم معبوداتهم وقوله الا الله
يجوز ان يكون استثناء منه متصلا على ما روي انهم كانوا يقرون بالخالق
ويشركون معه كما كان اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض
اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله تعالى فاووا الى الكهف
اي الغار الذي في الجبل ينشر اي يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم اي
المحسن اليكم من رحمته ما يكفيكم به اهم من امر الدارين ويهيئ لكم من
امركم اي الذي من شانه ان يهمكم مرفقا اي ما تنتفعون به اي تستغنون
وجزم مهيئ بذلك لخلوص نيتهم وقوة ويقينهم بفضل الله وقوانا فع وابن عامر
بفتح الميم وكسر الفاء والباقون بكسر الميم وفتح الفاء قال الفراء وهما لغتان
واشتقاقهما من الارتفاق وكان الكسائي يذكر في مرفق الانسان الذي
في اليد الاكسر الميم وفتح الفاء والفراء يجيزه في الامر في اليد وقيل هما لغتان
الا ان الفتح اقيس والكسر اكثر والخطاب في قوله تعالى وترى الشمس
للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد وليس المراد ان من خوطب كذا
يرى بعد المعنى ولكن العادة في المخاطبة تكون على هذا النحو ومعناه
انك لو رايتهم لرايتهم على هذه الصورة اذا طلعت تزاور اي تميل عن
كهفهم ذات اليمين اي ناحيته واذا غربت تقرضهم اي تقطع فيسيرها
عنهم ذات الشمال اي فلا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الله تعالى
زوى عنهم وقيل ان باب ذلك الكهف كان مفتوحا الى جانب الشمال
فاذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف واذا غربت كانت على شماله
وقرا السوسي بامالة الف ترى المنقلبة بعد الراء في الاصل لخلاف عنه
والباقون بالفتح في الوصل وهم على اصولهم في الوقف وابو عمرو
وحمزة والكسائي بالامالة محضة وورش بين اللفظين والباقون
بالفتح وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وتزاور بتشديد الزاي وتخفيف

الراء مضمومة وابن عامر بسكونها الزاي ولا الف بعدها وتشديد الواو
علي وزن محمر والباقون وهم عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الزاي والواو
والالف في صفر الراء والمراد انه تعالى حفظهم من حر الشمس بان الف فيهم
بروح الهواء والطفهم بسعة الموضع في نفس الغار فقال تعالى وتراهم في فجوة
منه اي في وسط الكهف ومتسعه بيانا لمهب برد الروح ونسيمها ثم بين تعالى
نتيجة هذا الامر العزيب في النبا العجيب بقوله تعالى ذلك اي المذكور العظيم
من ايات الله اي دلايل قدرته ومن يهد الله اي الذي له الملك كله
يخلق هذه الهداية في قلبه كاصحاب الكهف فهو المهتدي في اي زمان
كان فلن تجد له مرشدا معينا في ذلك اشارة الى ان اهل الكهف جاهدوا
في الله وسلى الروحهم فالطفهم بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك
الكرامة السنية والاختصاص بالاية العظيمة وان كل من سلك طريق
المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة
وقرا نافع وابو عمرو بزيادة يا بعد الدال في الوصل دون الوقف والباقون
بحذفها في الحالين ووصلا ومن يضلل اي يضله الله تعالى ولم يرشده كرقيانوس
واصحابه فلن تجد له وليا اي معينا مرشدا اي يرشده للحق عز اسمه تعالى
عطف على ما مضى بقية اهوالهم بقوله تعالى وتحسبهم اي لو رايتهم ايها
المخاطب ايقاظا اي منتبهين لان اعينهم مفتحة للهوا لانه يكون ابين
لهاجم يقظ بكسر القاف ورقود اي نيام جمع راقد قال الزجاج لكثرة
تقلبهم يظن انهم ايقاظ والدليل عليه قوله تعالى ونقلبهم اي في ذلك
حال نومهم تقليبا كثيرا بحسب ما يقتضيهم كما يكون النايم ذات اي في الجهة
التي هي صاحبة اليمين منهم وذات الشمال لئلا تاكل لحومهم الروح النسيم
جميع ابدانهم ولا تاثر ما يلي الارض منها بطول المكث تنبيه اختلف
في مقدار مدة التقليب فعن ابي هريرة ان لهم في كل عام تقليبتين وعن

مجاهد يقلبون رؤوسهم في اليوم تسع سنين وقيل لهم تقليبة واحدة في يوم
عاشوراء قال الرازي وهذه التقديرات لا سبيل للعقل اليها ولفظ القران
لا سبيل للعقل اليها ولفظ القران لا يدل على شيء مما جاء فيه في خبر صحيح فكيف يجزم
به ولهذا قلت بحسب ما سنفهم وقال ابن عباس فائدة تقليبهم لئلا تاكل
الارض لحومهم ولا ينافيه هم اه قال الرازي وهذا اعجب من ذلك لانه تعالى اما
قدر على ان يمسك حياتهم ثلثمائة واكثر فلم يقدر على حفظ اجسادهم ايضا
من غير تقليب اه وهذا ليس بعجيب لان القدرة صالحة لذلك واكثر منه
بحسب العادة واما امساكه ارواحهم فهو خرق للعادة فلا يقاس عليه
وكلبهم باسط ذراعيه اي يديه اي يلقيهما على الارض مبسوطتين غير
مقبوضتين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اعتدلوا في السجود ولا يبسط
احدكم ذراعيه انبساط الكلب قال المفسرون كان الكلب يبسط قد يبسط
ذراعيه وجعل وجهه عليهما تنبيه باسط اسم فاعل ماض والعامل
على حكاية الحال والكسائي يتمثله ويستشهد بالاية واكثر المفسرين على ان
الكلب من جنس الكلاب وروي عن ابن جريج انه كان اسدا ويسمى الاسد
كلبا فان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن ابي لهب فقال
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فافترسه الاسد وقال ابن عباس كان كلبا
اعرج واسمه قطمير وعن علي اسمه ريان واختلف في قوله تعالى بالوصيد
فقاله ابن عباس هو باب الكهف وقتيل العتبة قال السدي والكهف لا يكون
له باب ولا عتبة وانما اراد موضع الباب والعتبة وقال الزجاج الوصيد
فناء البيت وفناء الدار قال الشاعر بارض فنا لا يسد وصيدها
علي ومعروفي بها غير منكر وقال مجاهد والضحاك الوصيد الكهف لو
اطلعت عليهم بكسر الواو وعلى اصل التقاء الساكنين اي دهمهم على تلك
الحالة لوليت منهم حال وقوع بصرك عليهم وفرارا لما البسهم الله تعالى من المهيبة وجعل

لهم من الجلالة تدبيرا منه لما اراد منهم حتى لا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله **ولملئت منهم رعبا** اي فزعا واختلف في ذلك الرعب كما ذا فقال الكلبي لان اعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وهم نيام وقيل من وحشة المكان وقيل لكثرة شعورهم وطول اظفارهم وتقلبهم من غير حس كالمستيقظ وقيل ان الله تعالى ملأهم بالرعب حتى لا يراهم احد وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلا نظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع الله ذلك من هو خير منك لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاخرجتهم وقرا نافع وابن كثير بتشديد اللام بعد الجيم والباقون بتخفيفها والسوسي بابدال الهمزة ياء على اصله ووقفا ورصلا وحمزة في الوقف فقط وقرا ابن عامر والكسائي رعبا بضم العين والباقون بسكونها **وكذلك** اي كما غطينا على اعينهم ما ذكرنا انه **بعثناهم** اي ايقظناهم اثر تلك الرقدة الطويلة **ليتساءلوا بينهم** اي ليسأل بعضهم بعضا عن احوالهم في نومهم وتيقظهم فيتعرفوا احوالهم وما صنع الله تعالى بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى وليستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم الله به عليهم **قال قائل منهم** مستفهما عن اخوانه **كم لبثتم** نائمين في الكهف من ليلة او يوم وهذا يدل على ان هذا القائل استشعر طول لبثهم عن حال رأى من بعضهم او بغير ذلك من الامارات **قالوا لبثنا يوما او بعض يوم** لانكم لما دخلوا الكهف طلوع الشمس وبعثوا آخر النهار فلما رأوا الشمس باقية قالوا او بعض يوم فلما نظروا الى طول اظفارهم وشعورهم **قالوا ربكم اعلم بما لبثتم** فاحالوا العلم على الله تعالى قال ابن عباس القائل ذلك هو رئيسهم تمليخا ورد علمه ذلك الى الله تعالى وعلم ان مثل هذا التغيير

لا يحصل الا في الايام الطويلة وقرا نافع وابن كثير وعاصم باظهار الثا المثلثة عند التاء والباقون بالادغام ثم لما علموا ان الامر ملتبس عليهم لا طريق لهم الى علمه احذ وا فيما بينهم وقالوا **فابعثوا احدكم بورقكم هذه** اي بنفقتكم وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة بسكون الراء والباقون بكسرها والورق اسم للفضة سواء كانت مضروبة ام لا ويدل عليه ما روي ان عرفجة اتخذ انفا من ورق ويقال له الرقة وفي الحديث وفي الرقة ربع العشر **الى المدينة** اي التي خرجتم منها وهي مدينة طرطوس وهذه الاية تدل على ان السعي في امساك الرزق امر مهم مشروع وانه لا يبطل التوكل على الله تعالى اذ حقيقة التوكل على الله تعالى تعميته الاسباب واعتقاد ان لا مسبب للاسباب الا الله تعالى فحمل النفقة وما يصلح للمسافر هو راي المتوكلين على الله دون المتوكلين على الانفاق اثبت على ما نقل وعيبة القوم حملوا النفقات وعن قتادة لعائشة رضي الله تعالى عنها كنا نتسامر عن محرم يسئد عليه هميانه او ثيابه عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلما انه كان شديد الكبر اتى ان يرزق حج بيت الله وعلم من ذلك وكان من يسير اهل بلده كلما عزم قوم على حج اتوه ان يحجوا بهم فحجوا كلهم على نفقته رجاء الهم ويحمد الهم بذلهم فاذا انفق عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيآن سئد الهميان والتوكل على الرحمن **فلينظر ايها ازكى طعاما** قال ابن عباس يريد ما حل من الذباح لان عامة اهل بلدهم كانوا مجوسا وقيل قوم يحفرون ابيارهم فقال بعضهم كان ملكهم ظالما فقال لهم ازكى طعاما اي ايهم ابعد عن النفس وكل سبب حرام وقيل ايما اطيب والذ وقيل ايما ارخص قال الزجاج ايها في رفع بالابتداء وازكى خبره وطعاما تمييز ولا بد هنا من حذف اي اجا اهلها ازكى اي اجلد وقيل لا حذف والضمير عايد على الاطعمة المدلول

عليها من السياق فليأتكم ذلك الاخذ برزق منه لتأكلوا وليتلطف اي
وليكن في ستر وكتمان في دخول المدينة وسرا الطعام حتى لا يعرفن ولا
يشعرن اي ولا يخبرن بكم احدا من اهل المدينة انهم اي اهل المدينة ان يظهروا
اي يطلعوا عالمين عليكم يرجموكم اي يقتلوكم والرجم يجيء القتل كثيرا
في القرآن كقوله ولولا رهطك لرجمناك وقوله لاردعنك وقولهم ان
ترجمون وقال الزجاج اي يقتلوكم بالرجم والرجم اخبث انواع القتل
او يعيدوكم في ملتهم اي ان لم تتبعوهم ولن تفلحوا اذا اي ان رجعتم الى
ملتهم ابدا بل تكونوا خاسرين قال بعض العلماء ولا خوف على المؤمن
الثابت بدينه اعظم من هذين الامرين احدهما يفيد هلاك البدن
وهو الرجم الذي هو اخبث انواع القتل والثاني هلاك الدين فان
قيل اليس انهم لو اكرهوا على الكفر حتى اظهروا الكفر لم يكن عليهم
مضرة فكيف قالوا ولن تفلحوا اذا ابدا اجيب بانهم خافوا انهم لو
بقوا على الكفر مظهرين له فقد يميل بعض ذلك الى الكفر اعتقادا فكانت
حرمتهم بسبب هذا الاحتمال فان قيل ما النكتة في العدول عن
واحدكم الى احدكم وكل ذلك دال على الوحدة اجيب بان
النكتة فيه ان العرب اذا قالوا احد القوم اراد وابه فردا منهم واذا
قالوا واحد القوم اراد وا رئيسهم والمراد في الفقه اي واحد كان
والقرآن الكريم نزل بلغتهم فراعى ما راعوا وكذلك اي ومثل ما
فعلنا ذلك الامر العظيم من الربط على قلوبهم والستر لكمايتهم من
الطالبين لهم ولكحفظ لاجسادهم على ممر الزمان وتعاقب الحدثان
وغير ذلك اعثرنا اي اطلعنا عليهم يقال عثرت على كذا اعلمته
واصله ان من كان غافلا عن شيء فقربه نظر اليه فكان العثر سببا
لحصول العلم فاطلق السبب على المسبب بقوله تعالى ليعلموا متعلق

باعثرنا

باعثرنا فاعل العثور قيل بعثور علي مفعول اعثرنا الجيد وقيل بتقدير اعثرنا الناس
وقيل بعثور بعض اهل الكهف بعض وعن ابن عباس الساعة وعد الله الذي هو
من صفات الكمال بالبعث للروح وجنة بحياتي الابدية فيها حتى الابدية فيها هم بينهم
وبين اماتة بعثرة مائة سنة بعث قال بعض العارفين عالجة الخطاب
بعد النوم علامة البعث بعد الموت اعثرنا كما اقمناهم من الحق ما قدرنا خلة شك
فيها تعالى وان الساعة اي القيامة لا ريب اي لا شك فيها
اذ يتنازعون اي اهل الكهف الذي يعرض الصيد الذي يعرض المسلمين مواقعة اصحاب الكهف
فيما بينهم بعد اسعاف الله ملكهم تلك البلاد وحملهم على التوحيد وسيس
فيما حكاه بقي في ملكه ثلاثمائة وتسع سنين فتحكم بين الناس في ملكه بقضاء الله
وامره بامره من بعده وتيقنوا ان الساعة حق وان مجيء ملكهم كان بذكر ذلك
على الملك الصالح فبكى وشكر الله تعالى وحزن لتحزنا شديدا لما
رأى اختلاف الناس بعد ان تبددوا وظهور ذوي الاهواء على اهل الحق وتواثبوا على الحياة الا
الدنيا واماتة الارواح والتهافت على الاجساد وجعل الملك يرسل الى
من يظن فيهم خيرا الى الحياة التي تخلف فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالبعث
حتى كما قال ابن عباس عن الحق وعلم الملك ان ليس له حيلة الا رأي ذلك
الملك فدخل بيته واغلق بابه عليه وليس مسحا وجعل يبكي ويتضرع الى الله تعالى
عليهم وما يبكيه وعما دهم ما يضرع الى الله تعالى ويبكي اي يعرب
عن ترحم الناس على ما فاتهم من الايمان بالبعث ثم ان الله تعالى اطلع
بكرمه على تلك عباده اراد ان يظهر على الفتية امر الكهف ويبين
للناس بشأنهم ويجعلهم اية ودعجة عليهم ليعلموا ان الساعة اتية لا ريب
فيها ويستجيب لمن يشاء ويميت ويميته عليه وان بعث من كان
قبلهم من المرسلين والنبيين الذي هو اعظم من بعث رجل من ذلك البلد الذي فيه الكهف
او بعث ذلك البنيان الذي على باب الكهف فيبقى عليه حظيرة لغنم

فاستاجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان تلك الحظيرة حتى نزعا
ما على فم الكهف وفتحا باب الكهف اذن الله تعالى ذو القدرة والسلطان
محيي الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهري الكهف فجلسوا فرحين مسفرة
وجوههم طيبة انفسهم فسلم بعضهم على بعض كانما استيقظوا من ساعتهم
التي كانوا يستيقظون لها اذا اصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا
كالذي كانوا يفعلونه لا يرى في وجوههم ولا في الوانهم شي يكرهونه كهيئتهم
حين رقدوا وهم يرون ان ملكهم دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم
قالوا ليمليخا صاحب نفقتهم ايتنا بما قال الناس في شاننا عشية امس
عند الجبار وهم يظنون انهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد تخيل
اليهم انهم قد ناموا اطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم
لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم
وكل ذلك في انفسهم يسير فقال لهم يمليخا التمستم بالمدينة وهو يريد ان
يوتى بكم اليوم فتذبحون للطواغيت او يقتلكم فما شا الله بعد ذلك فعل
فقال لهم مكسلمينا يا اخوتنا اعلموا انكم ملاقو الله فلا تكفروا بعد
ايمانكم بالله اذا دعاكم عدو الله ثم قالوا ليمليخا انطلق الى المدينة فتسمع
ما يقال لنا اليوم وما الذي يذكر عند دقيانوس وتلطف ولا تشعرن
بك احدا وابتع لنا طعاما وزدنا على الطعام الذي جيتنا به فقد
اصبحنا جياعا ففعل يمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه واخذ الثياب التي
كان يتنكر فيها واخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع
دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق يمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف
راى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يسال عنها حتى اتى
باب المدينة مستخفيا يصد عن الطريق تخوفا ان يراه احد من اهلها فيعرفه
ولا يشعر ان دقيانوس واهله قد هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة فلما

اتى

اتى على باب المدينة رفع بصره فراى فوق ذلك ظهر الباب علامة تكون لاهل
الايمان اذا كان ظاهر الايمان فلما نظر اليها تعجب وجعل ينظر اليها مستخفيا
ينظر يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب وتحول الى باب اخر من ابوابها فنظر فراى مثل ذلك
فجعل يخيل اليه ان المدينة ليست بالتي كان يعرفها وراى ناسا كثيرا محدثين
لم يكن راهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم رجع الى
الباب الذي اتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول يا ليت شعري
اما هذه عشية امس وكان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون
بها واما اليوم فانها ظاهرة لعلي حالم ثم يرى انه ليس بنائم فاخذ كساءه
فجعله على راسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهراني سوقها فسمع اناسا
يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا وراى انه حيران فقام مسندا
ظهره الى جدار من جدر المدينة ويقول في نفسه والله ما ادري ما هذا
اما عشية امس فليس على وجه الارض انسان يذكر عيسى بن مريم الا قتل
واما اليوم فاسمع كل انسان يذكر عيسى ولا يخاف ثم قال في نفسه لعل
هذه ليست المدينة التي اعرف واسمع كلام اهلها ما اعرف منهم احدا فقام
كالحيران ثم لقي فتى فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى قال اسمها افسوس
فقال في نفسه لعل بي مسا او امرا اذهب عقلي والله يحق لي ان اسرع
الخروج منها قبل ان اخزى فيها او يصيبني شر فاهلك ثم انه افاق فقال
والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل ان يفطن بي لكان اكيس لي فدنا
من الذين يبيعون الطعام فاخرج الورق التي كانت معه فاعطاها
رجلا منهم فقال بعني بهذا الورق طعاما فاخذها الرجل فنظر الى ضرب
الورق ونقشها فعجب منها ثم طرحها الى رجل من اصحابه فنظر اليها ثم الى
اخر فجعلها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها
ثم جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا اصاب كنزا مخبيا

في الارض حتى مضت زمان وردهم طويل فلما رايهم تمليخا حيث اوردوه من راحلته فرق
فلما تحققوه عيد الرجل يرجعون وظنوا انهم اخطاوا بيته وعرفوه فلما رايهم
ان يذهبوا به الى الملك ردفتيانوس وجعلوا يلتمسون اخذوه يا تونه فيستوجبونه
فقال لهم كبيرهم وهو سيدهم العرجاء فقالوا على قد اخذتم وهو في خلعة سكوها اياها
طلبا لكم وليس لي حاجة بهذه الخلعة فدعوا الخلعة لي وخذوا ما شئتم منها
وبيعوها فتستغنوا بثمنها فان كنتم ارادوا الملك فانا ادلكم على من هو اعظم
فارغب منه واكثر عطية وعليكم ما وجد تم عنده فانكم لم تفعلوا ذلك اسلمكم
تسلمكم اليه وتستوجبون منه الجعل فلما سمعوا ذلك منه وجدت منهم
في قلوبهم اجابوه وقالوا فتحن نفعل ذلك فدلنا عليه فقال لهم ان تكثروا
فتحملوا عليه فانه سيبذل لكم ما يسئلونه حتى انه يرد اليكم جوابا فلما سمعوا
لا تكلموا اخذ واكساءه وطرحوه في عنقه وجعلوا يجرونه بعنف حتى
حتى سمع من هناك فخرج رجل منهم فلما رآهم اجتمع عليه اهل المدينة صغيرهم
وكبيرهم فجعلوا ينظرون اليه ويتعجبون من امر هذا الفتى من اهل هذه
المدينة وما رايناه قط وما نعرفه فجعل تمليخا ما يرى مما يقول لهم فلما
اجتمع عليه اهل المدينة وكانت مدينتهم افسوس وهي حينئذ في المدينة وانهزم
عنها اهلها واكثر سباع تلك الناحية اذا سمعوا به فجعلوا يهربون فيما بين الجبال اذ نظر بعضهم
بابنه بعض اهله فيخلفه من بين ايديهم اذا اختطفوه وانطلقوا به الى
رئيس المدينة ومدبر امرها الذين يدبرون امرها وهم رجال منهم كان
اسم احدهما اريوس والاخر اسيطيوس فلما انطلقوا به اليهما طفق
تمليخا انه ينطلق به الى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا
وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون وجعل تمليخا يبكي
ويرفع راسه الى السما وقال اللهم اله السما واله الارض الطف بي اليوم
علي خيرا وارحم مني روعاتي تريدني به عند هذا الجبار وجعل يقول

في نفسه فرق ما بيني وبين اخوتي بالتهم يعلمون ما لقيت وبالتهم يا تيني
فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا كنا توافقنا على الايمان بالله كما
وتعالى ولا نشرك به شيا ولا افترقت في حياة ولا موت فلما انتهى به الى
الرجلين الصالحين ورايا انه لم يذهب به الى دقيانوس الملك وسكن
عنه الكفا فاخذ اريوس واسيطيوس الورق فنظرا اليه وعجبا منه ثم قال
احدهما اين الكنز الذي وجدت يا فتى فقال تمليخا ما وجدت كنزا ولكن هذا
ورق اباي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما ادري ما هذا اني
وما اقول لكم فقال احدهما لعله قال تمليخا اما انا فكنت ارى اني
من اهل هذه المدينة قالوا فمن ابوك ومن يعرفك بها فاسلمهم الى ابيه
ابيه فلم يجدوا احدا يعرفه ولا اباه فقال له احدهما انت رجل كذاب
لا تاتينا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول لهم غير انه نكس راسه الى الارض
فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون فقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحتال
بنفسه عمدا حتى لكي يغفلتنا منكم فقال له احدهما ونظر اليه نظرا شديدا
انظن انا نرسلك وقد عرفنا بان هذا مال ابيك ونقش هذه الورق
وضربها اكثر من ثلاثمائة سنة وانت علانيتك تطلب وتظن انك تاتينا
وتسخر منا وتخدعنا بشيخ وشمط كما ترى وجوك شراة هذه المدينة
ورعاة امرها وخزانة صيقل البلدة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب
درهم ولا دينار والا اظنني لا اراك امرك لتعذب عذابا شديدا
تمزا وتفك حتى تقر من هذا الكنز الذي وجدته فلما قال ذلك قال
لهم تمليخا اتبقوني عن حتى اسلكم عنه فان فعلتم صدقتكم عما عندي
قالوا نعم لا نكلمك شيا قدر ما تفعل الملك دقيانوس قالوا ليس نعرف
اليوم ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن الا الملك هلك منذ زمان وذهب
طويل وهلكت بعده قرون كثيرة فقال تمليخا اني اذ الجبار وما هو

عصة في احد من الناس بما يقول لقد كنا في غية واذا الملك اكرهنا على عبادة
الاوثان والذبح للطواغيت فحزنا منه عشية امس ففزنا فلما انتبهنا
خرجنا لا شتري طعاما وتجسس الاخبار فاذا انا كما ترون فانطلقوا
بنا الى الكهف الذي في جبل ينجلوس اركبوا اصحابي فلما سمع اريوس
ما يقول تعلبخا قال يا قوم لعل هذه اية من اياته سبحانه وتعالى يجعلها الله
تعالى لكم اية على يديّ هذا الغلام فانطلقوا بنا معه ليرينا اصحابه
فانطلق معه اريوس واسطيوس ومعهما جميع اهل المدينة كبيرهم
وصغيرهم حتى اصحاب الكهف لينظروا اليهم فلما رأتهم الفتية اصحاب
الكهف علموا انهم اختفيوا عنهم بطاعتهم وسرائرهم عن الملك الذي
كان يأتي فيه فظنوا انه قد اخذوهم فذهب به الى ملكهم دقيانوس فحينئذ
يظنون ذلك ويحتفرون اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل تصعد عندهم
فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس فلما توا بهم ليأتوا بهم فقاموا الى الصلاة
وسلم بعضهم على بعض واوصى بعضهم بعضا وقالوا فانطلق يمليخا
تعليخا فانه الآن بين يدي الجبار وهو ينتظر ما حتى تأتيه فيخبرهم بما يقولون
ذلك وهم جلوس على هذه الحالة اذ اتاهم باريوس واصحابه ووقوف
على باب الكهف فتبسم تعليخا ودخل وهو يبكي فلما رأوه يبكي فعلوا
معه ثم سألوه عن خبره فقص عليهم الخبر كله فعرفوا انهم كانوا نياما
بامر الله ذلك الزمن الطويل واعثارهم عليهم اية للناس
ولهذا بقيا للبعث ويعلموا الناس ان الساعة اتية لا ريب فيها ثم
دخل على اثره تعليخا اريوس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من
فضة فقام الى باب الكهف ثم دعا رجالا من علماء اهل المدينة ففتح التابوت
عندهم فوجد فيه لوحين من رصاص مكتوب فيهما وكشفا عنهما وقرأهما
وتعليخا ويرونس وبدروش وبيطيوس كانوا فتية هربوا من ملكهم

دقيانوس

دقيانوس لجبار مخافة ان يفتنهم عن دينهم وقد خلوا هذا الكهف فلما اخبرهم
امر بالكهف فسد عليهم بالجحارة وانما كتبنا اسمائهم وخبرهم ليعلم من بعدهم
ان عز علهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذي اراهم اية النبيين فيهم
ثم رفعوا اصواتهم بحمد الله تعالى وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف
فوجدوهم جلوسا مستقبلة وجوههم ثم تبلبثا بهم فخر اريوس واصحابه
سجودا وحمدوا الله تعالى الذي اراهم اية من اياته ثم كلم بعضهم بعضا
وانبأهم الفتية عن الذي لقوه من ملكهم دقيانوس ثم ان اريوس
واصحابه بعثوا من يأتي الى ملكهم الصالح تندوسيس ان عجل لملك
تنظر الى اية من اياته جعلها الله تعالى على ملكك وجعلها اية
للعالمين ليكون لهم نورا وضيا ولقد بقيا للبعث فاعجل على فتية بعثهم الله
تعالى وكانوا قد توفاهم منذ اكثر من ثلاثمائة سنة فلما اتى الملك الخبر قام
ورجع اليه عقله وذهب همه فقال احمدك الله رب السموات والارض
واعبدك واسبح لك فلولا ثقتي بك ورحمتي فيك لبلغت النور الذي كنت جعلته
لاباي وللعبد الصالح تندوسيوس الملك فلما بني به اهل المدينة ركبوا
اليه وسار واصحبتي اتوا مدينة افسوس فتلقاهم اهل المدينة وساروا
معه حتى الكهف فلما صعدوا الجبل ورأى الفتية تندوسيس نزلوا به
ونزلوا يسجدا على وجوههم وقام تندوسيس وقاموا ثم اعتنقهم وبكى
وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله تعالى ويحمدونه ثم قالوا
له نستودعك الله السلام عليك ورحمة الله وبركاته وحفظك ملكك
ونفيك كيد باس من شر الانس والجن فبينما الملك قايم اذ رجعوا الى مضاجعهم
فناموا وتوفى الله انفسهم وقام الملك اليهم فجعل ينبأ به علهم وامر
ان يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما امسى ونام اتوه في المنام
وقالوا له انا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكن خلقنا من تراب وفي التراب

بعثنا فامتز لنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى حينه فامر الملك
بان توت من ساج فجعلوا فيه وجعلهم الله تعالى حيث خرجوا من عندهم بالرعب
فلم يقدر احد على ان يدخل عليهم وقيل ان تملخا لما حمل الى الملك الصالح
قال له الملك من انت قال انا رجل من اهل هذه المدينة وذكر انه خرج من
اوطانه ايام وذكر منزله واقواما لم يعرفهم احد وكان الملك قد سمع ان
فتية فقدوا في الزمان الاول وان اسمائهم مكتوبة على لوح في خزانته
فدعا باللوح فنظر في اسمائهم فاذا اسمه مكتوب في ذكر اسماء الاخرين
فقال تملخا يا هؤلاء اصحابي فلما سمع الملك ذلك ركب ومعه من معه من القوم
فلما اتوا باب الكهف قال تملخا دعوني حتى ادخل على اصحابي حتى ابشرهم
فانهم انذروكم مني ان عثرتم بهم فدخل فبشرهم فقبض روحه وارواحهم
واعمى على الملك واصحابه ابصارهم فلم يهتدوا عليهم ثم وقع التنازع
في امرهم بين اهل المدينة كما قال تعالى فتنازعوا اي اهل المدينة
بينهم امرهم اي امر الفتية في الباحوالهم فقالوا اي الكفار ابنوا عليهم
اي حولهم بنيانا يسترهم فانهم كانوا على ديننا وقوله ربهم اعلم بهم يجوز
ان يكون من كلام الله تعالى وان يكون من كلام المتنازعين فيهم قال الذين
غلبوا على امرهم اي امر الفتية وهم المؤمنون لنتخذن عليهم اي حولهم
مسجدا يصلي فيه ونفعل ذلك على باب الكهف وقيل ان بعضهم قال الاولى
ان يسد باب الكهف عليهم لئلا يدخل احد عليهم ولا يقف على احوالهم
انسان وقال الاخرون بل الاولى ان يبنى على باب الكهف مسجد ولهذا
القول يدل على ان اولئك الاقوام كانوا عارفين بالله ومعترفين بالبعث
والصلاة وقيل تنازعوا في مقدار مكثهم وقيل في عددهم وانما بهم
تشبيه بنيانا يجوز ان يكون مفعولا به ويجوز ان يكون مصدرا
ولما ذكر اصحاب الكهف عند النبي صلى الله عليه وسلم وقع الاختلاف

في

في عددهم كما قال تعالى سيقولون اي اخبارا يغلبون في قصتهم من اهل الكتاب
والمؤمنين فقال بعض اهل الكتاب ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم ثلاثة رجال
ورابعهم كلبهم بانضمامه اليهم ويقولون اي بعضهم خمسة سادسهم كلبهم فهذان
القولان للنصارى بخلاف وقيل الاول قول اليهود والثاني قول النصارى
فان قيل لم جاء بين الاستقبال في الاول دون الاخيرين اجيب بان
في ذلك وجهين ان تدخل الاخيرين في حكم السين كما تقول ذاكرم وانهم تريد
بعني التوبيخ في الفعلين جميعا وان يريد بيغفر معنى الاستقبال الذي
يوصلك لان لما كان قولهم ذلك بغير علم كان رجما بالغيب اي ظنا في الغيبة
عنهم فهو راجع الى القولين معا ونصب على المفعول به اي لظنهم ذلك ويقولون
اي المؤمنون سبعة وثامنهم كلبهم قال اكثر المفسرين هذا الاخير هو الحق ويدل
عليه وجوه الاول ان تعالى لما حكى قولهم ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قال
بعده قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع القولين الاولين
بقوله تعالى رجما بالغيب وتخصيص الشيء بالوصف يدل على انه ليس في
الباقي مثله فوجب ان يكون المخصوص بالظن الباطل هو القولان
الاولان وان يكون القول الثالث مخالفا لهما في كونه رجما بالغيب الوجه
الثاني ان الواو في قوله تعالى وثامنهم هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة
صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو فوقف جاني رجل
ومعه آخر وتكيد للصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان الامر بالقعا
فيه امر ثابت مستقر فكانت هذه الواو دالة على ان الذين كانوا في الكهف
كانوا سبعة وثامنهم كلبهم وقول محمد بن اسحاق اسمائهم كانوا ثمانية مردود
فكان الله تعالى حكى اختلافهم وختم الكلام عند قوله ويقولون سبعة ثم
حقق هذا القول بقوله تعالى وثامنهم كلبهم والثامن لا يكون الا بعد السبع
وكذه الواو يسمونها واو الثمانية لان العرب تعد فتقول واحد اثنين

ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية لان العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم
عندنا عشرة ونظير هذا في ثلاث آيات وهو قوله تعالى والناهون عن
المنكر وقوله تعالى حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها لان ابواب الجنة ثمانية
وابواب النار سبعة وقوله تعالى ثيبات وابكارا قال القفال وقولهم واحد
الثمانية ليس ببيّن بدليل قوله تعالى هو الذي لا اله الا هو الملك القدوس
السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ولم يذكر الواو في النعت
الثامن قلت وقد يجاب بان ذلك شيء علي الغالب الوجه الثالث انه تعالى
قال ما يعلمهم الا قليل وهذا يقتضي انه هضل العالم بعددهم لذلك القليل
وكان ابن عباس يقول انا من اولئك العدد القليل وكان يقول انهم سبعة
وثامنهم كلبهم وكان علي رضي الله تعالى عنه يقول كانوا سبعة قال
الرازي واسماؤهم تلخيخا مكسلمينا مسلبينا وهؤلاء الثلاثة كانوا
اصحاب يمين الملك وعن يساره مرنوس وديدنوس وشاذنوس
وكان الملك يستشير هؤلاء الستة يعرفون اني مهمانه والسابع هو
الراعي الذي وافقهم لما هربوا من ملكهم وروي عن ابن عباس انه
قال اسم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس ونوفس وكفشطوطيس
وهو الراعي واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس بقيه في
الاية حذف والتقدير سيقولون هم ثلاثة كلبهم فحذف المبتدا
لدلالة الكلام عليه وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل
منهم اي ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على الظن لهذا تعالى
لما ذكر هذه القصة انهى بانه نبي رسوله صلى الله عليه وسلم عن
شيئين عن المراء وعن الاستفتاء اما النهي عن المراء لقوله تعالى
فلا تمار اي تجادل فيهم اي في شان الفتية الا مراء اي جدالا ظاهرا
اي
غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير ان تكذبهم

في

في تعيين ذلك العدد ونظيره قوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي
هي احسن واما النهي عن الاستفتاء فقوله تعالى ولا تستفت فيهم اي ولا تسأل
منهم اي من اهل الكتاب اليهود احدا عن قصتهم سؤال مسترشد لانه لما ثبت
ان ليس عندهم علم في هذا الباب وجب المنع من استفتائهم وفيما اوحي
اليك مندوحة عن غيره ولا سؤال متعنت يريد تفضيح المسؤول عنه وتر
ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق ولما سأل اهل مكة عن اخبار اهل
الكهف فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخبركم به غدا ولم يقل ان شاء الله
فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوما وفي رواية اخرى اربعين يوما
ولا تقولن لشيء اي لاجل شيء تلتزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي
في ايستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله اي الا ملتبسا
بمشيئة الله بان يقول ان شاء الله والسبب في ذلك ان الانسان اذا
قال سافعل الفعل الفلاني غدا لم يبعد ان يموت قبل مجيء الغد فلم
يبعد ايضا ان يبقى حيا ولكنه يعيقه عن ذلك الفعل سائر العوائق فاذا لم يفعل
ان شاء الله صار كاذبا في ذلك الوعد والكذب منفر لا يليق بالانبياء
عليهم الصلاة والسلام فلهذا السبب وجب عليه ان يقول ان شاء الله
حتى اذا تعذر عليه الوفاء بذلك الموعد لم يصر كاذبا ولم يحصل التنفير
تنبيه قال كثير من الفقهاء اذا قال الرجل لامرأته انت طالق ان
شاء الله لم يقع عليه الطلاق لانه لما علق وقوع الطلاق على مشيئة
تعالى لم يقع عليه الطلاق الا اذا علمنا تعلق حصول المشيئة ومشيئة
الله تعالى غيب لا سبيل لنا الى العلم بحصولها الا اذا علمنا تعلق المشيئة
وقوع وهو الطلاق وعلى هذا لا يعرف حصول المشيئة الا اذا وقع
الطلاق ولا يعرف وقوع الطلاق الا اذا عرفت المشيئة فيتوقف
العلم بكل واحد منهما على العلم بالاخر وهو دور فلهذا لا يقع

الطلاق وقيل المراد الا ان يشاء الله اذ يأذن لك الله تعالى في ذلك القول
والمعنى انه ليس لك ان تخبر عن نفسك بانك تفعل الفعل الفلاني الا ان
اذن لك الله تعالى في ذلك الاخبار وقد احتج القائلون بان المعدوم شيء
بهذه الاية لان الشيء الذي يستثنى عند عدم معدوم في الحال فوجب تسمية
المعدوم بانه شيء واجيب بان هذا الاستدلال لا يفيد الا ان المعدوم
سيصير شيئا في الحال كما قال تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه والمراد
سيأتي امر الله واختلف في معنى قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت فقال
فقال ابن عباس ومجاهد والحسن معناه اذا نسيت الاستثناء ثم ذكرته
فاستثن وعند هذا اختلفوا فقال ابن عباس لو لم يحصل التذكر الا
بعد مدة طويلة ثم ذكر ان شاء الله كفى في رفع الحنث وعن سعيد بن
جبير بعد سنة او شهر او اسبوع او يوم وعن طاوس لا يقدر على
الاستثناء الا في مجلسه وعن عطا يستثني على قعود راحلته ناقة
عزلية وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الكلام ما لم يكن موصولا
واحتج ابن عباس بان قوله اذا نسيت غير مختص بوقت غير معين
بل هو متناول لكل الاوقات وظاهره ان الاستثناء لا يجب اذ يكون
متصلا اما عامة الفقهاء فقالوا الوجوب فاذ لك يلزم ان لا يستقر
شيء من العهود والايمان يحكى ان المنصور بلغه ان ابا حنيفة خالف
ابن عباس في الاستثناء المتصل فاستحضره ليناظر عليه فقال له
ابو حنيفة هذا ابو حي عليك لانك تاخذ البيعة بالايمان اترضى ان
يجوز امن عندك فيستثنوا فيجوز جوا عليك فاستحسن المنصور
كلامه رضي الله تعالى عنه واستدل لهم بان الايات الكثيرة دلت على
وجوب الوفاء بالعقد والعهد قال تعالى اوفوا بالعقود وقال تعالى
واوفوا بالعهد فاذا اتى بالعقد او العهد وجب عليه الوفاء بمقتضاه

لاجل

لاجل هذه الايات خالف الدليل فيما اذا كان الاستثناء متصلا لان الاستثناء
مع المستثنى منه كالكلام الواحد بدليل ان الاستثناء وحده لا يفيد شيئا
فهو جار مجرى بعض الكلمة الواحدة فهذا الكلام كالكلمة الواحدة المفيدة
فاذا لم يكن متصلا لم يفد الالتزام التام فوجب الوفاء بذلك الملتزم
وقيل ان قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت كلام مستانف لا تعلق له بما
قبله قال عكرمة واذكر ربك اذا غضبت وقال وهب مكتوب في الانجيل
يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب وقال الضحاك والسدي
هذا في الصلاة المنسية قال الزجاج ويتعلق بهذا الكلام بما قبله
ايضا اتم الكلام في قصة اصحاب الكهف مستانف فيصير الكلام مبتدا منقطعا
وذلك لا يجوز وفي قوله تعالى وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا
رشدا وجهان الاول ان يكون قوله ان شاء الله ليس بمحسن تركه وذكره
اولى من تركه وهو قوله لاقرب من هذه الرشد المراد منه ذكر هذه الكلمة
[illegible] وقيل معناه عسى ان يعطيني ربي خيرا مما اعطاكم
اصحاب الكهف وعند تذكير الثالث ان قوله عسى آتيهم ربي رزقا لاقرب
من هذه الرشد الاشارة الى قصة اصحاب الكهف اي لعل الله يوفقني
من البينات والدلائل على صحة نبوتي وصدقي في ادعاء النبوة ما هو
اعظم في الدلالة والقوة من قصة اصحاب الكهف وقد فعل الله تعالى
ذلك حين اتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك
ثم سيؤتيه في اية اخرى بعد اخر الايات المذكورة في قصة اصحاب الكهف
بقوله تعالى ويسئلونك عن ذي القرنين الاية وقد قيل في قوله تعالى
قال بعضهم وهذا يدل على ان اصحاب الكهف كانوا ثلاثمائة سنين
قالوا بعضهم وهذا يدل على ان اهل الكتاب شمسية وتزيد
القمرية عليها تسع سنين وقد ذكرت في قوله واذدادوا تسعا اي تسع
سنين لان التفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلاث سنين

لان السنة الشمسية تزيد على السنة القمرية عشرة ايام واحد وعشرون ساعة
وخمس ساعة فالثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع قمرية قال الزاجي وهذا
مشكل لانه لا يصح بالحساب هذا القول ويمكن ان يقال لعلهم لما بلغهم ان اهل الكتاب
سنة قرب امرهم من الانتباه ثم اتفق ما اوجب بقاءهم في النوم بعد ذلك تسع
سنين وقرأ حمزة والكسائي بغير تنوين في الوصل والباقون بالتنوين
فسنين على بيان الثلاثمائة لانه لما قال ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة لم يدر ان
انما ايام او شهور او سنون فلما قال سنين صار هذا بيانا للقول بثلاثمائة وكان
ذلك على بيان له وقيل هو على التقديم والتأخير اي لبثوا ثلاثمائة سنين ثلاثمائة
واما وجه القراءة الاولى فهو ان الواجب في الاضافة ان يقال ثلاثمائة سنين
سنة الا انه يجوز وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله تعالى بالاخسرين
اعمالا لوحذف مميز تسع لم يدل ما تقدم عليه اذ لا يقال عندي ثلاثمائة
درهم وتسعة الا وانت تعني تسعة دراهم ولو ارتفع بابا ونحوه لم يجز الا ان
الغاء اذا اسند تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم اذا اخبر عن مدة لبثهم في الكهف بقوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا اي هو اعلم منكم ومن اخبر عمدة
لبثهم وقيل انا اهل الكتاب قالوا اذا لحقتم حين تدخلون الكهف الى يومنا
هذا وهو اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة سنة وازدادوا
تسع سنين فرد الله تعالى عليهم ذلك وقال الله اعلم بما لبثوا يعني بعد ما
ارداهم الى يوم ما هذا لا يعلمه الا الله له غيب السموات والارض اي ما
غاب وخفي عن اهل السماوات والارض ما لم يغيب عن ادراكه شيء ولا يعزب
عن ذكره لا يغيب عن ادراكه شيء فيكون عالما بمدة الواقعة لا محالة
وقوله تعالى ابصر به واسمع كلمة تذكر في التعجب اي ما ابصر الله تعالى بكل
موجود وما اسمعه بكل مسموع ما لهم اي ما لاهل السموات والارض من دونه اي
الله من ولي من اي ناصر ولا يشرك في حكمه اي قضائه احدا منهم ولا يجعل لهم فيه

ودخلا

فيه خلالا نفى عنه ان يكون له ولي او نصير بعد ان اعلم انه المنفرد بعلم الغيب في علم غيبه احدا
وقرأ ابن عامر من ولايته بالتاء فيه وفي سورة الكهف وسكون الكاف على نهي كل احد عن
الامر بذلك والباقون بالجر على التبعية ومن زائدة للتأكيد وتقدم الكلام على نظير هذه الآية
الكريمة وقد تقدم ايضا الكلام على صحة القول بالكرامات والاولياء وقد تقدم معرفة
الولي لغة وشرعا عند قوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فليرجع اليه
هنالك ومن ذلك يعلم ان الاولى في قوله تعالى ولا يشرك الخ ان يكون نهيا
والقول بانه خبر لفظا ونهي معنى فيه بعد ما ذكرنا من ان الاولى ان يحمل على
الانشاء ويقدر مثل ما ذكرناه في سورة الانعام عند قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي
هي احسن وقد مر هناك ما يتعلق بهذا المقام وقرأ الكسائي من ولاية بكسر الواو
وتنوين الياء بعدها وقرأ الباقون بفتح الواو وسكون الياء بعدها بلا تنوين
وهما لغتان كالوكالة والوكالة والولاية والولاية وقيل بالفتح النصرة وبالكسر
السلطان والملك واختار الفراء الفتح لقوله تعالى هنالك الولاية لله الحق
وقرأ ابن كثير ولا يشرك بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب

كما في انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لابي بكر يا غلام من ابوك فقال
الراعي فتقدم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا يا نبي لكن
هو حسبك في ذهب ورفضة فابى عن ذلك وسلمهما كما كانتا واما النبي الاخر
فان امرأة كانت معه ما حبي لها بعض ضعفه الذهن عن مباشرة الجميل فاستغاثت قائلة
اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال النبي اللهم لا تجعل مثله ثم مر على امرأة فذكروا
انها سرقت وزنت وعوقبت فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فقال النبي
اللهم اجعلني مثلها فقالت له امه في ذلك فقال ان الراكب جبار من الجبابرة
فكرهت ان اكون مثله والمرأة عذبت بما عذبت وانا بريء وقيل لها سرقت
ولم تسرق وبغت ولم تبغ فقالت حسبي الله فاجبت ان اكون مثلها وهذا الخبر المذكور هو
مشهور في الصحيح عن ابي هريرة عن ابي عن جده قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى اووا المبيت
الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار
وقد ذكرت ذلك عند قوله كانوا من اياتي فيما تقدم وقوله صلى الله عليه
وسلم ربما استشهد بخبر ذي يمن لابي بكر فتمم على الله لابي بكر والسر
يعرف في سني وفي بها يتمم به على الله تعالى ومنها جاء في حديث
بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل
يسوق بقرة وقد جهد عليها التفت البقرة وقالت اني لم اخلق لهذا انما
خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم آمنت بهذا انا وابو بكر وعمر وما هما ثم وروى عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل يسمع رعدا وصوتا في السحاب اذ اتى
حديقة فالتفت فقال عفت الى تلك وكذا تقدم فاذا رجل قائم فيها فقالت
له ما اسمك فذكر اسم فلان غير ذلك فقال لم تسمع صوتا في السحاب الذي

استق

استق حديقة فلان فقال فاني اجعلها ثلاثا فاجعل لنفسي ولاهلي ثلثا واجعل
للمساكين وابن السبيل ثلثا وانفق عليها ثلثا واما الاثار فكثيرة اني ولنبدا
منها ببعض ما نقل انه ظهر على يخلفا الراشدين من الكرامات ثم ببعض
ما ظهر على بعض الصحابة اما ابو بكر رضي الله تعالى عنه فمن كراماته
انه لما حملت جنازته الى باب قبر النبي صلى الله عليه وسلم ونودي
السلام عليك يا رسول الله هذا ابو بكر بالباب فان اذن لنا فادخل
واذا لم يأذن لنا فنستأذن من المقبر ادخلوا الحبيب الى الحبيب واما عمر رضي الله
تعالى عنه فقد ظهرت انواع كثيرة من كراماته النوع الاول ما روي انه
لما بعث جيشا وامر عليهم رجلا يدعى بسارية بن الحصين بينما عمر يوم الجمعة
يخطب جعل يصيح في خطبته ويمر على المنبر يا سارية الجبل الجبل قال علي
ابن ابي طالب كبتنا ونحن هذه الكلمة فلما قدم رسول ذلك الجيش فقال
يا امير المؤمنين عدونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا فاذا بانسان
يصيح يا سارية الجبل فاسندنا ظهرنا الى الجبل فهزمهم الله تعالى الكفار
وظفرنا بالغنائم العظيمة ببركة ذلك الصوت قال الراوي قد سمعت بعض
المذكورين قال كان ذلك معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه قال لابي بكر
وعمر انتما مني بمنزلة السمع والبصر فلما كان عمر بمنزلة البصر لا جرم قدر
على ان يرى من ذلك البعد العظيم لمحمد صلى الله عليه وسلم النوع الثاني
ما روي ان نيل مصر كان في الجاهلية يقف في كل سنة مرة واحدة فكان
لا يجري حتى تلقى فيه جارية حسناء فلما جاء الاسلام كتب عمرو بن العاص
الى عمر فكتب عمر على خرقة ايما النيل ان كنت تجري بامر الله فاجر وان
كنت انما تجري بامرك لا حاجة بنا اليك فالقيت تلك الخرقة في النيل
فجرى ولم يقف بعد ذلك النوع الثالث لما وقعت الزلزلة في المدينة
فضرب عمر الدرة على الارض وقال اسكني باذن الله فالقوها في

الناس فانطلقت فيه الى الموضع الذي فيه فسلم عليه وقال يا امير المؤمنين رسول ملك الروم جاء
الي عمر وطلب منه ان يقطع يده فقال ان هذا مثل تصوير الملوك فقالوا ليس له ذلك
وانما هو في العمرانية بضرب اللبن فلما ذهب الى العمرانية رأى عمر واضعا درته
تحت رأسه ونائما على التراب فتعجب الرسول من ذلك وقال اهل المشرق
والمغرب يخافون هذا الانسان وهو على هذه الصفة ثم قال الذي نفسه
بيده وخدمه خالبا فاقتلوه واخلصوا الناس منه فلما رفع السيف اخرج الله
تعالى من الارض اسدين فتصدياه فخاف والقى السيف من يده وانتبه
عمر ولم يرهما فسأله عن الحال فذكر له الواقعة واسلم قال الراوي ويقول
هذه الواقعة رويت بالاحاد وهذا ليس كما هو معلوم بالتواتر وهو انه
مع بعده عن زينة الدنيا واحترازه عن التكلفات والتجملات نساس
الشرق والغرب وغلب الممالك والدول ولو نظرت في كتب التواريخ
علمت انه لم يتفق لاحد من اول عهد عمر الى الآن ما وقع له تيسر له
فانه مع غاية بعده عن التكلفات كيف قدر على تلك السياسات ولا
شك ان هذا من اعظم الكرامات واما عثمان رضي الله تعالى عنه فانه
كثيرة منها ما روي عن انس قال سرت في الطريق فوقعت عيني على امرأة
ثم على عثمان فقال مالي ندخل علي وانا ارى الزنا ظاهرا عليكم فقلت
اجاء الوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن فراسة
صادقة ومنها انه لما طعن بالسيف فاول قطرة من دمه سقطت وقعت
على المصحف على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ومنها
انه جيء الى الغفاري انتزع النصل من يد عثمان فكسرها على ركبته فوقعت
الاكلة في ركبته واما علي رضي الله تعالى عنه فاشياء كثيرة انبه منها ما روي
ان واحدا من لحسه سرق وكان عبدا اسود فاتي به الي علي فقال السرقة
فقال له علي فقطع يده فانصرف من عند علي فلقيه سلمان الفارسي وابن الكوا

فقال

فقال ابن الكوا من قطع يده فقال له امير المؤمنين ويحسبه المسلمين وختن
علي بن ابي طالب فقال له سلمان قطع يده وعنده حه فقال ويلك لا ادري
وقد قطع يده بحق وخلصني من النار فصعق سلما عند ذلك فاخبر به عليا
رضي الله تعالى عنه فدخل عليه وغطاه بمدرعته ودعا له بعود فمسحه
على لسانه فاستوى جالسا فقال له ما الذي رأيت فقال الذي رأيته واما ما روي عن
سعيد بن المسيب قال كنت مع عمر في سفرة فرأيت منه امورا عجيبة
منها انه نظر يوما في المرآة وقال اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي
من الوجه الذي فيه اللوح في احسنية في الاعضاء فوجد الاسد الذي يوجد في
فقلت يا ابا حفص انا نحبك ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتقدم
الاسد الي ودلني على الطريق ثم همهم بما فظننت انه يودعني ورجع ومنها
ما روي عن سعيد بن المسيب قال سمعت عمر يقول لآخر من الانصار يحدثه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة لهما حتى يذهب من الليل ساعة
ثم خرج من عنده وكانت ليلة مظلمة وكان في يد كل واحد منهما
عنصلة فاضاءت عصا احدهما حتى مشيا في ضوئها فلما افترقا بقي الطريق
عليه مظلما فاضاءت عصاه الاخرى حتى بلغ منزله ومنها ما روي انه قيل لخالد
بن الوليد انك تكثر شرب السم فقال كرهت ان يسبق سم فيكم فشربت ليلة فظن بالعسكر
فاتي رجل الى علي فزعم انه سم فدخل خاطره ان قال خالد الله اعلم
فقال لعن الرجل الي اصحابه فقال ائتوني بخمر وبشر بسته وشربها فلما
فعل ذلك قال لا تعودوا الا بحق فقال والله ما جئنا الا بحق فقال والله ما عاد خالد
ابن الوليد كان كما من السم على اسم سيد ما ضره ومنها ما روي انه عمر
كان اخي بعض عماله فلقي جماعة وقوفا على الطريق من خوف الصبع فظن
الصبع من طريقهم فقال انما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو انه لم يخفه
لما سلط عليه شيئا ومنها ما روي انه النبي صلى الله عليه وسلم بعث العلاء
الحضرمي في غزاة فمر بينه وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا الله

الاعظم وحسبي اعلى الما وفي كتبه العرفية من هذه الدايبر وايات متعاورة عن الكمل
واكثر من اراد قاطعا لها ومن الدلايل العقلية على جواز الكراما قي قسمين وخمو
الاول انه صلى الله عليه وسلم قال حاكيا عن رب العزة من اذ الي ولي فقد بارزني
بالمحاربة فجعل ايذا الولي فايا مقام ايذايه وقاكد الجزا المرتب عليه وانه تعالى
يقول يوم القيمة يا بن ادم مرضت فلم تعدني استسقيتك فلم تسقني استطعمتك فلم
تطعمني فيقول يا رب كيف افعل هذا وانت رب العالمين فيقول اما علمت عبدي
فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده يعني كذا في المتني
والاطعام ونحو ذلك فجعل الاخبار على لسان الولي دليلا على ان هذه الدرجات
العالية قد كرامات الشريفة فاذا احتاج العبد الي هذه الدرجات تقاي
بعد ان يعطيه الله تعالي كسرة من الجرعة حاد يعجز الكليا او دون الوجه
الثاني انه صلى الله عليه وسلم قال عن رب العزة ما تقرب الي عبدي بمثل اداء
ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتي احبه فاذا احببته كنت
له سمعا وبصرا ولسانا وقلبا ومعاذ رجلا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي
يمشي وهذا اكبر دليل علي ان لم يبق في قسم الممكن اعظم من هذا القرب
فانه سبحانه وتعالي لما قال
انا سمعه واذا بصره وهذا المقام اشرف من مقام تسخير الحية والسبع وقاعا الفتور
من الغضب او مرتبة من الحاكم فاذا كان صاحب هذه الدرجات
العالية قاي بقدرة الله تعالي ومشيته واحدا دون مرتبة من هذا كما في معارفة
الوجه الثالث لو امتنع اظهار الكرامات كما ذكره ابن الاجر ان لم يعلم تعالي
ليس اهلا لان يعطيه العظيمة والاول قدم في حقه تعالي وهو كفر والثاني
باطل فانا معرفة ايمانه تعالي وجبت طاعته والمواظبة علي ذكره
تقديسه وتمجيده وتعظيمه اشرف من اعطاء غيره واحوني معارفة او
تسخير حية او اسد فان اعطاه المحبوب والمذكور والمشكور من غير سوال يعطيه
سرية فخالفهم المعارفة اولي فاي بعد فيه واصح المذكر للكرامات بوجوه الاول
انه ظهور الدلالة والمعجزة تخارق للعادة جعلها الله دليلا علي النبوة فلو حصل

لغير

لغير النبي لبطلت هذه الدلالة الوجه الثاني ان الله تعالي قال وتحمل اثقالكم الي بلد
لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس والقول بان الولي ينتقل من بلد الي بلد بعيد
لا علي هذا الوجه طعن في هذه الاية وايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل
من مكة الي المدينة الا في ايام كثيرة من التعب الشديد فكيف ينتقل من بلد
نفسه الي الحج في اليوم الواحد الوجه الثالث ان هذا الولي الذي يظهر عليه
الكرامات اذا ادعي علي انسان دينارا واحدا فهل يطالب بالبينة ام لا فان
طالبناه بها كان عبثا لان ظهور الكرامة عليه يدل علي انه لا يكذب ومع
الدليل القاطع كيف يطالب الدليل الظني وان لم يطالب بها فقد تركنا
قوله صلى الله عليه وسلم البينة علي المدعي فهذا الدليل علي ان القول بالكرامة
باطل واجيب عن الاول بانا نسلم انهم اختلفوا انه يجوز للولي دعوي
الولاية فقال قوم من المحققين انه لا يجوز فعلي هذا الفرق بين المعجزة
والكرامة ان المعجزة تكون مسبوقة بدعوي النبوة والكرامة لا تكون
مسبوقة بدعوي الولاية وعلي القول بجواز الفرق بينهما ان النبي يدعي
المعجزة ويقطع بها والولي اذا ادعي الكرامة لا يقطع بها لان المعجز يجب
ظهوره والكرامة لا يجب ظهورها واجيب عن الثاني بان قوله تعالي
وتحمل اثقالكم ان سلم حمله علي المعهود المتعارف وكرامات الاولياء احوال
نادرة فتصير كالمستثنيات من ذلك العموم المتعارف واجيب عن الثالث
بان التمسك بالامور النادرة لا يعول عليه في الشرع فلا ينافي ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم البينة علي المدعي ومع هذا فصاحب الكرامة
يجب ان يكون خايفا وجلا ولهذا قال المحققون اكثر ما حصل الانقطاع
عن حمزة انما وقع في مقام الكرامات فلا جرم ترك المحققون خايفون
من الكرامات كما يخافون من انواع البلاء والذي يدل علي ان الاكتفا
بالكرامة قاطع عن الطريق وجوه الاول ان الكرامات اشياء معاينة

للحق سبحانه وتعالى فالفرح بالكرامة فرح بغير الحق والفرح بغير الحق حجاب
والمحجوب عن الحق كيف يليق به الفرح والسرور والوجه الثاني ان من اعتقد
في نفسه انه صار مستحقا للكرامة بسبب عمله حصل العجب وتمكن عظيم في قلبه
ومن كان كذلك فهو كان جاهلا اذ لو عرف ربه لعلم ان كرامات
الخلق في جنب جلاله تقصير وكل تقصير في جنب الاهيته وتعاليه قصور وكل
معارفهم وعلومهم هي في مقابلة علوته حيرة وجهل وجرت في بعض الكتب
انه قرئ في مجلس الاستاذ ابي علي الدقاق قوله تعالى اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه فقال علامة علي ان الحق يرفع عملك اذا لا
يبقى عندك عمر تنظر فيه فان بقي عملك في نظرك فانه لم يرفعه عنه
مرفوع وان لم يبق عملك في نظرك فهو مرفوع متروك الوجه الثالث ان
صاحب الكرامات انما وجد الكرامة لاظهار الذل والتقرب في حضرة الله
تعالى فاذا ترفع وتجبر وتكبر بسبب الكرامات فقد بطل ما به وصل
الي الكرامات فهذا طريق يؤدي بصاحبه الي عدمه فكان خيره ردا لهذا
المعني لما ذكره صلي الله عليه وسلم مناقبا نفسه ونفضلها كان يقول
في آخر كل واحد منها ولا فخر اي لا افخر بهذه الكرامات وانما افخر بالكرم
والمعطي الوجه الرابع الله تعالى وصف عباده المخلصين بقوله تعالى
ويدعوننا رغبا ورهبا من عذابنا وقيل رغبا في وصالنا ورهبا من
عقابنا قال بعض المحققين والاحسن ان يقال لرغبا في ثوابنا ورهبا عما
وفي هذا القدر كفاية للاولي الالباب جعلنا الله تعالى واحبابنا
من اهل هذه الدرجة بحمد صلي الله عليه وسلم وآله واصحابه ثم لما دل استشهاد
القرآن علي دقيقة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة
الي النبي صلي الله عليه وسلم علي انه وحي معجز امره ان يديم ويلازم
ويلازم اصحابه بقوله تعالى واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك اي القرآن

واتبع

واتبع ما فيه واعمل بما فيه لا مبدل لكلماته اي لا احد يقدر علي تبديلها وتغييرها
غيره وبعضهم قال مقتضي هذا ان لا يتطرق النسخ اليه واجاب بان النسخ
في الحقيقة ليس بتبديل لان المنسوخ ثابت في وقته الذي وقت طريان الناسخ
فالناسخ كالمغاير فكيف يكون نسخه تبديل وهذا الاحتياج اليه مع التغيير المذكور
ولن تجد من دونه اي الله ملتحدا اي ملجا في البيان والارشاد وقيل انه لما
نسخ القرآن ونزل في عيينة بن حصين الفزاري لما اتي النبي صلي الله
عليه وسلم قبل ان يسلم وعنده جماعة من الفقراء فيهم سلمان الفارسي وعليه
شملة قد عرق فيها وبيده حوض ليشقه ثم ينسجه وقال له ما يؤذيك لو نحيت
عنا وكنا سادات مضر واشرافها فاذا اسلمنا اسلم الناس وما منعنا من
هذا الا عدمكم لا هوانا اي كما قال قوم نوح انؤمن لك وما اتبعك الارذلون فهم
حتي نتبعك واجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا واصبر نفسك اي احبسها وثبتها
مع الذين يدعون ربهم ويظهر هذه الاية قد سبق في سورة الانعام وهو قوله
تعالي ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ففي
تلك الاية نهي الرسول عن طرد بعض في هذه الاية امر بحبس المتقين والمخلصين
معهم وفي قوله تعالى بالغداة والعشي وجهه الاول انهم مواظبون علي هذا
العمل في كل الاوقات كقوله اقم الصلاة لدلوك الشمس ليس المراد ان يحمل بالغداة والعشي
الا شتم الناس الثاني المراد صلاة الفجر والعصر الثالث ان المراد ان الغداة
وهو الوقت الذي ينتقل فيه الانسان من الحياة الي الموت ومن اليقظة
الي النوم والانسان العاقل يكون في هذين الوقتين كثير الذكر لله تعالي
عظيم الشكر لآلاء الله ونعمائه وقرأ ابن عامر بضم الغين المعجمة وسكون
الدال بعدها والرسم في المصحف بالواو هنا وفي سورة الانعام يريدون
بدعائهم وجهه تعالي اي رضاه وطاعته لا يبتغون من اعراض الدنيا وزينتها
تعد اي تصرف عيناك عنهم الي غيرهم وجرد بالنهي عن صاحبيه فيجب

صلى الله عليه وسلم ان يصرف بصره ونفسه لاجل رغبته في مجالسته الاغنيا
لعلمهم بما هو من دون قوله تعالى تريد زينة الحياة الدنيا في موضع الحال اي
انك ان فعلت ذلك لم يكن ذلك لعلة تحملك على الالتفات رغبتك في زينة الحياة الدنيا
ولما بالغ تعالى في امره في مجالسة الفقرا من المساكين بالغ في النهي عن
الالتفات الى اقوال الاغنيا والمتكبرين بقوله تعالى ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا اي جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا اي عيينة بن حصين
وقيل امية بن خلف واتبع هواه اي طلب الشهوات وكان امره فرطا
اي اسرافا وباطلا وهذا يدل على ان سوء احوال الانسان اذا يكون منحاليا
عن ذكر الحق ويكون مملوا من الهوا الداعي الى الاشتغال بالخلق لان
ذكر الله تعالى يوتر وذكر غيره ظلمة لان الوجود طبيعة النور والعدم منبع الظلمة
والحق تعالى هو واجب الوجود لذاته فكان النور الحق هو الله تعالى وما سواه
فهو ممكن الوجود لذاته والامكان طبيعة عدمية فكان منبع الظلمة
في القلب اذا امتزج فيه ذكر الله فقد حصل فيه النور والضوء والاشراق
والتنوير القلب الى الخلق فقد حصل فيه الظلم والظلمة بل الظلمات فلهذا
السبب اذا اعرض القلب عن الحق واقبل على الخلق فهو الظلمة الخالصة
التامة والاعراض عن الحق هو المراد بقوله تعالى اغفلنا قلبه عن ذكرنا
والاقبال على الخلق هو المراد بقوله تعالى واتبع هواه روي ابو سعيد
الخدري قال كنت جالسا في عصابة من ضعفا المهاجرين واني بعضهم
استتر ببعض من العري وقارئ يقرا من القرآن فقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال هاه الذي كنتم تصنعون فقلنا يا رسول الله كان
واحد يقرا من القرآن ونحن نصغي له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحمد لله الذي جعل من امتي من امرت ان اصبر نفسي معهم ثم جلس بيننا
وقال بشرفايا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيمة فتدخلون

الجنة قبل الاغنيا باربعين خريفا يعني سنة وامر الله تعالى رسوله صلى الله عليه
وسلم بان لا يلتفت الى اولئك الاغنيا الذين قالوا انا نطردهم لاجل الفقرا انما
بكى قال تعالى بعده وقل الحق من ربكم لا عذر لكم بعد هذا البيان في ان
ني امرا هلا لكهف ويحرم من هذا الوجه العين عما يعري عن النور
الظاهر الاصحاب الميامين الذين كانوا يحبون الحسن البصري في امر اهل
الكهف وغيرهم من اصحاب قتيبة مع الموتى والاعراض عن سوالهم وغير ذلك
للتباعد عن تلك الامور ويجوز ان يكون فتى منهم اخبرهم بحاجة ربه فمن شاء
اي منكم ومن غيركم فليؤمن بهذا الذي قصصناه فيخبر فيخبر غيرهم ممن هو مفعول
مرغوب فيه والمكاذ فيقدر ان يدعو الى مسيئه ولم ينفع الا نفسه ومن شاء
منكم ومن غيركم فليكفر فهو امهله ليتوب عن ولا يلتفت اليه واذا كان اغنى
الناس واحسنهم هيئة وابن تعالى من هيئته وهذا لا يقتضي استقلال العبد
بفعله كما تقدم في الحديث الذي رواه ابن عباس في معنى الاية من شاء الله الايمان
آمن ومن شاء الله الكفر كفر ونقل عن علي انه قال هذه الصفة تهديد
ووعيد اي في كقوله تعالى اعملوا ما شئتم فان الله تعالى لا ينتفع بايمان
المؤمنين ولا يتضرر بكفر الكافرين بل نفع الايمان يعود على المؤمن وضرر
الكفر يعود على الكافر كما قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم
فلها ويا هدد السامعين بما جاء هذا لتختار كل امرء لنفسه ما يجده عند
عند الله انتبه يا عبد لكذ الوعيد والافعال الباطلة وبذكر الوعيد على
الايمان والاعمال الصالحة انما الوعيد فقوله تعالى انا اعتدنا اي هيئنا لهذا
فرق النظلمة والفتنة للظالمين اي لمن ابى عن قبول الحق لاجل ان الذين
قبلوه فقراء ومساكين وكذا كل منكر يؤمن بالله وبني الحق ثم وصف الله
تعالى تلك النار بصفتين الاولى قوله تعالى احاط بهم كلمة سرادقها اي فسطاطها
شبه بما يحيط بهم من الغاشية وقيل هو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل

حاط بهم نارهم والمراد انهم لا يخلصون لهم منها ولا يخرجون منها فيتخلصون الى ما وراءها من عين النار بل هي محيطة بهم من كل الجوانب وقيل هو خان غشيانهم قبل دخولهم النار تحيط بهم كما تحيط السرادق حول الفسطاط الصفة الثانية قوله تعالى وان يستغيثوا اي يطلبوا الغوث يغاثوا بما ودهن المائعين الاولى قوله تعالى كالمهل وهو كما في حديث عمر يوم عرد في الزيت وعن ابن مسعود انه دخل بيت المال واخرج نقاعة كانت فيه وادقد عليها النار حتى قلاها قال هذا هو المهل وقال ابو عبيدة والاخفش كل شيء اذيته من نحاس او ذهب او فضة فهو المهل وقيل انه الصديد والقيح وقيل انه غرب من القطران ثم يحتمل ان تكون هذه الاستغاثة لانهم طلبوا ما للشرب فيعطون هذا المهل قال تعالى يشوي الوجوه حكاية حالة تستقبل من عني الآتية ويحتمل ان يستغيثوا من حرهم فطلبوا ما يعينهم على انفسهم للتبريد فيعطون هذا اتما قال تعالى حكاية عنهم او فيؤتون عاهية من الماء وقال تعالى في اية اخرى سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار فاذا استغاثوا من حرهم صب عليهم القطران الذي يعم كل ابدانهم كالقميص والصفة الثانية للماء قوله تعالى بئس الوجوه اي اذا قرب الي الفم للشرب فكيف بالفم يكوي ثم وصل تعالى بذلك ذم الشراب فقال تعالى بئس الشراب اي ذلك الماء الذي هو كالمهل لان المقصود من شرب الشراب تسكين الحرارة وهذا يبلغ في احراق الاحشاء مبلغا عظيما ثم عطف عليه ذم النار المعدة لهم بقوله تعالى وساءت اي النار وقوله تعالى مرتفقا تمييز منقول من الفاعل اي بئس مرتفقها وهو مقابل لقوله تعالى الاية في الجنة وحسنت مرتفقا والا فمعنى اي ارتفاق في النار فلما ذكر تعالى وعيد المبطلين اردفه

بوعد

بوعد المحقين فقال تعالى ان الذين امنوا ولما كان الايمان هو الاذعان للاوامر عطف عليه ما يحقق ذلك بقوله وعملوا الصالحات ثم عظم جزاءهم بقوله تعالى انا لا نضيع اي بوجه من الوجوه اجر من احسن عملا وهذه جملة خبرية الذين وفيه اقامة المظاهر مقام المضمر والمعنى اجرهم اي غيبتهم بما تقدمه لاولئك لهم جنات عدن اي اقامة فكانه قيل فما لهم فيها فقيل تجري من تحتهم اي من تحت منازلهم الانهار وذلك لان افضل المساكن هكذا يجري فيه الانهار والماء فكانه قيل ثم ما فقيل يحلون فيها وبني الفعل للمجهول لان المقصود وجود التحلية وبني لغرابتها انما يوتى بها من الغيب فضلا من الله تعالى ولما كانت نعم الله لا تحصى نوع منها قال تعالى حيفا من اساور جمع اسورة كالحمرة جمع سوار كما يلبس ذلك ملوك الدنيا من جبابرة الكفرة في بعض الاقاليم كاهل فارس وقيل من زائدة للاستغراق ومن في قوله تعالى من ذهب للبيان هيئة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة به وقيل للتبعيض ولما كانت اللباس جزاء العمل فكان موجودا عندهم اسند الفعل اليهم فقال ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان او اكثرها طراوة ثم وصفها بقوله تعالى من سندس وهو ما رق من الديباج واستبرق وهو ما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على انهما ما اشتهى الانفس وتلذ الاعين وفي اية اخرى لباسهم فيها حرير فيكون التغليظ بطانة للرقيق ثم استانف الوصف عند ما لاجلوسهم فيها بانه جلوس الملوك المتمكنين من النعيم فقال تعالى متكئين فيها اي لا غم في غاية الراحة على الارائك وهي جمع اريكة وهي السرائر في الحجلة وهي بيت يزين بالثياب والستور للعروس ثم مدح هذا بقوله تعالى نعم الثواب اي اجر الجنة لو لم يكن لها وصف غير ما سمعتم فكيف

ولها من الاوصاف ما لا يعلم حق علمه الا الله تعالى والى ذلك اشار بقوله تعالى
وحففناهما اي احطنا الجنة كلها وبين ذلك بقوله تعالى مرتفقا اي مترادا مرتفقا
ومجلسا ولما افتخر الكفار باموالهم وانصارهم على فقراء المسلمين بين الله
تعالى ان ذلك مما لا يوجب الافتخار لاحتمال ان يصير الفقير غنيا والغني
فقيرا واما الذي يجب الافتخار به فطاعة الله تعالى وعبادته وهي
حاصلة لفقراء المومنين وبين ذلك بضرب هذا المثل المذكور بقوله
واضرب لهم اي لهولاء الاغنياء المتجبرين الذين يستكبرون على
المومنين ويطلبون طردهم لضعفهم وفقرهم مثلا لما اتاهم الله من
زينة الحيوة الدنيا واعتمدوا عليه وركنوا اليه ولم يشكروا ومن
اتاهم اياه عليه بل ادام الى الافتخار والتكبر على من زوي
عنه اكثر اماله وصيانه عنه رجلين الى آخر الاية واختلف
في سبب نزولها فقيل نزلت في رجلين من اهل مكة من بني
مخزوم احدهما ابو سلمة وهو ابو سلمة وكان زوج ام سلمة وقيل زوج
النبي صلى الله عليه وسلم والآخر كافر وهو الاسود وهما ابنا عبد
الاسد بن عبد ياليل وقيل مثال لعيينة بن حصين واصحابه
مع سلمان واصحابه شبههما برجلين من بني اسرائيل اخوين
احدهما مومن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقال مقاتل
تمليخا والآخر كافر واسمه قطروس وقال وهب قطروهما اللذان
وصفهما الله تعالى في سورة والصافات وكانت قصتهما على ما حكى
عبد الله بن المبارك عن معمر عن عطاء الخراساني قال كانا رجلين
شريكين لهما ثمانية الاف دينار وقيل كانا اخوين ورثا من ابيهما
ثمانية الاف دينار فاقتسماها فاشتري احدهما ارضا بالف
دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشتري ارضا بالف دينار

فتصدق

فتصدق بها واني قد اشتريت منك ارضك في الجنة بالف دينار ثم ان صاحبه
بنى دارا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار
واني قد اشتريت منك دارك في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم
تزوج صاحبه امراة فانفق عليها الف دينار فقال هذا اللهم اني
اخطب اليك من بنات الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه
اشترى خدما ومتاعا بالف دينار وقال هذا اللهم اني اشتري
خدما ومتاعا من الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم اصابته حاجة
شديدة فقال لو اتيت صاحبي لعله يواسيني منه بمعروف فجلس
على طريقه حتى مر به في حشمه وخدمه فنظر اليه الآخر فعرفه
فقال له فلان قال نعم قال ما شانك قال اصابتني حاجة بعدك
فاتيت لعلك تعينني بخير قال فما فعل مالك وقد اقتسمنا مالا واخذت
شطره فمن عليه فقصه فقال وانك لمن المصدقين بهذا اذهب
فلا اعطيك شيئا فطرده وروي انه لما اتاه اخذ بيده فجعل
يطوف به ويريه اموال نفسه فنزل فيهما واضرب لهم مثلا
رجلين اي اذكر لهم خبر رجلين جعلنا لاحدهما جنتين اي
بستانين بسور ما بينهما من الاشجار ومن بين خلالهما من اعناب لانها
من اشجار البلاد الباردة وتقصر على الكروم في الكمية وقوت
بالعنب والزبيب والخل وغيرها ثم انه تعالى وصف الجنتين
بصفات الصفة الاولى قوله تعالى وحففناهما اي اطفناهما
من جوانبهما بنخل لانها من اشجار البلاد الحارة وتقصر على الكرم
وربما منعت عن الاعناب بعض اسباب المائهات وغيرها فالكمية
بالتمر والرطب وقوت بالتمر والخل فكان النخل كالاكليل
من رؤس العنب تشبيه الكفاف بالجانب وجمعه احفة يقال

احف به القوم اي اطافوا بجوانبه الصفة الثانية قوله تعالى وجعلنا
بينهما اي ارض الجنتين زرعا لبعد مسؤله الاية لكل الذي زمان
الزرع ومكانه غير زمان الثمار والشجر ومكانه وذلك هو العهدة
في القوت فكانت الجنات واضحة لخبر العاكمة وافضل
الاقوات وهما متصلتان متشابكتان لم يتوسطهما ما يقطعهما
ويفصل بينهما مع سعة الاطراف وتباعد الاكناف وحسن
الهيئات والاوصاف الصفة الثالثة قوله تعالى كلتا اي كل
واحدة من الجنتين المذكورتين آتت اكلها اي ما يطلب منهما
ويؤكل من ثمر وحب كاملا غير منسوب شيء منهما الى نقص
ولا زيادة وهو معنى ولم تظلم اي ولم تنقص منه شيئا يعهد في
سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا
والظلم النقصان يقول الرجل ظلمني حقي اي نقصني تنبيه
كلا اسم مفرد معرفة يؤكد به مذكرات معرفات وكلتا اسم مفرد
ومعرفة يؤكد به مؤنثات معرفات وانما اذا اضيفا الى المضمر
سمانا بالالف في الاحوال الثلاثة تقول جاءني كلا اخويك ورايت
كلتا اختيك ومررت بكلا اخويك وجاءتني كلتا اختيك ورايت كلتا
اختيك ومررت بكلتا اختيك واذا اضيفا الى المضمر كانا في
الرفع بالالف وفي الجر والنصب بالياء وبعضهم يقول في
المضمر تقر بالاحوال الثلاثة ايضا تقوله تعالى آتت اكلها حمل
على اللفظ لان كلتا لفظ مفرد ولو قيل اتيا عا على المعنى
لجاز الصفة الثالثة الرابعة قوله تعالى وفجرنا خلالهما نهرا
اي وسطهما وبينهما ومنه قوله تعالى فجاسوا خلال الديار
ومنه يقال دخلت القوم اي دخلت القوم وذلك ليدوم

سؤ عما وسيتفتيان عن المطر عند القحط وبزيد ما وسما الصفة
الخامسة قوله تعالى وكان له اي صاحب الجنتين ثمر اي انواع
من المال سوى الجنتين قال ابن عباس من ذهب وفضة وعن
ذلك من ثمر ماله اذا كثر وعن مجاهد الذهب والفضة خاصة
اي كان منع الجنتين اشيا من الاموال ليكون متمكنا من التجارة
بالاعواض والالات وجميع ما يريد وقرا ابو عمرو وعرهنا وثمره
الاتي بسكون الميم فيهما بعد ضم الثاء المثلثة وقرا عاصم بفتح
المثلثة والميم فيهما والباقون بضم المثلثة والميم فيهما ذكر اهل
اللغة ان الضم انواع المال من الذهب والفضة وغيرهما وان بالفتح
حمل الشجر قال فطرب وكان ابو عمرو بن العلا يقول الثمر المال والولد
واستشهد للحادث بن حلزة ولقد رايت معاشرا قد ثمروا
مالا وولدا وقال النابغة مهلا فداء لك الاقوام كلهم
وما ثمروا من مال ومن ولد فقال اي هذا الكافر لصاحبه
اي المسلم المجبول مثلا للمتقراء الموحدين وهو اي صاحب الجنتين
يحاوره اي يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع افتعال اعليه
وتقبيحها لحاله بالنسبة الحسنة والمسلم يجاوره بالوعظ وتقبيح
الركون الى الدنيا انا اكثر منك مالا ما تزى من حباني وعمارتي
وقرا نافع بعد الالف بهمزة المولى والباقون بالقصر فعلى اصل
الوصل واما بالوقف فبالالف للجميع وسكن قالون ذا توعمرو
والكسائي هملا وهو وصلها الباقون ورقق ورش راء يحاوره
واعز نفرا اي بنا سا يقومون معي في المهمات ويعضدون عند
الفروات لان ذلك لازم لكثرة المال عادة وترك اكثر

الاعنيا من المسلمين وان لم يطلعوا بمثل هذا الستهم فان السنة
احوالهم ناطقة به مناديه عليه **ودخل جنته** بصاحبه يطوف
به بنها ويفاخره بما وافرد الجنة للارادة الجنس ودلالة ما افاده
الكلام من انهما لا تقاسمهما كل جنة الى اجلة واشارة الى انه لا جنة
له غيرها لانه لا حظه غيرها في الاخرة **وهو** بعد **ظالم لنفسه** للاعتماد على ماله والاعراض عن ربه ثم ابتدأ
بيان ظلمه بقوله تعالى **قال ما اظن ان تبيد** اي تفنى **هذه**
اي الجنة **ابدا** لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته
كما ترى في الطغيان والبطر بقصر النظر على الحاضر فانكر البعث
بقوله **وما اظن الساعة قايمة** اي كما ينبغي استبعادا لما هو
فيه واخلادا اليه واعتمادا عليه وقوله **ولئن رددت الى ربي**
المحسن الي في هذه الدار في الساعة اقسام منه على انه
ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وعلى ما يزعم
صاحبه ان الساعة قايمة **لاجدن خيرا منها** اي من هذه
الجنة **منقلبا** اي مرجعا لانه لم يعطي الجنة في الدنيا الا ليعطى
في الاخرة افضل منها قال ذلك ظنا وتمنيا على الله وادعا
لكرامته عليه وكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لانه
لاستحقاقه واستهلاله وان معه هذا الاستحقاق ابن
توجه كقوله ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا **قال له**
صاحبه اي المؤمن وهو اسمه في الحال او بعد ذلك الصاحب يحاوله
اي يجيبه مسترجعا عليه **اكفرت بالذي خلقك من تراب**
اي خلق اصلك آدم من تراب لان خلق اصله سبب في

خلقه

في خلقه فكان خلقه خلقا له **ثم من نطفة** متولدة من اغذية
اصلها تراب **ثم سواك** اي عدلك بعد
ان اولدك وطورك في اطوار النشاة **رجلا** اي كملك انسانا
ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى
لانه منشا الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك ترتب
الانكار على خلقه مرة قدر على ان يعيده منه ولما انكر
على صاحبه اخبر عن اعتقاده بما يفاده صاحبه فقال موكدا
لاجل انكار صاحبه مستدركا لاجل كفرانه **لكنا** اصله لكن
انا نقلت حركة الهمزة الى النون وحذفت الهمزة ثم ادغمت
النون في مثلها كما قال القايل وترميني بالطرف اي انت مذنب
وتقليني لكن اياك لا اقلي اي لكن انا لا اقليك ولما كان
سبحانه وتعالى لا سبي اظهر منه ولا سبي ابطن منه اشار
الى ان ذلك جميعا باحدهما فقال **هو** اي الله
ثم ظهور فلا يخفى اصلا ويجوز ان يكون الضمير للذي
خلقك **الله** اي المحيط بصفات الكمال **ربي** وحده لم يحسن
الي خلقا ورزقا احد غيره وهذا اعتقادي في الماضي
والحال وقرا ابن عامر بايثبات الالف بعد النون وقفا ووصلا
لاتباع المرسوم والباقون باثبات الالف وقفا وحذفها
وصلا فان قيل قوله لكنا استدراك فما ذا اجيب بانه
تقوله اكفرت فكانه قال لاخيه اكفرت بالله لكني مومن
موحد كما تقول زيد غايب لكن عمرو حاضر وذكر القشيري في
قوله المومن **ولا اشرك بربي** اي المحسن الي في عبادتي
احدا وجوها احدها اني لا ارى في الفقر والغنا الا منه فاحمله

اذا اعطي واصبر اذا ابتلي ولا اكفر عند ما ينعم علي ولا ارى اكثرة الاموال
والاعوان من نفسي وذلك لان الكافر لما اغتر بكثرة المال والجاه
فكانه قد اثبت لله شريكا في اعطاء العز والغنى وثانيهما لعل
ذلك الكافر مع كونه منكرا للبعث كان عابد صنم فبين هذا المؤمن
فساد قوله باثبات الشركاء ثانيهما انه هذا الكافر لما عجز الله
تعالى عن البعث والحشر فقد جعله مساويا للخالق في هذا المعنى
واذا اثبت المساواة فقد اثبت الشريك ثم قال المؤمن للكافر
ولولا اذ اي وهلا حين دخلت جنتك قلت عند اعجابك بما
ساير علي تقويضك الامر فيها وفي غيرها الى الله تعالى وهو
ماشاء الله اي الامر ما شاء الله او ما شاء الله كان علي ان
ما موصولة اي واي شئ شاء الله كان علي انما شرطية وجوابه
محذوف اقرارا بشاءاته وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان
شاء اهلكها وقرا ابن ذكوان وحمزة بالامالة والباقون
بالادغام وهلا قلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على
نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها
فبمعونة الله تعالى واقداره ولا يقوى احد في بدنه ولا
في ذلك الا بالله وفي الحديث من اعطى خيرا من اهل او
مال فيقول عند ذلك ما شاء الله لا قوة الا بالله لم ير فيه
مكروها ثم ان المؤمن لما علم الكافر الايمان اجابه عن افتخاره
بالمال والنفر فقال ان ترني انا اقل منك مالا وولدا
اي من جهة المال والولد ويحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون
تاكيدا للمفعول الاول فعسى وترا قالون وابو عمرو باثبات
الياء وصلا وحذفها وقفا وابن كثير باثباتها وقفا ووصلا

والباقون

والباقون بالحذف وقفا ووصلا وقوله تعالى وخيرا اي المحسن الي
ان يوتيني من خزائن رزقه خيرا من جنتك اقتاني في الدنيا واما تيني
الاخرة لانها في جواب الشرط ويرسل عليها اي جنتك حسبانا
جمع حسبانة اي صواعق من السماء فتصبح بعد كونها قرة للعين
بما تهتز به من الاشجار والزروع صعيدا زلقا اي ارضا ملساء
باستيصال بنيانها واشجارها فلا ينبت بها نبات ولا يثبت عليها
قدم وقوله او يصبح ماؤها غورا اي غائرا في الارض لا تناله
الايدي والدلاء مصدر وصف به الزلق فلن تستطيع انت
له اي للماء الغائر طلبا بحيث لا تقدر على رده الى
موضعه ثم انه اخبر الله تعالى انه حقق ما قدره هذا المؤمن فقال
واحيط اي وقعت الاحاطة بالهلاك وبني للمفعول لان التاكيد
حاصل باحاطة الهلاك من غير نظر الى فاعل محفوظ والدلالة
على سهولته بثمره اي الرجل المشرك كله واستوصلها لكا
في السهل وما في الجبال وما يغبر منه على البر واكثر ومالا
يغبر قال بعض المفسرين ان الله تعالى ارسل عليها نارا فاهلكتها
وغار ماؤها فاصبح يقلب كفيه ندما ويضرب احداهما على
الاخرى تحسرا فتقلب الكفين كناية عن الندم والتحسر
لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما يكني عن ذلك ببعض
الكف والسقوط في اليد لانه في معنى الندم عدي تعديته كانه
قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي في عمارتها وسماها
وهي خاوية اي ساقطة على عروشها اي دعائمها التي كانت
تحتها فسقطت على الارض وسقطت هي فوقها وقوله تعالى
ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا للتنبيه ليتني

تمنيا لرد ما فاته لحيرته وذهول عقله ودهشته وعدم اعتماده
على الله تعالى من غير اشراك بالاعتماد على الفاني لم اشرك
بربي احدا كما قال له صاحبه فندم حيث لم ينفعه الندم على
ما فرط في الماضي لاجل ما فاته على الدنيا لاحرصا على الايمان
لحصول الفوز في العقبى لقصور عقله وقوفه مع المحسوسات
المشاهدة فان قيل هذا الكلام يوهم ان جنته انما هلكت
لشؤم شركه وليس مراد الا ان انواع البلا اكثرها انما يقع
للمؤمنين قال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج
عليها يظهرون وقال صلى الله عليه وسلم خص البلا بالانبيا
ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وانما قال يا ليتني لم اشرك
بربي احدا فقد ندم على الشرك ورغب في التوحيد فوجب
ان يكون موحدا فلم قال تعالى بعده ولم تكن له فئة اي
جماعة من نفره الذين اعتزهم ولا من غيرهم ينصرونه
بجاه وقع فيه من دون الله عند هلاكها وما كان هو منتصرا
بنفسه بل ليس الامر في ذلك الا لله وحده اجيب عن الاول
بانه لما عظمت حسراته لاجل انه عمره في تحصيل الدنيا وكان
معرضا في عمره كله عن طلب الدين فلما ضاعت الدنيا بالكلية
بقي بحر وما عن الدنيا والدين وعن الثاني فانه انما ندم
على الشرك لاعتقاده انه لو كان موحدا غير مشرك لبقيت
عليه جنته فمنوا انما رغب في ذلك لاجل طلب الدنيا فلذلك
لم يقبل الله توحيده وقراءة والكسائي يكن بالتحتية
على التذكير والباقون بالفوقية على التانيث ولما انتج

هذا

هذا المثل قطعا انه لا امر لغير الله تعالى المرجو لنصرا وليا يقي بعد
ذلهم ولا غنا يتم بعد فقرهم ولا ذا لا اعدائه بعد عزهم
وكبر نهم وافتقارهم بعد اغنائهم وجدهم وان غيره اغنا كالخيال
لا حقيقة له صرح بذلك في قوله تعالى هنالك اي في مثل هذه
الشدائد العظيمة الولاية بعد اي الذي له الكمال كله وقراءة
والكسائي بكسر الواو اي الملك والباقون بفتحها اي النصرة وقوله
تعالى الحق قرا ابو عمرو والكسائي برفع القاف على الاستيناف
والقطع تعليلا لتبتيها على ان فقرهم في مثل هذه الازمان
اليه دون غيره برهان قاطع على انه حق وما سواه باطل
وان المخبر بالعرض الزائل من اجهل الجهل وان المؤمنين
لا يعيبهم فقر ولا يسوغ طردهم لاجله وانه يوشك
ان يعود فقرهم غنى وضعفهم قوة وقراءة الباقون بجرها
على الوصف اي الثابت الذي لا يحول يوما ولا يزول
ولا يغفل ساعة ولا ينام ثم الا ولاية لغيره بوجه هو خير ثوابا
من ثواب غيره لو كان يثيب وخير عقبا اي عاقبة للمؤمنين وقراءة
عاصم وحمزة بسكون القاف والباقون بضمها ونصب على
التمييز ولما تم المثل لدنياهم الخاصة بهم اتبعه ما يعمهم
وسائر الناس في امر الدنيا العامة لجميع الناس في قلة لبثهم
ولمن تكبر كان احق منها فقال تعالى واضرب اي صير لهم
لهؤلاء الكفار المغترين بالعرض الفاني المفتخرين بكثرة
الاموال والاولاد وعزة النفر وقوله تعالى مثل الحياة الدنيا
مفعول اول ثم ذكر المثل بقوله تعالى كماء وهو المفعول الثاني

انزلناه بعظمتنا وقدرتنا وقد رتقالي من السما تنبيها علي بليغ القدرة في امساكه في العلو وانزاله في وقت الحاجة فاختلط اي فنتقب وتسبب عن انزاله انه اختلط به نبات الارض اي التف بسببه حتي خالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه كما قال تعالي فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وقيل اختلط ذلك الماء بالنبات حتي روي واهتز ونمي وكان حق اللفظ علي هذا التفسير فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته ثم اذا انقطع ذلك المطر مدة جف ذلك النبات فاصبح هشيما اي يابسا متفرقة اجزاءه تذروه اي تنثره وتفرقه الرياح فتذهب به والمعني انه تعالي شبه الدنيا بنبات حسن نضير فتكسر فتفرقه الرياح حتي يصير عما قليل كان بقدرة الله تعالي لم يكن وهذا حمزة والكسائي بالتوحيد والباقون بالجمع وكان الله اي المختص بصفات الكمال علي كل شئ من دون ذلك وعز انشاءها واعادته مقتدرا ان لا بد ان يكون بينهما ولا وتميته وسطا والطافه آخرا فاحوال الدنيا ايضا كذلك تظهر اولا في غاية الحسن والنضارة ثم تتزايد قليلا قليلا ثم ياخذ في الانحطاط الي ان ينتهي الي الهلاك والفناء ومثل هذا الشئ ليس للعاقل ان يبتهج به لتنبيه قوله تعالي فاصبح يجوز ان يكون علي ما به فان اكثر ما يطرق من الالفاظ صبا كقوله تعالي فاصبح يقلب كفيه ويجوز ان يكون بمعني صار من غير تقييد بصباح كقول القائل اصبحت لا احمل السلاح

ولا املك

انزلناه بعظمتنا وقدرتنا وقد رتقالي من السما تنبيها علي بليغ القدرة في امساكه في العلو وانزاله في وقت الحاجة فاختلط اي فنتقب وتسبب عن انزاله انه اختلط به نبات الارض اي التف بسببه حتي خالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه كما قال تعالي فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وقيل اختلط ذلك الماء بالنبات حتي روي واهتز ونمي وكان حق اللفظ علي هذا التفسير فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته ثم اذا انقطع ذلك المطر مدة جف ذلك النبات فاصبح هشيما اي يابسا متفرقة اجزاءه تذروه اي تنثره وتفرقه الرياح فتذهب به والمعني انه تعالي شبه الدنيا بنبات حسن نضير فتكسر فتفرقه الرياح حتي يصير عما قليل كان بقدرة الله تعالي لم يكن وهذا حمزة والكسائي بالتوحيد والباقون بالجمع وكان الله اي المختص بصفات الكمال علي كل شئ من دون ذلك وعز انشاءها واعادته مقتدرا ان لا بد ان يكون بينهما ولا وتميته وسطا والطافه آخرا فاحوال الدنيا ايضا كذلك تظهر اولا في غاية الحسن والنضارة ثم تتزايد قليلا قليلا ثم ياخذ في الانحطاط الي ان ينتهي الي الهلاك والفناء ومثل هذا الشئ ليس للعاقل ان يبتهج به لتنبيه قوله تعالي فاصبح يجوز ان يكون علي ما به فان اكثر ما يطرق من الالفاظ صبا كقوله تعالي فاصبح يقلب كفيه ويجوز ان يكون بمعني صار من غير تقييد بصباح كقول القائل اصبحت لا احمل السلاح

ولا املك راس البعير ان نفرا ولما بين سبحانه وتعالي ان الدنيا سريعة الانقراض والانقضاء مسترقة علي الزوال والبوار والفنا بين بقوله تعالي المال والبنون زينة الحياة الدنيا ادخال هذا الجزء تحت الكلي فينعقد به قياس بين الانتاج وهو ان المال والبنون زينة الحياة الدنيا ولما كانت زينة الحياة الدنيا سريعة الانقضا والانقراض وما كان كذلك فانه ينبغي بالعقل ان لا يفتخر به او يرح بسببه او يقيم له في نظيره وزنا وهذا برهان باهر علي فساد قول اولئك المشركين الذين افتخروا علي فقرا المومنين بكثرة الاموال ثم ذكر تعالي ما يدل علي رجحان اولئك الفقرا علي اولئك الكفار من الاغنيا فقال والباقيات الصالحات خير اي من الزينة الفانية لان خيرات الدنيا منقرضة منقضية وخيرات الاخرة دايمة باقية والدايم الباقي خير من المنقرض المنقضي وهذا معلوم بالضرورة لاسيما وقد ثبت ان خيرات الدنيا حقيرة خسيسة وان خيرات الاخرة رفيعة شريفة والمفسرون ذكروا في الباقيات الصالحات اقوالا احدها انها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وزاد بعضهم ولا حول ولا قوة الا بالله وللغزالي في تفسير غير الزيادة وجه لطيف فقال روي ان من قال سبحان الله حصل له من الثواب عشر حسنات فاذا قال والحمد لله صارت عشرين فاذا قال ولا اله الا الله صارت ثلاثين فاذا قال والله اكبر صارت اربعين وتحقيق القول فيه ان مراتب الثواب اعظمها ما هو الاستغراق في معرفة الله وفي محبته فاذا قال سبحان الله فقد عرف كونه تعالي منزها عن كل ما لا يليق به وكل ما لا

ينبغي فهو المبتدي لكل ما ينبغي ولا فاضلة كل خير وكمال فقد
تقاعفت درجات المعرفة قلنا بعضاعفة الثواب فاذا قال مع
ذلك لا اله الا الله فقد اقر بان الذي تنزه عن كل ما لا ينبغي وهو
المبتدي لكل ما ينبغي ليس في الوجود موجود هكذا الا هو الواحد
فقد صارت مراتب المعرفة ثلاثة فلاجرم صارت درجات الثواب
ثلاثة فاذا قال العبد والله اكبر فمعنى انه اكبر واعظم من
ان يصل العقل الى كنه كبريائه وجلاله فقد صارت مراتب
المعرفة اربعة فلاجرم صارت درجات الثواب اربعة وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان
اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي
مما طلعت عليه الشمس وعن ابي سعيد الخدري انه قال قالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم استكثروا من الباقيات
الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح
والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله ثم انها اما الصلوات الخمس
ثم انها اما الطيبة من القول وابعضها وهو علمها وادلها انها اعمال
الخيرات التي تبقى عند الله ابد الاباد فيندرج في ذلك الصلوات
واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله والكلام الطيب وغير ذلك
من كل عمل وقول دعاك لمعرفة الله ومحبته وخدمته واما
ما دعاك من قول او عمل الى الاشتغال باحوال الخلق فهو
خارج عن ذلك لان كل ما سوى الحق فهو فان لذاته فكذا الاشتغال
به والانفاق عليه باطل وسعيا ضائعا واما الحق لذاته فهو
الباقي الذي لا يقبل الزوال لا جرم كان الاشتغال بمحبته ومعرفة

وطاعته

وطاعته وخدمته هو الذي يبقى نفعا لا يزول ولما كان الهم ما الى
من حصل المقاليس لكفايته من يحفظها له لوقت حاجته قال
تعالى عند ربك اي بتجليل المواهب العالم بالعواقب وخير من
المال والبنين في العاجل والآجل ثوابا وخير من ذلك كله املا
اي من جملة ما يرجوه فيها من الثواب ويرجوه فيها من الامل لان
نوابها الى بقاء عملها املها كل ساعة في تحقق وعلو وارتقاء واما
المال والبنين فاذا اخرج ما يكون اليهما وعن قتادة كلما اريد به
وجه الله تعالى خير ثوابا اي ما يتعلق بهما من الثواب وما يتعلق
بعمل من الاعمال لا فرق صاحبها تامل في الدنيا ثواب الله ونصيبه
في الاخرة وما بين سبحانه وتعالى حساسة الدنيا وسرف الاخرة
اردفه باحوال يوم القيمة وذكر منها انواعا النوع الاول قوله تعالى
ويوم اي واذكرهم يوم نسير بامر بديع الك عن وجه الارض
بعواطف القدرة كما يسير نبات الارض بعد ان صار هشيما بالرياح
كما قال تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
تشبيه ليس في لفظ الاية ما يدل الى اين تسير قال الرازي
ويحتمل ان يقال ان الله يسيرها الى الموضع الذي يريده ولم
يبين ذلك لخلقه فلكي ان المراد ان الله تعالى يسيرها الى العدم
لقوله تعالى ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذ
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وكقوله وبست
الجبال بسا فكانت هباء منبثا وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
بضم التاء الفوقية وفتح الياء التحتية بعد السين على ما لم
يسم فاعله ورفع الجبال باسناد تسير اليها كما في قوله تعالى
واذا الجبال سيرت والباقون بالنون المضمومة وكسر الياء التحتية

ل

ر٧

بعد التعيين باسناد فعل التسيير الي نفسه ونصب الجبال لكونه
مفعول تسيير والمعني نحن نفعل بها ذلك اعتبار ابقوله تعالي
وحشرناهم والمعني واحد لانها اذا سيرت فسيرها ليس الا
الله تعالي النوع الثالث قوله تعالي وترى الارض بكما لها
بارزة لاعتبار فيها ولا صدع ولا تحيل ولا نبت ولا بحر ولا ظل
فبقيت بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها وهو المراد من
قوله تعالي لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقيل انما برزت ما في بطنها
وقذفت الموتى المقبورين فيها فاذا هي بارزة الجوف والبطن
محذوف ذكر جوف كما قال تعالي والقت ما فيها وتخلت وقال
تعالي واخرجت الارض اثقالها النوع الثالث قوله تعالي
وحشرناهم اي الخلايق فهر الي الوقت الذي ينكشف فيه
المخبئات وتظهر الفضايح والمخبيات ويتم الحساب فيه على
النقير والقطمير والنافذ فيه بصير فلم نغادر اي نترك
منهم اي الاولين والاخرين احدا لانه لا ذهول ولا عجز
ونظيره قوله تعالي قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الي
ميقات يوم معلوم فان قيل لم جيئ بحشرناهم ماضيا بعد
تسيير وترى اجيب بان ذلك يقال للدلالة علي ان حشرهم
قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظايم
كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك ولما ذكر تعالي حشرهم وكان
من المعلوم انه للعرض ذكر كيفية ذلك العرض فقال بانها
الفعل للمفعول علي طريقة كلام القادرين ولان المجوز العرض
لا لكونه من معين وعرضوا علي ربك اي المحسن اليك برفع
اولياءك وخفض اعدايك وقوله تعالي صفا حال اي مصطفين

واختلف

واختلف في تفسيره علي وجوه الاول انه تقرض الخلايق كلهم صفا واحدا
لاشتباع الارض ظاهرين لا يحجب بعضهم بعضا تاتيها لا يبعد ان
يكونوا صفا يقف بعضهم وراء بعض مثل الصفوف المحيطة بالكعبة
التي تكون بعضها خلف بعض وعلي هذا فالمراد بقوله تعالي صفا
صفوفا كقوله تعالي يخرجكم طفلا اي اطفالا الثاني المراد بالصف
القيام كما في قوله تعالي فاذكروا اسم الله عليها صوافي اي قياما
وقيل كل امة صف وقيل لهم لقد جيتمونا كما خلقناكم اول مرة
اي فرادي حفاة عراة عزلا وليس المراد حصول المساواة من
كل وجه لانهم خلقوا صغارا ولا عقل لهم ولا تكليف عليهم بل المراد
ما مر وقيل للمنكرين البعث بل زعمتم ان اي انا لن نجعل لكم
موعدا اي مكانا ووقتا نجمعكم فيه هذا الجمع فننجز لكم ما وعدناكم
به علي السنة رسلنا فكنتم مع التعزز علي المؤمنين بالاهوال
والانصار منكرين البعث والقيمة فالآن قد تركتم الاهوال
والانصار في الدنيا وشاهدتم ان البعث والقيامة حق وعن
ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلي الله عليه وسلم
بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون الي الله حفاة عراة
عزلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الا
وان اول من يكسي يوم القيمة ابراهيم عليه السلام الا وانه
سيجاء برجال من امتي فيوخذ بهم ذات الشمال فاقول يارب
اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول كما قال
العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الي قوله العزيز
الحكيم قال فيقال لي انهم لم يزالوا مدبرين علي اعقابهم منذ
فارقتهم وفي رواية فاقول سحقا سحقا وقوله عز لاي قلعا

الغرلة القلفة التي تقطع من جلد الذكر وهو موضع الختان وقوله
سحقا اي بعدا قال بعض العلما المراد بهولاء الذين ارتدوا والعياذ
من الحرب وعن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت سمعت رسول
الله صلي الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا
فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الي بعض فقال الامر
الاشد من ان يهمهم ذلك زاد النسائي في رواية لكل امرئ منهم
يومئذ شان يغنيه وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يحشر الناس علي ثلاث
طوائف راغبين راهبين واثنان علي بعير وثلاثة علي بعير
واربعة علي بعير وعشرة علي بعير وتحشر بقيتهم النار
تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا مسوا **ووضع**
بعد العرض المستعقب للجمع بادني اشارة **الكتاب** المضبوط
فيه وقاية الاعمال وجلاية لما علي وجه بين لا يخفي علي قارئ
ولا غير منه فيوضع كتاب كل انسان في يده اما في اليمين
واما في الشمال والمراد بالجنس وهو صحف الاعمال **فترى**
المجرمين مشفقين اي خايفين خوف العقاب من الحق وخوف
الفضيحة من الخلق **مما فيه** من قبايح اعمالهم وسيي افعالهم
واقوالهم **ويقولون** عند معاينتهم ما فيه من السيئات
وقولهم **يا** للتنبيه **ويلتنا** اي هلكتنا وهو مصدر لا فعل له
من لفظه كناية علي الله لازم لهم اي ذاكر الا الهلاك **مما**
لهذا الكتاب اي اي شي له حال كونه علي غير حال الكتب في
الدنيا **لا يغادر** اي يترك **صغيرة ولا كبيرة** من ذنوبنا وقال ابن
عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن

جبير

الصغيرة اللمم والكبيرة الخمر والميسر والقتل والكبيرة الزنا
الا احصاها اي عدها واثبتها في هذا الكتاب ونظيره قوله تعالى
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقوله تعالى
انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون تنبيه ادخال التاء في الصغيرة
والكبيرة علي تقدير ان المراد الخصلة الصغري والكبيرة
قال بعض العلما احتجبوا من الصغاير فتقل الكباير لان الصغاير
هي التي جرتهم الي الكباير واحترزوا من الصغاير حذرا من
ان تقعوا في الكباير وعن سهل بن سعد قال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات
الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود
حتي حملوا خبزهم وان محقرات الذنوب لو يؤخذ بها **ووجدوا ما عملوا**
حاضرا اي مثبتا في كتابهم **ولا يظلم ربك** الذي ربك باكمل
خلق القرآن **احدا** منهم ولا من غيرهم في كتاب ولا عقاب
ولا ثواب بل يجازي الا عدا بما يستحقونه تقديما لهم وتاخير
اولياة الذين عادوهم بما يستحقون تنعيما لهم روي الامام
احمد في المسند عن جابر بن عبد الله بن انيس صغيرة شهم
يستاذن فاستاذن عليه قال فخرج يطاوئ به فاعتنقني واعتنقته
قلت حديثا بلغني عنك انك سمعته من رسول الله صلي الله
عليه وسلم في القصاص فخشيت ان تموت قبل ان اسمعه
فقال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقوله يحشر الله
عز وجل الناس او قال العباد حفاة عراة بهما قلت ما بهما
قال ليس معهم شي ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه
من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد من اهل النار

ان يدخل النار وله عند احد من اهل الجنة حق ولا ينبغي لاحد من
اهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من اهل النار حق حتى اقص منه
حتى اللطمة قال فقلنا كيف وانا نأتي حفاة عراة عرما قال
بالحسنات والسيئات وروى البزار عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال يحاسب الله الناس في العرصة على ملة يوسف
وايوب وسليمان فيدعو الملوك فيقال ما يشغلك عن فيقول
جعلتني عبد الآدمي فلم يفرغني فيدعو يوسف فيقول كان هذا
عبد اشكك فلم يمنعه ذلك ان عبد ربه فيؤمر به الى النار ثم
يدعو المبتلى فاذا قال شغلتني بالبلاء دعا ايوب فيقول قد
ابتليت هذا باشد من بلائك فلم يمنعه ذلك من عبادتي
ثم يؤتى بالملك في الدنيا مع ما اتاه الله تعالى من الغنى والسعة
فيقول ما عملت فيما اتيتك فيقول شغلني الملك عن ذلك
فيدعى سليمان فيقول هذا عبدي اتيته اكثر مما اتيتك فلم
يشغله ذلك عن عبادتي اذهب فلا عذر لك ويؤمر به الى
النار وعن معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لا تزول قدما العبد يوم القيمة حتى يسأل عن اربع عن جسمه
فيما ابلاه وعن عمره فيما افناه وعن ماله من اين اكتسبه
وفيما انفقه وعن علمه كيف عمل فيه ولما كان المقصود من
ذكر الايات المتقدمة الرد على القوم الذين افتخروا بابائهم
واعمالهم على قراء المسلمين وهذه الاية المذكورة في قوله
تعالى **واذ** اي واذكر اذ **قلنا للملائكة** الذين هم اطوع شيء
لاوامرنا المقصود من ذكرها عين هذا المعنى وذلك
ان ابليس انما تكبر على آدم لانه افتخر باصله ونسبه وقال

خلقتني

خلقتني من نار وخلقته من طين وانا اشرف منه في الاصل
والنسب فكيف اسجد له وكيف اتواضع له وهؤلاء المتكبرون
عاملوا فقراء المسلمين بمعنى هذه المعاملة فقالوا كيف نجالس
هؤلاء الفقراء ونحن انا الناس من انساب شريفة وهم انساب
باذلة ونحن اغنياء وهم فقراء ذكر الله تعالى هذه القصة تنبيها
على ان هذه الطريقة هي نفس طريقة ابليس حين امره الله
تعالى في جملة الملائكة بقوله تعالى **اسجدوا لآدم** **فسجدوا** فخالف الوضع
فجعلته له **فسجد والا ابليس كان من الجن** قيل هم نوع من
الملائكة فالاستثناء متصل وقيل هو منقطع وابليس ابو الجن
فلما ذرية ذكرت معه بعد والملائكة لا ذرية لهم وكررت تلك
القصة لهذا المقصود المذكور قال البيضاوي وبهذا مذهب
كل تكرير في القرآن اي انما يكرر لمناسبة ذلك المحل الذي
يذكر فيه **ففسق** اي خرج بترك السجود **عن امر ربه** اي سيده
ومالكه المحسن اليه والفاء للسببية وفيه دليل على ان الملك
لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام
المستقصى فيه تقدم في سورة البقرة ثم انه تعالى حذر عن اتباعه
بقوله تعالى **أفتتخذونه** الخطاب لآدم وذريته والهاء هنا وفيما
سيأتي لابليس والهمزة للانكار والتعجب اي ينبغي ان يستنكر
فتفردوه لاجلكم فيكون ذلك سببا لان **تتخذوه وذريته**
شركاء لي **اولياء** لكم **من دوني** تطيعونهم بدل طاعتي وقوله
وهم لكم عدو اي اعداء احوال ولما كان هذا الفعل احدر شيء
بالذم وصل به قوله تعالى **بئس للظالمين بدلا** من الله
ابليس وذريته وكان الاصل لكم ولكنه ابرز الضمير ليعلق

الفعل بالوصف لافادة التعميم روي مجاهد عن الشعبي قال
اتي لقاعد يوما اذ اقبل جمال فقال اخبروني هل لابليس زوج
قلت اذ ذلك لعرس ما شهدته ثم ذكرت قوله تعالى هو
افتتخذونه وذريته اولياء من دوني فعلمت ان لا يكون ذرية
الا من زوجة فقلت نعم وقال قتادة يتوالدون كما يتوالد
بنو ادم وقيل انه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق
البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية ابليس
لاقيس وزلنبور وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف
ومره وبه يكني وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين
اللغو والايمان الكاذبة ومدح السلع ونبز وهو صاحب
المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخد ودوشق الجيوب
والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ في احليل الرجل وعجز المراة
وطوبس وهو صاحب اللحان الكاذبة يلقيها في افواه الناس
لا يجد وذلهما اصلا وواسم وهو الذي اذا دخل الرجل بيته
ولم يسلم الله ولم يذكر الله دخل معه واذا اكل ولم يسم الله اكل
معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم اذكر الله ولم اسم
فرايت مطهرة فقلت ارفعوا وخاصمتهم ثم اذكر فاقول واسم
واسم وعن عثمان بن ابي العاص قال قلت يا رسول الله ان
الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراتي يلبسها علي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال
له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله وانفل عن يسارك
ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وعن ابي بن كعب
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للوضوء شيطان يقال له

الولهان فاتقوا وساوس الماء وعن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث
سراياه فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة يجيء احدهم فيقول
فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا قال ثم يجيء احدهم فيقول
ما تركته حتى فرقت بينه وبين امراته قال فيدنيه منه ويقول
نعم انت قال الاعمش اراه قال فيلتزمه واختلفوا في عود
الضمير في قوله تعالى ما اشهدتهم على وجوه احدها وهو الذي
ذهب اليه الاكثرون ان المعنى ما اشهد الذين اتخذوهم اولياء
خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اي ولا اشهد بعضهم
خلق بعض كقوله تعالى اقتلوا انفسكم فني احضار ابليس وذريته
خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي
الاعتداد بهم في ذلك كما صرح به في قوله تعالى وما كنت متخذ
المضلين اي الذين يضلون الناس ووضع الظاهر موضع المضمر
اظهارا لاضلالهم وذمهم عضدا اي اعوانا وثانيتها قال الرازي
وهو الاقوى عندي ان الضمير عايد الى الكفار الذين قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم ان لم تطرد عن مجلسك هؤلاء الفقراء من
عندك فلا نؤمن بك فكانه تعالى قال ان هؤلاء الذين اتوا بهذا
الاقتراح الفاسد والتمنت الباطل ما كانوا اهلا لان يكونوا شركاء لي في
تدبير العالم بدليل اني ما اشهدتهم خلق السموات والارض
ولا خلق انفسهم ولا اعتقد تهم في تدبير الدنيا والاخرة
بل هم قوم كسايل الخلق فلم اقتد موا على الاقتراح الفاسد
قال والذي يؤكد هذا ان الضمير يجب عوده الى اقرب المذكور ان
في هذه الاية المذكورة والاقرب هو اولئك الكفار وهو قوله

تعالى بيش للظالمين بدلاً والمراد بالظالمين اولئك الكفار وانما
ان يكون المراد من قوله ما اشهدتهم اكذبون هؤلاء الكفار جاعلني
بما يجري به العلم في الازل من احوال السعادة والشقاوة فكانه
قيل لهم السعيد من حكم الله بسعادته والشقي من حكم الله
بشقاوته في الازل وانتم غافلون عن احوال الازل فانه تعالى
قال ما اشهدتهم تم لكي اذ اجعلتم هذه الحالة فكيف يمكنكم ان
تحكموا لانفسكم بالرفعة والعلو والكمال وتغيروكم بالذل والدناءة
بل ربما صار الامر في الدنيا والاخرة على العكس مما حكمتم به
ولما قرر الله تعالى ان القول الذي قالوه في الافتخار على
الفقراء اقتدوا فيه بابليس عاد بعده الى التهويل باهوال
القيامة فقال ويوم التقدير واذكر لهم يا محمد يوم عطفا على
قوله واذ قلنا للملائكة يقول اي الله يوم القيمة لهؤلاء الكفار
تبكيتا لهم ونداء بالنون والياقون بالياء نادوا شركائي
اي ما عبدتم من دوني وقيل ابليس وذريته ثم بين تعالى ان
الاصنام ليست على حقيقتها بل توبيخ لهم فقال تعالى
الذين زعمتم انهم شركائي او شفعاء لكم ليمنعوكم من عذابي
فدعوهم تمادياً في الجهل والضلال فلم يستجيبوا لهم اي فلم
يغيثوهم استهانة بهم واشتغالا بانفسهم فضلا عن ان
يعينوهم وجعلنا بينهم اي المشركين والشركاء موبقا اي
وادياً من اودية جهنم يهلكون فيه جميعا وهو من وبق بالفتح
هلك نقل ابن كثير عن عبد الله بن عمر انه قال هو واد عميق
مزق به يوم القيامة بين اهل الهدى واهل الضلال وقال
الحسن البصري عداوة اي يؤول بهم الى الهلاك والتلف

كقول

كقول عمر رضي الله تعالى عنه لايكون حبك كلفا ولا بغضك تلفا اي
لايكون حبك يجر الى التكلف ولا بغضك يجر الى التلف وقيل الموبق
البرزخ البعيد اي وجعلنا بين هؤلاء الكفار وبين الملائكة
وعيسى برزخا بعيد ايملكه فيه الساري لفرط بعده لانهم في
قعر جهنم وهم في اعالي الجنات ولما قرر سبحانه وتعالى حالهم مع
شركائهم ذكر حالهم في استمرار جهلهم فقال تعالى ورأى المجرمون
اي الغريقون في الاجرام النار من مكان بعيد فظنوا اي ايقنوا
انهم مواقعوها اي مخالطوها في تلك الساعة من غير تاخير
ومهلة لشدة ما يسمعون من تغيظها وزفيرها كما قال تعالى اذا
رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فان مخالطة الشيء
لغيره اذا كانت قوية تامة يقال لهما واقعة ولم اي ولكن
ان لم يجدوا عنها مصرفا اي مكانا ينصرفون اليه لان الملائكة ستسوقهم
اليها فالموضع موضع التحقق ولكن ظنهم جريا على عادتهم في
تجهيلهم كما قالوا اتخذ الله ولدا بغير علم وما اظن ان تبيد هذه ابدا
وما اظن الساعة قائمة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين
مع قيام الادلة التي لاشك فيها وقيل الظن هنا بمعنى العلم
واليقين ولما افتخر واهو لاء الكفار على فقراء المسلمين بكثرة
اموالهم واتباعهم وبين الله تعالى الوجوه الكثيرة ان قولهم فاسد
وشبههم باطلة ذكر فيه المثلين المتقدمين ممن قال بعضه
ولقد صرفنا واظهر نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم الدال
وادغمها الباقون في هذا القرآن اي القيم الذي لاعوج فيه
من جمعه للمعاني للناس اي المنزلين والنائبين وقوله تعالى
من كل مثل صفة لمحذوف اي مثلا من كل جنس كل مثل ليتعظوا

اوانا حولنا الكلام وصرفناه في كل وجه من وجوه المعاني والبسناه
من العبارات الرائقة والاساليب المتناسقة ما صار به في
غرابته كالمثل يتبلد كل من سمعه وتقرب به اباط الابل في سائر
البلاد بين العباد فتشرّ به قلوبهم وتلهج به السنتهم فلم يقبلوه
ولم يتركوا المجادلة الباطلة كما قال وكان الانسان اكثر شيء
يتأتى منه الجدال وميز الاكثر بقوله تعالى جدلا اي خصومة
قال بعض المحققين والاية دالة على ان الانبياء عليهم الصلاة
والسلام جادلوهم في الدين لان المجادلة لا تحصل الا من الطرفين
ولهذا قيل اراد بالانسان الكافر وقيل الاية على العموم قال
ابن الخازن وهو الاصح وكذا قال البغوي فعن علي رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورضي الله تعالى عنها ليلة فقال الا تصليان
فقلت يا رسول الله انفسنا بيد الله فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا
فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم
يرجع الي شيئا ثم سمعته وهو مولّ يضرب فخذه وهو يقول وكان
الانسان اكثر شيء جدلا وقال ابن عباس اراد النضر بن الحارث وجدال له
في القرآن وقال الكلبي اراد به خلف ابي حي ولما بين سبحانه وتعالى
اعراضهم بين موجبه عندهم فقال تعالى وما منع الناس اي الذين
جادلوا بالباطل الايمان هكذا كان الاصل ولكنه عبر عن هذا
المفعول الثاني بقوله اذ جاءهم الهدى ليفيد التجديد وذمهم على
الترك اذ اي حين جاءهم الهدى اي القرآن على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعطف على المفعول الثاني معبرا بمثل ما مضى لما
مضى قوله تعالى ويستغفروا ربهم اي لا مانع لهم من الايمان ولا

من

من الاستغفار والتوبة ولما كان الاستثناء مرغبا اتى بالفاعل فقال
الا ان اي طلب ان تاتيهم سنة الاولين اي سنتنا فيهم وهي
الاهلاك المقدر عليهم او طلب ان ياتيهم العذاب قبلا اي مقابلة
وعيانا وهو القتل يوم بدر وقيل عذاب الاخرة وقرا الكوفيون برفع
القاف والباء الموحدة والباقون بكسر القاف وفتح الباء الموحدة
ولما كان ذلك ليس الي الرسول وانما هو الي الله تعالى نبه بقوله
تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين بالثواب على افعال
الطاعة ومنذرين بالعقاب على افعال المعصية فيطلب منهم
الظالمون من امرهم ما ليس اليهم ويجادل الذين كفروا اي يجددون
الجدال كلما اتاهم امر من قبلنا بالباطل من قولهم ما انتم الا بشر
مثلنا ولو كنتم صادقين لاتيتم بما نطلب منكم مع ان ذلك ليس كذلك
اذ ليس لاحد غير الله من الامر شيء ليدحضوا اي ليبطلوا بجدالهم
به الحق اي القرآن والمعجزات الثابتة لصدقهم واتخذوا اياتي
اي القرآن وما انذروا اي وانذارهم او والذي انذروا به من
العقاب هزوا اي استهزاء وقرا حفص بالواو وقفا ووصلا
وحمزة بالواو وقفا لا وصلا وسكن الزاي حمزة ورفعها الباقون
وحمزة فيها الوقف البين النقل ولما حكى الله تعالى عن الكفار
احوالهم الخبيثة وصفهم بما يوجب الخزي بقوله تعالى ومن اظلم
اي لا احد اظلم وهو استفهام على سبيل التقرير ممن ذكر بايات
ربه المحسن اليه بها وهي القرآن فاعرض عنها تاركا لما يعرف من
تلك العلامات العجيبة وما يوجب ذلك الاحسان من
الشاكر ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر
في عاقبتها ثم علل تعالى ذلك الاعراض بقوله تعالى انا جعلنا

علي قلوبهم تجميع رجوعا الي اسلوب واتخذوا اياتي لانه نص علي
ذم كل واحد اكنة اي اغطية مستعلية عليها استعلا بدل
سياق العظمة علي انه لا يدع شيا من الخير يصل اليها فهي لا تعي
شيا من اياتنا ودل تذكير الضمير وافراده علي ان المراد بالايات
القرآن فقال ان اي كراهة ان يفقهوه اي يفهموه وفي اذانهم
وقرا اي ثقلا فهم لا يسمعون حق السمع ولا يعون حق الوعي وان
تدعهم اي تكرر دعاهم كل وقت الي الهدي لتنجيهم بما عندك
من الحرص والجد علي ذلك فلن يهتدوا اي بسبب دعايك اذا
اي اذا دعوتهم ابدا لان الله تعالي حكم عليهم بالضلال فلا يتم
منهم ايمان ثم قال تعالي وربك مشيرا بهذا الاسم الي ما اقتضاه
حال الوصف من الاحسان الغفور اي البليغ المغفرة الذي
يستر الذنوب اما بمحوها واما بالحلم عنها الي وقت آخر ذو الرحمة
اي الموصوف بالرحمة الذي يعامل وهو قادر مع موجبات الغضب
معاملة الراحم بالاكرام ثم استشهد تعالي علي ذلك بقوله
تعالي لو يواخذهم اي هولاء الذين عادوك وهو عالم انهم لا يومنون
او يعاملهم معاملة المواخذة بما كسبوا من الذنوب لعجل لهم
العذاب اي في الدنيا بل لهم موعد وهو اما يوم القيمة واما في
الدنيا وهو يوم بدر وساير ايام الفتح لن يجدوا من دونه اي
الموعد موئلا اي ملجا ينجيهم منه فاذا جا موعدهم اهلكناهم فيه
باول ظلمهم وآخره وقوله تعالي وتلك مبتدا وقوله تعالي القري
اي الماضية من عاد وثمود ومدين وقوم لوط واشكالهم صفته
لان اسما الاشارة توصف باسما الاجناس والخبر
اهلكناهم والمعني وتلك اصحاب القري اهلكناهم لما ظلموا

وجعلنا

وجعلنا لمهلكهم موعدا اي وقتا معلوما لا يستاخرون عنه ساعة
ولا يستقدمون وقرا شعبة بفتح الميم واللام اي لهلاكهم وقرا
حفص بفتح الميم وكسر اللام والباقون بضم الميم وفتح اللام اي
لاهلاكهم ثم عطف سبحانه وتعالي علي قوله تعالي واذ قلنا للملايكة
واذ اي واذكر لهم حين قال موسي لفتاه يوشع بن نون بن افرايم
ابن يوسف عليه السلام وانما قال فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه
وقيل كان ياخذ منه العلم وقيل فتاه عبده وفي الحديث ليقل
احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي تنبيه اكثر العلما
علي ان موسي المذكور في هذه الاية هو موسي بن عمران صاحب
المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار انه
موسي بن ميشا بن يوسف بن يعقوب وهو قد كان نبيا قبل
موسي بن عمران قال البغوي والاول اصح واحتج له القفال بان الله
تعالي لم يذكر في كتابه موسي الا واراد به صاحب التوراة فاطلاق
هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو كان المراد شخصا آخر يسمي
موسي غيره لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز وازالة الشبهة
كما انه لما كان المشهور في العرف عن ابي حنيفة الدينوري
وعن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا البكالي يزعم
ان موسي صاحب الخضر ليس هو موسي بني اسرايل فقال ابن عباس
كذب عدو الله نوف البكالي هو نوف بن فضالة الحميري الشامي
البكالي ويقال انه دمشقي وكانت امه زوجة كعب الاحبار نقله
ابن كثير وحجة الذين قالوا موسي غير هذا صاحب التوراة
انه تعالي بعد ان نزل عليه التوراة وكلمه بلا واسطة وخصه
بالمعجزات الباهرة العظيمة التي لم يتفق مثلها لاكابر الانبيا

وقيل لا

يبعد ان يبعثه بعد ذلك الي التعلم والاستفادة فاجيب بانه
لايبعد ان يكون العالم الكامل في كثرة العلوم يعلم بعض العلوم
فيحتاج الي تعلمها الي من هو دونه وهو امر متعارف وروي
البخاري حديث ان موسي قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل
اي الناس اعلم قال انا فعتب الله تعالي عليه اذ لم يرد العلم اليه
فاوحي الله تعالي اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال
يارب فكيف لي به قال تاخذ حوتا فتجعله في مكتل فحيث ما فقدت
الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فجعله في مكتل ثم قال لفتاه لاابرح اي لازال
اسير في طلب العبد الذي اعلمني ربي بفضله حتي ابلغ مجمع
البحرين اي ملتقي بحر الروم وبحر فارس مما يلي المشرق قاله قتادة
اي المكان الجامع لذلك فالقاه هناك او امضي حقبا اي دهرا
طويلا قال بلوغه اذا لم يظفر به بمجمع البحرين الذي جعله ربي موعدا
لي في لقائه والحقب قال في القاموس ثمانون سنة او اكثر
والدهر والسنة والسنون انتهي فسارا وتزودا حوتا مملوحا
في مكتل كما امر به فكانا ياكلان منه الي ان بلغا المجمع كما قال
تعالي فلما بلغا مجمع بينهما اي بين البحرين قال لفتاه اذا فقدت
الحوت فاخبرني وناما واضطرب الحوت في المكتل وخرج فسقط
في البحر فلما استيقظا نسيا حوتهما اي نسي يوشع حمله عند الرحيل
ونسي موسي عليه السلام تذكيره وقيل الناسي يوشع فقط
وهو علي حذف مضاف اي نسي احدهما كقوله تعالي يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان فاتخذ الحوت سبيله في البحر اي جعل يجمل
الله سربا اي مثل السرب وهو النفق الطويل لانفاذ له وذلك
ان الله تعالي امسك عن الحوت جري البحر فانجاب عنه فبقي

كالكوة

كالكوة لم يلتئم وهال ماتحته وقد ورد في حديث في الصحيح ان الله تعالي
احياه واسكن عن موضع جريه في الماء فصار طاقا لايلتئم وكان
المجمع كان ممتدا فظن عليه السلام ان المطلوب امامه او ظن ان
المراد بمجمع البحرين اخرا فسارا فلما جاوزا ذلك المكان بالسير
بقية يومهما وليلتهما واستمرا الي وقت الغداء من ثاني يوم قال
موسي عليه السلام لفتاه آتنا اي احضر لنا غدائنا وهو ما يوكل
اول النهار لنتقوي به علي ما حصل لنا من الاعياء ولذلك وصفه
بقوله لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا اي تعبا ولم يجد موسي النصب
حتي جاوز المكان الذي امره الله تعالي به فقوله هذا اشارة الي
السفر الذي وقع بعد مجاوزتهما للموعد ومجمع البحرين ونصبا
مفعول بلقينا قال له فتاه ارايت اي صار هاتين وقرانا فيه
بتسهيل الهمزة التي بعد الياء عين الكلمة ولورش وجه آخر وهو ابدالها
حرف مد واستظهر الكسائي والباقون بالتحقيق اذ اوينا الي
الصخرة التي بمجمع البحرين فاني اي نسيت الحوت اي نسيت ان
اذكر لك امره ثم علل عدم ذكره بقوله وما انسانيه الا الشيطان
بوسوسته وقرا حفص بضم الهاء وامال الالف الكسائي بخفة
وورش بين بين وبا الفتح والباقون بالفتح وقوله ان اذكره
لك في محل نصب علي البدل من هاء انسانيه بدل اشتمال اي
انساني ذكره واتخذ سبيله اي طريقه الذي ذهب فيه في البحر
عجبا وهو كونه كالسرب معجزة لموسي او لخضر وذكره له الآن مانع
من ان يكون للشيطان عليه سلطان علي ان هذا النسيان ليس
معدودا لطاعة بل فيه ترقية لهما في معارج المقامات العالية
لوجدان التعب بعد المكان الذي فيه البغية وحفظ المامنجا بها

ن

على طوله الزمان وغير ذلك من الايات الظاهرة وقوله تعالى
انما سلطانه على الذين يتولونه بين ان للشيطان اعمالا على
المعاصي وقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه وقد كان في هذه
القصة حوارق منها حياة الحوت ومنها انجاء هلكان الكل منه
ومنها امساك الماء عن مدخله وقد اتفق لنبينا صلى الله
عليه وسلم نفسه او اتباعه ببركته مثل ذلك اما اعادة ما
اكل من الحوت المشوي وهو جنبه فقد روى البيهقي في دلائل
النبوة عن اسامة بن زيد رضي الله عنه ان صلى الله
عليه وسلم اتي بشاة مسمومة فقال لبعض اصحابه ناولني
ذراعها وكان احب الشاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد منها ثم قال ناولني ذراعها فناوله ثم قال ناولني ذراعا
فقال يا رسول الله انما ذراعان وقد ناولتك فقال صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لو سكت ما زلت تناولني
ذراعا ما قلت لك ناولني ذراعا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم
انه لو سكت اوجد الله تعالى ذراعا ثم ذراعا وهكذا واما
حياة الحوت المشوي ففي قصة الشاة المشوية المسمومة
ان ذراعها اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه مسموم فهذا
اعظم من عود الحياة من غير نطق وكذا اخبار الجذع وتسليم
الحجر وتسبيح الحصا ونحو ذلك اعظم من عود الحياة الى ما كان
حيا وروى البيهقي في الدلائل عن عمرو بن سواد قال قال
الشافعي ما اعطى الله تعالى نبيا ما اعطى محمدا صلى الله
عليه وسلم قلت اعطى عيسى عليه السلام احيا الموتى فقال

اعطى

اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم الجذع الذي كان يخطب الى جنبه
حتى تقيأ له المنبر وحن الجذع حتى سمع صوته فهذا اكبر من
ذلك انتهى وقد ورد اشياء كثيرة من احيا الموتى له صلى الله
عليه وسلم ولبعض امته وروى عن انس رضي الله تعالى عنه
انه قال كنا في الصفة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتته
امراة ومعها ابن لها فاضاف المراة الى النساء واضاف ابنها الينا
فلم يلبث ان اصابه وبا المدينة فمرض اياما ثم قبض فغمضه
النبي صلى الله عليه وسلم وامر بجهازه فلما اردنا ان نغسله
قال ايتوا امه فاعلموها فجاءت حتى جلست عند قدميه فاخذت بهما
ثم قالت اللهم اني اسلمت لك طوعا وخلعت الاوثان زاهدا
وهاجرت اليك رغبة اللهم لا تشمت بي عبدة الاوثان ولا تحملني
من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحملها قال فما انقضى كلام
المراة حتى حرك قدميه وانتفى الثوب عن وجهه وعاش حتى
قبض الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وحتى هلكت امه
واما آية المائدة وجعلها الى صلابته ولا فرق بين جموده بعد
الالتيام بعد الانشقاق وبين جموده وصلابته بالامتناع من
الانشقاق وقد جهز عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشا واستعمل
عليهم العلاء بن الحضرمي فحصل لهم عطش شديد وجهدهم العطش
قال بعض الجيش فلما مالت الشمس للغروب صلى بنا ركعتين
ثم مد يديه وما في السما شيا ما حط يديه حتى بعث سحابا وانشا
سحابا فما فرغت حتى ملات القدر والشعاب فشربنا وسقينا
واستقينا ثم اتينا عدونا وقد جاوزنا خليجا في البحر الى جزيرة
فوقف على الخليج وقال يا علي يا عظيم يا حليم يا كريم ثم قال

اجيز والبسم الله فاجزنا ما بين المائتين فاذا نحن بدوابا فاصبنا العدد
عليه فقتلنا واسرنا وسبينا ثم اتينا الخليج فقال مثل مقالته
فاجزنا ما بين المائتين فاذا نحن بدوابا والاخبار في ذلك كثيرة ولما
قال فتاه ذلك كانه قيل فما قال موسى عليه السلام حينئذ
قال له ذلك اي الامر العظيم من فقد الحوت ما كنا نبغي اي
نريد من هذا الامر العجيب عنا فاذا الله تعالى جعله موعدا في
لقاء الخضر وقرا نافع وابو عمر والكسائي بابدال الياء صلة
لا وقفا وابن كثير بيثبتها وصلا ووقفا والباقون بالحذف
فارتدا على اثارهما اي فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه
يقصانها قصصا اي يتتبعان اثرهما اتباعا ومقتصين حتى
يأتي الصخرة قال البقاعي يعني اني الارض كانت رملة
لا علم فيها فالظاهر والله اعلم انه مجمع النيل والملح عند
دمياط او رشيد من بلاد مصر ويؤيده نقر العصفور في
البحر الذي ركب في سفينته للتقدمة كما في الحديث فان
الطير لا يشرب من الملح ومن المشهور في بلاد رشيد
ان الامر كان عندهم وان عندهم سمكا ذاهب الشق
يقولون انه من نسل تلك السمكة والله اعلم اهـ ولقدم
عن قتادة انه ملتقى بحر فارس والروم وقال محمد بن
كعب طنجة وقال ابي بن كعب افريقية وقيل المجمع موسى
والخضر لانهما كانا بمجمع علم قال ابن عادل وليس في اللفظ
ما يدل على تعيين هذين اللفظين فان صح في الخبر الصحيح
شيء فذاك وإلا فالاولى السكوت عنه انتهى ثم استمرا
يقصان حتى انتهيا الى موضع فقد الحوت فوجدا عبدا من

عبادنا

عبادنا مضافا الى حضرة عظمتنا قيل كان ملكا من الملائكة
والصحيح الذي جاء في التواريخ وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وكنيته ابو العباس قيل كان من
بني العباس وقيل من ابناء الملوك الذين تنزهوا وتركوا الدنيا
والخضر لقب سمي بذلك لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز
تحته خضراء الفروة تطمة نبات مجتمعة يابسة وقيل سمي خضرا
لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله روي ان موسى عليه السلام
راى الخضر مسجى موكا بثوب مستلقيا على قفاه بعض الثوب
تحت راسه وبعضه تحت رجليه وفي رواية لقيه وهو يصلي
ويروى لقيه على طنفسة خضراء على كبد البحر وروي ان
موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليكم فقال
وعليك السلام يا نبي بني اسرائيل فقال موسى ما عرفك
هذا فقال الذي بعثك الي وكان الخضر في ايام افريدون
وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى
وقيل ان موسى سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي
يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي
يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال
الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله
على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك
افضل مني فادلني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه
قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تاخذ
حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك اتيناه بعظمتنا
رحمة من عندنا اي وحيا ونبوة وكرامة بنبيا هو قول اكثر المفسرين وقيل

الله ليس ببني قال النبوي عند اكثر اهل العلم اي فعندهم انه
ولي وعلمناه من لدنا اي مما لم يجر علي قوانين العادات علي
الله ليس بمستغرب عند اهل الاصطفا علما قد فتناه في قلبه
بغير واسطة واهل التصوف سموا العلم بطريق المكاشفة العلم
اللدني فاذا سعى العبد في الرياضات بتزيين الظاهر
بالعبادات وتخلية النفس من العلائق وعن الاخلاق
الرذيلة بتحليها بالاخلاق الجميلة صارت القوي الحسية
والخيالية ضعيفة فاذا ضعفت قويت القوي العقلية
واشرقت الانوار الالهية في جوهرة العقل وحصلت
المعارف وكملت العلوم من غير واسطة سعي وطلب في
التفكر والتامل وهذا هو المسمى بالعلوم اللدنية ثم
اورد سبحانه وتعالي القصة علي طريق الاستيناف علي
تقدير سوال سائل عن كل كلام يرشد اليه ما قبله وذلك
انه من المعلوم ان الطالب للشخص اذا القيه كلمه لكن
لا يعرف عين ذلك الكلام فقال لمن كانه سال عن ذلك
قال له موسي طالبا منه علي سبيل التادب والتلطف
باظهار ذلك في قالب الاستيذان هل اتبعك اي اتباعا
بليغا حبيبا موجبا والاتباع الاتيان بمثل فعل الغير لمجرد
كونه اتيانا به وبين انه لا يطلب منه غير العلم بقوله علي ان تعلمني
اثبت التاء نافع وابو عمرو وصلا لا وقفا وابن كثير وصلا
ووقفا والباقون بالحذف وزاد في التعطف بالاشارة
الي انه لا يطلب جميع ما عنده ليطول عليه الزمان بل جوامع
منه سيسترشد بها الي باقيه فقال مما علمت وبناه للمفعول

لعلم

لعلم المتخاطبين لكونهما من المخلصين بان الفاعل هو الله تعالي
وللاشارة الي سهولة كل امر الي الله تعالي رشدا اي علما يرشد الي
الي الصواب فيما قصده وقرا نافع وابو عمرو بضم الراء والشين
والباقون بضم الراء وسكون الشين وهما تم موسي عليه السلام
العبارة عن السوال قال له الخضر عليه السلام انك
لن تستطيع معي صبرا نفي عنه استطاعة الصبر معه علي وجه
من التاكيد كلمتا لا تفيد ولا تستقيم وفتح التا من هي صبرا في
الموضعين الثلاثة هنا حفص وسكنها الباقون ثم علل عدم
الصبر معه واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر يا موسي علي ما لم
تحط به خبرا اي وكيف تصبر علي امور وانت نبي ظاهرها
منكر والرجل العالم لا يتمالك ان يصبر اذا راي ذلك بل
يبادر وياخذ في الانكار وخبرا مصدر بمعني لم تحط به اي لم
تخبر حقيقته قال له موسي عليه السلام آتيا بنهاية التواضع
لمن هو اعلم منه ارشاد لما ينبغي في طلب العلم رجا التسهيل
الله له النفع به ستجدني فاكد الوعد بالتسعين كما اخبر تعالي
انه قوي تاكيده بالتبرك بذكر الله تعالي لعلمه بصعوبة الامر
علي الذي تقدم البحث عليه في هذه السورة في قوله تعالي
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ليعلم انه
منهاج الانبيا فقال ان شاء الله صابرا اي الذي له صفات الكمال
صابرا علي ما يجوز الصبر عليه مؤكدا التاكيد بقوله عطفا
بالواو علي صابرا لبيان الممكن في كلامه المفوض ولا اعصي
اي وغير عاص لك امرا تامرني به غير مخالف لظاهر امر
الله تنبيه دلت هذه الاية الكريمة علي ان موسي عليه

السلام راعي انواعا كثيرة من الادب واللطف عند ارادة
ان يتعلم من اخضر منها انه جعل نفسه تبعا له بقوله هل اتبعك
وهنا استاذن في اثبات التبعية كانه قال هل تاذن لي ان
اجعل نفسي تبعا لك وهذه مبالغة عظيمة في التواضع ومنها
قوله صلي الله عليه وسلم علي ان تعلمني وهذا اقرار منه
علي نفسه بالجهل وعلي استاذة بالعلم ومنها قوله مما علمت
وصيغة من للتبعيض وطلب منه تعليم بعض ما علم وهذا
ايضا اقرار بالتواضع كانه يقول لا اطلب منك ان تجعلني
مساويا لك في العلم بل اطلب منك ان تعطيني جزأ من
اجزاء ما علمت وصيغة من للتبعيض وطلب منه تعليم
بعض ما علم وهذا ايضا اقرار بالتواضع كانه يقول لا اطلب
منك ان تجعلني مساويا ومنها ان قوله مما علمت اعتراف منه
بان الله علمه ذلك العلم ومنها قوله ستجدني ان شاء الله صابرا
ولا اعصي لك امرا ومنها انه ابنت بالاخبار ان الخضر عرف
اولا ان موسي صاحب التوراة وهو الرجل الذي كلمه الله
من غير واسطة وخصه بالمعجزات القاهرة الباهرة ثم انه
عليه السلام مع هذه المناصب الرفيعة والدرجات العالية
الشريفة اتي بهذه الانواع الكثيرة من التواضع وذلك
يدل علي كونه عليه السلام آتيا في طلب العلم باعظم
ابواب المبالغة في التواضع وذلك يدل علي كونه عليه
السلام انه هذا هو اللايق به لان كل من كانت احاطته
بالعلوم التي علم ما فيها من البهجة والسعادة اكثر كان
طلبه لها اشد فكان تعظيمه لارباب العلم اكمل وارشد

وكل

وكل ذلك يدل علي ان الواجب علي المتعلم اظهار التواضع بكل
الغايات حاما المعلم فان راي ان في التكليف علي المتعلم ما يفيد
نفعا وارشادا الي الخير فالواجب عليه ذكره فان السكوت
عنه يوقع المتعلم في الغرور وذلك يمنعه من التعلم وروي
انه موسي لما قال هل اتبعك علي ان تعلمني مما علمت رشدا
قال له الخضر كفي بالتوراة علما وبني اسرائيل شغلا فقال
له موسي الله امرني بهذا قال له الخضر فان اتبعتني اي صحبتني
او لم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار اليه الا انه شرط عليه شرطا
فقال فلا تسالني عن شيء اقوله او افعله حتي احدث لك
منه ذكرا اي حتي ابداك بوجه صوابه فاني لا اقدم علي
شيء الا وهو صواب جايز في نفس الامر واذا كان ظاهره يخرجه
ذلك فقبل له موسي شرطه رعاية لادب المتعلم من العالم ولما
شارطا وتراضيا علي الشرط تسبب علي ذلك قوله تعالي
فانطلقا اي موسي والخضر عليهما السلام علي الساحل فاتيا
الي موضع احتاجا فيه الي ركوب السفينة فلما لا يطلبان سفينة
ليركبا فيها واستمرا حتي اذا ركبا في السفينة التي مرت بهما
واجاب الشرط بقوله خرقها اي اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة
بان قلع لوحا او لوحين من الواحها من جهة البحر لما بلغت اللجة
ولم يقترن خرقها بالغا لانه لم يكن سببا عن الركوب ثم استانف
قوله قال اي موسي عليه السلام منكرا لذلك لما في ظاهره
من الفساد باتلاف المال المفضي الي مفاسد اكبر منه باهلاك
النفوس ناسيا ما عقد علي نفسه علي انه لو لم ينس لم يترك
الانكار كما فعل عند قتل الغلام لان مثل ذلك غير داخل في

الوعد لان المستثنى سؤالا كالمستثنى وضمنا اخرقتها وبين
عذره في الانكار لما في غاية الخرق من الفظاعة فقال لتغرق
اهلها فان خرقتها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق
اهلها وقرا حمزة والكسائي بالياء التحتية مفتوحة وفتح الراء
ورفع اللام من اهلها والباقون بالتاء الفوقية مضمومة وكسر
الراء ونصب لام اهلها ثم قال له موسى والله لقد جئت شيئا
امرا اي عظيما منكرا قال الخضر الم اقل انك يا موسى لن
تستطيع معي صبرا فذكره بما قاله عند الشرط قال موسى
لا تؤاخذني يا خضر بما نسيت اي غفلت عن التسليم لك وترك
الانكار عليك قال ابن عباس انه لم ينس ولكنه من معاريض
الكلام وهي بالتورية بالشيء عن الشيء وفي المثل ان في
المعاريض لمندوحة عن الكذب اي سعة فكانه نسي شيئا
آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت الاولى
من موسى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا ولا
ترهقني من امري عسرا اي لا تكلفني مشقة يقال ارهقه
عسرا وارهقته عسرا اي كلفته ذلك تقول لا تضيق
علي امري ولا تعسر متابعتك ويسرها علي بالاعفا
وترك المناقشة وعاملني باليسر ولا تعاملني بالعسر
وعسرا مفعول ثان لترهقني من ارهق كذا اذا حمله
اياه وغشاه وما في بما نسيت مصدرية او بمعنى الذي
والعايد محذوف وروي ان الخضر لما خرق السفينة لم
يدخلها الماء وروي ان موسى لما راى ذلك اخذ ثوبه

تحتي

تحتي به الخرق وردي ان الخضر اخذ قدحا من زجاج ورقع به خرق
السفينة فان قيل قول موسى عليه السلام اخرقتها لتغرق
اهلها ان كان صادقا في هذا دل ذلك على صدور ذنب عظيم
من الخضر ان كان نبيا وانه كان كاذبا في ذلك على صدور
الذنب من موسى وايضا قد التزم موسى ان لا يعترض عليه
وجرت العهود المؤكدة بذلك ثم انه خالف تلك العهود وذلك
ذنب اجيب بان كلا منهما صادق فيما قال موسى بحسب ما عنده
وعد موسى عليه السلام فانه ما خطر له قط انه يعاهد على ان لا
ينهى بما يعتقده منكرا واما الخضر فانه عقد على ما في نفس
الامر ان لا يقدم على منكر فانطلقا بعد نزولهما من السفينة
وسلامتهما من الغرق والعطب حتى اذا لقيا غلاما قال
ابن عباس لم يبلغ الحنث فقتله حين لقيه كما دلت عليه الفاء
العاطفة على الشرط قال البغوي في القصة انهما خرجا من
البحر يمشيان فرا بغلمان يلعبون فاخذ غلاما ظريفا وضيء
الوجه فاضجعه ثم ذبحه بالسكين قال السدي كان اصغرهم
فجعل يقول يا ابتاه يا امتاه حتى ماتا قال البغوي وروينا انه اخذ
برأسه فاقتلعه بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر
واشار ربيعة باصابعه الثلاثة الابهام والسبابة والوسطى
وقلع راسه وروي انه رضخ راسه بالحجارة وقيل ضرب راسه
بالجدار فقتله وكونه لم يبلغ الحنث هو قول الاكثرين وقال الكلبي
كان رجلا قال شعيب الجبائي وكان اسمه جيسور وقال الكلبي
كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلتجأ الى ابويه وقيل
الضحاك كان غلاما يعمل بالفساد ويؤذي منه ابواه وعن

ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام
الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق ابويه
طغيانا وكفرا قاله الرازي وليس في القرآن كيف لقياه هل
كان يلعب مع جمع من الغلمان او كان منفردا او هل كان صغيرا
او كافرا او هل كان بالغا او صغيرا وكان اسم الغلام بالصبي
اليق وان احتمل الكبر الا ان قوله بغير نفس اليق بالبالغ منه
بالصبي لان الصبي لا يقتل وان قتل قال النخعي الا ان يكون
شرعهم لا يشترط البلوغ وقاله ابن عباس ولم يكن نبي الله
يقول اقتلت نفسا بغير نفس الا وهو صبي قال الرازي ايضا
وكيفية قتله هل قتله بان جز راسه او بان ضرب راسه بالجدار
او بطريق آخر فليس في القرآن ما يدل على شيء من هذه
الاقسام انتهى ثم اجاب الشرط بقوله منكرا بان سرعه
في الانكار هنا اسرع قال موسى اقتلت يا خضر نفسا زاكية
بغير نفس قتلتها ليكون قتلها لهما قودا وقرا نافع وابن
كثير وابو عمرو بالف بعد الزاي وتخفيف الياء التحتية
والباقون بغير الف بعد الزاي وتشديد التحتية قال الكسائي
الزاكية والزكية لغتان ومعنى هذه الطهارة وقال ابو
عمرو والزاكية التي لم تذنب والزكية التي اذنبت ثم تابت
ثم استانف قوله لقد اظهر الدال نافع وابن كثير وابن ذكوان
وعاصم وادغمها الباقون جئت في قتلك اياها شيئا وصرح
بالانكار في قوله نكرا لان مباشرة الخرق بسبب ولهذا قال
بعضهم النكر اعظم من الامر في الفتح لان قتل الغلام اعظم من
خرق السفينة لانه يمكن ان لا يحصل الغرق واما هنا فقد حصل

الاتلاف

الاتلاف قطعا والنكر ما انكرته العقول ونفرت منه النفوس فهو
ابلغ في القبح من الامر وقيل الامر اعظم لانه خرق السفينة يودي
الى اتلاف نفوس كثيرة وهذا القتل ليس الا اتلاف شخص واحد
وقرا نافع وابن ذكوان وشعبة برفع الكاف والباقون بسكون
الكاف ولما كانت هذه ثانية قال له الخضر الم اقل لك انك
يا موسى لن تستطيع معي صبرا وهذا عين ما ذكره في المسئلة
الاولى الا انه هنا زاد لفظة لك فان قيل لم زادها هنا اجيب
بانه زادها هنا تحقيقا لعقاب على رفع الوصية وسما بقلة
الصبر والثبات لما انكر عليه الاشتمئزاز والاستكبار ولم
يرعوا بالتذكير اول مرة قال ابن الاثير المكاشحة والمضاربة
والاشمئزاز من اشمأن الرجل اي انقبض قلبه قال النووي
وفي القصة ان يوشع كان يقول لموسى يا نبي الله اذكر العهد الذي
انت عليه قال موسى حياء منه لما افاق بتذكيره ما حصل من فرط
الوجد لامر الله تعالى فتذكر انه ما تبعه الا بامر الله ان سألتك
عن شيء بعدها اي بعد هذه المرة واعلم بسكتة ندمه على الانكار
بقوله فلا تصاحبني اي لا تتركني اتبعك بل فارقني عما علمت بذلك
بقوله قد بلغت واشار الى ما وقع منه من الاخلال بالشرط من
اعظم الخوارق التي اضطر الى ما قال من لدني اي من قبلي عذرا
باعتراضي مرتين وانتما لك في شأنهما وقد اخبر الله بحسن حالك
في عن الله عملك فمدحه بهذه الطريقة حين حبسنا احتماله
مرتين اولا وثانيا مع قرب المدة رد عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال رحم الله اخي موسى لو استثنى فقال
ذلك ولو لبث مع صاحبه لابصر العجب الا عاجيب وعن ابي

ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى
موسى وكان اذا ذكر احدا من الانبياء بدا بنفسه ولا انه مجل الرأي
العجب ولكنه اخره من صاحب ذمامه ايحياء واستفتاحا فقال
ان سالتك الخ وقرا نافع بضم الدال وتخفيف النون وقرا شعبة
كذلك الا انه يسكن الدال فتصير ساكنة قريبة من الظم والباقون
بضم الدال وتشديد النون فانطلقا اي موسى ويخضر يمشيان
ليتطلب الخضر امرا يتفقد فيه ما عنده من علمه وورد بغير الام
في لفظ انطلقا على اصله بعد قتل الغلام حتى اذا اتيا اهل قرية
قال ابن عباس هي انطاكية وقال ابن سيرين هي الابلة
وهي ابعد ارض الله من السماء وعبر عنها بالقرية دون
المدينة لانها ادل على الذم وقيل برقة وعن ابي هريرة بلدة
بالاندلس استطعما اهلها اي طلبا من اهل القرية ان
يطعموهما وفي الحديث انهما كانا يمشيان على محالس اولئك
القوم يستطعمانهم فابوا ان يضيفوهما اي ان ينزلوهما ويطعموهما
يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف
السهم عن الغرض وضيفه واضافه انزله وجعله ضيفا فان
قيل الاستطعام ليس من عادة الكرام وكيف قدم عليه
موسى والخضر وقد حكي الله عن موسى انه قال عند وروده
ماء مدين رب اني لما انزلت الي من خير فقير اجيب باذ اقدام
الحاجة على الاستطعام امر مباح في كل الشرايع بل ربما وجب
ذلك عند الخوف من الضرر الشديد فان قيل لم كان حتى اذا
اتيا اهل قرية استطعما اهلها ولم يقل استطعماهم اجيب بان
النكرة قد تكون للتاكيد كقوله الم اعهد

ليت

ليت الغراب غداة اينع تمره كان الغراب مقطع الاوداج وعن
قتادة سوء القرى التي لا يضيف الضيف فاثيلة قال الزجاج وفي
كتب الحكايات ان اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذا الذي
استجيب دعاؤه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جمالا من الذهب
وقالوا يا رسول الله جيناك بمذا الذهب الباناحتى يضيفوهم
الغداة فكذا فاتوا ان يضيفوهما اي ابتاهم لاجل الضيافة
حتى يندفع عنا هذا اللوم فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال تغيير هذه النقطة يوجب دخول الكذب في كلام الله تعالى
وذلك يوجب القدح في الالهية فعلمنا ان تغيير النقطة
الواحدة من القرآن يوجب بطلان الربوبية والعبودية ولما
ابوا ان يضيفوهما الخ فوجدا فيها اي القرية ولم يقل فيهم
اذ لا يفاد المراد وصف القرية بسوء الطبع جدارا اي حائطها
مائلا مشرفا على السقوط ولذا قال مستعينا الما لا يتقل
صفة من يعقل يريد ان ينقض اسند اليه مجازا كقوله
العرب لان الجدار لا ارادة له وانما معناه مقرب ودنا من السقوط
كما تقول العرب داري تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها
فاستعير الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم في قوله
يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل
وقوله ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان يقض
البيت الاول دليل على استعارة الارادة للمشارفة وفي
الثاني دليل على استعارة الهم لها وجعل اسم محبوبته يتول
ان دهرا يجمع بيني وبينها زمان لقصده الاحسان لا الاساءة
ويقض ذلك من القرآن قوله تعالى ولما سكت عن موسى

الغضب وقوله تعالى ان يقول له كن فيكون وقوله تعالى قالتا
اتينا طائعين قال الزمخشري ولقد بلغني ان بعض المحرفين
لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل العين للحفر وقيل ان الله
تعالى خلق للجدار حياة وارادة كالحيوان فاقامه اي
سواه وفي حديث ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم
بيده فاقامه وقال ابن عباس هدمه وقد بينه وقال
سعيد بن جبير مسح لجداره بيده فاستقام وذلك من معجزات الله
وقال السدي بل طينا وجعل يبني كما يطين ونسق ذلك على
موسى عليه السلام فان قيل الضيافة من المندوبات
فتركها ترك مندوب وذلك غير منكر فكيف يجوز من
موسى عليه السلام مع علو منصبه ان يغضب عليهم الغضب
الشديد الذي لاجله ترك العهد الذي التزمه في قوله
ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وايضا مثل الغضب
لاجل ترك الاكل في كل لبلة واحدة لا يليق بادون الناس
فضلا عن كليم الله اجيب بان تلك الحالة كانت حالة
افتقار وانضطار الى الطعام فلاجل تلك الضرورة نسي موسى
عليه السلام ما قاله فلاجرم قال موسى لو شئت لتخذت
عليه اجرا اي لطلبت على عملك اجرة تقربها في تحصيل
المطعوم وتحصيل سائر المهمات وقرا ابن كثير وابو عمرو
بتخفيف التاء بعد اللام وكسر الخاء واظهر ابن كثير الذال
عند التاء على اصلها وادغمها ابو عمرو والباقون بتشديد
التاء وفتح الخاء واظهر حفص الذال على اصله وادغمها الباقون
ولما كان كلام موسى هذا مسقما للسؤال قال له الخضر هذا

اي

اي هذا الانكار وعلى ترك الاجر فراق بيني وبينك وقيل ان موسى
عليه السلام لما شرط انه ان سال بعد ذلك سؤالا اخر حصل به
الفراق حيث قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فلما
ذكر هذا السؤال فارقه وهذا فراق بيني وبينك اي هذا الفراق
المعهود الموعود فان قيل كيف ساغ اضافة بين الى غير متعدد
اجيب بان مسوغ ذلك تكريره بالعطف بالواو والاترى انك
لو اقتصرت على قولك المال بيني لم يكن كلاما حتى تقول بيننا
او بيني وبين فلان ثم قال له الخضر سانبئك اي ساخبرك
يا موسى قبل فراقي لك بتاويل اي بترجيح ما لم تستطع عليه
صبرا لان هذه المسائل الثلاثة مشتركة في شيء واحد وهو ان
احكام الانبياء عليهم الصلاة والسلام مبنية على الظواهر كما
قال صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظواهر والله يتولى السرائر
وان كانت ما كانت امور هؤلاء واحكامه مبنية على ظواهر الامور
بل كانت مبنية على الاسباب الخفية الواقعة في نفس الامر
وذلك لان الظاهر في اموال الناس وفي ارواحهم التحريم
التصرف فيها والخضر تصرف في اموال الناس وفي ارواحهم
في المسئلة الاولى وفي الثانية من غير سبب ظاهر
مبيح ذلك التصرف لان الاقدام على خرق السفينة وقتل
الانسان من غير سبب ظاهر مبيح ذلك التصرف محرم والا
قدام على اقامة ذلك الجدار المائل في المسئلة الثالثة
تحمل للتعب والمشقة من غير سبب ظاهر يوجب اخذ الخضر في
تاويل ذلك مبتدئا بالمسئلة الاولى بقوله اما السفينة
اي التي احسن الينا اهلها فخرقتها فكانت لمساكين عشرة

اخوة خمسة زمني وخمسة **يعملون في البحر** اي يواجرون ويكسبون
واحتج الشافعي رضي الله عنه بهذه الاية على ان حال الفقير
اشد في الحاجة والضرر من حال المسكين لان الله تعالى سماهم
مساكين مع انهم كانوا يملكون تلك السفينة **فاردت ان**
اعيبها اي بان اجعلها ذات عيب بان تفوت منفعتها بذلك
ساعة من نهار وكلف اهلها الوحا والوحين يسيرا وعما بذلك
اخف عليهم من ان تعن تمام منفعتها بالكلية كما يعلم من قوله
وكان وراءهم اي امامهم كقوله تعالى ومن ورائهم برزخ وقيل
خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه **ملك** كان كافرا واسمه
الجليد بن وقال محمد بن اسحاق اسمه هدد بن بدد وقيل
وقيل اسمه هدد بن بدد **يأخذ كل سفينة** اي صالحة وحذف
التقييد بذلك للعلم به **غصبا** من اصحابها ولم يكن عند اصحابها
علم به فاذا مروا به تركها لعيبها فاذا جاوزته صلحوها
فانتفعوا بها قيل سدوها بقار وقير وقيل بالقار فان قيل
قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها
فكان حقه ان يتأخر عن السبب فلم قدم عليه اجيب
بان النية به التأخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب
ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فلما كان
كل من الغصب والمسكنة سببا للعمل قدمها على الغصب
اشارة الى ان اقوى السببين الحاملين على فعله الرأفة
بالمساكين ثم شرع في تاويل المسئلة الثانية بقوله **واما**
الغلام الذي قتله **فكان ابواه** حوء حنين التثنية للتغليب
يريد اباه وامه فغلب المذكر وهو شايع ومثله العمران قيل

ان

ان ذلك الغلام كان بالغا وكان يقطع الطريق ويغير على الاموال
المنكرة وكان ابواه يحتاجان الى دفع شره الناس عنه والتعصب
له وتكذيب من يرميه بشيء من المنكرات وكان يصير سببا لوقوعهما
في الفسق وربما قاده ذلك الى الكفر وقيل انه كان صبيا الا انه
علم منه انه لو صار بالغا لحصلت فيه تلك المفاسد وفي الحديث
انه طبع كافرا ولو عاش لارهقهما ذلك كما قال **فخشينا**
اي خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم **ان يرهقهما** اي يغشيهما
ويلحقهما **طغيانا وكفرا** اي لحملهما له بتبعاته في ذلك فان قيل
هل يجوز الاقدام على قتل الانسان بمثل ذلك اجيب بانه
اذا تأكد ذلك بوحي من الله جاز وعن ابن عباس ان الخضر
كتب الى نبينا كتب الينا كيف قتلته اي كيف قتل الخضر الغلام فقد
نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان
علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وراه
بمعناه مسلم وما ذكر مما يلزم على تقدير بقائه من الفساد
تسبب عنه قوله **فاردنا** اي بقتله واراحتهما من شره **ان يبدلهما**
ربهما اي المحسن اليهما باعطائه واحتج قائل هذا بما روي ان
حين ولد وحزن لكفره حين قتل ولو بقي كان فيه هلاكهما فليرض
كل امرئ بقضاء الله تعالى فان قضاء الله تعالى للمؤمن فيما
يكره خير له من قضائه فيما يحب ولهذا ابدلهما الله تعالى **خيرا**
منه زكوة اي طهارة وبركة من الذنوب والاخلاق الردية
وصلاحا وتقوى **واقرب رحما** اي رحمة وعطفا عليهما وقيل
هو من الرحم والقرابة قال قتادة اي اوصل للرحم وابر للوالدين
قال الكلبي ابدلهما الله تعالى جارية فتزوجها نبي من الانبياء فولدت

له نبيا فهدي الله تعالي علي يديه امة من الامم وعن جعفر بن محمد
عن ابيه قال ابدلهما جارية ولدت سبعين نبيا وقال ابن جريج
ابدلهما بغلام مسلم وقرا نافع وابو عمرو وان يبدلهما بفتح الباء
الموحدة وتشديد الدال والباقون بكون الموحدة وتخفيف الدال
وقرا ابن عامر وحمزة برفع الكاف والباقون بالسكون تم الكلام
في تاويل المسئلة الثالثة بقوله واما الجدار اي الذي اشترط
باخذ الاجر عليه فكان لغلامين ودل علي كونهما دون البلوغ
بقوله يتيمين وكان اسم احدهما اصرم والاخر صريم ولما كانت
القرية لاتثنا في التسمية بالمدينة وكان التعبير بالقرية اولا
البق عبر بهما لانها مشتقة من معنى الجمع فكان اليق بالازم في
تلك الضيافة ولما كانت المدينة بمعنى الاقامة عبر عنها هنا بقوله
في المدينة فكان التعبير بها اليق لان السارق يريد ان الناس
يقيمون فيها فينتهبهم الجدار وهم مقيمون فيأخذون الكنز
كما قال وكان تحته كنز لهما فلذلك اقمته احتسابا واختلف
في ذلك الكنز فعن ابي الدرداء ان النبي صلي الله عليه
وسلم قال كان ذهبا وفضة رواه البخاري في تاريخه والترمذي
والحاكم وصححه والذم علي كنزهما في قوله تعالي والذين
يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكاتها وما يتعلق بهما
من الحقوق وعن سعيد بن جبير قال كان الكنز صحفا فيها
علم رواه الحاكم وصححه وعن ابن عباس قال كان لوحا من
ذهب مكتوبا فيه عجبا لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن
ايقن بالقدر كيف يغضب عجبا لمن ايقن بالرزق كيف يتعب
عجبا لمن يمر من باكساب كيف يغفل عجبا لمن ايقن بزوال

الدنيا

الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله
وفي الجانب الاخر مكتوب انا الله لا اله الا انا وحدي لا شريك
لي خلقت الخير والشر فطوبي لمن خلقته للخير واجريته علي
يديه والويل كل الويل لمن خلقته للشر واجريته علي يديه قال
البغوي وهذا الحقوق اكثر اهل التفسير وروي ايضا ذلك
موقوفا قال الزجاج الكنز اذا اطلق ينصرف الي كنز المال وقد
يكون للعلم ويجوز التقييد ان يقال عنده كنز علم وهذا اللوح كان جامعا
لهما وقوله وكان ابوهما صالحا فيه تنبيه علي ان سعيا في ذلك
كان اصلاحه فيرعي ويراعي ذريته وكان سياحا واسمه كاسم
قال ابن عباس حفظا بصلاح ابيهما وقيل كان بينهما وبين الاب
الصالح سبعة اباء قال محمد بن المنكدر ان الله تعالي يحفظ
بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته واهل دويرات
حوله فما ازالوا في حفظ الله مادام فيهم قال سعيد بن جبير
اخبرت ان الرجل يحفظ في عقبه واقبل عقبه حتي ان كان
ليغشي بيت احدهم البلاء فيدفع عنهم بصلاح ابيهم قال
فاردت ان اعينها الي نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا في
قوله فاردنا الي امر والي نفسه لانه التبديل
بالهلاك الغلام وايجاد الله تعالي بدله وثالثا في قوله

فاراد ربك الي الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين اولا ان
الاول في نفسه سئ والثالث خير والثاني ممتزج اولا لما ذكر العيب
اضافه الي ارادة نفسه ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ
يجمع تنبيها علي انه من العظائم في علوم الحكمة فلم يقدم علي هذا
القتل الا بحكمة عالية ولما ذكر رعاية مصالح اليتيمين لاجل
صلاح ابيهما اضافه الي الله تعالي لان التكفل بصلاح الابناء
لرعاية حق الاباء ليس الا لله تعالي لانه لا احتفاظ لاحد البعاد
في الالتفات الي الوسايط فان قيل اليتيمان هل احد منهم عرف
حصول الكنز تحت ذلك الجدار ام لا فان كان الاول امتنع ان
يتركوا استيطاء ذلك الجدار وان كان الثاني فكيف يمكنهم بعد
البلوغ استخراج ذلك الكنز ومعرفته والا انتفاع به واجيب
لعلهما كانا جاهلين به الا ان وصيهما كان عالما به ثم ان ذلك
الوصي غاب واسترف ذلك الجدار في غيبته علي السقوط ولما
ترك الخضر هذه الجوابات قال رحمة من ربك اي انما فعلت
هذه الافعال لغرض ان تظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع
الي حرف واحد وهو تحمل الضرر الادني لدفع الضرر الاعلي
كما تقرر وما فعلته اي شيا من ذلك عن امري اي عن
اجتهادي ورايي بل بامر من له الامر وهو الله تعالي تنبيها
احتج من ادعي نبوة الخضر بامور احدها قوله تعالي اتيناه رحمة
من عندنا والرحمة هي النبوة قال تعالي وما كنت ترجو ان
يلقي اليك الكتاب الا رحمة من ربك والمراد من هذه الرحمة
النبوة قال الرازي ولقايل ان يقول مسلم ان النبوة رحمة
ولكن لا يلزم ان يكون كل رحمة نبوة الثاني قوله تعالي وعلمناه

من

من لدنا علما وهذا يقتضي ان الله تعالي علمه بلا واسطة تعليم معلم
ولا ارشاد مرشد وكل من علمه تعالي بلا واسطة البشر وجب ان
يكون نبيا يعلم الامور بالوحي من الله تعالي قال الرازي وهذا
الاستدلال ضعيف لان العلوم الضرورية تحصل ابتداء من
الله وذلك لا يدل علي النبوة الثالث ان موسي عليه السلام
قال هل اتبعك علي ان تعلمني مما علمت رشدا والنبي لا يتبع غير
نبي في التعلم قال الرازي وهذا ايضا ضعيف لان النبي لا يتبع
غير نبي في العلوم الذي باعتبارها صار نبيا اما غير تلك
العلوم فلا الرابع انه اظهر علي موسي الترفع حيث قال وكيف
تصبر علي ما لم تحط به خبرا واما موسي فانه اظهر له التواضع حيث
قال ولا اعصي لك امرا وهذا يدل علي انه فوق موسي ومن
لا يكون نبيا لا يكون فوق نبي قال الرازي وهذا ايضا ضعيف
لانه يجوز ان يكون غير النبي فوق النبي في علوم لا يتوقف
نبوته عليها الخامس قوله وما فعلته عن امري وفي المعنى
اني فعلته بوحي من الله وهذا يدل علي النبوة قال الرازي
وهذا ايضا ضعيف ظاهر السادس ما روي ان موسي
عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك قال وعليك
السلام يا نبي ابني اسرائيل فقال موسي من عرفك هذا
قال الذي بعثك الي وهذا يدل علي انما عرف ذلك بالوحي
والوحي لا يكون الا مع النبوة قال الرازي ولقايل ان يقول
لم لا يجوز ان يكون ذلك من باب الكرامات والالهامات
انتهي وبالجملة فالجمهور علي ان نبي كما مر واختلفوا هل هو
حي او ميت فقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة

بالموسم قال البغوي وكان سبب حياته فيما يحكى انه من شرب من
عين الحياة وذلك انه اذا القرنين دخل الظلمة ليطلب عين
الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين ونزل
فاغتسل وشرب وشكر الله تعالى واخطأ ذو القرنين الطريق
وذهب احزون الى الذي ليس لقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشا ليلة
ارايتكم ليلتكم هذه فان راس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم
على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده
ولما بين لموسى سر تلك القصة قال له ذلك اي هذا التاويل
العظيم تاويل ما لم تستطع يا موسى عليه صبرا وحذف تاء
الاستطاعة هنا تخفيفا فان استطاع واسطاع بمعنى واحد
تنبيه من فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر
الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم
على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه
المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يعاجر روي
ان موسى لما اراد ان يفارق الخضر قال له اوصني قال للمتعلم
العلم التحدث به واطلبه لتعلم به ولما فرغ من هذه القصة التي
حاصلها انما طواف في الارض لطلب العلم همتها بقصة من طاف
الارض لطلب الجهاد وقدم الاولى اشارة الى علو درجة العلم
لانه اساس كل سعادة وقوام كل امر فقال عاطفا على ويجادل
الذين كفروا بالباطل ويسالونك ايا المحمود هيل مشركو مكة
يا اشرف الخلق عن ذي القرنين وذكروا في سبب تسميته بذلك
وجوها الاول قاله ابو الطفيل سئل علي رضي الله عنه عن ذي

القرنين

القرنين هل كان نبيا ام ملكا قال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا
صالحا احب الله فاحبه الله ونصح لله فنصحه الله تعالى بعثه الله تعالى
الى قومه فقرنوه فسمي ذا القرنين فيكم مثله يعني يعني محمد الثاني انه ترجح
في وقته فقرنان من الناس الثالث انه كان يحمل راسه من نحاس
الرابع كان على رايه مكتوب الخامس كان تاجه قوله
السادس ان ملكه لم يتم لاحد من الدنيا سوى ما ملكه والسابع كان له
قرنان يطير بهما قال المتاخرون انه سمي لانه سير الى الشرق والغرب فاذا
يسوغ بهما اليوم ان الخارجة عند الفلاسفة عمارة الشمس
انه لقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا لانه يطلق على ما هو اعلى
العالم الله والقرن الجانب كانه جعل له ذلك وتعلق بطرفي الشمس
وقوتيها بما ينبهما فسمي بذلك لهذا السبب الحادي عشر انه كان له
قرنان من نور لما العاشر انه ملك الدنيا بحذافيرها الفلك وذكروا
ان اسمه الذي سمي به الطوفان الثاني عشر انه رأى في المنام كانه
يوثان بن يافث يتطاول الى السماء فاسكنه الله تحت الثور
الرومي اشهر في كتب التواريخ انه بلغ ملك الشرق والغرب
واسمه حتى بلغ الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر وبنى الاسكندرية
وسماها باسم نفسه الثالث عشر انه كان ملكا من ملوك اليونان
الكبير كبير وهو الذي بلغ ملكه مشارق الارض ومغاربها
واشتهر به احد الشعراء من حمير حيث قال قد كان ذو القرنين
قبلي مسلما ملكا على الارض عين مقسد بلغ المشارق
والمغارب يبتغي اسباب ملك من كريم سيد واختلفوا
في نبوته مع الاتفاق على ايمانه فقال بعضهم كان نبيا واحتجوا
على ذلك بوجوه الاول قوله تعالى انا مكنا له في الارض

وجعل على الملكين من القوة والتمكين الكامل في الدين هو النبوة الذي قوله تعالى
واتيناه من كل شيء سببا وهذا يدل على ان تعالى اتاه من النبوة سببا الذي
قوله تعالى يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان يتخذ فيهم حسنا ومعه للابد ان
يكون نبيا وقيل ان الله تعالى كان عبدا صالحا ملكه الله تعالى الارض
واعطاه الله سبحانه وتعالى الملك والحكمة والهيبة وقد ملك الارض
الارض اربعة مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبخت
نصر وقيل ان قال ابو كان ملكا من الملائكة عن عمر رضي الله تعالى
عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا ما رضيتم
ان سموا انبياءهم بأسماء الملائكة والاكثر على
القول الثاني ويدل له قول علي رضي الله عنه المتقدم تنبيه قد
قدمنا ان اليهود سموا المسلمين لما سألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن قصة اصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين وعن
الروح والكل اسم من قوله تعالى ويسئلونك عن ذي القرنين ويسئلونك عن
الروح قال الله تعالى قل اتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض اي
ملكناه على من حوله وقيل اعطيناه علما يتوصل به الى جميع ما اراد
ويظهر مما تقدم ان ذا القرنين لم يكن نبيا ولا ملكا من الملائكة
اليه يحتاج لكل سببا اي ما يوصله الى ما يريد من العلم والقدرة
والآلة فاتبع سببا اي سلك طريقا حتى انتهى الى مغرب الشمس
قوله بعد ثلاثة مواضع بالتشديد التاء الفوقية ووصل الهمزة

قبل

قبل الفوقية والباقون بقطع الهمزة وسكون التاء الفوقية واسكان بعدها
اي بلغ في ذلك السبب مغرب الشمس اي موضع غروبها
ووجدها تغرب في عين حمئة اي ذات حمأة وهي الطين الاسود اي
بلغ موضعا في المغرب لم يبق بعده شيء من العمران ووجد الشمس كأنها
تغرب في وهدة مظلمة وغربتها في رأي العين كما ان راكب البحر
يرى الشمس كأنها تغرب في البحر اذا لم ير الشط وهي في الحقيقة
تغيب وراء البر والا في الكبر من الارض مرات كثيرة فكيف يفعل
وجد عندها في عين من عيون الارض قال البيضاوي ويحتمل ان يطلع
ساحل المحيط فرأى ذلك اذ لم يكن في طلوع بعد غير الماء والظلمة
قال ووجد بها تغرب وقيل كانت تغرب وأثر الشعشعة وحمئة
والكسائي وابن عامر بالف بعد الحاء مفتوحة بعد الميم على ابي
ذر قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار
فرأى الشمس حين غابت فقال اتدري اين تغرب قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وفي رواية
الباقون بعين المد بعد الحاء والميم همزة مفتوحة واتفق ابن
عباس كما سيأتي عند تفسير الآية بفتح الحاء وبالهمز حامية فقال ابن عباس
حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرأ قال كما يقرأ الحبر
الذي سمعه منه ابي كعب الاحبار وسأله كيف تجد الشمس تغرب
قال في ماء وطين كذلك تجده في التوراة ووجد عندها اي
عند ذلك المكان المعين على الساحل المتصل بالمغرب قوما اي خلقا كثيرا
جزم صفة لها التي عمرت الدنيا لولا ضجيج اهلها المسلمين حين
تجب ان تغرب قيل كانوا ليانهم خلقوا لوطن واطعامهم
ما يلفظه البحر كانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى

قبل

الايمان كما حكى ذلك بقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب
ان كان نبيا او بواسطة نبي زمانه ان لم يكن او باجتهاد في شريعة
ايانا ان تفعل بهم بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ اي بتباية جهدك
فيهم حسنا بالارشاد هو تعليم الشرايع وقيل جزيه بين القتل
والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل وقوله الاول قوله
قال اما من ظلم باستمراره على الكفر فاسوف نعذبه حتى يتاس
منكم فنقتله والى ذلك اشار بقوله فسوف نعذبه بوعد لا خلف
فيه بعد طول المدة عليه بالقوة وقال قتادة كلا ان يطيع ربي فكفر في
الدنيا وقوله ثم يرد الى ربه في الاخرة فيعذبه
عذابا نكرا اي شديدا يداجي النار فيقدم في نكر اسكون
الكاف وبتشديدها وامامن آمن وعمل صالحا فله في الحال جزا
بما عمل فله في الدارين جزا الحسنى اي الجنة وقرا حفص
وحمزة والكسائي بفتح الهمزة بعد الراي منونة وبكسر الوصل
لالتقا الساكنين قال الفرا نصبه على التفسير اي لجهة الحسنة
وقيل منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى جزيا بها عاجلا
والباقون بضم الهمز من غير تنوين قال الاضافة للبيان قال
المفسرون وانهى تعالى عن قتله بقوله فله الحسنى جزا كما
يقوله لهم هذا القول به نهتدي على عزا قال الرفيع وجاز الابتدا بقوله
جزا النكرة لانها بمعنى المثوبة الحسنى وقيل الحسنى بمعنى الايمان والعمل الصالح
والثاني فله جزا المثوبة الحسنى وقيل الحسنى صفة اي الموصوف الى
الجنة ويشهد لذلك ولدارا الاخرة وقال الف الحسنى
هو والكسائي وحفص وابو عمر وبين بين وورش بالفتح والامالة
بين بين وسنقول بوعد الجزا فيه بعد اختيار بالاعمال

الصاحة

له اي لاجله من امرنا ايسرا ما امر به يسرا اي قولا غير شاق
من الصلاة والزكاة والخراج وغيرها وهو ما يطيقه ولا يشق عليه
مشقة كثيرة ثم اتبع الارادة طلوع مشرق الشمس سببا من
جهة الجنوب بوصله الى المشرق والمستمر فيه لا يميل ولا تقلبه امة
من عليها حتى اذا بلغ في مسيره ذلك مطلع الشمس اي الموضع الذي
تطلع عليه اولا من المعمور ربع الارض وجدها تطلع على قوم
قال الجلال المحلي مم الزنج وقوله تعالى لم نجعل لهم من دونها اي
الشمس سترا فيه قولان الاول انه لا شي لهم من سقف ولا جبل
يمنع من وقوع الشمس عليهم لانهم اوضع لا تحمل بناء قال الرازي
ولهم سروب يبيتون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند
غروبها فيكونون عند طلوع الشمس يتحذرعليهم التصرف في
المعاش وعند غروبها يشتغلون بتحصيل مهمات المعاش وحالهم
بالعكس من احوال سايرالخلق وقال قتادة يكونون في اسراب
لهم حتى اذا زالت الشمس عنهم خرجوا فرعوا كالبهايم والثاني
ان لهم ثيابا لا تبلى بل تطول بطولهم فيكونون كسالى اكيوا فات تحيرة البدا
وفي كيفية الهيئة اذ اكل حال الزنج كذلك وحال الكافرين سكان
الجبال الغربية من حفظ الا يستراكذلك قال الكلبي بهم عراة
يفترش احدهم احرى اذنيه ويلتحف بالاخرى وقال الزمخشري
وعنهم قالوا حرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن
يوجوج ومأجوج فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم
واذا احدهم يفترش احدى اذنيه ويلبس الاخرى فلما قرب
طلوع الشمس رمقت صورتا كهيئة الطيلسان تغشى على
بحيرة فتجمد فلما طلعت الشمس فاذا هو فوق الماء كهيئة الزيت

فادخلوني سربا لهم فلما ارتفع النهار جعلوا الحديد وذا السمك
ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب
من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض
وقوله تعالى كذلك فيه وجوه الاول ان معناه كما بلغ مغرب
الشمس كذلك بلغ مطلعها الثاني ان امر كما وصفنا في رفعة
المكان وبسطة الملك قال البغوي والصحيح ان معناه كما حكم
في القوم الذين هم غروب الشمس كذلك في القوم الذين هم
عند مطلعها وقد احطنا بما لديه اي عند ذي القرنين من الالات
والجند وغيرها خبرا اي علما تتعلق بظواهره وخفاياه والمعنى ان
كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم الله اللطيف الخبير ثم ان
ذا القرنين لما بلغ المغرب سار الى المشرق اتبع سببا اخر من
جهة الشمال في ارادة ناحية السد فخرج يأجوج ومأجوج
واستمر آخذا اليه حتى اذا بلغ في مسيره ذلك بين السدين
اي بين الجبلين وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل
جبلا نفيا اواخر الشمال وقيل هذا المكان في مقطع بلاد
الترك من وراء يأجوج ومأجوج قال الرازي والاظهر ان
موضع السد في ناحية الشمال سد الاسكندر بينهما كما
سيأتي وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحفص بفتح السين والباقون
بضمها وهما لغتان فيهما واحد وقال عكرمة ما كان من صنع
بني آدم فهو السد بالفتح وما كان من صنع الله فهو بالضم
وقال ابو عمرو وقيل بالعكس وجد من دونهما اي صار عندهما
من الجانب الذي هو اقرب اليهما الجهة التي اتى منها ذو القرنين
قوما اي امة من الناس لفهم في غاية البعد من لغات بقية

الناس

الناس لبعد بلادهم من بقية البلاد فهم لذلك لا يكادون اي لا يقربون
يفقهون اي يفهمون قولا من هو من ذي القرنين فهما جيدا كما يفهم
غيرهم لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء
وكسر القاف والباقون بفتحهما وقال ابن عباس لا يفقهون كلام
احد ولا يفهم الناس كلامهم ولا يشاكلون بقولهم قالوا يا ذا القرنين
ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا
على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ابن عباس فيما سمعت اعجمية لغتهم فلم يبق
حاضر يومئذ ممن كانت تجد اللغة تكلم بالعربية فتكلمت معهما
وهما لغتان اصلهما من اجيج النار وهو وقودها وسمي بهما لشدة
ظلمة الكفر فيهم وشدتهم وهم من اولاد يافث بن نوح عليه السلام
ظاهر الصحاح كغيره جيل من الترك قال السدي الترك سرية من
يأجوج ومأجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجا
فجميع الترك حولهم وعاونا دقانوسا ثمانمائة وعشرون قبيلة
بنى ذو القرنين السد على احدى وعشرين قبيلة وبقيت
ثمانية وهذه فهم الترك سموا الترك لانهم تركوا خارجين قال
اهل الانساب ولد يافث سبعة عشر رجلا منهم جومر وهو والد
اشكناز وتوجرمة ومنهم ابو العرب والعجم والروم وجام ابو الحبشة
والهند ومصرايم ابو القبط وكنعان ابو البربر وفوط ابو الترك وماجوج
ومأجوج وقال ابن عباس في رواية عطاء هم عشرة
اجناس وقد ورد في كلهم جزء ورد في حديث مرفوعا ان
يأجوج امة ومأجوج امة وكل امة اربعمائة الف امة لا يموت الرجل
منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم
من ولد آدم يسيرون الى خراب الارض وقال كعب هم ثمانية اصناف

تمام ال

صنف منهم امثال الارز شجر بالشام طوله عشرون ذراعا في
السماء وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ذراعا
نحو السماء وهؤلاء لا تقوم لهم الجبال ولا الحديد وصنف منهم
يفترش اذنيه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش
ولا حجر الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه وعندهم بالشتاء
وساتهم يجدون ما يشربون من الماء والمشورة وبحيرة طبرية
ونهر الاردن ينبت لهم مجانا ليس في اظفارهم وانامهم كانامنا
السباع وعدد علي رضي الله عنه قبائلهم فقال منهم من
ومنهم من طوله مثل طول الجبل وقال كعب منهم ما ذرع في واحد
آدم وذكر ان آدم احتلم ذات يوم وامر ان جمعت فلطمته بالريح
فخلق الله من ذلك المكان يأجوج ومأجوج فمنهم من يقتل بعضهم
بعضا ومنهم من الانس ومنهم من يكون وهب بن منبه اخبر الاقرعي ان
رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عجوزها قال ابني
يا عجوز اليوم مختلفة الستهم فمنهم لمحاسنه بينهما طول ليس
الارض احدهما عند مغرب الشمس يقال لها منسك والاخرى
عند مطلعها يقال لها منسك واسعان بينهما محوض فالارض
احدهما في القطر الايمن يقال لها ها ويل والاخرى في قطر
الارض الايسر يقال لها ها ويل وامم في وسط الارض منهم
الجن والانس ويأجوج ومأجوج فقال ذو القرنين يا يافث لا تأمن
وبابي لسانك فانا طلعتهم قال الله تعالى اني سأطوقك
لك لسانك واشد عضدك فلا يهولك شيء ولا تستوحش الهيبة
فلا يروع لك شيء واسخر لك الثور والظلمة واجعلها من
جنودك يمدونك الثور من امامك وتحفظك الظلمة من ورائك

فانطلق

فانطلق حتى اتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا لا يحصيه الا الله
تعالى فكانوا زهاء ثلاثمائة الف فجمعهم في مكان واحد فدعاهم الى الله
تعالى والى عبادته فمنهم من آمن ومنهم من كفر ومنهم من صد عنه
فعمد الى الذين تولوا عنه وادخل عليهم الظلمة فدخلت اجوافهم
وبيوتهم فدخلوا في دعوته فجند من اهل المغرب جندا عظيما
وانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى اتى هاويل فعمل فيهم
كعمله فيمن كان معه حتى انتهى الى منسك عند مطلع الشمس
فعمل فيها وجند منها جنودا كفعله فيمن الاقيه ثم اخذ بناحية
الارض اليسرى فاتى هاويل فعمل فيها كعمله مجاعلها ثم عمد الى
الامم التي دون الارض فلما كان مما يلي مستقلع الشمس
قالت له امة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين
خلقا اشباه البهائم اي وهم يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض
يفترسون الدواب والوحوش والسباع ويأكلون الحيات والقثاء
وكل ذي روح خلق الله في الارض وليس يزداد خلق كل يوم
فلا يشك انهم سيملكون الارض ويظهرون عليها ويفسدون
فيها وقال الكلبي فشاورهم انهم كانوا يخرجون ايام الربيع الى
ارضهم فلا يدعون شيئا يمرون به اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه
وادخلوه ارضهم وقد بالغوا ولغوا منهم ان كي شديد او قتال
وقيل معناه انهم سيفسدون في الارض بعد خروجهم فهل نجعل
لك خرجا اي جعلا من المال وقرأ حمزة والكسائي بفتح الراء وألف
بعدها والباقون بضمها بغير ألف بعدها فقيل هما بمعنى
وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك علي ان تجعل في
جميع ما بيننا وبينهم من الارض التي يمكنهم ان توصلهم

البنا مما بعد اتاكم الله من المكنة سدا اي حاجزا بين هذين الجبلين
فلا يصلون الينا وقرا نافع وابن عامر وشعبة برفع السينين والباقون
بالنصب قال لهم ذو القرنين ما مكني فيه ربي اي الجعل الذي
مكنني فيه من الاموال والرجال والتوصل الى جميع ما يمكن للمخلوق
خير من خرجكم الذي تريدون بذله كما قال سليمان عليه السلام
فما اتاني الله خير مما اتاكم وقرا ابن كثير بنون مفتوحة بعد الالف
وبعدها نون مكسورة والباقون بنون واحدة مكسورة مشددة
فاعينوني بقوة اي اني لا اريد المال بل اعينوني بايدكم وقوتكم
وبالالات التي تقوي بها في مثل ذلك فان ما مبني انما هو من
القتال وما يكون من اسبابه نحو هذا اجعل بينكم اي وبين
ما تخافون منه وبينهم ردما اي حاجزا حصينا هو ثقا لقطعه فوق
سد من التلاصق والتلاحم وهو اعظم من السد من قولهم ثوب
رادم اذا كان رقاع فوق رقاع قالوا وما تلك القوة فعلة وصناع
يحسنون البنا قالوا وما تلك الالات آتوني اي اعطوني زبر الحديد
اي قطعه وهو جمع زبرة بفتحتين وعرف قال الخليل الزبرة
من الحديد القطعة الضخمة فاتوه به وبالحطب حفر له الاساس
حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب
والبنيان من زبر الحديد بينهما على الحطب والفحم حتى اذا ساوى
اي بذلك البناء بين الصدفين اي بين جبلي باب الجبلين الى سوي بين
طرفي الجبلين سميا بذلك لانهما تصادفا فاذا اي تبينا بلا ان من
قولهم صادفت الرجل اذا قابلته وقرا ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر برفع الصاد وابدال الثانية وقفا بالالف ووصلا بحذفها
على الحطب والفحم وقال اي للعملة انفخوا فنفخوا حتى اذا جعله

قالوم

اي الحديد نارا اي كالنار قال آتوني اي اعطوني افرغ عليه قطرا
اي اصب النحاس المذاب على الحديد المحمي فصبه عليه فدخل في
خلال الحديد فكان الحطب لان النار اكلت الحطب حتى لزم الحديد
النحاس فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا قال
الزمخشري قيل ما بين السدين مائة فرسخ وروي ان عرضه
كان خمسين ذراعا وارتفاعه مائتي ذراع وعن قتادة قال
ذكر لنا ان رجلا وفي رواية عن رجل من اهل المدينة قال يا رسول
الله قد رايت سد ياجوج وماجوج قال انعته لي كالبرد المحبر
طريقة سودا وطريقة حمرا وهذه معجزة عظيمة اذ كان نبيا
اوكرامة ان لم يكن لان هذه الرتبة الكبيرة اذا فتح عليها حتى
صارت بالنار لم يقدر على ان يقرب منها والنفخ عليها حتى
لا يكون الا بالقرب منها فكانه تعالى صرف تلك الحرارة العظيمة
عن ابدانهم وليتمكنوا من التحيز حتى يتمكنوا من العمل فيما تتنبه
فظهر هو المتنازع فيه وهذه الآية اشهر امثلة النحاة في باب
التنازع ومما تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين
المتوجهين نحو معمول واحد اولي اذ لو كان قطرا مفعول اتوني
به لاضمر مفعولا لنزع خافض من الالباس ثم قال تعالى فما
اي فنتسبب عن ذلك انه لما اكمل عمل الردم واحكم ما استطاعوا
اي ياجوج وماجوج وغيرهم ان يظهروه اي يعلوا ظهره لعلوه
وملاسته وقرا حمزة بتشديد الظاء والباقون بالتخفيف
وما استطاعوا له نقبا اي خرقا لصلابته وسمكه وزيادة الثانية
هنا تدل على ان العلو عليه اصعب من نقبه لارتفاعه وصلابته
والتحام بعضه ببعض حتى صار سبيكة واحدة من حديد ونحاس

في علو كبير فانهم قالوا ولو احتالوا ببناء درج من جانبهم او وضع
تراب حتى ظهروا عليه لم ينفعهم ذلك لانهم لا حيلة لهم على النزول
من الجانب الاخر ويؤيده انهم انما يخرجون في آخر الزمان بنقبه
لا يظهرونه ولا ينافي نفي الاستطاعة لنقبه ما رواه الامام احمد
والترمذي في التفسير وابن ماجه في الفتن عن ابي رافع عن
ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ياجوج وما
جوج ليحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس
قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعودون اليه كاشد
ما كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله تعالى ان يبعثهم على الناس
حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم
ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى فيستثني فيعودون
اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرون ويخرجون على الناس
الحديث وفي حديث الصحيحين عن زينب بنت جحش عن
النبي صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج
مثل هذا وحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه عن
ابي هريرة وفيه مثل هذا وعقد تسعين لان هذا في آخر
الزمان ثم ان الله قيل فما قال حين فراغه قيل قال هذا اي
السد اي الاقدار عليه رحمة اي نعمة من ربي اي الحسن الي باقداري
عليه ومنع العادية فاذا جاء وعد ربي بقرب قيام الساعة
او بوقت خروجهم جعله دكاء اي مدكوكا مبسوطا وربي انهم
يخرجون على الناس فيشربون المياه ويتحصن الناس في
حصونهم منهم فيرمون بسهامهم الى السماء فترجع مخضبة بالدما
فيقولون قهرنا من في الارض وعلونا من في السماء قسوة

وعلوا

وعلوا فيبعث الله تعالى عليهم نغفا في رقابهم وفي رواية في اذانهم
فيهلكون قال صلى الله عليه وسلم فوالذي نفسي بيده ان دواب
الارض لتسمن وتشكر من لحومهم شكرا اخرجه الترمذي قوله
قسوة وعلوا اي غلظة وفظاظة وتكبرا والنغف دود يخرج
في انوف الابل والغنم وقوله وتشكر من لحومهم شكرا يقال
شكر الشاة شكرا حين استلاصر عما لبنا والمعنى انها تملاء
اجسادها لحما وتسمن وعن النواس بن سمعان قال ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع
حتى ظننا انه في طائفة من النخل فلما رحلنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شانكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة
خفضت فيه ورفعت حتى ظننا انه في طائفة النخل فقال غير
الدجال اخوفني عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم
وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل
مسلم وانه شاب قطط اي شديد الجعودة وقيل الحسن الجعودة
عينه طافية اي بارزة وقيل المحسوفة كاني اشبهه بعبد
العزى بن قطن من ادركه منكم فليقرا عليه فواتح سورة الكهف
انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث اي افسد يمينا
وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما
مكثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر
ويوم كجمعة وسايرا يامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذلك
اليوم الذي كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له
قدره اي واليوم الثاني والثالث كذلك وسكت عن ذلك
للعلم به من الاول قلنا يا رسول الله وما اسرعه في الارض

قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون
به ويستجيبون له فيأمر السما فتمطر والارض فتنبت وترتوح
عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرا واسبغه ضروعا واملاه
خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم
فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شي من اموالهم ويمر بالخربة
فيقول لها اخرجي كنوزك فتتبعه كيعاسيب النحل
ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين
رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما
هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة
البيضا في دمشق بين مهرودتين اي حلتين واضعا كفيه
على اجنحة ملكين اذا طاطا راسه قطر واذا رفعه تحدر
منه مثل جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات
ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه حتى يدركه بباب لد قرية
بالشام فيقتله ثم يأتي عيسى بن مريم
قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم
في الجنة فبينما هو كذلك اذ اوحى الله تعالى الى عيسى اني
قد اخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى
الطور ويبعث يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون
فيمر اوائلهم على بحيرة طبرية فيشربوا ما فيها ويمر آخرهم
فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله واصحابه حتى
يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم
فيرغب نبي الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله طيرا
كاعناق البخت فتحملهم حيث شاء الله تعالى ثم يرسل الله تعالى

مطرا

مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها
كالزلفة وهي بالتحريك جمع زلفة مصانع الماء ويجمع على الزلف
الفيا اي فتصير الارض كانها مصنعة من مصانع الماء وقيل
كالمرآة وقيل الزلفة الروضة وقيل بالقاف الفيا ثم يقال
للارض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة
من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل وهو
بتحريك الراء والسين من الابل والغنم من عشرة الى خمسة
وعشرين حتى ان اللقحة من الابل لتكفي القبيلة من الناس
وهو يجمون الجماعة الكثيرة واللقحة من البقر لتكفي القبيلة
من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم
كذلك اذ بعث الله تعالى عليهم ريحا طيبة فتاخذ تحت اباطهم
فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم وتبقى شرار الناس
يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة وكان وعد
ربي حقا الذي وعد به في خروج يأجوج ومأجوج واحترافهم
الارض وافسادهم لها قرب قيام الساعة حقا كائنا لا محالة
فلذلك اعاد تعالى على هدمه هذا آخر حكاية ذي القرنين
اي بياتا وقدرتي وفي الكلمة لقصة ان ذا القرنين دخل الظلمة
فلما رجع توفي ببشيروذ وذكر بعضهم ان عمره كان ثمانمائة
سنة سبحان من بيده عزه وبقاه ثم ان الله تعالى قال عاطفا
على ما تقرير فقد بان امر ذي القرنين اي بيان وصدق
في قوله فاذا جاء وعد ربي فانه اذا جاء وعدنا جعلناه بقدرتنا
التي نوتيها ليأجوج ومأجوج دكا فاخرجناهم على الناس
بعد خروج الدجال وتركنا بعضهم اي يأجوج ومأجوج يومئذ

اي حين يجزجون يوجح اي يضطرب في بعض كموج البحر ويوم بعض
الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم جبارهم وضعيفهم
ونفخ في الصور اي المرة الثانية لقوله تعالى فجمعناهم
اي الخلايق في مكان واحد يوم القيمة قال النخعي ويجوز ان
يكون هذه التا للفصيحة فيكون المراد النفخة الاولى اي
ونفخ فمات الخلايق كلهم فبليت اجسامهم وتفتت عظامهم
كما كان من تقدمهم ثم نفخ الثانية فجمعناهم من التراب بعد
عزتهم حيث دفنتهم في اقطار الارض بالسيول والرياح
وغير ذلك جمعا فامتناهم دفعة واحدة كلمح البصر وحشرنا
في الموقف للحساب ثم الثواب والعقاب وعرضنا اي
اظهرنا جهنم يومئذ اي اذ جمعناهم لذلك للكافرين عرضا
ظاهرا لهم كل ما فيها من الاهوال وهم لا يجدون لهم عنها مصرفا
ثم وصفهم بما اوجب لهم ذلك بقوله تعالى الذين كانت في اكنة
حجبة لهم اعينهم وهو بدل من الكافرين عن ذكري
اي عن القران فهم لا يستدلون به ومما جعلنا على الارض
من زينة دليلا على الساعة فنايه ثم احيايه واعادته
بعد الاية وكانوا بما جعلناهم عليه لا يستطيعون اي لا يقدرون
ان يسمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم ما يتلو عليهم بغضا
له فلا يوصفون وما بين تعالى امر الكافرين انهم اعرضوا عن
الذكر وعن استماع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اتبعه
بقوله تعالى افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من
من الاحيا كالملايكة وعزير والمسيح والاموات كالاصنام
من دوني وقوله تعالى اولياء اي اربابا مفعولا ثانا لاتخذوا

والمفعول

اي الحنفية الثاني لحسب محذوف والمعنى اظنوا ان الاتخاذ المذكور
ينفعهم ولا يضرني ولا اعاقبهم عليه كلا وقرا نافع وابو عمرو بفتح
الياء والباقون بسكونها وهم على مراتبهم في المد ولما كان معنى الا
استفهام الانكاري ليس الامر كذلك حسن جدا قوله تعالى موكدا
لاجل انكارهم انا اعتدنا اجهنم التي تقدم انا عرضناها لهم للكافرين
نزلا اي بني معدة لهم كالمنزل المعد للضيف ونحوه
على سبيل التهكم ونظيره قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم ثم ذكر
تعالى وانيه تنبيه على جهل القوم فقال تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم قل لهم هل ننبئكم اي اخبركم وادغم الكسائي لام هل
في النون والباقون باظهارها بالاخسرين اعمالا اي الذين
ابطلوا انفسهم في عمل يرجون به فضلا ونوالا فخالوا هلاكا
وبوارا واختلفوا اي الذين ابطلوا انفسهم واختلفوا فيهم فقال
ابن عباس وسعيد بن ابي وقاص هم اليهود والنصارى
وهو قول مجاهد قال سعيد بن ابي وقاص اما اليهود فكذبوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم والنصارى فكفروا بالجنة فقالوا
لا طعام فيها ولا شراب انتهى قال النخعي وكذا قال اليهود
لانهم اليقين انكروا البعث بعد الموت وخصوصا بالروحانيين
وقيل هم الرهبان الذين حبسوا انفسهم في الصوامع تنبيه
اعمالا للتمييز للاخسرين جمع عمل واذ كان مصدر النوع اعمالهم
ثم وصفهم تعالى بقوله مايدعونه لانفسهم من نجاح السعي
واحسان الصنع فقال تعالى الذين ضل اي ضاع وبطل سعيهم
في الحياة الدنيا لكفرهم تنبيه محل الموصول اجر نفعا او بدلا
او بيانا او النصب على الذم او الرفع على اضمار المحذوف فانه

جواب السؤال وهو انى حسبوا انهم يحسنون صنعا ان يشتروا بسلعة يتجروا فيها ربحا فخسروا وخاب سعيهم كذلك اعمال هؤلاء الذين ابطلوا انفسهم مع ضلالهم فبطل جدهم واجتهادهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون اي يظنون وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بالكسر انهم يحسنون صنعا اي عملا يجازون عليه لاعتقادهم انهم على الحق ثم بين تعالى السبب في بطلان سعيهم بقوله تعالى اولئك اي البعداء البغضاء الذين كفروا بايات ربهم اي بدلائل توحيده من القرآن وغيره ولقائه اي رؤيته للاخرة قال القتيبي فلقائنا اي رؤيته قال وقيل اللقاء عبارة عن الوصول قال تعالى فالتقى الماء على امر قد قدر وذلك في حق الله تعالى محال فوجب حمله على لقاء ثواب الله كما قال بعض المفسرين انا اجيب بان لفظ اللقاء وان كان عبارة عن الوصول الا انه استعمل له في الرؤية مجازا ظاهرا مشهورا والذي يقوله ان المراد لقاء ثواب الله فاذا لم يتم الا بالاضمار وحمل اللفظ على المجاز المتعارف المشهور اولى من حمله على ما يحتاج الى الاضمار قال تعالى فحبطت اي فبسبب جحدهم الدلائل بطلت اعمالهم فصارت هباء منثورا فلا نقيم لهم وزنا قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا قول ان احدهما اوزانها تزدريهم وليس لهم عندنا وزن ومقدار يقوله اكثر ما لفلان عندي وزن اي قدر لحسنته وروي ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيمة فلا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا الثاني لا نقيم لهم

ميزانا

ميزانا لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الوجهين ليتميز مقدار الطاعات ومقدار السيئات وقال ابو سعيد الخدري تاتي ناس يوم القيمة عظام اجسامهم يوم القيمة عندهم في التعظيم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم ترن شيئا فذلك قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا واما كان هذا الحسيات في الدلالة على ان لهم جهنم اوضح من الشمس قال تعالى ذلك اي الامر العظيم الذي بيناه من وعيدهم جزاؤهم اي بين ذلك الجزاء بقوله تعالى جهنم وصرح بالسببية بقوله تعالى بما كفروا اي بما اوقعوا التغطية فلا دلائل واتخذوا اياتي الدالة على وحدانيتنا ورسلي الموحدين بالمعجزات الظاهرات هزوا اي مما يمزؤ بها يظلم يكتفوا بالكفر الذي هو طعن في الالهية حتى ضموا اليه المزؤ والذي هو اعظم استخفاف وما بين سبحانه وتعالى لاحد قبحي اهل الجمع تغيرا عنهم بين ما للاخرين على تقدير الجواب لسؤال يقتضيه الحال ترغيبا في اتباعهم والاقتداء بهم بقوله ان الذين امنوا اتى باسم الماضي للايمان وعملوا تصديقا لايمانهم الصالحات من الخصال كانت لهم اي في علم الله قبل ان يخلق الدنيا اعمالهم على الاستمرار جنات اي بساتين الفردوس اي اعلا الجنة واوسطها والاضافة اليه للبيان روي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سالتم الله تعالى فاسئلوه الفردوس فانه وسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة وقال كعب ليس في الجنات جنة اعلا من جنة الفردوس فيها الامر بالمعروف والناهي عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربض الجنة واوسطها

وافضلها وارفعها وقال كعب الفردوس هو بستان بحنة التي فيها
الاعناب وقال مجاهد هو البستان بالرومية وقال الزجاج هي
بالرومية منقولة الي لفظ العربية وقال عكرمة هي بحنة بلسان
الحبشة وقال الضحاك هي بحنة المتصلة الاشجار نزلا اي منزلا
كما كان السعير والاعمال لاولياء الله تعالي خالدين فيها
حال مقدرة لا يبغون اي لا يريدون ولا ادني ارادة عنها حولا
اي تحويلا الي غيرها قال ابن عباس لا يريدون ان يتحولوا عنها
كما ينتقل الرجل من داره اذا لم توافقه الي دار اخري فلما ذكر
تعالي في هذه السورة انواع الدلايل والبينات وشرح فيها
اقاصيص الاولين بنه علي حال كمال القران بقوله لنبيه صلي
الله عليه وسلم قل يا اشرف الخلق للخلق لو كان البحر اي
ماوه علي عظمته صفة كونه مدادا وهو اسم لما يمد به اي كالحبر
للدواة والتسليط للسراج لكلمات اي لكتب كلمات ربي
اي المحسن الي لنفد اي فني مع الضعف منا لانه متناه
البحر لانه جسم منتهاه قبل ان تنفد اي تفني وتفرغ كلمات
ربي لانه معلوماته تعالي غير متناهية والمتناهي لا يفني
البتة بغير المتناهي وقرا حمزة والكسائي بالياء التحتية
علي التذكير والباقون بالفوقية علي التانيث كمر لئن نبت
ولم يكن احد غيره يقدر علي امداد البحر قال تعالي ولو جينا
بمثله اي مثل البحر الموجود مددا اي زيادة ومعونة وتقرير
قوله تعالي ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده
من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله واختلفوا في سبب
نزول هذه الاية فقال البغوي وابن عباس قالت اليهود

تزعم

فاذا عمل ذلك شاركه غيره في عمله ولم يقبل الله تعالى ذلك العمل
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله انا لا اقبل العمل الذي
اطلع عليه معي غيري فقال ابو بكر يا رسول الله لا يقبل ما شورك فيه
ونزلت هذه الآية فقال فكيف يعمل ليسلم من الشرك فقال
ان يعتقد في قلبه ان الله تعالى مطلع عليه وعلى ذلك اذا فعله
الا لوجه الله تعالى ولا يحب ان يحمده احد على ذلك العمل
وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
قال الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه غيري فانا منه بريء
هو للذي عمله وعن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس رضي الله
عنهما يقول ان يجمع الله تعالى الناس يوم القيامة في صعيد
واحد فيقول لمن عمل عملا لغيره فليطلب ثوابه ممن عمل له
فان الله تعالى اغنى الشركاء عن الشرك والاية جامعة
لكل خير في العلم والعمل وهي الموجبة للاخلاص في الطاعة
خاشعة ذليلة وقيل خاضعة وقيل عاملة ناصبة كقوله تعالى
عاملة ناصبة تصلى نارا حامية وقيل عاملة في النار بما
كانت تعمل في الدنيا من الاعمال الخبيثة وقيل عاملة
بالسلاسل والاغلال تجر بها في النار وقيل تكلف ما لا
يطيق فتتعب نفسها وقيل تعمل وتنصب في الدنيا بالباطل
فلا ينفعها يوم القيامة وقيل هم الرهبان وقيل هم اليهود
وقيل هم النصارى وقيل هم كل مبتدع في دين الله تعالى
وقيل هم الذين يعملون اعمالا في الدنيا يحسبون انها
حسنة فلا يجدون لها ثوابا لان اعمالهم لم تكن خالصة
لوجه الله تعالى وقيل هم الذين يعملون اعمالا في الدنيا
على غير ما امر الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم
وقيل هم الذين يعملون اعمالا في الدنيا يرون انهم
يحسنون صنعا ولا ينفعهم ذلك لانهم لم يعملوا لله تعالى
وقيل هم الذين يعملون اعمالا في الدنيا ثم يصيرون
رهبانا في الصوامع وقيل هم الذين يعملون اعمالا في
الدنيا ثم يصيرون رهبانا في الصوامع وقيل هم الذين
يعملون اعمالا في الدنيا ثم يصيرون رهبانا في الصوامع
وقيل هم الذين يعملون اعمالا في الدنيا ثم يصيرون
رهبانا في الصوامع وقيل هم الذين يعملون اعمالا في
الدنيا ثم يصيرون رهبانا في الصوامع وقيل هم الذين
يعملون اعمالا في الدنيا ثم يصيرون رهبانا في الصوامع

الكهف

ونحيطون بمضمونها انه اختلاف في جميع الحروف التي في المبين المكي والتوسط والتقليل وقوله
تعالى ذكر مبتدا محذوف الخبر تقديره فيما يتلى عليكم ذكر او خبر
محذوف المبتدا تقديره المتلو ذكر او هذا ذكر رحمت ربك
وقوله تعالى عبده مفعول رحمت لانها مصدر اضيف الى فاعله ... التاء لا انها
تدل على التوحيد ... بمعنى ... وقد قرئ ... بالمكتوب
كلي وابو عمرو والكسائي ويقف بالتاء على الرسم ... وقوله
تعالى زكريا بدل منه او عطف بيان له واعلم انه تعالى ذكر في هذه السورة
قصص جماعة من الانبياء الاولى منها قصة زكريا ... في
كونه رحمة وجهان احدهما ان يكون رحمة على امته لانه هداهم
الى الايمان والطاعة والثاني ان يكون رحمة على نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم لانه تعالى لما شرح له طريق ... طريقه
والاخلاص ... جميع ... الى ... ذلك
... والجميع ... زكريا ... يجعل
ان يكون ... على ... ذكر الرحمة التي رحم
بها عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا ... اي اعمل
... بشرع ... الاجابة ... لان ...
... على ... الولد في
... الشيخوخة ... فهم وقيل
... صوته ... صوته خافت
... قالوا ... شرط ... الجهر ...
كونه ... الله ... الله ... قادر
على ... النهاية ...
بسبب الكبر ... نظر الى ...

لعله خفت

الثاني انه دعا في الصلاة لانه تعالى اجاب له في الصلاة لقوله تعالى
فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى
والاجابة في الصلاة يدل على كون الدعاء فيها فيكون النداء فيها
خفيا ... وجه احدها ان لا يكون ...
ذكر ... النداء المحلي عليه
وذكر الوجهين ابو ... زكريا ...
استعمال ... الوقت ...
قال رب ... على ... القرب اني
وهن العظم مني ... الذي هو ...
... به ... الاولى هو ... عظم ... الجسم
وقوله واشتعل الرأس شيبا ... عن الفاعل اي
انتشر الشيب في شعره كما ينتشر شعاع ... في ...
الدعوة ولم اكن بدعائك رب شقيا اي ... شقيا اي
خائبا فيما مضى فلا تخيبني فيما بقي وانك ... عادة ...
في العادة ... استعطاف
ثم عطف على قوله اني وهن قوله واني خفت الموالي اي الذين
يلون ... من ورائي اي في
بعض الزمان الذي بعدي وكانت امرأتي عاقرا ...
... فهب لي ...
... الاجابة ... خلاف ...
... عن الولد عادة ...
... على كل شيء فهب لي من
لدنك اي من الامور المستنبطة ... التي عندك ... لم

اه كان ابن مائة عام وامراته بنت تسع وتسعين سنة وقد بلغت تمانين عاما وقد ايست قال ابن عباس فولدت له اسحاق لمائة سنة وعاش ابراهيم بعد اسحاق مائة وخمسا وسبعين سنة وقد بلغت نساء الكبر عتيا اي عتا عتيا بعد عتي كما يقال رضا بعد رضي وهو يبس العظم وانحناؤه والكبر السن وقيل عتيا اي عجزا من قولهم عتت المرأة اذا كبرت وعجزت عن الحيض وقيل عتيا اي عتوا وهو اليبس والجفاف وقيل عتيا اي عتوا وهو الشدة والقوة وقيل عتيا اي عتوا وهو الصلابة والقوة ذاصار عتي عتو وكسرت التاء تخفيفا وقلبت الواو الاولى ياء لاجتماعها ساكنة بالكسرة قبلها والثانية ياء لانها لام الكلمة ثم ادغمت احداهما في الاخرى واستجيب الولد في سبع سنين وعجوز عاقر اي عقرا فلا يولد لها كقولهم ناقة عقار اذا لم تحمل وقيل العاقر التي لا تلد في حال الشباب والعقيم التي لا تلد في حال الكبر قال الله تعالى كذلك اي كما قال لك ربك في الاكرام بعد هذه الحالة قال ربك اي الذي ناداك هو علي هين اي خلق ولد لك من شيخ فان وعجوز عاقر سهل علي وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما ليس بشيء ولا ظهر ان الله تعالى لهذه القدرة العظيمة العلمة السوال لجواب يدل عليها وقد احرقه والكتابي بعد القاف بنون بعدها الف والباقون بعد القاف بتاء مهموزة ولما اتاقت نفسه الى سرعة المبشر به قال رب اجعل علي ذلك اية اي علامة تدلني علي وقوعه قال اياتك علي وقوع ذلك ان لا تكلم الناس اي لا تقدر علي كلامهم خلاف ذكر الله تعالى ثلاث ليال اي بايامها كما في ال عمران ثلاثة ايام حال كونك سويا من غير خرس ولا مرض وجعلت الاية الدالة عليه سكوتا ثلاثة ايام ولياليهن عن غير ذكر اسد لالة علي اخلاصه وانقطاعه بكليته الي الله تعالى دون غيره فخرج عقب اعلام الله له بهذا علي قومه من المحراب اي من المسجد وهم ينتظرون ان يفتح لهم الباب متغير اللون فانكروه وهو مطلق اللسان بذكر الله تعالى مخبسة عن كلام الناس فقالوا ما لك يا نبي الله فاوحى اليهم اي بالاشارة وبسبحته من غير نطق فقال لهم قد كنتم لم في الارض ان سبحوا اي اوجدوا التنزيه والتقديس لله تعالى بالصلاة وغيرها بكرة وعشيا اي اوائل النهار واخره بحسب العادة ففهم بعضهم من كلامهم حملا مرأته يحيى قال الجلال المحلي وبعد ولادتها بسبعين قال الله تعالى له يا يحيى خذ الكتاب اي التوراة بقوة اي جد في العمل بما فيها وصنه بصفات الاولي قوله تعالى واتيناه الحكم قال ابن عباس النبوة صبيا قال الجلال المحلي نبيا للنبوي ابن ثلاث سنين اي احكم الله عقله في صباه قال سفيان وقيل المراد بالحكم الحكمة وفهم التوراة

نتزا التوراة وهو صغير قال البغوي وعن بعض السلف من قرا القران فهو نبي اوتي الحكم صبيا الصفة الثانية قوله تعالى **وحنانا** اي رحمة وهيبة وقارا ورقة قلب وبركة **من لدنا** اي من عندنا بلا واسطة يعلم ولا تجروبة الصفة الثالثة قوله تعالى **وزكاة** اي وانيناه طهارة في دينه قال ابن عباس يعني بالزكاة الطاعة والاخلاص وقال قتادة هي العمل الصالح وقال الكلبي يعني صدقة تصدق الله بها على ابويه الصفة الرابعة قوله تعالى **وكان** اي جبلة وطبعا **تقيا** اي مخلصا مطيعا روي انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها الصفة الخامسة قوله تعالى **وبرا بوالديه** اي بارا لطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا عباد بعد تعظيم الله اعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الصفة السادسة قوله تعالى **ولم يكن جبارا** اي متكبرا والمراد وصفه بالتواضع ولين الجانب وذلك من صفات المومنين قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض لهما جناح الذل من الرحمة حباه حكما للمومنين وقال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولان راس العبادة معرفة الانسان نفسه بالذل ومعرفة ربه بالعظمة والكمال ومن عرف نفسه بالذل وعرف ربه بالكمال كيف يليق به التجبر والترفع ولذلك لما تجبر ابليس وتمرد صار مبعدا عن رحمة الله تعالى وعن المومنين وقيل الجبار الذي لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من التقيظ والذهاب بنفسه من انه لا يلزم فقا حق لاحد وقيل هو كل من عاقب على غضب نفسه الصفة السابعة قوله تعالى **عصيا** اي عاقا او عصى ربه وهو ابلغ من العاصي كما ان العليم ابلغ من العالم الصفة الثامنة قوله تعالى

وسلام

وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا فان قيل لم خص هذه الاوقات الثلاثة اجيب بوجوه الاول قاله محمد بن جرير الطبري وسلام عليه يوم ولد اي امان من الله تعالى عليه يوم ولد من ان ينال الشيطان كما ينال سائر بني آدم ويوم يموت اي امان من الله من عذاب القبر ويوم يبعث اي ومن عذاب الله يوم القيمة الثاني قاله عيينة احسن ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجا مما كان ويوم يموت فيرى قوما ما كان شاهدهم قط ويوم يبعث فيرى في محشر عظيم فاكرم الله تعالى يحيى عليه السلام فخصه بالسلام في هذه المواطن الثلاثة الثالث قال عبد الله بن محطوب وسلام عليه يوم ولد اي اول ما يرى في الدنيا ويوم يموت اي اول يوم يرى فيه امر الاخرة ويوم يبعث حيا اول يوم يرى فيه الجنة والنار وهو يوم القيمة وانما قال حيا تنبيها على كونه من الشهداء لانه قتل وقد قال تعالى احياء عند ربهم يرزقون فزرع الاول هذا السلام يمكن ان يكون من الله وان يكون من الملائكة وعلى التقديرين فيه دلالة على شرفه لان الملائكة لا يسلمون الا عن امر الله تعالى الثاني ليحيى من نية في هذا السلام على ما لسائر الانبياء لقوله تعالى سلام على نوح سلام على ابراهيم لانه قال يوم ولد وليس كذلك سائر الانبياء الثالث روي ان عيسى عليه السلام قال ليحيى عليه السلام انت افضل مني لان الله تعالى قال سلام عليك وانا سلمت على نفسي قال الرازي وهذا ليس بقوي لان سلام عيسى على نفسه يجري مجرى سلام الله على يحيى لان عيسى معصوم لا يفعل الا ما امر الله به ولكن بين السلامين

مزية تنبيه هذه القصة قد ذكرت من آل عمران بقوله تعالى كلما
دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا الى ان قال هنالك
دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع
الدعاء للان زكريا عليه السلام لما رأى خرق العادة في خوخ يم
جمع في حق نفسه فدعا وقد وقعت المخالفة في ذكرها هنا وهناك
في الالفاظ من وجوه الاول انها ان الله تعالى صرح في آل عمران
بان المنادي هو الملائكة بقوله تعالى فنادته الملائكة وهو قائم
يصلي في المحراب وفي هذه السورة الاكثر على ان المنادي بقوله يا زكريا
انا نبشرك بغلام اسمه يحيى هو الله تعالى وأجيب بان الله تعالى
هو المبشر سواء كان بواسطة أم لا الثاني انه قال تعالى في آل عمران
اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر فذكرا ولا كبر
سنهما ولا عقر امرأته وفي هذه السورة قال اني يكون لي غلام وكانت
امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا وأجيب بان الواو لا تقتضي
الترتيب الثالث قال في آل عمران وقد بلغني الكبر وقال هاهنا وقد
بلغت من الكبر عتيا وأجيب بان ما بلغك فقد بلغه الرابع
قال في آل عمران آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا
وقال هنا ثلاث ليال سويا وأجيب بان الآيتين دلتا على ان
المراد ثلاثة ايام بلياليهن كما مر القصة الثانية قصة مريم
وابنها عيسى عليهما السلام اعترض من قصة يحيى لان خلق
الولد من شخصين فانيين اقرب الى مناهج العادات من خلق
الولد لا من اب البتة واحسن طرق التعليم والتعلم الاخذ من
الاقرب فالاقرب مرتبة الى الاصعب فالاصعب اشار الى
ذلك بتغيير السياق فقال عاطفا على ما تقدير اذكر هذا لهم

واذكر

واذكر بلفظ الامر في الكتاب اي القرآن مريم اي قصتها وهي ابنة عمران
خالة يحيى كما في الصحيح من حديث انس بن مالك بن صعصعة الانصاري
في حديث الاسراء فلما خلصت فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة ثم
ابدل من مريم بدل اشتمال فقال اذ اي اذكر ما اتفق لها حين انتبذت
اي كلفت نفسها اي اعتزلت وانفردت من اهلها حالة كانا سرقيا
اي سرقي بيت المقدس قال الرازي سرقي دارها وعن ابن عباس
اني لا اعلم خلق الله تعالى لاي شيء اتخذ النصاري الشرق قبلة لقوله
تعالى مكانا سرقيا فاتخذ مسيلاد عيسى قبلة وانتصر الجلال
المحلي على الشرق من الدار وتردد البيضاوي بينهما فقال
سرقي بيت المقدس او سرقي دارها انتهى ويحتمل ان يكون سرقي
بيت المقدس هو سرقي دارها فلا مخالفة فاتخذت اي اخذت
بقصد وتكلف ودل على قرب المكان بالاتيان بالجار فقال من
دونهم اي ادنى مكان من مكانهم حجابا اي ارسلت ستر انستتر به
لغرض صحيح وليس بمذكور واختلف المفسرون فيه على وجوه
احدها انها طلبت الخلوة كيلا تشتغل عن العبادة ثانيها انها
عطشت فخرجت الى المفازة تستقي فاتاها انما كانت في منزل
زوج اختها زكريا وفيه محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا
خرج غلق عليها الابواب فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتتعلم اسمها
اذ رأتها فانفجرت السمس لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء
الجبل فاتاها الملك ثالثها قال تعالى فارسلنا لامزيد لعلى
عظمتنا اليها روحنا اي جبريل عليه السلام ليعلمها بما يريد بها
من الكرامة بولادة عيسى عليه السلام من غير اب لئلا يشتبه
عليها الامر فتقتل نفسها عما فتمثل لها اي شخص بشري معجمة

ثم بأمر حتة ثم خلق مملة وهو روحاني بصورة الجسماني **بشرا سويا** في خلقة
حسن الشكل رايهما انما قدرت في مسرفة للاغتسال من الحيض متحجبة
بشيء تستترها وكانت تتحول من المسجد الي بيت خالتها اذا حاضت
وتعود اليه اذا اطهرت فبينما هي في مغتسلها اتاها جبريل بعد لبسها
ثيابها ممتثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق تستانس بكلامه اذا
لو اتاها في الصورة الملكية لنفرت منه ولم تقدر علي استماع كلامه
قال البيضاوي ولعله لتهييج شهوتها فتتحد نطفتها الي رحمها
اي مع ابيها الفتنة لعفتها قال الرازي وكل هذه الوجوه محتملة
وليس في اللفظ ما يدل علي ترجيح واحد منها ولما راات مريم
جبريل تخوفها **قالت اني اعوذ** اي اعتصم **بالرحمن** ربي الذي رحمته
عامة لجميع خلقه **منك** اي تقربي وفتح يا ابي نافع وابن كثير
وابو عمرو وسكنها الباقون وهم علي مراتبهم في المد والمد
تفرست فيه بما انار الله تعالي من بصيرتها واصفي من سريرتها
التقوي قالت **ان كنت تقيا** اي مومنا مطيعا وجواب الشرط
محذوف دل عليه ما قبله اي فاني اعوذ منك او تتعوذ لذلك دل
تعوذها من تلك الصورة الحسنة علي عفتها ودينها فان قيل
انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا اجيب بان
هذا كقول القائل ان كنت مومنا فلا تظلمني اي ينبغي ان يكون
ايمانك مانعا لك من الظلم كذلك هذا ينبغي ان تكون تقواك
مانعة لك من الفجور وهذا في نهاية الحسن لانها علمت انها
لا تؤثر الاستعاذة الا في التقي وهو كقوله تعالي وذروا ما بقي
من الربا ان كنتم مومنين اي ان شرط الايمان يوجب هذا لان
الله تعالي يحيي في حاله دون حال وقيل كان في ذلك الزمان

انسان

انسانا فاجرا يتبع النساء سمعت تعني فظنت مريم ان ذلك الشخص
المشاهد هو ذلك فاستعاذت منه قال الرازي والاول هو الوجه
ولما علم جبريل عليه السلام خوفها **قال** مجيبا لها بما معناه اني لست
من تخشين اه بكونه متهما هو كد الاجل استعاذتها **انما انا رسول**
ربك اي الذي عبدته به فانا لست بمتهم بل متصف بما ذكر من زيادة
الوسيلة وعبر باسم الرب المقتضي للاحسان لطفا بها ولان
هذه الصورة مصدرة بالرحمة ومن اعظم مقاصدها تعداد النعم
علي خلص عباده وقوله **ليهب لك** قراه ورش وابو عمرو وقالون
بخلاف عنه بالياء ليهب الله لك وقراه الباقون بالهمز اي للاهب
انا لك وفي مجازه وجهان الاول ان الهبة لما اجريت علي يديه
باذنه كان هو الذي ينفخ في جيبها بامر الله تعالي جعل نفسه كانه هو
الذي وهب لها واضافة الفعل الي من هو بسببه مستعمل قال
الله تعالي في الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس الثاني
انه جبريل عليه السلام لما بشرها بذلك كانت البشارة الصادرة
جارية مجري الهبة ثم بين الموهوب بقوله **غلاما** اي ولدا
ذكرا في غاية القوة والرجولية ثم وصفه بقوله **زكيا** اي نبيا طاهرا
من كل ما يدنس النبوة ناميا علي الخير والبركة **قالت** مريم **انى** اي
من اين وكيف **يكون لي غلام** الده **ولم يمسسني بشر** بنكاح
ولم اك بغيا اي زانية فتعجبت منها بشرها بجبريل عليه السلام
لانها قد عرفت بالعادة ان الولادة لا تكون الا من رجل والعادة
عند اهل المعرفة معتبرة في الامور وان جوز خلاف ذلك في
القدرة فليس في قولها هذا دلالة علي انها لم تعلم ان الله تعالي قادر
علي خلق الولد ابتداء وكيف وقد عرفت ان الله تعالي خلق ابا البشر

على هذا الحد ولانها كانت منفردة بالعبادة ومن يكون كذلك لابد ان
يجري قضاء الله تعالى عليه لذلك وعاتقوم ردستطعما قيل قولها
ولم يمسسني بشر بيد حل تحته قولها ولم اك بغيا ولهذا اقتصر عليه
في سورة آل عمران بقولها قالت رب اني يكون لي ولد ولم يمسسني
بشر فلم تذكر البغي ويجوز ان يقال انما افردت ذكر البغي مع دخوله
في الكلام الاول لانه اعظم ما في باب مهرها تقليلا قوله تعالى حافظوا
على الصلوات والصلوة الوسطى وقوله تعالى وملائكته ورسله
وجبريل وميكال قال لها جبريل عليه السلام للامر كذلك من
خلق غلام منك بغير اب ولما كان لسان الحال قائلا كيف يكون
بغير سبب اجاب جبريل بقوله قال وبك هو اي الامر المذكور وهو
ايجاد الولد على هذه الهيئة علي وحدي لا يقدر عليه غيري
هين اي بان ينفخ فيه بامري جبريل منك فتحملي به ولكون ما
ذكر في معنى العلة عطف عليه ولنجعله بالنا من العظمة اية
للناس اي علامة على كمال قدرتنا على البعث اذ في هذه الآية في
حق عليه السلام وبه تمام القسمة المرتاعية في خلق البشر فانه
اوجد من انثى بلا ذكر وحوا من ذكر بلا انثى وادم عليه السلام
لا من ذكر ولا من انثى وبقية اولاده من ذكر وانثى فكان ورحمة
منا على العباد يهتدون به وكان ذلك كله امرا مقضيا به في
علمي وقوله تعالى فحملته فيه حذف تقديره فنفخنا فيها فحملته
دل ذكره على قوله تعالى في سورة التحريم ومريم ابنة عمران التي
احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا واختلف في النافخ فقال
بعضهم كان النافخ هو الله لهذه الاية ولانه تعالى قال ان مثل
عيسى عند الله كمثل آدم وحقيقة التشبيه حصول المشابهة لا

فيما

فيما اخرجه الدليل وهي حق آدم النافخ هو الله تعالى قال تعالى فنفخت
فيه من روحي فكذا ههنا وقال بعضهم النافخ جبريل لان الظاهر
من قول جبريل عليه السلام لاهب لك علي احد القرائن الخ
النافخ واختلف في كيفية نفخه فقيل ان جبريل عليه السلام رفع
درعها فنفخ في جيبها حين لبست وقيل قد الى جيب درعها
اصابعه ونفخ في الجيب وقيل نفخ في كمها فمها وقيل في فمها وقيل
نفخ جبريل نفخا من بعيد فوصل النفخ اليها فحملت بعيسى عليه السلام
وقيل نفخ في ذيلها فدخلت النفخة في صدرها فحملت فجاءت
اخته امراة زكريا فزورها فلما التزمتها عرفت انها حبلى وذكرت
مريم حالها فقالت امراة زكريا اني وجدت ما في بطني يسجد لما في
بطنك وذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله وقيل ولدت وهي
بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشر سنين وقد كانت حاضت
حيضتين قبل ان تحمل قال الرازي وليس في القرآن ما يدل
على شيء من هذه الاقوال المذكورة ثم ان مع عقب ما تحمل قوله
فانتبذت به اي فاعتزلت به وهو في بطنها حال كونها قصيا
اي بعيدا من اهلها او من امكنة المشرق واشار الى وقت الولادة
من اكمال نقبا التعقيب في قوله فاجاءها اي فالجاها الطلق
اي تحريك الولد في بطنها للولادة الى جذع النخلة وهو ما برز
منها من الارض ولم يبلغ الاغصان وكانت تقربها لانه لم يكن في
تلك البلاد الباردة غيرها فكانت كالعلم لما فيها من الغيب لان النخل
من اقل الاشجار صبرا على البرد ولعلها الجئت اليها دون غيرها
من الاشجار على كثرتها لمناسبة حال النخلة فيها لان الاتمار
الابار للقاح من ذكر النخل فيحملها بمجرد هزها انسب شيء لاتيانها

لعيسى

بولد من غير والد فكيف اذا كان ذلك في غير وقته وكانت بابنة
مع ما لهما فيهما من المنافع بالاستناد اليها والاعتماد عليها وكون
وطنها خير سنة للنفساء وغاية في نفعها وغير ذلك واخر سنة
تجيء معجمة بعد ميمة طعام النفساء وهو مراد الجوهري بقوله طعام
الولادة قال ابن عباس الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل
ثلاثة ساعات حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعت في
ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل كانت مدة نفاسة
اسبوع كعمر سائر النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية اسبوع وذلك
اية اخرى له لانه لا يعيش من ولد لثمانية اسبوع ولد عيسى
لهذه المدة وعاش وقيل ولد لستة اسبوع ولما كان ذلك امرا
صعبا عليها جدا كما ان كانه قيل يا ليت شعري ما كان حالها فقيل
قالت لما حصل عندها من خوف العار يا ليتني مت واشارت الى
استغراق الزمان بالموت بمعنى عدم الوجود فقالت من غير جار
قبل هذا اي الامر الهائل وقرا نافع وجعفر وحمزة والكسائي
من بكسر الميم والباقون بالضم وكنت شيا اي شيا من شانه
ان يطرح وينسى منسيا اي منسوبا بالفعل لا يخطر على بال
قال فقيل لم قالت ذلك مع انها كانت تعلم ان الله تعالى نبه
جبريل عليه السلام اليها ووعدها بان يجعلها وولدها آية
للعالمين اجيب عن ذلك باجوبة منها الاول انما تمنت ذلك
استحياء من الناس فانساها الاستحياء ثناء الملائكة بعيسى
الثاني ان عادة الصالحين اذا وقعوا في بلاء ان يقولوا ذلك
كما روي عن ايوب لما نظر اليها دير علي شجرة فقال طوبى لك
يا طاير تمتع علي الشجرة وتاكل من الثمر وددت اني عشرة

ينترها الطاير وعن عمر انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتني هذه
التبنة ولم اكن شيا وعلى علي يوم الجمل ليتني مت قبل هذا اليوم
بعشرين سنة وعن بلال لبت بلال لم تلده امه فثبت ان هذا
الكلام يذكره الصالحون عند استرداد الامر عليهم الثالث لعلها
قالت ذلك لئلا يقع في المعصية من يتكلم فيها والاولى راضية
بما يجري به وقرا جعفر وحمزة نسيا بفتح النون والباقون بالكسر
وقوله تعالى فناداها من تحتها قرا نافع وحفص وحمزة بكسر
من وجر التاء بعدها تحتها والباقون بفتح ميم ونصب تحتها واعمال الفعل
فاداها حمزة والكسائي اما لانه يجوز قرا ورش بالفتح وبين
اللفظين والباقون بالفتح وفي المنادي وجهان احدهما انه عيسى عليه
السلام وهو قول الحسن وسعيد بن جبير ثانيهما انه جبريل عليه
السلام وانه كان كالقابلة للولد ثالثهما ان المنادي علي القراة
بالفتح هو عيسى وعلى القراة بالكسر هو جبريل وهو يروي عن
ابن عباس عن عيينة وعاصم قال الرازي والاول اقرب وصدره
البيضاوي واشتهر الجلال المحلي على الثاني والمعنى على الاول
ان الله تعالى انطقه لها حين ولدت تطييبا لقلبها لانها لو ولدت
بحضرتها حيث تشاهد في اول الامر ما يبشرها به جبريل من علو
شان ولدها وعلى الثاني ان الله تعالى ارسله اليها لتتلقى منه
بهذه الكلمات كما ارسل اليها في اول الامر تكريما للبشارات المتقدمة
والضمير في تحتها للنخلة ومن تحتها للنسيه من جسمها وعلى تقدير ان يكون المنادي
هو عيسى فمن ظاهر وان كان جبريل فقيل انه كان تحتها بتقبل
الولد كالقابلة وقيل تحتها اسفل من مكانها وقيل الضمير في النخلة
اي فناداها من تحتها ان لا تحزني يجوز في ان تكون مفسرة لتقدمها

هاهو بمعنى القول ولا على هذا ناهية وحذف النون للجزم وان تكون الناصبة ولا حينئذ نافية وحذف النون للنصب ولحذف احداهما نصب او جر لانهما على حذف حرف الجر فتاداها بكذا **تدحل ربك** اي المحسن اليك **تحتك** في هذه الارض التي ما جاز فيها **سريا** اي جدولا من الماء تطيب به نفسك قال الرازي اتفق المفسرون الا الحسن وعبد الرحمن بن زيد ان السري هو النهر والجدول سمي بذلك لان الماء يسري فيه واما الحسن وابن زيد فانهما جعلا السري هو عيسى والسري هو الجليل يقال فلان من سراة قومه اي اشرافهم واحتج من قال هو النهر بان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن السري فقال هو الجدول وبقوله تعالى فكلي واشربي فدل على انه النهر حتى تضاف الماء الى الرطب فتاكل وتشرب واحتج من قال انه عيسى بان النهر لا يكون تحتها بل الى جنبها ولا يجوز ان يجاب بانه المراد انه جعل النهر تحت امرها يجري بامرها ويقف بامرها كقوله فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي لان هذا احمال اللفظ على محاله ولو حملناه على عيسى لم يحتج الى هذا المجاز ايضا فانه موافق لقوله وجعلنا ابن مريم وامه اية واجيب بان المكان المستوي اذا كان فيه عبد اعين فكل من كان اقرب منه كان فوق وكل من كان ابعد منه كان تحت **تنبيه** اذا قيل بان السري هو النهر ففيه وجهان الاول قال ابن عباس ان جبريل ضرب برجله الارض فقيل عيسى فظهر عين ماء عذب وجرى وقيل له ان هناك نهرا يسمى اجرى الله فيه الماء وحييت النخلة اليابسة واورقت واثمرت ورطبت قال ابو عبيدة والفراء السري هو النهر مطلقا وقال الاخفش هو النهر الصغير

وهزي

وهزي اليك اي ادني الي نفسك وهو جذب بتحريك **بجذع النخلة** اي الميتة تحتها مع يبسها وكون الوقت ليس وقت حملها **تساقط عليك** اي اعلاها **رطبا جنيا** طريا اية اخرى عظيمة روي انها كانت نخلة يابسة لا راس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهز جذعها فخضل بالماء فنابت لها راسا وخوصا ورطبا وثمرة بفتح التاء وضم السين مخففة وكسر القاف والباقون بفتح التاء وتشديد السين مفتوحة وفتح القاف لتنبيه الباء في بجذع على التاء والمعنى هزي اليك اي هزي بجذع النخلة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم قال الفراء تقول العرب هزه وهزبه وخذ الخطام وخذ بالخطام وزوجتك فلانة وبفلانة وقال الاخفش يجوز ان يكون بمعنى هزي اليك رطبا بجذع النخلة اي على جذعها ورطبا تمييز وجنيا صفته والرطب اسم جنس لرطبة كتمر لتمرة قال ابو عبيدة جمع تمرة والفرق انهم لزموا تذكيره فقالوا هو الرطب وتابع ذلك فقالوا ابى التمر فذكروا الرطب باعتبار الجنس وانثوا التمر باعتبار الكمية قال ابن عادل وهو فرق لطيف والرطب ما قطع قبل يبسه وجناه وجنى الرطب بالذكير قال الربيع بن خيثم ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقد كان الله قال لكل عادة كرامات لمريم وارطابها تمر لعيسى وفي ذلك تنبيه على ان من تدر ان يجني النخلة اليابسة في الشتاء قادر على ان يجعل لها من غير فصل وتطييب لنفسها فذلك قال **فكلي** اي من الرطب **واشربي** من السري او كلي من الرطب واشربي من عصيره **وقري عينا** ايمو طيبي نفسك وارفضي عنك كل احزانك وتدع الاكل على

السرب لان حاجة النفساء الى الرطب اشد من حاجتها الى سرب
الماء لكثرة ما سال منها من الدم قال قيل ان مضرة الجوع قد تشتد
من مضرة الجوع والعطش لانه يحصل في الروح والجوع الم البدن والم
الروح اقوى من الم البدن روي انها اجيئت بشاة فقدم الى امها طعام
وعندها رطب فبقيت الشاة مدة مديدة لا تتناول العلف مع
جوعها حتى فاء الذيب فاكل ولدها وقدم لها العلف فتناولت
العلف مع الم البدن فدل ذلك على ان الم الروح اشد من الم
البدن واذا كان كذلك فلم قدم جوع والعطش على رفع
ضرر الجوع فاجيب بان هذا الجوع كان قليلا لان سنة
جبريل عليه السلام كانت قد تقدمت فما كانت تحتاج الا الى
اللقمة بعد اللقمة وقيل قري عينا بولدك عيسى وقيل بالصوم
فان الصوم كان لا يتم وقوله فاما فيه ادغام نون ان الشرطية
في ما الزائدة ترين حذفت منه لام الفعل وعينه والعين
حركتها لما لي التاء وكسرت يا الضمير لالتقاء الساكنين من البشر
احدا تنكر عليك فقولي يا مريم لذلك المنكر جوابا له مع التاكيد
تنبيها على المعوة لان البر يكون ساكنا للاصنام يناجونه والمرتاب
يكفر بكلامه وحلفه اني نذرت للرحمن اي الذي عمت رحمته
صوما اي امساكا عن الكلام في شانه وعين مع الاناسي بطيل
فلن اكلم اليوم انسيا فان كلامي يقبل الرد والمجادلة ولكن
اتكلم عن الموجود الذي كلامه لا يقبل الدفع واما انا فانزه نفسي
عن مجادلة السفهاء قالوا ومن اذلة الناس سفيه لم يجد
مسافها فلا اكلم الا الملائكة او اخاطب بالتسبيح والتقديس
وسائر انواع الذكر وقيل صياما لانهم كانوا يتكلمون في

صيامهم

صيامهم فعلى هذا كان ذكر الصوم والاخلي الصمت وهذا النوع
من النذر كان جائزا في شرعهم وهل يجوز مثل هذا النذر في
شرعنا قال القفال لعله يجوز لانه لا يحصل بذلك عن كلام الادميين
وتجريد الفكر بذكر الله تعالى وعبوديته ولعله لا يجوز لما فيه من
التضييق وتعذيب النفس كذا والصيام في الشهر وروي انه
دخل ابو بكر على امراة قد نذرت ان لا تتكلم فقال لها ابو بكر ان
الاسلام لا يدع هذا فتكلمي فتكلمت واخبرت انها امرأة من احمس
قال فما لك لا تتكلمين فقالت حجت فقال لها ابو بكر ان
هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية فتكلمت فقالت من انت
قال امرؤ من المهاجرين فقالت اي المهاجرين قال من قريش
قالت من اي قريش انك لسؤول مازال هؤلاء يسالوني حتى
تكلمت ومعنى الكلام ليكن لك ومن نواكما من اهل بيت صالحين
قال الزجاج ليس في القرآن ما يدل على اليقين ثم كانه قيل
فلما اتت به قومها ما قالوا فقيل قالوا يا مريم ما كان هذا
الولد لان حالها في اتيانها كان بديعا ثم تعجب لقد جئت شيئا فريا

لغايه

اي عظيما منكرا لكونك منهم على وجه الذم من اخرى بجلد تيال
اخرجت اللام بقطعه على جهة الاضافة لا من زيد صيتال زيته
قطعه على جهة الاختصاص ويدل على ان مرادهم الاول قولهم بعد
يا اخت هارون ما كان ابوك امرء سوء وما كانت امك بغيا اي
زانية فمن اين لك هذا الولد لان هذا القول ظاهر التوبيخ دون
هارون لان الامة الواحد هارون رجل صالح من بني اسرائيل
ينسب اليه كل عجيب من الصلاح والمراد انك كنت في الزهد
كهارون فكيف صرت كذلك لهارون فان هارون لهذا المقام
يتبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هارون من بني اسرائيل تيمنا
باسمه سوى سائر الناس ممن يشبهونه فانه على معنى انا نظنها
انك مثله في الصلاح وليس المراد منه الاخوة في النسب كقوله
تعالى ان لي تسعة وتسعين نعجة اي كانوا اخوان الشياطين وقيل كان
سبعة فقالوا لما قتلت موسى سألوني فقالوا انكم تقرون يا اخت
هارون ما كان موسى مثل عيسى بكذا وكذا فمضت على رسوله
ربه صلى الله عليه وسلم سألته عنه فقالت انهم كانوا يسمون
باسمائهم والصالحين قبلهم قال ابن كثير فاخطأ محمد بن كعب
القرظي في زعمها انها اخت موسى وهارون نسبا فانه بينهما
من القرون الطويلة ما لا يخفى على من عنده ادنى علم وكان
عمران بن ماثان والد مريم اخت هارون وموسى صار بين
يدي يوم يكلم الله تعالى موسى وقومه تجاه عوف قوم عوف بن
وقومه وجنوده فاعتقد ان هذه هي تلك وهذا في غاية
البطلان والمخالفة للحديث الصحيح المتقدم الثاني انه
هارون اخو موسى لامه فانت من نسله كما يقال لتميمي

يا اخا

العنصر وزوال التكليف الصفة الخامسة قوله واوصاني بالصلاة
له طهرة للنفس والزكوة طهرة للمال فصلاني نفسي وزكاني الغير ي
مادمت حيا ليكون ذلك حجة علي من ادعى انه الهه لانه لا يحتاج
في اداء من يصلي الي الله ليس بالله فان قيل كيف يوصي بالصلاة
والزكاة مع انه كان طفلا والقلم مرفوع عن الصغير لقوله
صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث الحديث اجيب
الاول ان ذلك لا يمنع علي الله تعالى اوصاه بادائهما في الحال
بل بعد البلوغ فيكون المعنى اوصاني بادائهما في وقت وجوبهما
عليه وهو وقت البلوغ الثاني ان عيسى لما انفصل صدره
الله بالقاء علوما تامة لخلقته دليلا علي قوله تعالى اذ قال عيسى
عند الله كمثل آدم فكما ان الله تعالى خلق آدم تاما كاملا في وقته
فكذا القول في عيسى عليه السلام قال الرازي وهذا اقرب
الي ظاهر اللفظ لقوله ما دمت حيا فانه يفيد ان هذا التكليف
متوجه عليه في جميع ازمان حياته فان قيل لو كان الامر كذلك
لكان القوم حين رأوه رضيعا كاملا في الاعضاء تام الخلقة
وصدر منه الكلام عن مثل هذا الشخص لا يكون عجيبا فكان
ينبغي ان لا يتعجبوا اجيب بان تعالي جعله مع صغر جثته
في التركيب كامل العقل بحيث كان يمكنه اداء الصلوة
والزكوة والا يعتد الله عليه بتكليفه لم يتغير حين كان ينزل
الارض وحين رفع الي السماء وحين ينزل الي الارض في الصفة السابعة
قوله وبرا اي وجعلني بارا وانما كانت السابعة للجراة والدناءة قال
والدة بي التي لكونها امه تعالى يا حصانة العرض واكمل يحيى
عليه ذكر في ذكره استعانة الله تعالى تنزيها له عن الزنا اذ لو كانت

زانية لما كان الرسول المعصوم مامورا بتعظيمها الصفة السابعة قوله
ولم يجعلني جبارا متعاظما عصيا اي عاصيا بان افعل فعل الجبارين
بغير استحقاق انما افعل ذلك عن يستحق وورد عن عيسى عليه
السلام انه قال قلبي لين وانا في صغيري في نفسي وعند بعض
العلماء الواجد لمائق الاجبار شقيا والواجد نفسي المملكة الملا
مختالا فخورا وتلا وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان
مختالا فخورا في الصفة الثامنة قوله والسلام مني الله علي
فلا يقدر احد علي ضربي يوم ولدت فلا يضرني شيطان ويوم
اموت فلا يضرني ايضا ومن يوم ولد ويموت فليس بامكانه ويوم ابعث
حيا يوم القيمة كما تقدم في يحيى عليه السلام والي ذلك اشارة
الي انه في التبشير به مثله سوا لم يخاطب احدا قط الا لامن كونه من غير
ذكر واذا كان حال عيسى عليه السلام كذلك فحاله اكمل ولم يبق
لاعدائه الا الطعن في نظم هذه الآية علي عيسى عليه السلام والسلام
علي من اتبع الهدي يعني ان من تبعني ان لعذاب علي من كذبني ذلك
اي الذي تقدم نعته بقوله لاني عبد الله الآية عيسى بن مريم
لما سمعه النصاري يقولهم انه الله او ابنه او اله ثالث فهم
تكذيب لهم فيما يصفونه علي الوجه الابلغ والطريق البرهاني
حيث جعل الموصوف باضداد ما يصفونه وفي ذلك تضليل علي
انه ابن بغير المراة وقوله تعالى قول الحق قراة عاصم وابن عامر
بنصب اللام علي انه مصدر مؤكد والباقون بالرفع علي انه خبر
مبتدا محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة
للبيان والعامل الكلام السابق او لتمام القصة ثم عجب تعالى
من ضلال من ضل فيه بقوله تعالى الذي فيه يمترون اي يشكون

شكايته كلمونه ويجادلونه فيقول اليهود ساحر وتقول النصارى ابن الله
مع انه امه امرأة في غاية في عدالوضوح لمسيس حوجها للسكاح اصلا
ثم أدار على كونه حقا في كل منا بالاحد حرم لا غير فقال يقول له رجما
على من فعل ما كان اي هذا صح ولا ينافي ذلك ان يقول في المعقول
ولا يصح ولا يأتي لانه من المحال لكن ذلك يلزم منه محاجة الله المغني
عن كل شيء والمفتقر اليه كل شيء ولده ولكونه ممن لا ولد له لان المقام يقتضي
النفي العام ولما كان اتخاذ الولد من النقائص لاستحالة الحية لذلك بالتنزيه
العام بقوله تعالى سبحانه اي تنزه عن كل نقص اي من احتياج الى
ولد او غيره ثم علل ذلك بقوله تعالى اذا قضى امرا اي اراد ايجاده كان اي
اراد ايجاده فانما يقول له كن اي يريده ويتعلق قدرته به
وقوله تعالى فيكون قرأه ابن عامر بنصب النون على تقدير ان
وعلى الجواب والباقون بالرفع بتقدير هو وقوله وان الله ربي
وربكم اخبار عن عيسى عليه السلام انه قال ذلك وقرأ ابن
عامر وابن كثير وحفص بكسر الهمزة على الاستئناف والباقون بفتحها
بتقدير حرف الجر متعلق بما بعده ولاد الله ربي وربكم فاعبدوه
وحاصله تعزيه بالاحسان كما اعبدالله كقوله تعالى وان المساجد لله
فلا تدعوا مع الله احدا والمعنى لوحدانيته الطيبوم وقيل
انه عطف على الصلاة والتقدير واوصاني بالصلاة وبالبر
الله والتنبيه ذهب الفراء هذا اي الذي امرتكم به صراط اي
طريق مستقيم اي يفوز سالكه الجنة وقيل قابل بالسين واختلف
بالسكام الصاد والباقون بالصاد واختلفوا في قوله تعالى
فاختلف الاحزاب من بينهم فقيل هم النصارى اختلافهم
في عيسى هو ابن الله او اله معه او ثالث ثلاثة وسموا احزابا

لانهم

لانهم تحزبوا ثلاث فرق في امر عيسى النسطورية والملكانية واليعقو
وقيل لهم اليهود والنصارى فجعله بعضهم ولدا وبعضهم
كذابا وقيل لهم الكفار الشامل لليهود والنصارى وغيرهم
من الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن
عازب وهذا هو الظاهر لانه لا تخصيص فيه ويؤيده قوله تعالى
فويل للذين كفروا اي شدة عذاب لهم من مشهد يوم
عظيم اي حضور يوم القيمة واهواله وقوله تعالى اسمع بهم وابصر
اي بهم صيغتا تعجب بمعنى ما اسمعهم وما ابصرهم
يوم يأتوننا في الاخرة فان حالهم في شدة السمع والبصر جديرة بان يتعجب
منها فيقال موت حيث لا ينفعهم الندم ويمتنع في المحال من الرجوع
الى الدنيا ليدركوا فلا يجابون الى ذلك بل يسلك بهم في كل
ما يؤديهم ويهلكهم ويريدهم وقوله تعالى لكن الظالمون من
اقامة الظاهر مقام المضمر استكارا بما بهم ظلموا انفسهم حيث اعطلوا
الاستماع والنظر والاصغاء ولكنهم اليوم اي في الدنيا في ضلال
مبين اي بين ذلك الضلال صم عن سماع الحق وعمي عن
ابصاره اي اعجب منهم يا محاطب في سمعهم وابصارهم في الاخرة
بعد ان كانوا في الدنيا صما وعميا وقيل معناه التهديد بما سيسمعونه
ويبصرونه مما يسوءهم ويفجع قلوبهم ثم ان الله تعالى امر
نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينذر قومه بقوله وانذرهم
يوم الحسرة يوم القيمة يتحسر فيه المسيئ على ترك الاحسان
والمحسن على عدم الازدياد من الاحسان لقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من احد يموت الا تندم قالوا وما ندامته
يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان

مسيئا لانه ان لا يكون نزع وفي قوله تعالى **اذ قضي الامر** وجوه
احدها اذ قضي الامر بيان الدلائل وشرح امر الثواب
والعقاب ثانيها اذ قضي اليوم بحسرة بعث الدنيا زوال
التكليف ثالثها قضي الامر نزع من الحساب وادخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار ورذبح الموت كما روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم سئل عن قوله اذ قضي الامر فقال حين يجاء
بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان ينظرون
فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم وقوله
تعالى **وهم في غفلة وهم لا يؤمنون** يحتمل ان حالتان وقعتا
في زمان احدهما انهما حالان من الضمير المستتر في قوله في ضلال
مبين اي استقر وا في ضلال مبين على هاتين الحالتين
السيئتين والثاني انهما حالان من مفعول انذرهم اي انذرهم
على هذه الحالة وما بعدها وعلى الاول يكون قوله وانذرهم
اعتراضا والمعنى وهم في غفلة عما ينزل بهم في الاخرة وهم
لا يعتدون بذلك اليوم ولما كان الانذار هو حوز الشيء بعد
العلم وكان سبحانه وتعالى قد قضى بموت الخلائق اجمعين
وانه تعالى يبقى وحده عبر عن ذلك بالارث مترا به محفوف
الكلام السابق فقال موكدا تأكيدا بالقول انا الدهر لا يزال
هكذا حياة للناس وموت لاخرين **انا نحن** بعظمتنا التي
اقتضت ذلك **نرث الارض** فلا ندع بما سيا من عاقل ولا غيره
ولما كان العاقل اقوى من غيره صرح به بعد دخوله فقال
ومن عليها اي من العقلاء بان نسلبهم جميع ما في ايديهم
والينا لا الى غيرنا **يرجعون** فنجازيهم باعمالهم الفقة الثالثة

فقة ابراهيم عليه السلام المذكورة في قوله تعالى **واذكر في الكتاب
ابراهيم** اي خبره وقراءة شام ابراهام بالالف بعد الهاء والباقون
بالياء وانما امر الله تعالى نبيه بالذكر لذلك لانه صلى الله عليه وسلم
ما كان هو ولا قومه ولا اهل بلده مشتغلين بالتعليم ومطالعة الكتب
فاذا اخبر عن هذه القصة كما كانت من غير زيادة ولا نقصان كان
ذلك اخبارا عن الغيب ومعجزا باهرا دالا على نبوته وانما ذكر
الاعتبار بقصة ابراهيم عليه السلام لوجوه الاول ان منكري التوحيد
الذين اثبتوا توحيدا ومعبودا سوى الله تعالى فريقان منهم من
اثبت معبودا غير الله تعالى حيا عاقلا وهم النصارى ومنهم من
اثبت معبودا غير الله تعالى جمادا ليس بحي ولا عاقل وهم عبدة
الاوثان والفريقان وان اشتركا في الضلالة الا ان ضلالة
عبدة الاوثان اعظم فلما بين الله تعالى ضلال الفريق الاول
تكلم في ضلال الفريق الثاني وهم عبدة الاوثان الثاني ان
ابراهيم عليه السلام كان اباة العرب وكانوا مقرين بعلو شانه
وطهارة دينه على ما قال تعالى ابيكم ابراهيم وقال تعالى ومن
يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه فكانه تعالى قال
للعرب ان كنتم مقلدين لابيكم على قوله انا وجدنا اباءنا على
امة فانظروا في شرف اباءكم واعلاهم قدرا ابراهيم فهو عليه السلام
فعلله في تركه عبادة الاصنام والاوثان وان كنتم مستدلين
فانظروا في هذه الدلائل التي ذكرها ابراهيم عليه السلام
لتتركوا فساد عبدة الاوثان وباكملة فاتبعوا ابراهيم اما
تقليدا واما استدلالا الثالث ان كثيرا من الكفار في زمان
النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون نترك ديننا بأيتنا

واجدادنا وذكر الله تعالى قصة ابراهيم عليه السلام وهو انه ترك ابيه
وابطل قوله بالدليل ورجح متابعة الدليل على متابعة ابيه ثم قال
تعالى في صفة ابراهيم انه كان صديقا اي بليغ الصدق
في نفسه في اقواله وافعاله اي كان من اول وجوده الى انتهائه
موصوفا بالصدق والصيانة وسيأتي الكلام على قوله فعله كبيرهم
هذا واني سقيم في محله ولما كان مرتبته البيع ارفع من مرتبة
الصديقية قال تعالى نبيا اي استنباه الله تعالى اي رفعه اعلى من رفعة
من جعله الله واسطة بينه وبين عباده قوله تعالى اذ قال ظرف
ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا
لخصائص الصديقين والانبياء حين قال لابيه آزر هاديا له من تيه
الضلال بعبادة الاصنام مستعطفا له في كل جملة بقوله يا ابت
والتاء عوض عن ياء الاضافة ولا يجمع بينهما وقرا ابن عامر بفتح
التاء في الوصل والباقون بالتاء ثم ان الله تعالى حكى عنه انه
تكلم مع ابيه باربعة انواع من الكلام النوع الاول قوله لم تعبد
مريدا بالاستفهام المجاهلة واللطف والرفق واللين والادب
الجميل في نصحه له كما سنذكر الامر غاية الكشف بقوله ما لا يسمع
ولا يبصر اي ليس عنده قابلية لشيء من هذين الوصفين ليرى ما انت
فيه من خدمته او يجيبك اذا ناديته حالا او مآلا ولا يغني عنك
شيئا من جلب نفع ودفع ضر فوصف الاوثان بصفات ثلاث
كل واحدة منها قادحة في الالهية وتبيان ذلك من وجوه احدها
ان العبادة غاية التعظيم فلا يستحقها الا من له غاية الانعام وهو
الاله الذي منه اصول النعم وفروعها على ما تقرر في تفسير
قوله وان الله ربي وربكم وكما انه لا يجوز الاشتغال بشكر من لم يكن

منعمة

منعمة وجب ان لا يجوز الاشتغال بعبادة من لا يسمع ولا يبصر اذا لم تسمع ولا تبصر
ولا تميز من يطيعها ممن يعصيها فاي فائدة في عبادتها وهذا تنبيه
على ان الآلهة يجب ان يكون عالما بكل المعلومات وثانيها ان المدعو الحي
العبادة فاذا لم يسمع الوثن دعاء الداعي فاي منفعة في عبادته وان
لم يبصر تقربك من يتقرب اليه فاي منفعة في ذلك المتقرب وبالجملة
ان السامع المبصر الحاضر النافع افضل ممن كان عاريا عن كل ذلك
والانسان موصوف بهذه الصفات ليكون افضل واكمل من الوثن
فكيف يليق بالافضل عبودية الاخس وخاصة اذا كانت لا تنفع ولا
تضر فلا يرجى بها منفعة ولا يخاف من ضررها فاي غائية في عبادتها
وسادسها انها اذا كانت لا تحفظ نفسها عن الكسر والافساد حين جعلها
ابراهيم عليه السلام جذاذا فاي رجاء فيها للغير فلذلك عليه السلام
قال ليست الالوهية الا لرب يسمع ويبصر ويجيب دعوة الراعي اذا
دعاه النوع الثاني في قوله يا ابت اني قد جاءني من العلم
ما لم يأتك فاتبعني اي فتنسب من ذلك الي اقول لك
وجوبا على النهي عن المنكر ونصحه لما لك عمل من الحق اجتمد في تبعي
يهدك صراطا اي طريقا سويا اي مستقيما كما اني لو كنت معك
في طريق محسوس وخفت عليك اذا مضيت مهلك لا يخفى منه احد
وامرتك ان تسلك مكانا غير ذلك اطعتني ولو عصيتني فيه
عد كل احد هاديا النوع الثالث قوله يا ابت لا تعبد الشيطان
فان الاصنام ليس لها دعوة الصلاة والله تعالى قد حرم عبادة غيره
مطلقا على لسان كل نبي لم فتعين ان يكون الامر بذلك الشيطان
فكان هو المعبود بعبادتها في الحقيقة ثم علل هذا النهي بقوله
ان الشيطان البعيد من كل خير المحترق باللعنة كان للرحمن عصيا

بالقوة من حين خلق وبالفعل من حين امره بالسجود لابيك آدم عليه
السلام فاني فمن عدك بعد وله والمطيع للعاصي لشي عاص لذلك
الشي لان عدو الشي الضد وعدو ضده وان قيل هذا القول يتوقف على
اثبات احد امرين اما اثبات الصانع واما اثبات الشيطان قلنا
وقد اثبتنا ان الشيطان عاص وبينا ان كل عاص فانه يتخذ طاعة
وخاصة ان الاعتقاد الذي كان عليه آزر مستفاد من طاعة
الشيطان ومن شاهد الدلالة التي تورد على الشخص ان تكون
مركبة من مقدمات معلومة ليسلم الخصم ولعل ابراهيم كان منازعا
في هذه المقدمات وكيف والحكي عنه انه حاكمت بيشته الجاسري
فرود فكيف يسلم وجود الرحمن ولذا لم يسلم وجوده فكيف
يسلم ان الشيطان عاص للرحمن وبتقدير تقدير تسليم ذلك
يسلم الحكم بمجرد هذا الكلام ان مذهب تقتضي من الشيطان
بل لعله يغلب ذلك على ظنه واجيب بان الحجة المحمول عليها
في الاية لعله ذهب آزر هو قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغني عنك شيئا وهذا الكلام جزئي يجوز التخويف
والتحذير الذي يحمل على النظر في تلك الدلالة فيسقط السؤال
النوع الرابع قوله يا ابت اني اخاف اي محبتي لك وعزتي عليك
ان يمسك عذاب اي كائن من الرحمن الذي هو مولى كل من
تولى لعصيانك اياه فتكون اي فتتسبب عن ذلك ان تكون
للشيطان وليا اي ناصرا وقرينا في النار ولما دعا ابراهيم
عليه السلام ابا في الترجيد وذكر الدلائل على فساد عبادة
الاوثان زاد في تلك الدلائل بالوعظ البليغ فلما رد ذلك
بغلظ وبالرفق والملاطفة قابله ايضا بجواب يضاد ذلك فقابل

مجته بالتقليد فانه لم يذكر في مقابلة حجته الا ان قال اراغب انت عن
الهتي باضافتها الي نفسه فقط اشارة الى ما اعتقده في تعظيمها
والرغبة عن الشيء تذكر عما قاصر على ادعاء الالهية جملا وتفصيلا
وقابل قوله بالرفق يا ابت بالعنف حيث لم يقل يا ابي بل قال يا ابراهيم
وقابل وعظه بالسفاهة حيث هدده بالضرب والشتم بقوله
منبها لئن لم تنته عما انت عليه لارجمنك اي لاقتلنك او لاشتمنك
بالحجارة حتى تموت او لابعدن عني اعبا الكلام القبيح فاحذرني واهجرني
اي ابعد عني بالمفارقة من الدار او البلد وفي كلمة النبي صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين اي اباعدك عني مليا اي دهرا
طويلا لكي لا اراك وقيل اهجرني بالقول ولا تخاطبني دهرا طويلا
لاجل ما عدد عليك من هذا الكلام وفي ذلك تسلية للنبي صلى
الله عليه وسلم وتاسية فيما كان يلقى من الذي وعاسى من
قومه من العناد ومن عمه ابي لهب من الشدائد باعظم اباية
وافتهم به بشيء فلما سمع ابراهيم عليه السلام كلام ابيه اجاب
بامرين احدهما قال لم مقابلا لما كان منه من طيش الجهل بما يحق
لمثله من رزانة العلم سلام عليك توديع وتاركة اي سلمت
لاصيبك بمكروه منا او مرنيك بعيني فانه لم يومر بقتاله على
كفره كقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا يجوز على متاركة
المغفوح اذا ظهر منه الجماح وعلى ان يحسن مقابلة الاساءة
بالاحسان ويجوز ان يكون دعا له بالسلامة اسأله الا تزل
اذ دعاه بالاستغفار فيكون سلام بر ولطف وهو جواب الحلم
للسفيه كقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما

وهذا يجوز على متاركة المشرك اذا ظهر منه اللجاج وعليه انه يجب عليه معاملة
الآباء بالاحسان ويجوز ان يكون دعا له بالسلامة استمالة الابيه
انه وعده بالاستغفار فيكون سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه
كقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ثم استانف قوله
سأستغفر لك ربي اي لعل الحسن الذي باذا طلبه لك منه غفران
ذنوبك بادنى فكرة لا سلام انه كان بي حفيا اي بليغا في
اكرامي مرة بعد مرة ذكره في الذكرة وتذكر في بوعده بقوله المذكور
في الشعراء اغفر لابي وهذا قول قبل ان يتبين له انه عدو لله
كما ذكره في براءة وزايفها انه قال انه اقتداء الاحزابيه واعتزلكم
اي جميعا بتركه بلادكم واستأنف اي ان من شرط المعبود ان يكون
اهلا للمناجات في الشدايد بقوله وما تدعون اي تعبدون من
دون الله الذي له الكمال كله فمن اقبل عليه وجده اصاب ومن اقبل
على غيره ولو طرفة عين فقد خاب وخسر وادعو اي اعبد
ربي وحده لاستحقاقه ذلك مني ولم يقيد الاعتزال بزمن بل
اشار الى انهم ساداموا على هذا الدين فهو معتزل لهم ثم دعا
لنفسه بما ينبههم به على حسن مسلكهم فقال غير جازم باجابة
دعوته وبقول عبادته اجلالا لابويه وهضما لنفسه عسى ان لا
اكون بدعاء ربي المنفرد بالاحسان الي شقيا اي كما شقيتم
بعبادة الاصنام فانها لا تجيب داعيا ولا تنفع راجيا ولا تضر كما
رأيتم من ابيه وعما سؤتد عاء اي عزم على عزلتهم بسنته
النوى بختارا للطيبة في البلاد على عزلة الاضداد فكان
كما قال الامام ابو سليمان الخطابي دخل طيبة الانسان وشقة
النوى ولكنها والله في عدم التشكال والي غريب بين نسب

واهله

بارك الله فيه في اولاده وقفاه ووهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا
ثانيها انه تبرأ من ابيه كما قال عز وجل فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه
لا جرم سماه الله ابا المسلمين فقال ملة ابيكم ابراهيم ثالثها ان ولده
للمجيبين لدعوته في الله على ما قال تعالى وتلك حجتنا الى قوله انه عليم حكيم لا جرم جزاه
الله تعالى على ما قاله وكذلك نجزي المحسنين رابعها انه سلم نفسه فقال
اسلمت لرب العالمين فجعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما عليه
فقال لها كوني بردا وسلاما على ابراهيم خامسها انه شفق على
هذه الامة فقال لبيك اللهم لبيك وسعديك فجعلهم مسلمين لا جرم كما بدأ الله
تعالى في الصلوات في قوله كما صليت على ابراهيم ثنى على آل ابراهيم
وقد سماه حنيفا بدأ به في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى لا جرم
جعل موطئ قدميه وذبحه مبارك ما اخذ في مقام ابراهيم مصلى سادسها
عاد بي كل مخلوق في الله فقال اللهم عدو لي الا رب العالمين فاتخذه
الله خليلا كما قال واتخذ الله ابراهيم خليلا ليعلم صحة قولنا ما خير
على الله احد البتة المراجحة فقط موسى عليه السلام الكلام لا كونه
في قوله تعالى واذكر في الكتاب اي الذي لا كتاب قبله في الكمال
موسى اسم الذي انقذ الله به بني اسرائيل من العبودية كما ان
الله تعالى وصفه بامور اخرها قوله تعالى انه كان مخلصا قرأه
عاصم وحمزة والكسائي بفتح اللام اي مختارا اختاره الله تعالى
وخصه بكرامته وقيل اخلصه الله من الدنس والمعاقرة بالكسر
اي اخلص التوحيد لله في العبادة وهي ورد القراءتين
فكل منهما ثابت مقروء به فجعل الله تعالى من صفة موسى عليه السلام
كلا الامرين ثانيها قوله تعالى وكان رسولا الى بني اسرائيل اليهم
فيه تنبيه على امور احدها ان من رسل الى قوم رسل اليهم فيدعوهم

بذلك قوله ذلك لكذا صرح بها بعد وهو لهما في الرسالة ضمنا اذ كل رسول نبي
وليس كل نبي رسولا خلافا للحنفية فانهم زعموا ان كونهما متلازمين وكل
رسول نبي وكل نبي رسول وسيأتي الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى
في سورة الحج عند قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ثانيها
قوله تعالى وناديناه اي بما لنا من العظمة من جانب الطور هو اسم جبل
الايمن اي الذي يلي يمين موسى حين اقبل من مدين فانتهى به
هناك حين كان متوجها الى مصر بامر ربه رسولا منه اوحدناه اليه
بعد اعزاز آل فرعون فكان لبني اسرائيل فيه من العجايب في رحيهم
بانزال الكتاب عليه والالقاء اليه الخطاب من جوف السحاب وفي اماتتهم
لما طلبوا الرؤية ثم احيائهم وغير ذلك مما يجل الوصف رابعها قوله
تعالى وقربناه اي بما لنا من العظمة تقريب تشريف حالة كونه نجيا
اي مناجيا بلا واسطة من النجوى وهي السر والكلام بين اثنين
كالسر وقيل قربناه مكانا اي مكانا عاليا عند ابي العالية انه قرب
حتى سمع صرير القلم حيث يكتب التوراة في الالواح وقيل انجيناه
من اعدائه خامسها قوله تعالى ووهبنا له اي هبة تليق بعظمتنا
من رحمتنا اي من اجل رحمتنا اخاه اي معاضدة اخيه وموازرته
لا شخصه واخوته وذلك اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي
فانه كان اسن من موسى بثلاث سنين اخاه منصوب او بدل على تقدير
ان تكون من للتبعيض وقوله هارون عطف بيان وقوله نبيا حال
منه اي المنعوت بالمدة المعظمة اخا مستحقة تسمية اسماعيل عليه
السلام المذكور في قوله تعالى واذكر في الكتاب اسماعيل بن ابراهيم
عليهما السلام الذي هم حقير قدره بنبوته ويفتخر دون برسالته
وابوته فلزم من ذلك فساد تعليلهم انكار نبوتك بانك من البشر

ثم انه سبحانه وتعالى وصف اسماعيل بامور اولها قوله تعالى انه كان اي جبلة وطبعا صادق الوعد في حق الله وعباده لموعنة الله له على ذلك بسببه انه لا يعد وعدا الا عزم وفاء به الا استثنى كما قال لابيه حين اخبره بامر ليرجم سيجدني ان شاء الله من الصابرين وخصه بالمدح به وان كان الانبياء كلهم كذلك لفضله الذبح خلافا لما يلوم منه تفضيله مطلقا وروي عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة وروي ان عيسى عليه السلام قال لرجل انتظرني حتى آتيك فقال له عليه السلام نعم واطلق الرجل ونسي فجاء بعد حين الى ذلك المكان وعيسى عليه السلام هناك فيما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه وعد رجلا ونسي وكان الرجل قائما من الضحى الى غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يعد الرجل انه ياتي الي وقت ينتظره قال فان وعده غيابا فكل النهار وان وعده ليلا فكل الليل وسئل ابراهيم بن زيد عن ذلك فقال اذا وعده في وقت الصلاة فانتظره الي وقت صلاة اخري ثانيها قوله تعالى وكان يامر اهله وكان رسولا نبيا تقدم تفسيره وثالثها قوله تعالى وكان يامر اهله بالصلاة اي هي طهرة البدن وقرة العين وخير العون على جميع المآرب والزكاة اي التي هي طهرة المال كما وهي الله تعالى بذلك جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمراد بالاهل قومه وقيل اهل جميع امته كان رسولا اليهم جميعهم قاله الاصفهاني والي اهل تلك البراري بدين ابيه ابراهيم والمراد بالصلاة قال ابن عباس يريد التي افترضها الله عليهم قال البغوي وهي الحنيفية التي افترضت علينا قيل كان يبدا باهله في الامر بالعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم كما قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وابن

اهلك

اهلك بالصلاة قوا انفسكم واهليكم نارا وبالزكاة قال ابن عباس عرفها طاعة الله تعالى الاخلاص فكانه قال وله على ما يذكر به الفاعل عند ربه والظاهر كما قال ابن عادل ان الزكاة اذا اقترنت بالصلاة ان يراد بها الصدقات الواجبة رابعها قوله تعالى وكان عند ربه مرضيا دليل على جميع ما امر به مرضيا وهذه اعلى غاية المدح لان المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعة بأعلا الدرجات فانت انت به فانه من اجل اباءك ليتم بين ظهراني القوم والبوت والمال فتنال رتبة المرضي بالقصة السادسة قصة ادريس عليه السلام المذكورة في قوله واذكر في هذا الكتاب ادريس اي اجمع لكل ما يحتاج اليه حتى ما يحتاج اليه من تقدم من المتقدمين والمتاخرين ادريس وهو جد ابي نوح عليه السلام قيل سمي ادريس لكثرة دراسته الكتب واسمه اخنوخ بمهملة ونون فمعجمة واخره خا معجمة وصفه الله تعالى بامور احدها ثانيها قوله تعالى انه كان صديقا نبيا اي بصلة فاعل اتى به واقواله وافعاله قال الملتاه اهم من اتباعه وعلى الصدقة الملائكة ثالثها قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وفيه قولان احدهما انه على ظاهره من رفع المنزلة كقوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم ورفعنا لك ذكرك ثانيهما انه تعالى شرفه بالنبوة وانزل عليه ثلاثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب وهو اول من خاط الثياب ولبسها وكانوا من قبله يلبسون الجلود واول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار ثانيها انه من رفعة المكان ثم اختلفوا فقال بعضهم رفعه الله تعالى الى السماء الرابعة وهي التي رآه النبي صلى الله عليه وسلم بها ليلة الاسراء وقيل الى الجنة وهو حي لا يموت وقال الواقعة حين

الانبياء في الاحياء الثاني في بحر الارض والماء من وانشأ في السما
عبدي ادريس وقال وهب كان يرفع لادريس كل يوم من
العبادة ما يرفع لجميع اهل الارض في زمانه فضجت منه الملائكة
وانشأ الله ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فاذن له فاتاه
في صورة بني آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقته وظاهره
دعاه الى طعامه فابى ان ياكل معه فعل ذلك ثلاث ليال فانكر
ادريس وقال له الليلة الثالثة ما اريد ان اعلم من انت قال
انا ملك الموت استاذنت ربي ان اصحبك فقال لي اليك حاجة
قال وما هي قال تقبض روحي فاوحى الله تعالى اليه ان اقبض
روحه وتعيد روحه وبينهما اليه بعد ساعة قال له ملك الموت
يا ادريس في سوالك قبض الروح قال لا ذاق كرب الموت
وغمته فاكون في استعداد الى يوم قال لادريس انه لي اليك
حاجة اخرى قال وما هي قال تدفعني الى السما انظر اليها الى الجنة
والنار فاذن الله تعالى له في ذلك فحمله فلما قرب من النار قال
لي اليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكا ان يفتح ابوابها
فاردها فعل ثم قال كما ادخلتني النار فادخلني الجنة فذهب به
الى الجنة فاستفتح ابوابها فادخله الجنة ثم قال ملك الموت
اخرج لشهود لي حكاية فتعلق بشجرة وقال ما اخرج منها
فاوحى الله تعالى لمالك خازن الجنة ان ملك الموت لا يخرج قال
الله تعالى قال لك نفسي ذائقة الموت وقد ذقته وقال ان
احكم الذي اردها وقد وردها وقال وما هم منها بمخرجين فلست
اخرج فاوحى الله تعالى الى ملك الموت باذني دخل الجنة وباذني
لا تخرج فمن اجل ذلك قال ادريس بل رفع الى السما وقبض

روح

روح وقال كعب الاحبار ان ادريس عاش ثلاث يوم في حاجة فاصابه
وهج الشمس فقال يا رب اني مشيت يوما فكيف يمشي من حملها
سبعين حملا كل حمل مسيرة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقل هذا
وحرها كلما اصبح الملك وجد من حفة الشمس وحرها ما لا يعرف
فقال يا رب خلقتني لحمل الشمس فما الذي قضيت عني فقال الهي
ان عبدي ادريس سالني اذا خفف عنك حملها وحرها فاجبني
قال يا رب اجعل بيني وبينه خلة فاذن له حتى اتى ادريس فاذن
له فسلم بسلامه فكان مما سالها قال اني اخبرت انك اكرم
الملائكة عليه فاسالك ان تسال ربك ان يؤخر اجلي لاذوق
الموت فاكثر من العبادة فلما حضر اجله رفعه الى السما ووضعه عند مطلع الشمس
ثم اتى ملك الموت فقال له حاجة الي قال نعم صديق من بني آدم تسخر
لي اقبض اجله قال ليس ذلك الي ولكن اذا جيت اجله
اجله فيقدم لنفسه قال افلم انظر في ديوانه فقال له وذلك كلما تنفس
في انسان ما اراه يموت ابدا قال وكيف ذلك قال لا اجده يموت
الا عند مطلع الشمس قال اني اتيتك وتركته تعالى قال فانطلق
فلا اراك بجده الا وقد مات فوافيه مات فواراه حتى اذا ادريس شخص
رفع الملك فوجده ميتا فلما انقضى كثير هذه الاخبار العجيبة
الحقة اركب ليلة الاسرا وسرع سبحانه وتعالى في سبب اطلاعها
بما يشرف نسبهم ويذكر من شرفهم فقال عز من قائل اولئك
الذين الى آخر الآية الشريفة فالتنبيه المذكور ورد في معرفة الرسول
اولا بذكر ما الى اخره وهو مبتدا وقوله الذين انعم الله عليهم
بما جعلهم به بيانا من يد القرب المقيد بعظيم المنزلة عليهم صفة له وقوله
تعالى من النبيين الى المصطفين بالنبوة الذين بناهم الله تعالى

بد قايق الحكم ردفهم بحالهم بين الامم بيانا لهم وهو في معنى الصفة
او جاء على ابي جملة الشرط صفة للنبيين فتقول منة وبنو ادم اي ادريس
لقوله منة الذين عند ابي نوح **وممن حملنا مع نوح** في السفينة اي
ابراهيم ابن عابر بن سام **وممن ذرية ابراهيم** اي اسحاق كما اسمعيل
ويعقوب **وممن ذرية اسرائيل** وهو يعقوب ايضا فيوسف وهارون من
هذه كما ذكريا ويحيى وعيسى لانهم من ذرية من **هدينا**
الى الحق وفقنا للطريق **واجتبينا** للنبوة والكرامة اي من جملتهم وخبر ان **اذا**
تتلى عليهم من يتأل كانت **ايات الرحمن خروا سجدا** للمنعم
عليهم لكرامة الله لهم من البصائر المنيرة في ذكر نعمة عليهم وفي ذلك
الهم **وبكيا** خوفا من سخطه وعسى قد الله ان يكونوا اجتلبهم تنبيه بسجدا حال
فيه تقدم قال الزجاج الاعمى وعمت الخرور ليس اسجدا وهو جمع ساجد
وبكيا جمع باكر وليس بقياس بل هو قياس جمعه على قعود وقعدا
وقعاة وجمعه لم يسمع فيه هذا الا صلى واصل بكيا بكوي
قلبت الواو ياء لكسرة **فخلف** كثيرة واختلف في هذا السجود فقال
بعضهم انه الصلاة وقال بعضهم سجود التلاوة على حسب ما تقدما
به قال ابن عباس يحتمل ان يكون في الكلام سجود القرآن ويحتمل
ان يعم عند الحث على التقيد بها في السجود تنفيذا لما ذكر لان
ذكرها السجود في الاية تلتهي ورد به ابن ماجه وغيره عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اقلوا القرآن واكلوا اذا لم تبكوا
فتباكوا وعن عبد الله بن قرة انه قال قرأت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله اقرأ ولا ابكا
وعن ابن عباس اذا قرأتم سجدة سجدات الله فقولوا في السجود
حتى تبكوا فان لم تبكوا عين احدكم فليبك قلبه وروي انه صلى

الله عليه وسلم قال ما عز عزت عين عبا الا حرم الله تعالى على النار
حسدها وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا قرأ ابن ادم
السجدة فسجد اعتزل الشيطان يقول يا ويله امر ابن ادم بالسجود فسجد
فله الجنة وامرت بالسجود فابيت فلي النار وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله وقال ابن عمر يدعوني
سجدة التلاوة بما يليق بها فان قرأ اية تتعلق بالسجدة قال
اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك فلا عوذ بك
ان اكون من المتكبرين عن امرك واذا قرأ سجدة سبحان الله قال
اللهم اجعلني من البا كين اليك الا سفين لك فان قرأ هذه قال
اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين البا كين عند تلاوة
اياتك كتابك وقرأ حمزة والكسائي بكيا بكسر الكاف اتباعا لما قبلها
بضمها ولما وصف سبحانه وتعالى هؤلاء الانبيا بصفة المدح ترغيبا
لنا في التاسي بهم ذكر بعدهم من هو بالضد منهم فقال **فخلف من**
بعدهم اي من بعد الزمان الذي بعد هؤلاء الاصفيا سريا **خلف**
في غاية الرداية من اولادهم يقال خلفه اذا اعقبه **خلف** سوء
اللام والخلف بفتح اللام الصالح **قالوا** بعد في ضمان الخير وبعد
في ضمان الشر وفي الحديث في كل خلف من كل هالك وفي
الشعر ذهب الذين يعاش في اكنافهم ٭ وبقيت في خلف كجلد الاجرب
وقال المسيب اراد بهم اليهود ومن تبعهم به وقال قتادة هي **اضاعوا**
الصلوة تركوا الصلاة المفروضة وقال ابن مسعود وابراهيم
اخروها عن وقتها وقال سعيد بن المسيب هو ان لا تصلي
الظهر حتى ياتي العصر ولا تصلي العصر حتى تغرب الشمس **واتبعوا**
الشهوات اي المحاضي قال ابن عباس يعني اليهود تركوا الصلاة
المفروضة ونسبوا الخمور واستحلوا نكاح الاخت من الاب وقال

بما هنا هو لاء قوم يظهرون في آخر الزمان يتزايدهم على بعض في
الاسوات والازقة فسوف يلقون غيا وهو كما قال وهب وعن
ابن عباس واد في جهنم بعيد قعره شديد حره تستعيذ منه جهنم كما رواه
الحاكم وصححه وقيل هو الخسران وقيل الشر كقول القائل فمن
يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما على
الغي متعلق بلائما وقيل يلق جزاء الغي كقوله يلق اثاما اي
مجازات الاثام نبه عليه قوله تعالى يلقون ليس معناه يرون فتفطن
بل معناه الاجتماع والملابسة مع المرئية كما اخبر تعالى عن هولا
بالجنة فتح لهم باب التوبة وحدهم الى عمل هذه الخوية بقوله
الا من تاب اي عما هو عليه من الضلال ويعمل ربالا عمال وحافظ
على الصلوات وكف نفسه عن الشهوات وآمن بما اخذ عليه من
العهد وعمل بعد ايمانه لقد يقال عملها من الصلوات والزكوات
وغيرها فاولئك العالوا الهم الطاهروا السيئ يدخلون الجنة التي
وعد المتقون ولا يظلمون شيئا من ظالم ما من اعمالهم فان قيل
الاستثناء دل على انه لا بد من التوبة والايمان والعمل الصالح لكن
الامر كذلك لان من تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلاة او كانت
المراة حائضا فانه لا يجب عليهم الصلاة والزكاة الفيا غير واجبة
وكذلك الصوم فيما لو حلت في ذلك الوقت كان من اهل الجنا
بح انه لم يعمل عملا فلم يجز توقف الاجر على العمل الصالح اجيب
بان هذه الصورة نادرة فالاحكام انما تناط بالاعم الاغلب تنبيه
في هذا الاستثناء وجهان قال ابو عبيدة اظهرهما انه منقطع
وقال الزجاج هو منقطع وهذا بناء على ان الكفيم للصلاة
من الكفار وافق الزجاج ابا علي الفارسي والمذكر تعالى في التايب

انه يدخل الجنة وصفها بامور احدها قوله تعالى جنات عدن اي اقامة
لا ظعن عنها بوجه من الوجوه وصفها بالخلود ثم على خلود وصف
الجنان في الدنيا التي لا تدوم ثم بين تعالى انها التي وعد الرحمن
عباده الذين هو ارحم بهم وقوله بالغيب فيه وجهان احدهما ان
الباء حالية وفي صاحب الحال احتمالان احدهما ضمير الجنة وهو عايد
الموصول اي وعدها وهي غائبة عنهم لا يشاهدونها والثاني عباده
اي وعدهم غائبين عنها لا يرونها انما صدقوا بها بمجرد الاخبار منه
والوجه الثاني ان الباء سببية اي بسبب الغيب ويسبب
الايمان به فيما كان من شان الموعود على ما تقرر عند الناس ان
احتمال عدم الوقوع بين ان وعده ليس كذلك بقوله تعالى انه
كان اي يكون او هو سنة ماضية وعده ماتيا اي مفعولا ايلتفصل
ولا بد من وقوعه فيهم كقوله ان كان وعد ربنا لمفعولا الثالث
تاييها قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا اي هو نحو لا الكلام وما لا
طايل تحته وفي تنبيه ظاهر على تجنب اللغو وانتفاية هيئ
من الله تعالى هذه الدار التي لا تكليف فيها وقد مدح الله تعالى اولياه
بقوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه
وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين
نعوذ بالله من اللغو والجهل ونخوض فيما لا يعنينا وقوله تعالى
الا سلاما استثنا منقطع اي ولكن يسمعون قولا لا يسلمون فيه
من العيب والنقيصة او سلاما من الله او من الملايكة او
من بعضهم على بعض ويجوز ان يراد باللغو مطلق الكلام قال في
القاموس لغا لغوا تكلم فيكون الاستثنا متصلا اي لا يسمعون فيها
كلاما الا الكلام الذي يدل على السلامة او سلاما من الله او من

الملائكة او من بعضهم على بعض ثانيا وقوله تعالى **ولهم رزقهم فيها** اي على ما يتمتعون به ويتنعمون عليه وهو لا بد من اتيانه ولا كلفة عليهم فيه ولا مئنة عليهم به **بكرة وعشيا** اي على تقديرها في الدنيا وليس في الجنة نهار ولا ليل بل ضوء ونور ابدا وقيل انهم يعرفون النهار بارتفاع الحجب والليل بارخائها فان قيل المقصود من هذه الآيات وصف الجنة بما هو الاعظم فيفخم به ووصول الرزق اليهم بكرة وعشيا ليس من الامور الاجنبية بوجه ما فالجواب ان الله تعالى اراد ان يرغب كل قوم بما احبوه من امور الدنيا فذلك ذكر اساور الذهب والفضة ولبس الحرير التي كانت عادة الملوك والاراكيك التي هي كالحجال المطروبة على الاسرة وكانت عادة اشراف اليمن ولانهن كانت احب الى العرب من الحذاء والعشاء فوعدهم بذلك الثاني ان المراد دوام الرزق تقول انا عند فلان غدوة وعشيا اي دائما وبكرة وعشيا يريد الدوام ولا يقصد الوقتين المعلومين وقيل المراد رفاهية العيش وسعة الرزق اي لهم رزقهم متى شاءوا وكما بانت بهذه الاوصاف دار الباطل اشار الى علو رتبتها وما هو سببي لها بقوله تعالى **تلك الجنة** بادلة البعد لعلو قدرها وعظم امرها **التي نورث من عبادنا** اي نعطي عطاء الارث الذي لا كد فيه ولا استرجاع وبقي للجنة كما يبقى للوارث مال المورث وقيل تستقر قلك المنازل بما لولاطاعة كانت لهم الى عبادنا الذين اتقوا ربهم فجعل المتقين ارثا قاله الحسن **من كان تقيا** اي المتقين من عبادنا فان قيل الفاسق المرتكب الكبائر لم يوصف بذلك الوصف فلا يدخلها جيب بان الاية تدل على ان الجنة لا يدخلها المتقي وليس في ما دل على ان غير المتقي لا يدخلها دليل على صاحب الكبيرة ثم قد ثبت عن الكفر ومن صدق على انه متقي عن

الكفر

الكفر فقد عدت عليه انه متقي وجب ان يدخل الجنة وهذه الاية تدل على ان صاحب الكبيرة يدخلها اولى من ان تدل على ان لا يدخلها والخلاف في سبب نزول قول جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم **وما نتنزل الا بامر ربك** فقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت الاية وقال مجاهد انها الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال عليه السلام قد قد فقلت قال ولم لا افعل وانتم لا تتسوكون ولا تقصون اظفاركم ولا تنقون براجمكم وقال **وما نتنزل الا بامر ربك** فنزلت وقال قتادة والكلبي احتبس جبريل عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله قومه عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح وسبب سؤالهم عن ذلك ما روي ان قريشا بعثت خمسة رهط الى يهود المدينة يسألونهم عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم وهل يجدونه في كتابهم وسألوا النصارى فزعموا انهم لا يعرفونه وقالت اليهود ندخله في كتابنا وهذا زمانه وقد سألنا رجل من اليمامة عن ثلاث فلم يعرف فسئلوه عنهن فان اجابكم عن خصلتين فاتبعوه فسئلوه عن قصة اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فلما ورد عليهم بجيب فوعدهم ان يجيبهم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عنهم اربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما فشق ذلك عليه مشقة عظيمة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل عليه السلام قال له النبي صلى الله عليه وسلم ابطات حتى ساءظني واشتقت اليك قال اني اليك اشوق ولكني عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فنزلت هذه الاية وانزل الله تعالى ولا تقولن لشيء اني

فاعل ذلك هذا الان شيأ اسم وسولة والضحى فان قيل قوله تلك
الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا كلام الله وما تتنزل الا
بامر ربك كلام غير الله فكيف جاز عطف هذا على ما قبله من غير
فصل اجيب بانه اذا كانت القرينة ظاهرة لم يقبح كقوله تعالى اذا
قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وبعد الكلام الله تعالى ثم عطف
عليه قوله وان الله ربي وربكم فاعبدوه ثم محمد جبريل يقول
ذلك بقوله له ما بين ايدينا اي امامنا من امور الاخرة وما
خلفنا اي من امور الدنيا وما بين ذلك اي ما يكون من هذا
الوقت الى قيام الساعة اي له علم ذلك جميعه وقيل ما بين ذلك
ما بين النفختين وبينهما اربعون سنة وقيل ما بين ايدينا ما بقي
من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك مدة حياتنا وقيل
ما بين ايدينا بعد ان نموت وما خلفنا قبل ان نخلق وما بين
ذلك مدة الحياة وقيل ما بين ايدينا الارض اذا اردنا النزول
اليها وما خلفنا السماء وما النزل منها وما بين ذلك الهواء يريد
ان ذلك كله لله فلا نقدر على شيء الا بامره وما كان ربك المحسن
اليك نسيا بمعنى ناسيا اي تاركا لك تباعا خير الوحي عنك لقوله تعالى
ما ودعك ربك وما قلى اي وما كان امتناع النزول الا لامتناع
الامر به وما كان ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك ثم استدل
على ذلك بقوله رب السموات والارض وما بينهما فلا يجوز عليه
النسيان اذ لا بد ان يمسكها حالا بعد حال والا لبطل الامر فيهما
وفيمن يتصرف فيها الاية دالة على ان الله تعالى رب لكل شيء حاصل
بينهما فعمل العبد مخلوق له تعالى لان فعل العبد حاصل بين السماء
والارض تغليبا يجوز في رب ان يكون بدلا من ربك وان يكون

خبرا

خبر مبتدا محذوف اي هو رب وقوله تعالى فاعبده واصطبر لعبادته خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم مرتب على ما تقدم اي لما عرفت ان ربك
لا ينساك فاعبده بالمراقبة الدائمة على ما ينبغي من مثلك واصطبر
عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفار بك فان قيل لم لم
يقل واصطبر على عبادته لانها صلة فكان حقه تقديمه بعلى اجيب
بانه ضمن معنى الثبات لان العبادة ذات تكاليف قل من يثبت لها فقيل
اثبت لها مصطبرا لقولك لمحمد رب اصبر لقرنك ثم علل ذلك
بقوله هل تعلم له سميا قال ابن عباس هل تعلم له مثلا اي نظيرا فيما
يقتضي العبادة والذي يقتضيها كونه منعما باصول النعم وفروعها
وهي خلق الاجسام والحياة والعقل وغيرها فانه لا يقدر على ذلك
احد سواه سبحانه وتعالى واذا كان قد انعم عليك بغاية الانعام
وجب ان تقابله بغاية التعظيم وهي العبادة وقال الكلبي هل تعلم
احدا سمي الله غيره فانهم واذكانوا يطلقون لفظ الاله على الوثن
فما اطلقوا لفظ الله تعالى على شيء ولما امره الله تعالى بالعبادة
والمصابرة عليها فكان سائلا يسأل وقال هذه العبادة لا منفعة
فيها في الدنيا واما في الاخرة فقد انكرها بعضهم فلا بد من ذكر
الدلالة على القول بالحشر حتى يظهر ان الاشتغال بالعبادة يفيد
فلهذا حكى الله سبحانه وتعالى قول منكري الحشر فقال تعالى
ويقول الانسان ايذا ما مت لسوف اخرج حيا قال الكلبي نزلت
في ابي بن خلف حين اخذ عظاما باليه ففتتها بيديه ويقول زعم
لكم محمد انا نبعث بعد ما نموت وقيل نزلت في ابي جهل وقيل المراد
جنس الكفار القائلين بعدم البعث ثم ان الله تعالى اقام الدليل على
صحة البعث بقوله اولا يذكر الانسان اي المجترئ بهذا الانكار

على زيد انا خلقناه من قبل اي من قبل خلقه ولم يك شيئا اصلا وانا بحقتضى ذلك قادرون على اعادته فلا ينكر ذلك قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه اذ لا شك ان الاعادة ثانيا اهون من الايجاد اولا وتظير قوله تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة وقوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بسكون الدال وضم الكاف مخففة والباقون بفتح الدال مشددة وكذا الكاف فان قيل كيف امر الله الانسان بالتذكر هو العلم بما علمه من قبل ثم تخللهما سهو اجيب بان المراد لا يتفكر فيعلم خصوصا اذا قرئ اولا يذكر مشددا اما اذا قرئ مخففا فالمراد اولا يعلم ذلك من حال نفسه لان كل واحد يعلم انه لم يكن حيا في الدنيا ثم صار حيا ثم انه تعالى لما قرر المطلوب بالدليل اردفه بالتهديد من وجوه احدها قوله تعالى فوربك اي المحسن اليك بالانتقام منهم لنحشرنهم بعد البعث والشياطين الذين يضلونهم بان نجمع كل كافر مع شيطانه في سلسلة وفائدة القسم اما ان احدهما ان العادة جارية بتاكيد الخبر باليمين والثاني في اقسام الله باسمه هنا قالي رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلصهم لشانه ورفع منه كما رفع من شان السماء والارض في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان للعطف ويعني مع وهو ولي ما قوله تعالى ثم لنحضرنهم بعد طول الوقوف حول جهنم من خارجها لسيئا لهذا السعداء الاحوال التي تجابههم الى تعالى منها وخلصهم فيزداد والذلك غيظهم الى غيظهم وسرورا الى سرورهم ويتمنوا بأعداء الله واعدائهم فتزداد

اساءتهم

اساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم وقوله تعالى جثيا حال مقدرة من مفعول لنحضرنهم وهو جمع جاث جمع على فعول نحو قاعد وقعود وجالس وجلوس واصله جثوي وابواوين وجثوي من جثي ويجثي لغتان فان قيل هذا المعنى حاصل للكافر بل قوله تعالى وترى كل امة جاثية ولان العادة جارية بان الناس في مواقف مطالبة الملوك يجثون على ركبهم لما في ذلك من القلق اولما يلحقهم من شدة الامر الذي لا يطيقون دفعه القيام على ارجلهم واذا كان هذا حاصل للكل فكيف يدل على مزيد ذل الكفار اجيب بانهم يكونون من وقت المحشر الى وقت الحضور على هذه الحالة وذلك يوجب مزيد ذلهم وقرأ حفص والكسائي جثيا وعتيا وصليا بكسر اولها والباقون بضمها تالمها قوله تعالى ثم لننزعن اي لنأخذن اخذا بشدة وعنف من كل شيعة اي فرقة مرتبطة بمذهب واحد ايهم اشد على الرحمن الذي عمهم بالاحسان عتيا اي تكبرا مجاوزا للحد والمعنى انا نعلم بحضرهم اولا حول جهنم ثم نميز البعض من البعض فمن كان اشد عتوا في كفره خص بعذاب عظيم لان عذاب الكفار الكفل يجب ان يكون فوق عذاب من يضل تبعا لغيره وليس عذاب من يتمرد ويتجرأ كعذاب المقلد فالاية لهذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص باصل العذاب ولذلك قال تعالى في جميعهم ثم لنحن اعلم من كل عالم بالذين هم بطون اهرهم وبواطنهم اولى بها اي بجهنم صليا اي يخلون واحترقا قدم ابهم ولا يقال اولى الامم اشق اكبهم واصله صلوي من صلي بكسر اللام وفتحها قعليته في اعراب ايهم اشد انوا الكبرى اظهرها عند جمهور البصريين وهو مذهب سيبويه اذ ايهم موصولة بمعنى الذي وان حركتها حركة بناء مبنيت عند سيبويه لحن وجها

عن النظائر واسد خبر مبتدا مضمر والجملة صلة لايهم وايهم وصلتها في
محل نصب مفعولا به ولاي احوال اضافة ذكر تتمة في هذا القطر ولما
كان هذا الاعلام الموكد بالاقسام من ذي الجلال والاكرام جديرا بن
باصغاء الافهام الى ما توجه اليها من الكلام التفت الى مقام الخطاب
فقال لهما للعموم فقال تعالى وان اي وما منكم ايها الناس احد الا
واردها كان ذلك الورود على ربك الموجد لك المحسن اليك حتما
مقضيا اي حتمه وقضى به لا يتركه والورود مواناة المكان واختلفوا
في معنى الورود هنا فقال ابن عباس والاكثرون الورود هاهنا
هو الدخول والكناية راجعة الى النار وقالوا يدخلها البر والفاجر
ثم ينجي الله المتقين فيخرجهم منها ويدل على ان الورود هو الدخول
قوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار وروي ابن
عيينة عن عمرو بن دينار انه سمع نافع بن الازرق ماري ابن عباس
في الورود فقال ابن عباس هو الدخول وقال نافع ليس الورود
والدخول فقال ابن عباس الكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم انتم لها واردون ادخلها هؤلاء ام لا ثم قال يا نافع اما والله
انا وانت سنردها وانا ارجو ان يخرجني الله منها وما ارجو ان يخرج
الله منها تبكت ويدل عليه ايضا قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا
اي الكفر منها ولا يجوز ان يقول ثم ننجي الذين اتقوا وندر
الظالمين بالكفر فيها جثيا على الركب الا الكل واردون والاخبار
المروية دالة على هذا القول روي ان عبد الله بن رواحة قال
اخبر الله تعالى عن الورود ولم يخبر بالصدر فقال صلى الله عليه
وسلم يا ابن رواحة اقرا ما بعدها ثم ننجي الذين اتقوا وذر
ان ابن رواحة فهم من الورود الدخول ولم ينكر عليه النبي صلى

الله

الله عليه وسلم ذلك وعن جابر انه سئل عن هذه الاية فقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول ولا يبقى بر ولا
فاجر الا دخلها فتكون على المومنين بردا وسلاما حتى ان للناس
ضجيجا من بردها ولان حرارة النار ليست بطبعها فالاجزاء الملاصقة
لابد ان الكفار يجعلها الله تعالى محرقة موذية والاجزاء الملاصقة
لاجزاء المومنين يجعلها بردا وسلاما كما في حق ابراهيم عليه السلام
وكما ان الملائكة الموكلين بما لا يحدون الما وكما في الكوز الواحد من
الماء كما يشرب به القبطي فيكون دما وما يشرب به الاسرائيلي فيكون
ماء عذابا وعن جابر بن عبد الله انه سال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة وقال بعضهم لبعض
اليس وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة
وخامدة مجاز معناه اي ساكنة وردي بالجيم اي باردة ولابد من
ذلك في الملائكة الموكلين بالعذاب حتى يكونوا في النار مع المعاقبين
فان قيل فاذا لم يكن على المومنين عذاب في دخولهم فما الفائدة
في ذلك الدخول اجيب بوجوه احدها ان ذلك مما يزيدهم
سرورا اذا علموا الخلاص منه ثانيها ان فيه مزيد غم على اهل
النار حيث يردون المومنين الذين هم اعداوهم يتخلصون منها وهم
يبقون فيها ثالثها ان فيه مزيد غم على اهل النار حيث تظهر
فضيحتهم عند المومنين رابعها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب
صار سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة وقيل المراد بالذين يردونها
من تقدم ذكرهم من الكفار فكني عنهم اولا كناية الغيبة ثم خاطب
خطاب المشافهة وعلى هذا القول فلا يدخل النار مومن واستدل
له بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون

لا يسمعون حسيسها والبعيد عنها لا يوصف بانه زارها ولو ورد
جهنم لسمع لحسيسها وبقوله تعالى وهم من فزع يومئذ امنون
ورد في حق جماهير من المؤمنين فقد ورد ما دل على ان اكثر المؤمنين
يدخلون جهنم وبقي حظ الكل من النار وفي رواية الحمى من فيح جهنم
فابردوها بالماء فقوله من فيح جهنم اي وهجها وحرها وقال
ابن مسعود وان منكم الا واردها يعني القسمة والكناية راجعة الى
قال البغوي والاول اصح وعليه اهل السنة وورد انه يخرج من
النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج
من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج
من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية
من ايمان وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لاعلم آخر اهل النار خروجا منها واخر اهل الجنة دخولا الجنة رجل
يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها
فيخيل اليه انها ملاى فيرجع فيقول وجدتها ملاى فيقول الله له
اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة امثالها فيقول
اتسخر بي وانت الملك فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك ادنى اهل الجنة منزلة
قوله حتى بدت نواجذه اي واضح اسنانه وقيل هي اعلى الاسنان
وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعذب ناس من
اهل التوحيد في النار حتى يكونوا فحما ثم تدركهم الرحمة قال
فيخرجون فيطرحون على باب الجنة قال فيرش عليهم اهل الجنة
الماء فينبتون كما تنبت الغثاء في حمالة السيل الجهم الفحم والغثاء
كل ما جاء به السيل وقرا الكسائي ينبتون التوكيد الثانية

وتخفيف

وتخفيف الجيم والباقون بفتح النون وتشديد الجيم ولما اقام تعالى الحجة على
مشركي قريش المنكرين للبعث قال تعالى عطفا على قوله تعالى ويتوفى
الانسان واذا تتلى عليهم اي الناس من المؤمنين والكفار من اي تال كان
ايانتا اي القرآن حال كونها بينات اي واضحات وقيل مرتبات الالفاظ
لخصات المعاني وقيل ظاهرات الاعجاز قال الذين كفروا بايات
ربهم البينة جهلا منهم ونظرا الى ظاهر الحياة الدنيا الذي هو مبلغهم من
العلم للذين امنوا اي للجلهم او مواجهة ثم اعرضنا عن الاستدلال
بالايات بالاقبال على هذا الشبهة الواهية وهي المفاخرة بالمكاثرة
في الدنيا من حولكم اي الفريقين نحن بما لنا من الاتباع ام انتم بما لكم من
خشونة العيش ورثاثة الحال ولو كنتم انتم على الحق وكنا على الباطل
لكان حالكم في الدنيا احسن من حالنا لان الحكيم لا يليق به ان يوقع
اولياءه المخلصين في الذل واعداءه المعرضين عن الحق متدفين في العز
والراحة والاستعلاء عما كان الامر بالعكس فان الكفار كانوا في النعمة
والراحة والاستعلاء والمؤمنين كانوا في ذلك الوقت في الخوف
والقلة هذا حاصل شبهتهم والقائل ذلك هو النضر بن الحارث وزنة
من قريش الذين امنوا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان
فيهم فشاشة وفي عيشهم خشونة وفي نبايهم رثاثة وكان المشركون
يرجلون شعورهم ويلبسون حبر ثيابهم فقالوا للمؤمنين اي الفريقين
خير مكانا مقاما اي موضع قيام او اقامة على قراءة ابن كثير بضم
الميم والباقون بفتحها ففي كلتا القراءتين يحتمل ان يكون اسم مصدر
او اسم مكان اما من قام ثلاثيا او من اقام تلبيته قالوا زيد خير
من عمرو وبشر من بكر ولم يقولوا خيرا منه ولا شرا منه لان هاتين
اللفظتين كثر استعمالهما فحذفت همزتاهما ولم يثبتا الا في شعر التعجب

ظاهر

ان استعماله في هاتين اللفظتين اكثر من استعمالهما فعلا فحذفت الهمزة
في موضع الكثرة وبقيت على اصلها في موضع القلة واحسن نديا اي
مجتمعا ومتحدثا والندي المجلس يقال ندي ونادٍ ويجمع الاندية ومنه
وتأتون في ناديكم المنكر وقال تعالى فليدع ناديه ويقال ناداه
القوم اذا جمعهم في مجلس ومنه دار الندوة وكانت يجمع
القوم فيها واذ لكه الاعتكاف بالمقام والاحسان مبالغة على
الرحمن مع التكذيب والكفران وعفوا عن ذلك مع التكذيب
بالبعث تكذيبا بما ابتناه الله دونه من القدرة على العقاب باجلال
النعم وسلب النعم ولو شئنا لاهلكناهم وسلبناهم جميع ما يتمتعون
به وكم اهلكنا قبلهم تم بيان امامكم بقوله من قرن شاهد وادياريهم
واثاثا اثاثهم اي اهل تلك القرون احسن منه اثاثا
اي استعة ورئيا اي وصنفا فلو دل حصول نعم الدنيا للانسان على
كونه حبيب الله لوجب ان لا يوصل اليه عما في الدنيا وقد قالوا لو
وابن ذكوان بابدال الهمزة ياء وادغامها في الياء وقفا ووصلا
وابو عمرو قد همزة الاول الهمزة ياء وله فيها الادغام والاظهار تنبيه
كم مفعول اهلكنا تقدم واجب التقديم لانه له صدر الكلام لانها
اما استفهامية او خبرية وهي محمولة على الاستفهامية والخبر
لا يوصف ولا يوصف بها فهم احسن في محل جر صفة لقرن وجمع
نظرا لمعنى لان قرن مستعمل على افراد كثيرة ثم قال تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المجدين رد اعليهم وقطعا لمادتهم
وهتكا لشبههم هذا الذي تمتعتم به لا يدل على حسن حالكم في
الآخرة بل على عكس ذلك فقد جرت عادته تعالى انه من كان في
الضلالة متلبسا بكونه راسخا ببسطة له في الدنيا وطيب عيشة في

ظاهر الحال فيها وتمهل بانواع الملاذ وقوله فليمدد له الرحمن مدا امر بمعنى
الخبر معناه يمد له فيما نذره ويمهله في كفره بالبسط في الآثار والسعة
في الديار والطول في الاعمار وفاقا فيما يستدل بها من الاموال والاولاد
يزال يمهله استدراجا حتى اذا رأوا اي كل من كفر بالله عينهم
اما توعدون اي من قتل الله اياهم في الدنيا بايدي المؤمنين او غيرهم او في البرزخ
واما الساعة اي القيمة التي هم بها يكذبون وعن الاستعداد لها
غافلون ولا يرى يشبه الواو لها وحذفها وفاقا لهما فسيعلمون اذ ذاك
لمن هو شر مكانا اي من جهة المكان الذي قوبل به المقام في
قولهم خير مقاما واضعف جندا اي اقل ناصرا منهم ام المؤمنون
اي اضعف من جهة الجند الذي اشير به الى الندي في قولهم واحسن
نديا لانهم في النار والمؤمنون في الجنة فمن ذا رد عليهم في قولهم اي
الفريقين خير مقاما واحسن نديا ويزيد الله الذين اهتدوا
الايمان تعليل بما يتنزل عليهم من الآيات موجب ازدياد
لكراهتهم عنده مما بسط للضلال لهوانهم عليه واشار الى ان مثل
ما خذل اولئك بالمال وفق بقوله لهما لبس الاعمال بالضلال الاموال
فتالله لحل من قاديك والباقيات الصالحات اي من الطاعات والمعارف
التي سرحت لها الصدور فاستنارت بها القلوب واوصلت الى علام
الغيوب خير عند ربك مما متع به الكفرة وبخير بقاء في مقابلة
قولهم اي الفريقين خير مقاما وقيل الباقيات الصالحات هي الصلوات
وقيل التسبيح وروي انه ابا الدرداء قال لجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات يوم واحد عودا يابسا واذا الورق عنه يتهافت فقال ان
قول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله تحط الخطايا كما تحط ورق
هذه الشجرة اليوم خذها عنى يا ابا الدرداء قبل ان تحال بيني وبينها

الباقيات الصالحات وهي من كنوز الجنة كان ابو الدرداء يقول للعملين ذلك ولا كثر ذكره حتى اذا راني بكيا احسبوا اليكم يجنون فقاله الرازي والقول الاول اولى لانه تعالى انما وصفها بالباقيات الصالحات من حيث يدوم ثوابها ولا تختص ببعض العبادات فهي باسرها باقية صالحة نظرا الى الزمان التي هي المبدا ثم بين تعالى حين تبقى بقوله تعالى ثوابا اي من جهة المآب وخير مردا اي من جهة العاقبة يوم الكثرة فان قيل لا يجوز ان يقال هذا خير والمراد انه خير من غيره والذي عليه الكفار لا خير فيه اصلا اجيب بان المراد خير مما ظنه الكفار ويقولهم خير مقاما واحسن نديا وقيل هو كقولهم الصيف احر من الشتا بمعنى ان حره ابلغ منه في برده فالكفر برد وذل في فظاعة والموعود الى نقاء وربح ولما ذكر تعالى الدلايل الاولى صحة البعث عقبها بذكر شبهة المنكرين واجابتها ليرد عليهم الان ما ذكره على سبيل الاستهزاء طعنا في القول بالحشر فقال تعالى افرايت الذي اي الذي يبرهن عن هذا اليوم ويزيد على ذكر ما بان كفر بايتنا الدالات على عظمتنا بالدلالات البينة وقال جرأة منه وجهلا لاوتين اي ان الله في الساعة على تقدير قيامها مالا وولدا اي عظيمين فلم يكفه في جملة تجويز القادر حتى ضم اليه تدارا العاجز وقرا حمزة والكسائي ولدا وكذا ولدا في جميع ما في هذه السورة بضم الواو وسكون اللام والباقون بفتح الواو واللام في الجميع يقال ولد وولد كما يقال عرب وعرب وعدم وعدم واما قراءة الفتح بفتحتين فواضحة وهو اسم مفرد قايم مقام الجمع واما قراءة الضم والاسكان فقيل هي كالتي قبلها في المعنى وقيل بل هي جمع ولد نحو اسد واسد وانشد والقاعدا على اذا الولد

والولد

والولد مقترانا فان قوله الآخر فلبث قليلا ان كان في بطن امه ولبث فلانا كان ولدا لها ولما كان ادعاه لا علم به الا باحد امرين من لا علم له بواحد منهما انكر قوله ذلك بقوله تعالى اطلع الغيب الذي هو غايب عن كل مخلوق فهو في بعد عن الخلق كالتعالي الذي لا يمكن احدا منهم الاطلاع اليه حتى تفرد به الواحد القهار ام اتخذ اي بل اتخذ عند الرحمن عهدا عاهده عليه بان يوتيه ما ذكر بطاعة فعلها على وجهها ليقف سبحانه وتعالى فيه عند قوله وقيل هي العهد كلمة الشهادة وعن قتادة ما معناه له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عمد الله اليه اذ يوتيه ذلك هو عن الحسن رحمه الله تعالى نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وايل قال خباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين يبعث قال لي اذا مت ثم بعثت قال نعم قال اذا بعثت جيتني وسيكون لي ثم مال وولد فاعطيك وقيل صاغ له حباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاتيه ان لي مالا وولدا فاعطيكم ثم انه سبحانه وتعالى بين من حاله حد ما ادعاه فقال تعالى كلا وهي كلمة ردع وتنبيه على الخطا اي هو مخطي فيما يقوله ويتمناه سنكتب اي نحفظ عليه ما يقول فيجازيه به في الاخرة وقيل ما مر الملايكة حتى يكتبوا عليه ما يقول ونمد له من العذاب مدا اي نزيد له بدل ذلك عذابا فوق عذاب كفره وقيل نطيل مدة عذابه ونرثه بموته ما يقول اي ما عنده من المال والولد ويانينا يوم القيمة فردا لا يصحبه مال وللولد كان له في الدنيا فضلا ان يوتى ثم زاد ايضاحا فقال تعالى ولقد جيتمونا

فزاد ب وقيل فزادا فقالا لهذا القول منهما واعتذرا لما تكلم سبحانه وتعالى
في مسئلة الحشر والنشر تكلما لآت في الرد على عباد الاصنام فقال
واتخذوا اي كفار قريش من دون الله الاوثان آلهة ليعبدوها ليكونوا
لهم عزا اي منعة بحيث يكونون لهم شفعاء في القضاء ينقذونهم من
الهلاك ثم اجاب تعالى بقوله تعالى كلا ردع وانكار لتعززهم بها
سيكفرون بعبادتهم اي يستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا
كقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وفي آية اخرى ما
كانوا ايانا يعبدون وقيل اراد بذلك الملائكة لانهم كانوا يكفرون
بعبادتهم ويتبرؤن منهم ويخصومنهم وهو المراد من قوله تعالى اهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون وقيل ان الله تعالى يحيي الاصنام يوم القيمة
يوبخ عبادهم ويتبرأ منهم فيكون ذلك من اعظم الحسرة ثم ويجوز
ان يريد الملائكة والاصنام ويكونون عليهم ضدا اي اعوانا
واعدا فان قتل لم وحده وهو جمع عن جمع اجيب بانه اما مصدر
في الاصل والمصادر موحدة فذكر واما لانه مفرد في معنى الجمع
قاله الزمخشري والضد اللغوي وهو توحيد قوله عليه الصلاة
والسلام وبم علي من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد
لفرط تفاهمهم وتوافقهم الله والحديث رواه ابو داود وعمدة
والشاهد قيد قوله به حيث لم يقل ايد ولما ذكر تعالى ما تهاول
الكفار مع الهتهم في الآخرة ذكر بعده حالهم مع الشياطين في الدنيا
وانهم يتولونهم ويتقادون اليهم فقال تعالى مخاطبا لنبيه صلى
الله عليه وسلم الم تر اي تنظر انا ارسلنا اي سلطنا الشياطين
على الكافرين تؤزهم ازا الازو الهز والاستفزاز احوجتهم
ومعناها التهييج وشدة الازعاج اي تزعجهم على المعاصي وتهيجهم

لها

لها بالوساوس والتسويلات فلا تعجل عليهم اي تطلب عقوبتهم بان
يملكوا ويبيد واحتى تستريح انت والمسلمون من شرورهم انما نعد
لهم عدا اي ليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا اياما محصورة
والانفاس معدودة وتخفيره قوله تعالى ولا تستعجل لهم كانهم يوم
يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ وعن ابن عباس
كان اذا اقرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك اذا العدد فول
تبرك اذا العدد دنا اجلك وعن ابن السماك انه كان عند
الماموت فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد لم يكن لمها
مدة فما اسرع ما ينفد وقيل نعد الاوقات اي وقت الاجل
المعين لكل احد الذي لا ينظر تاليه الزيادة والنقصان ثم بين
تعالى ما سيظهر في ذلك اليوم من الفصل بين المتقين والمجرمين
في كيفية الحشر فقال يوم اي واذكر يوم نحشر المتقين باديانهم الى
الرحمن اي الى محل كرامته وقوله تعالى وفدا حال اي وافدين عليه
كما تفد الوفاد على الملوك مستظهرين تكرامتهم وانعامهم والوفد الجماعة
الوفادون يقال وفد يفد واوفد ووفد ووفادة اي قدم على
سبيل التكرمة فهو في الاصل مصدر ثم اطلق على الاشخاص كالركب
وقال ابو البقاء وفدهم وافد مثل راكب وركب وصحب وصاحب
وهذا الذي قاله ليس بمذهب سيبويه لان فاعلا لا يجمع على فعل
عند سيبويه واجازه الاخفش وجرى عليه الجلال المحلي فقال
جمع وافد بمعنى راكب اه وقال ابن عباس وفدا ركبانا وقال ابو
عبيدة على الابل وقال علي رضي الله تعالى عنه والله ما يحشرون
على ارجلهم ولكن توتى لهم الذهب وتجاب سروجها يوا قتت
انها ما سارت وانها طارت ونسوق المجرمين يكفرهم الى جهنم

وقوله تعالى وردا حال اي مشاة بامانة واستخفاف كما نهم تقحم عطاش
ستاف الى الحي للماء وقيل عطاش قد تقطعت اعناقهم من العطش لان
من يرد الماء لا يرد الا بعطش وحقيقة الورود المسير الى الماء وقوله
تعالى لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول عليهم بذكر
المتقين والمجرمين وقيل للمتقين وقيل للمجرمين وقوله تعالى الا من
اتخذ عند الرحمن عهدا استثناء متصل على القولين الاولين منقطع
على الثالث والمعنى ان الشافعين لا يشفعون الا لمن ارتضى ويدخل في ذلك
الرحمن عهدا كقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى ويدخل في ذلك
اهل الكبائر من المسلمين اذ كل من اتخذ عند الرحمن عهدا وجب
دخوله فيه وصاحب الكبيرة اتخذ عند الرحمن عهدا وهو التوحيد
فوجب دخوله تحته ويؤكده ما روي ابن مسعود انه صلى الله عليه
وسلم قال للصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ عند كل صباح
ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء
اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك
بانبي اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك واشهد ان محمدا
عبدك ورسولك فانك تكلني الى نفسي فانك ان تكلني الى نفسي
تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل
لي عندك عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد
فاذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان
يوم القيمة نادى مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون
الجنة فظهر ان المراد من العهد كلمة الشهادة وظهر وجه الدلالة على
ثبوت الشفاعة لاهل الكبائر ولما رد سبحانه وتعالى على عبدة
الاوثان عاد الى الرد على من اثبت له ولدا بقوله تعالى وقالوا اتخذ

الرحمن

الرحمن ولدا اي قالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن
الله وقالت العرب الملائكة بنات الله لقد جئتم شيئا ادا قال ابن عباس
اي منكرا وقال قتادة اي عظيما وقال ابن خالويه الادا والاد العجب
وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وادني انقلني وعظم علي وقرا تكاد
السموات تفطرن بالفاء والكسائي بالياء على التذكير والباقون بالتاء على
التانيث وقرا ينفطرن منه ابو عمرو وابن عامر وشعبة وحمزة بعد الياء
بنون ساكنة وكسر الطاء مخففة والباقون بعد الياء بتاء وفتح الطاء
المشددة يقال انفطر الشيء وتفطر اي تشقق وقراءة التشديد ابلغ
لان الفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل
التكلف وتنشق الارض اي تتخسف بهم وتخر الجبال هدا اي تسقط
وتنطبق عليهم ان اي من اجل ان دعوا للرحمن ولدا قال ابن
عباس وكعب فزعت السموات والارض والجبال وجميع
الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملائكة و
استعرت جهنم حين قالوا لله ولدا فان قيل كيف يوثر القول
في انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال
اجيب بوجوه الاول ان السقالي يقول كدت انفزهذا
بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا
مني على من تفوه بها لولا حلمي واني لا اعجل بالعقوبة
الثاني ان يكون استعظاما لكلمة وتهويلا وتصويرا
لاثرها في الدين وهدما لقواعده واركانه الثالث ان
السموات والارض والجبال تكاد ان تفعل كذلك لو كانت
تعقل هذا القول ثم نفى الله تعالى عن نفسه الولد بقوله تعالى
وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا اي ما يليق به اتخاذ

الولد لان ذلك محال اما الولادة المعروفة فلا مقالة في امتناعها
واما التبني فاذ الولد لابد وان يكون شبيها بالوالد ولا شبيه
له تعالى لان اتخاذ الولد انما يكون للاعتاض اما من سرور
او استعانة او ذكر جميل وكل ذلك لا يليق في حق الله تعالى ان
اي ما كل من في السموات والارض اي ان كل معبود من
الملائكة في السموات والارض من الناس منهم العزير وعيسى
الا اتي الرحمن اي ملجئي الي ربوبيته عبدا اي منقادا مطيعا
ذليلا خاضعا كما يفعل العبيد ومن المنسوبين كالخلال المحلي
من جعله علي يوم القيمة خاصة والاول اولي لانه لا تخصيص في
الاية لقد احصاهم اي حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون
عن حوزته وعلمه وقبضته وقدرته وكلهم تحت تدبيره وتصرفه
وعدهم عدا اي عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم
فان كل شيء عنده بمقدار لا يخفى عليه شيء من امورهم وكلهم
اتيه اي كل واحد منهم يأتيه يوم القيمة فردا اي وحيدا
ليس معه من الدنيا شيء من مال او نصير ينصره ولما ذكر سبحانه
وتعالى علي اصناف الكفرة وبالغ في شأ احوالهم في الدنيا
والاخرة ختم السورة بذكر احوال المؤمنين فقال ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا
اي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم للاسباب
من قرابة او صداقة او اصطناع معروف او غير ذلك روي
الشيخان انه صلي الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا يقول
لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل
السماء قد احب الله فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم توضع

له المحبة في الارض واذا ابغض الله عبدا قال مالك لا احسبه
الا قال في البغض مثل ذلك والصين في سيجعل اما لان السورة
مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم
الله ذلك اذا قوي الاسلام والمعني سيحدث لهم في القلوب
مودة واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الي خلقه بما يظهر
من حسناتهم وروي عن كعب قال مكتوب في التوراة لا محبة
لاحد في الارض حتي يكون ابتداؤها من السماء من الله عز
وجل يلقي لهما علي اهل السماء ثم علي اهل الارض فتقدين
ذلك في القرآن قوله سيجعل لهم الرحمن ودا وقال ابو مسلم
معناه يهب لهم ما يجبون والود والمحبة سواء لما ذكر سبحانه
وتعالى في هذه السورة التوحيد والنبوة والحشر والرد علي
فرق المبطلين بين تعالى انه ييسر ذلك بلسان نبيه صلي الله
عليه وسلم بقوله فانما يسرناه اي القرآن بلسانك اي العربي
اي لولا انه تعالى لخر تصعيبه الي اللغة العربية لما تيسر ذلك
لتبشر به المتقين اي المؤمنين وتنذر اي تخوف به قوما
لدا جمع الد اي جدلا في الباطل وهم كفار مكة ثم انه تعالى ختم
السورة بموعظة عظيمة بليغة فقال تعالى وكم اي كثيرا اهلكنا
قبلهم من قرن اي امة من الامم الماضية بتكذيب الرسل
لانهم اذا تاملوا وعلموا انه لا بد من زوال الدنيا وانه لا بد فيها
من الموت وخافوا سوء العاقبة في الاخرة كانوا الي الحذر في
المعاصي اقرب ثم اكد ذلك بقوله تعالى هل تحس اي تري وتبصر
تجد منهم من احد او تسمع لهم ركزا اي صوتا خفيا قال
ابن عباس رضي الله عنهما فلم يبق عين ولا اثر اي فكما اهلكنا اولئك

تملك هو آية تنبيه الركز الصوت الخفي دون نطق بحروف ولا فهم
ومنه ركز الرمح اي غيبه في الارض واخفاه ومنه الركاز وهو
المال المدفون لخفائه واستتاره والحديث الذي ذكره البيضاوي
تبعا للزمخشري وهو من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات
بعدد من كذب زكريا وصدق به يحيي ومريم وعيسى وسائر
الانبيا المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم
يدع الحديث موضوع سورة طه مكية وهي
مائة وخمس وثلاثون اية وعدد كلمها الف وثلاثمائة واحد
واربعون كلمة وعدد حروفها خمسة الاف ومائتان واثنان
واربعون حرفا وعن ابن عباس ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم قال اعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر
الاول واعطيت طه وطسم من الواح موسى واعطيت فواتح
القران وخواتيم السورة التي ذكرت فيها البقرة من تحت
العرش واعطيت المفصل نافلة بسم الله الملك الحق المبين
الرحمن الذي عم نعمه علي خلقه اجمعين الرحيم الذي خص بجنته
عباده الموحدين وقرا طه سبعة وحمزة والكسائي بامالة
الهاء والميم وافقهم ورش وابو عمرو وعلي امالة الميم
محضة ولم يمل ورش محضة الا هذه الميم وقد تقدم الكلام
في الحروف المقطعة في اول سورة البقرة وهي هنا
قولان الصحيح انها من ذلك وقيل انها كلمة مفيدة اما علي
القول الاول فقد تقدم الكلام فيه في اول سورة البقرة
والذي زاده هنا احد اقوال قال الشعبي الطا شجرة
طوبي والهاء الهاوية فكانه اقسم بالجنة والنار ثانيها

يحيي

يحكي عن جعفر الصادق الطا طهارة اهل البيت والهاء هدايتهم
ثالثها قال سعيد بن جبير هذا افتتاح اسمه الطيب الطاهر
الهادي رابعها مطلع الشاعة للامة وهادي يخلوا في اللامة
خامسها الطا من الكهاية والهاء من الهداية فكانه قيل
يا طاهرا من الذنوب يا هاديا الي علام الغيوب سادسها
الطا طول القراة والهاء هيبتهم في قلوب الكفار قال تعالي
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب سابعها الطا سنة
في الحساب والهاء خمسة تكون اربعة عشر ومعناها يا ايها
البدر واما علي القول الثاني فقيل معني طه يا رجل وهو
يروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة
وعكرمة والكلبي ثم قال سعيد بن جبير بالقبطية وقال قتادة
بالسريانية وقال عكرمة بالحبشية وقال الكلبي بلغة عكر
وهو بتشديد الكاف ابن عدنان اخو معد وحكي الكلبي انك لو
قلت في عكر يا رجل لم تجب حتي تقول طه وقال السدي
معناه يا فلان وقيل ان صلي الله عليه وسلم كان يقوم
في تهجده علي احدي رجليه فامر ان يطا الارض بقدميه معا
وقال الكلبي لما نزل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم
الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتي كان يراوح بين قدميه
في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فانزل
الله هذه الاية وامره ان يخفف علي نفسه فقال تعالي
ما انزلنا عليك القران لتشقي اي لتتعب مما فعلت
بعد ان قلله من طول قيامك بصلاة الليل اي خفف عن
نفسك فقد ورد انه صلي الله عليه وسلم صلي الليل حتي

توزمت قدماه فقال له جبريل ابو علي نفسك فان لها عليك حقا
ما انزلنا لتملك نفسك وتذيقها المشقة وما بعثت الا بالحنيفية
السمحاء روي انه كان اذا قام من الليل ربط صدره بحبل حتى
لا ينام وقيل لما راي المشركون اجتهاده في العبادة قالوا انك
لتشقى حيث تركت دين ابايك اي لتتعنى وتتعب وما
انزل عليك القران يا محمد الا لتشقى بك فنزلت واصل الشقا
في اللغة العنا وقيل المعنى انك لا تلام على كفر قومك كقوله
تعالى لست عليهم بمسيطر وقوله تعالى وما انت عليهم بوكيل
اي انك لا تواخذ بذنبهم وقيل ان هذه السورة من اوايل ما نزل
بمكة وكان يصلي الله عليه وسلم في ذلك الوقت مقهورا تحت
ذل الاعداء فكانه تعالى قال لا تظن انك بقيت ابدا على هذه الحالة
بل يعلو امرك ويظهر قدرك وعلى هذا ما انزلنا عليك القران لتبقى
شقيا فيما بينهم بل لتتميز معظما مكرما وقرا حمزة والكسائي
بالامالة وابو عمرو بين بين وورش بين اللفظين والفتح
عنده ضعيف جدا وكذلك جميع رؤوس اي هذه السورة من
ذوات الياء وقوله تعالى الا تذكرة استثنا منقطع اي لكن
انزلناه تذكرة قال الزمخشري فان قلت هلا يجوز ان
يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين
ولكنها تنصب على الاستثنا المنقطع الذي فيه الا بمعنى لكن
لمن يخشى اي لمن في قلبه خشية ورقة بتا ثر بالانذار ولمن
علم الله تعالى منه ان يخشى بالتحويف فانه المنتفع به وقوله
تعالى تنزيلا بدل من اللفظ بفعله الناصب له ممن خلق
الارض اي ممن الله الذي خلق الارض والسموات العلى

اي

اي العالية الرفيعة التي لا يقدر على خلقها اي عظيمها غير الله تعالى
والعلي جمع عليا كقولهم كبري وكبر وصغري وصغر وقدم
الارض على السموات لانها اقرب الي الحس واظهر عنده من السموات
ثم اشار الي وجه احداث الكاينات وتدبير امرها بان قصد
العرش واجري منه الاحكام والمقادير وانزل منه الاسباب
على تقدير ومقادير حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت
به مشيئته فقال الرحمن على العرش وهو سرير الملك
استوى اي استوا يليق به فانه سبحانه وتعالى كان وللعرش
ولا مكان واذ خلق الخلق لا يحتاج الي مكان فهو الان بالصفة
التي لم يزل عليها وتقدم الكلام على ذلك في سورة
الاعراف مستوفي فراجعه ثم استدل سبحانه وتعالى على كمال
قدرته بقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض وما
بينهما وما تحت الثري فهو مالك لما في السموات من ملك
وبشر وغيرهما ومالك لما في الارض من المعادن والنبات
ومالك لما بينهما من الهوي ومالك لما تحت الثري وهو التراب
الندي والمراد الارضون السبع لانه تحته وقال ابن عباس
ان الارضين على ظهر النون والنون على جرة راسه وذنبه
يلتقيان تحت العرش والجر على صخرة حفزا حقرة السموات
والارض منها وهي الصخرة التي ذكرها الله في قصة لقمان
فتكن في صخرة والصخرة على قرن ثور والثور على الثري
وما تحت الثري لا يعلمه الا الله عز وجل وذلك الثور فاتح
فاه واذا ارسل الله البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور
فاذا وقعت في جوفه يبست وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي

بالامالة وبين بين اللفظين وكذلك جميع رؤس اي السورة
من ذوات الراء لما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تتعلق عن
العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على
السواء فقال تعالى وان تجهر بالقول اي تعلن بالقول في ذكر او
دعاء فانه غني عن جهريتك فانه يعلم السر واخفى قال الحسن
السر ما اسر الرجل الى غيره واخفى من ذلك ما اسر في نفسه وعن
ابن عباس السر ما تسر في نفسك واخفى من السر ما يلقيه
الله في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك قد تعلم
ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما اسررت اليوم
وما تسر غدا وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس السر
ما اسر ابن آدم في نفسه واخفى ما اخفى عليه مما هو فاعله
قبل ان يعلمه وقال مجاهد السر العمل الذي يسر من الناس
واخفى من الوسوسة وقيل السر هو العزيمة واخفى ما يخطر
على القلب ولم يعزم عليه وقال زيد بن اسلم يعلم اسرار العباد
واخفى سره من عباده فلا يعلمه احد قال ثم ذكر صفاته وحد
نفسه فقال تعالى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى التسعة
والتسعون الواردة بها الحديث والحسنى تانيث الاحسن وفضل
اسماء الله تعالى على سائر الاسماء في الحسنى لدلالتها على
معاني اشرف المعاني وافضلها روي ان لله تعالى اربعة الاف
اسم الف لا يعلمها الا هو والف لا يعلمها الا الله والملائكة والف
لا يعلمها الا الله والملائكة والانبياء واما الالف الرابعة فالمؤمنون
يعلمون منها تسعمائة في التوراة وتسعمائة في الانجيل وتسعمائة في
الزبور وحاية في القرآن تسعة وتسعون منها ظاهرة وواحد

مكنون

مكنون من احصاها دخل الجنة وذكر في الآله فضايل كثيرة اذكر
بعضها واسال الله ان يجعلنا واحبابنا من اهلها روي انه صلى الله عليه
وسلم قال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعا استغفار الله ثم تلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وروي انه صلى الله عليه وسلم قال
ان الله تعالى خلق ملكا من الملايكة قبل ان يخلق السموات والارض
وهو يقول اشهد ان لا آله الا الله ما دام لي صوت لا يقطع ولا
يتنفس فيها ولا يتمها فاذا اتمها امر اسرافيل بالنفخ في الصور
وقامت القيمة يقظها الله وعن انس قال صلى الله عليه وسلم ما
زلت استغفر الي ربي ويشفعني واشفع اليه ويشفعني حتى قلت
يا رب شفعني فيمن قال لا اله الا الله فقال ليست لك ولا لاحد
وعزتي وجلالي لا ادع احدا في النار قال لا اله الا الله وقال سفيان
الثوري سالت جعفر بن محمد عن حم عسق فقال الحا حلم والميم ملكه
والعين عظمته والسين سناوه والقاف قدرته يقول الله عز
وجل بحلمي وملكي وعظمتي وسنائي وقدرتي لا اعذب بالنار من
قال لا اله الا الله محمد رسول الله وروي عن موسى عليه السلام
انه قال يا رب علمني شيا اذكرك به قال قل لا اله الا الله قال انما
اردت شيا تخصني به قال يا موسى لو ان السموات السبع ومن فيهن
غير كفة ولا اله الا الله في كفة لمالت بمن لا اله الا الله وقال بعض
المفسرين في قوله تعالى الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة
طيبة انها لا اله الا الله اليه يصعد الكلم الطيب لا اله الا الله وتواصوا
بالحق لا اله الا الله قل انما اعظكم بواحدة لا اله الا الله وقومهم
ايلم مسيؤلون عن قول لا آله الا الله بل جاء بالحق وصدق المرسلين

هو لا اله الا الله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا
وفي الاخرة فهو لا اله الا الله ويضل الله الظالمين عن قول لا اله الا الله
وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في
السوق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي
ويميت بيده الخير وهو علي كل شيء قدير كتب الله له الف الف
حسنة ومحي عنه الف الف سيية وبني له بيتا في الجنة قال الرازي
وفي النكت ينبغي لاهل لا اله الا الله ان يجلسوا اربعة في بيت فيكونوا
من اهل لا اله الا الله التصديق والتعظيم والجلالة والحرمة فمن
ليس له التصديق فهو منافق ومن ليس له التعظيم فهو مبتدع ومن
ليس له الجلالة فهو مراء ومن ليس له الحرمة فهو فاجر وكذا
ذكر ان بشر الحافي راي كاغذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فرفعه
وطيبه بالمسك فراي في النوم كانه نودي يا بشر طيبت اسمنا
فنحن نطيب اسمك في الدنيا والاخرة وذكر ان صيادا كان يصيد
السمك وكانت ابنته تطرح لها في الماء وقالت امها وقعت في
الشبكة لغفلتها الهمنا تلك العصبة كانت ترحم غفلتها وكانت
تلقيها في الماء مرة اخرى في البحر ونحن قد اصطادتنا يا سوء
الشيطان واخرجنا من بحر رحمتك فارحمنا بفضلك وخلصنا
منه وذكر الغنامي في بحار رحمتك مرة اخرى وعن محمد بن كعب القرظي
قال قال موسى الهي اي اي خلقك اكرم عليك قال الذي لا يزال
لسانه رطبا من ذكري قال فاي خلقك اعظم قال الذي يلتمس
اي علمه علم غيره قال فاي خلقك اعدل قال الذي يقضي علي
نفسه كما يقضي علي الناس قال واي خلقك اعظم جرما قال
الذي يتهمني وهو الذي ببساتيني ثم لا يرضى بما قسمت الهمنا انا

لا تتهمك فانا نعلم ان كل ما احسنت به فهو تفضل وكلما لا تفعله فهو
عدل فلا تؤاخذنا بسوء افعالنا واعمالنا وعن الحسن اذا كان
يوم القيمة نادي مناد سيعلم اليوم من اولي بالكرم ابن الذين كانت
تتجافي جنوبهم عن المضاجع فيقومون فيتخللون رقاب الناس
ثم يقال ابن الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم ينادي
مناد ابن الحامدون الله كثيرا علي كل حال ثم يكون الحساب علي
من بقي الهمنا حسن حمدناك واثنينا عليك بمقدار طاقتنا وتنهى
قدرتنا فاعف عنا بفضلك ورحمتك فارحم يا ارحم الراحمين ولما
عظم الله تعالى حال القرآن وحال رسوله صلى الله عليه وسلم
كلف اتباع ذلك بما يقوي قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذكر احوال الانبياء تقوية لقلبه في الابلاغ كقوله تعالى وكلا
نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وبدا بموسى
عليه السلام لانه فتنته كانت اعظم الفتن ليسلي قلب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويصبر علي جلل المكاره فقال تعالى **وهل**
اتاك حديث موسى وهذا محتمل لان يكون هذا اول اول
ما اخبر به من امر موسى فقال وهل اتاك اي لم ياتك الي الآن
قصته وهذا قول الكلبي ويحتمل ان يكون قد اتاه في ذلك
الزمان المتقدم فكانه قال اليس قد اتاك وهذا قول مقاتل
والضحاك عن ابن عباس وهذا وان كان علي لفظ الاستفهام
الذي لا يجوز علي الله تعالى لان المقصود منه تقرير الخبر في قلبه
وهذه الصورة ابلغ في ذلك كقولك لصاحبك هل بلغك عني
كذا فيتطلع السامع الي معرفة ما يرمي اليه ولو كان الاستفهام
لكان الجواب يصدر من قبل موسى لكن من قبل الله تعالى

وقيل ان هذا بمعنى قد وجري علي ذلك الجلال المحلي بتبعا للبيضاوي
وقوله تعالي اذ راي يجوز ان يكون منصوبا بالحديث وهو الظاهر
ويجوز ان ينصب باذكر مقدرا اي واذكر اذ راي نارا وذلك ان
موسي عليه السلام استاذن شعيبا عليه السلام في الرجوع
من مدين الي مصر لزيارة والدته واخيه فاذن له فخرج باهله
وماله وكانت ايام الشتاء واخذ علي غير الطريق مخافة ملوك
الشام وامراته حامل في شهرها لا تدري ليلا تقع او نهارا
فسار في البرية عن عارف بطريقها فانحاه المسير الي جانب
الطور الغربي الايمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد فضل
ليلة جمعة واخذت امراته في الطلق وتفرقت ماشيته ولا ما
عنده وجعل يقدح زنده فلا يوري فابصر نارا من بعيد عن يسار
الطريق من جانب الطور فقال لاهله امكثوا اي اقيموا في مكانكم
والخطاب لامراته وولدها وخادم ويجوز ان يكون للمراة خرج
علي ظاهر لفظ الاهل فان الاهل يقع علي الجمع والضمائر تخالف
الواحد بلفظ الجمع تعظيما وقرا حمزة بضم الهاء في الوصل والباقون
بالكسر اني انست اي ابصرت نارا والانياس الابصار البين الذي
لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشيء والانس
ظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل ابصار ما يونس به
ولما وجد منه الانياس وكان متيقنا حققه لهم بكلمة اني ليوطن
انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس رجوع المرجو متوقعين بقي
الامر فيهما علي الرجاء والطمع فقال لعلي اتيكم منها بقبس اي
سفلة في راس فتيلة او عود او نحو ذلك وقرا نافع وابن
كثير وابو عمرو بفتح الياء في اني ولعلي الاتية والباقون

بالسكون

بالسكون وهم علي مراتبهم في المد او اجد علي النار هدي اي
هاديا يدلني علي الطريق ومعني الاستعلاء في علي النار ان
اهل النار يستمكنون المكان القريب منها كما قال سيبويه في
مررت بزيد انه لصوت بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين
لها اذا احاطوا بها كانوا مستعلين عليها وقال بعضهم النار ارتفعت
اثنتا عشرة نارا تاكل ولا تشرب وهي نار الدنيا ونار تشرب ولا
تاكل وهي التي في الشجر الاخضر كما قال تعالي الذي جعل لكم
من الشجر الاخضر نارا واذا انتم منه توقدون ونار تاكل وتشرب وهي نار المعدة
ونار لا تاكل ولا تشرب وهي نار موسي عليه السلام تابعتهما
وقيل اضاء النار اربعة احدها نار لها نور وليست بمحرقة وهي نار موسي
عليه السلام ثانيها لها محرقة بلا نور وهي نار جهنم اعاذنا الله
تعالي منها ثالثها لها المحرقة والنور وهي نار الدنيا رابعها
لا محرقة ولا نور وهي نار الاشجار وبقيته ان وصلت لهدي
بغيا فليس فيه الا التنوين للجميع وان وقف عليها فهو علي
اصولهم في الفتح والامالة وبين اللفظين فلما اتاها اي النار
قال ابن عباس اتي شجرة حفرا من اعلاها الي اسفلها الي
اعلاها اطافت بها نار بيضاء تشتعل كاضوء ما يكون فوقفت
متعجبا من شدة ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة
فلا النار تغير خضرة ولا كثرة ماء الشجر تغير ضوء النار
قال ابن مسعود كانت الشجرة سمرة خضراء وقال قتادة
والكلبي كانت من العوسج وقال وهب كانت من العليق وقيل
من القتاد قال اكثر المفسرين ان الذي راه موسي لم تكن
نارا بل كان نور الرب تعالي وهو قول ابن عباس وعكرمة

وغيرهما ذكر لفظ النار لان موسى عليه السلام حسبه نارا فلما
دنا منها سمع تسبيح ابي نور راعظها قال وهب ظن موسى انها
نار او قدت فاخذ من دقاق الحطب وهو الحشيش اليابس
ليقتبس من لهبها فنالت اليه فما نزل يدنو فتاخر عنها وهابها
ثم لم تزل تظهر ويظهر فيها ثم لم يكن بأسرع من ان خمدت كانها
لم تكن ثم رمى موسى ببصره الى نور عظيم فاذا اخضر عظيم ما طبقة
في السماء واذا النور بين السماء والارض له شعاع تكل عنه
الابصار فلما راى موسى عليه السلام ذلك وضع يديه على
عينيه والقيت عليه السكينة نودي يا موسى اني انا ربك فقال
وهب نودي من الشجرة فقيل يا موسى فاجاب سريعا ولم يدر
من دعاه فقال اني اسمع صوتك ولا اراي مكانك فاين انت قال
انا فوقك ومعك واما مامك وخلفك واقرب اليك منك فعلم
ان ذلك لا ينبغي الا لله تعالى فاتبين به وقيل انه سمع بكل
اجزايه حتى ان كل جارحة منه كانت اذنا وقرا ابن كثير وابو
عمرو بفتح الهمزة من اني على تقدير الباء اي بانني لان النداء
يوصل بما تقول ناديته بكذا وانشد الفارسي قول الشاعر
تاديت باسم ربيعة بن مكرب انا لمنوه باسمه الموثوق
وجوز ابن عطية ان تكون بمعنى الاجل وليس بظاهر والباقون
بالكسر اما على اضمار القول كما هو راي البصريين اي فقيل
ولما لان النداء في معنى القول عند الكوفيين وقوله تعالى
اني يجوز ان يكون مبتدا وما بعده خبره والجملة خبر ان ويجوز
ان يكون توكيد الضمير المنصوب ويجوز ان يكون فصلا له
وردي ابن مسعود مرفوعا في قوله تعالى فاخلع نعليك

انما كانا من جلد حمار ميت ويروي غير مدبوغ فامر بخلعهما صيانة
للوادي المقدس وقال عكرمة ومجاهد انما امر بذلك ليباشر
بقدميه تراب الارض المقدسة فينالة بركتهما ويدل لذلك انه
قال تعالى عقيبه انك بالواد المقدس اي المطهر او المبارك
فخلعهما والقائهما من ورآء الوادي هذا ما قاله اهل التفسير
وذكر اهل الاشارة في ذلك وجوها احدها ان الغفلة في النوم
يفسر بالزوجة وقوله اخلع نعليك اشارة الى انه لا يلتفت
بخاطره الى الزوجة والولد وان لا يبقى مشغول القلب بامرهما
ثانيها المراد بخلع النعلين ترك الالتفات الى الدنيا والاخرة كانه
امره ان يصير مستغرق القلب بالكلية في معرفة الله تعالى فلا
يلتفت الى المخلوقات ثالثها ان الانسان حال الاستدلال على
وجود الصانع لا يمكنه ان يتوصل اليه الا بمقدمتين مثل ان
يقول العالم المحسوس محدث وكل ما كان كذلك فله موثر
ومدبر وصانع فهنا اذا المقدمتان تشغلها بالنعلين لان بهما
يتوصل العقل الى المعقول وينتقل من النظر الى الخلق الى معرفة
الخالق ثم بعد الوصول الى معرفة الخالق وجب ان لا يبقى ملتفتا
الى تلك المقدمتين قيل لا تكن مشتغل الخاطر بتلك المقدمتين
فانك وصلت الى الوادي المقدس الذي هو محل معرفة الله تعالى
وقوله تعالى طوى بدل او عطف بيان وقراه هنا دحي النار عاصم
نافع وابن كثير وابو عمرو وغير ننوين فهو ممنوع من الصرف بتاويل
باعتبار البقعة مع العلمية وقيل لانه معدول عن طاو فهو
مثل عمر للعدل عن عامر وقيل انه اسم اعجمي ففيه العلمية
والعجمة والباقون بالتنوين فهو مصروف باعتبار المكان

فنيه العلمية فقط وعندهو لا ليس بالعجمي وقوله تعالى **وانا اخترتك** اي اصطفيتك للرسالة من بني مكة تراءمزة بتشديد النون من انا واخترناك بنون بعدها الف بلفظ الجمع والبا تباء المعجمة وقوله تعالى **فاستمع لما يوحى** اي اليك عبر عنه بالمضارع لافادة الهيئة والحالة فكانه تعالى قال لقد جاءك امر عظيم فتاهب له واجمل كل عقلك وخاطرك مصروفا اليه وفي قوله تعالى **وانا اخترتك** من غاية اللطف والرحمة فيحصل له من الاول غاية الرجاء ومن الثاني غاية الخوف وفي تنكيره يجوز في اللام لما اذ تتعلق باستمع وتعود لي اذ تكون من بدة في المفعول على حد قوله تعالى ردف لكم وجوز الزمخشري ان يكون ذلك من باب التنازع ونازعه ابو حيان بانه لو كان كذلك لاعاد الضمير هو الثاني فكان يقول فاستمع له لما يوحى واجيب عنه بان مراده التعلق المعنوي من حيث الصلاحية واما تقدير العناية فلم يبينه وقوله تعالى **انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني** بدل مما يوحى دال على انه مقصود على تقديره على التوحيد الذي هو منتهى العلم فالامر بالعبادة التي هي كمال العمل وفي هذه الاية دلالة على ان علم اصول الدين مقدم على الفروع وايضا فالفاء في قوله تعالى فاعبدني تدل على ان عبادته انما لزمت لالهيته وخص الصلاة بالذكر وافردها في قوله تعالى **واقم الصلاة لذكري** للعلة التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة او لذكر صلاتي لما روي مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال من نام عن صلاة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله يقول واقم الصلاة لذكري وقيل لان اذكرك بالثناء والمدح واجعل لك عليها لسان صدق علياوقيل لذكري خاصة لا لذكر غيري ولما خاطب تعالى موسى عليه السلام بقوله تعالى فاعبدني واقم الصلاة لذكري اتبعه بقوله **ان الساعة آتية** اي كائنة **اكاد اخفيها** قال اكثر المفسرين معناه اكاد اخفيها من نفسي فكيف يعلمها غيري من الخلق وكيف اظهرها لكم ذكر تعالى على عادة العرب اذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون كتمته سرك ومن نفسي اي اخفيته غاية الاخفاء والله تعالى لا يخفى عليه شيء والمعنى في اخفائها التهويل والتخويف للخلق اذ لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى في اخفاء وقت الموت لان الله تعالى وعد قبول التوبة فاذا عرف وقت موته واتفقنا اجله استغل بالمعاصي الى ان يقرب ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصي بتعريف وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصي او يتوب منها في كل وقت خوف معاجلة الاجل وقال ابو مسلم اكاد بمعنى اريد وهو كقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ومن امثالهم المتداولة للافعل ذلك ولا اكاد اي لا اريد ان افعله وقال الحسن ان اكاد من الله واجب بمعنى قوله تعالى اكاد اخفيها على الخلق كقوله تعالى عسى ان يكون قريبا اي هو قريب وقيل اكاد صلة في الكلام والمعنى ان الساعة آتية اخفيها قال زيد بن اسلم الحبر المهيجا شاك بسلاحه فما ان يكاد قرنه يتنفس اي فما ان يتنفس قرنه وقوله تعالى **لتجزى كل نفس بما تسعى**

اي تعمل من خير او شر متعلق بآتية واختلف في المخاطب بقوله تعالى **فلا يصدنك** اي يصرفنك **عنها من لا يؤمن بها** فقيل وهو الاقرب كما قاله الرازي انه موسى عليه السلام لان الكلام اجمع له وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم واختلف الغائي في عود هذين الضميرين من علي وجهين احدهما قال ابو مسلم لا يصدنك عنها اي عن الصلاة التي امرتك بها من لا يؤمن بها اي بالساعة فالضمير الاول عايد الي الصلاة والثاني الي الساعة ومثل هذا جايز في اللغة فالعرب تكني عن الخبرين ثم تأتي بما يحوايهما جملة ليرد السامع الي كل خبر حقه فايهما قال ابن عباس **ولا يصدنك** عن الساعة اي عن الايمان بها من لا يؤمن بها والضمير ن عايدان الي يوم القيمة وهذا اولي لان الضمير يعود الي اقرب المذكورات وبعدها هنا الاقرب هو الساعة وما قاله ابو مسلم انما يصار اليه عند الضرورة ولا ضرورة ها هنا تنبيه المقصود من ذلك نهي موسي عليه السلام عن التكذيب بالبعث ولكن ظاهر اللفظ يقتضي نهي من لم يؤمن عن صد موسي وفيها فيه وجهان احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل علي جملة علي المسبب الثاني ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين فذكر المسبب ليدل علي السبب كقولهم لا ارينك ههنا المراد نهي المخاطب عن حضوره لان براه هو فالرؤية مسببة عن الحضور كما ان صد الكافر مسبب عن الرخاوة والضعف في الدين فقيل لا تكن رخوا بل كن شديدا صلبا حتي لا يلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك عما انت عليه **واتبع هواه** اي ميل نفسه الي اللذات المحسوسة المحرجة لفقر نظرك عن غيرها وخالف امر ربه **فتردي** اي تهلك

ان

ان تصدد تعمها وما في قوله تعالى **وما تلك بيمينك** مبتدا استفهامية **وتلك** خبره **وبيمينك** حال من معني الاشارة وقوله تعالى **يا موسي** تكرير لانه ذكره قبل دخوله في قوله تعالى **نودي يا موسي** وبعد في مواضع كالقها يا موسي لزيادة الاستيناس والتنبيه فان قيل السوال انما يكون لطلب العلم وهو علي الله تعالى محال فما الفايدة في ذلك اجيب بان في ذلك فوايد الاولي توقيفه علي انها عصي حتي اذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة وهذا علي عادة العرب يقول الرجل لغيره هل تعرف هذا وهو لا شك انه لا يعرفه ويريد ان يفهم اقراره بلسانه الي معرفته بقلبه الثانية ان يقرر عنده انها خشبة حتي اذا قلبها ثعبانا لا يخافها الثالثة انه تعالي لما اراه تلك الانوار المتعاقبة من السمرة الي السمار واسمعه كلام نفسه ثم اورد عليه التكليف الشاق وذكر له المعاد وختم ذلك بالتهديد العظيم فختي موسي عليه السلام ذهش فقيل له **وما تلك بيمينك** موسي وتكلم معه بكلام البشر ازالة لتلك الدهشة والحيرة فان قيل هذا خطاب الله لموسي بلا واسطة ولم يحصل ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم اجيب بالمنع فقد خاطبه في قوله تعالى فاوحي الي عبده ما اوحي الا ان الذي ذكره مع موسي افتتاحه الي الخلق والذي ذكره مع محمد صلى الله عليه وسلم كان سرا لم يأهل له احد من الخلق وايضا ان كان موسي تكلم معه فامة محمد يخاطبون الله تعالي في كل يوم مرات علي ما قاله صلي الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه والرب يتكلم مع احاد امة محمد يوم القيمة بالتسليم والتكرم لقوله تعالي سلام قولا من رب رحيم تنبيه

ن

قوله تعالى وما تلك بيمينك اشارة الى العصا وقوله تعالى بيمينك
اشارة الى اليد وفى هذا نكت ذكرها الرازى رحمه الله تعالى
الاول انه تعالى لما اشار اليهما حيل كل واحدة منهما معجزة قاهرة
وبرهانا ساطعا ونقلة من الجمادية الى مقام الكرامة فاذا صار
الجماد بالنظر الواحد حيوانا وصار الجسيم الكثيف نورانيا لطيفا
علم انه تعالى ينظر كل يوم ثلثمائة وستين مرة الى قلبه العبد
فاى عجب لو انقلب قلبه من موت العصيان الى السعادة
بالطاعة ونور المعرفة ثانيها ان النظر الاول الواحد صار الجماد
ثعبانا فلما فتح سحرة فاى عجب لو صار القلب ثعبانا تبتلع سحرة
النفس الامارة بالسوء ثالثها ان العصى كانت فى عين موسى عليه
السلام فنسب بركته انقلبت ثعبانا وبرهانا وقلب المؤمن
بين اصبعين من اصابع الرحمن فاذا حصلت لدى موسى عليه
السلام تلك المنزلة فاى عجب لو انقلب قلب المؤمن بسبب
اصبعى الرحمن من ظلمة المعصية الى نور العبودية ولما سأل
تعالى موسى عليه السلام عن ذلك اجاب باربعة اشياء كلا منها
على التفصيل وواحد على الاجمال اولاها قال هى عصاى وقد
تم الجواب بذلك الا انه عليه السلام ذكر الوجوه الاخر لانه كان
يحب المكالمة مع ربه فجعل ذلك كالوسيلة الى تحصيل هذا الغرض
ثانيها قوله واهش اى احبط بها ورق الشجر عما على غنمى لتاكله
قيد عليه السلام اولا بعصاكم نفسه فى قوله هى عصاى توكلا عليها
ثم بعصاكم رعيته فى قوله واهش بها على غنمى وكذلك فى الجملة
يقول نفسى نفسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يشتغل فى الدنيا
الا باصلاح امر الامة وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اللهم اهد

قومى

لبستفع

انوكا عليها اذا استندت واذا رفعت على راسى القطيع وغنمى
العلوفة ثانيا قوله

قومى انهم لا يعلمون فلا جرم يوم القيمة يبدو الغيا باسمه فيقول
اهتى اهتى ارايهم كقوله ولى فيها مآرب جمع مأربة بتثليث الراء
حوائج ومنافع اخرى كحمل الزاد والسقى وطرد الهوام وانما
اجمل فى المآرب رجاء ان يسأله ربه عن تلك المآرب فيسمع
كلام الله تعالى مرة اخرى ويطول امر المكالمة بسبب ذلك وقيل
انقطع لسانه بالهيبة فاجمل وقيل اسم العصى نبعة وقيل فى
المآرب ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن جناه بالمحجن
واذا طلب كسر لواه بالشعبتين واذا سار القاها على
عاتقه فعلق بها اداته من القوس والكنانة والجلاب وغيرها
واذا كان فى البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى
عليهما الكساء واستظل والزندين بفتح الزاى تثنية زند
وزند الزند الغود الاعلى الذى يقدح به النار والزندة
التى فيها الغت فاذا اجتمعا قيل زندان ولم يقل زندتان
واذا قصر ريشاه وصله بهما وكان يقاتل بها السباع عن غنمه
وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقى بها فتطول بطول
البئر وتقصر بقصر شعبتاها دلوا ويكونان شعبتين بالليل واذا
ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت
واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاه فحصلت معاشيه وكذلك
لما ذكر موسى هذه الجوابات لربه قال له القها اى اندها
يا موسى فالقاها فاذا هى حية اى ثعبان عظيم تسعى
اى تمشى على بطنها سريعا وهذا كما تكلم حفيفة احرقها الله عليه
السلام لما قال ولى فيها مآرب اخرى اراد الله تعالى ان يعرفه
انه فيها مآرب لا يفطن لها ولا يعرفها وانه اعظم من سائرها

والذي ثانيهما كان في رجل موسى وهو النعل وفي يده سيفي وهو العصا
فالرجل آلة الهرب واليد آلة الطلب فقال ولا اخلع نعليك اشارة
الى ترك الهرب ثم قال القها وهي اشارة الى ترك الطلب كأنه
تعالى قال انك ما دمت في مقام الهرب والطلب كما كنت مشتغلا
بنفسك وطالبا لحظك فلا تكن خالعا لمعرفتي فكن تاركا للهرب
والطلب تكن خالعا لي ثالثها ان موسى عليه السلام مع علو
درجته وكمال صفته لما وصل الى الحضرة ولم يكن معه الا النعلان
والعصا امره بالقائهما حتى امكنه الوصول الى الحضرة فانت في
الدنيا وقد من المعاصي فكيف يمكنك الوصول الى جنابه فانه
قيل كيف قال هنا حية وموضع آخر ثعبان وهي الحية الصغيرة
الحياة اجيب بان الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى
والصغير والكبير واما الثعبان والجان فبينهما تفاوت لان
الثعبان العظيم من الحيات كما مر والجان الرقيق وفي ذلك
وجهان احدهما انهما كانت ولدت الثعبان حية صغيرة دقيقة
ثم لم تزل تربيه وتزايد جلدها حتى صارت ثعبانا قاربه بالجان
اول حالهما وبالثعبان آخر حالهما الثاني انهما كانت في شخص
الثعبان وسرعة حركة الجان لقوله تعالى فلما راها تهتز كأنها
جان قال وهب لما القى العصي على وجه الارض نظر اليها فاذا
هي حية تسعى صفرا من اعظم ما يكون من الحيات تمشي بسرعة
لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها اربعون ذراعا
صارت شعبتاها شدقين لها واللحيين عنقا وعرفا لها فتح
وعيناها تتقدان كالنار عمرت بالصخرة العظيمة مثل الحلقة

من

من الابل فتلتقمها وتقصف الشجرة العظيمة بانيابها ويسمع
لانيابها صريفا عظيما فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا ولم
يعرج نودي يا موسى ارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف قال
تعالى له خذها اي بيمينك ولا تخف وكان على موسى مدرعة
من صوف قد خللها بعيدان فلما قال تعالى له خذها خالف طرف
المدرعة على يده قال الملك ارايت ان اذن لك بما تحاذر اكنت
المدرعة تقيك عنك بشيء قال لا ولكنني ضعيف ومن ضعف
خلقت وكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هي عصى كما كانت
ويده في شعيبتها في الموضع الذي كان يضعهما اذا ثنوا كما علمها
كما قال تعالى سنعيدها سيرتها الاولى وقد اظهر الله تعالى
في هذه المعجزات ثلاثة امور الاول ان موسى عليه السلام منها انقلاب العصا
حية ومنها وضع يده في فمها من غير ضرر ومنها انقلابها
حشبة مع الامارات التي تقدمت تنبيه في نهب سيرتها
ادغم احدها ان تكون منصوبة على الظرف اي في سيرتها
اي طريقتها ثانيها على البدل من ها سنعيدها بدل اشتمال
لان السيرة الصفة اي سنعيدها صفتها وشكلها ثالثها
على اسقاط الخافض اي سنعيدها الى سيرتها وقيل غير ذلك فان قيل
لما نودي يا موسي وخص بتلك الكرامات العظيمة وعلم انه
مبعوث من عند الله تعالى الى الخلق فلماذا خاف اجيب
عن ذلك باوجه احدها ان ذلك الخوف كان من نفرة الطبع
لانه عليه السلام ما شاهد مثل ذلك قط وبعد المعلوم
بدلايل العقول ثانيها انما خافهما لانه عليه السلام عرف ما
لقي ادم عليه السلام فيها ثالثها ان مجرد قوله ولا تخف لا يدل

على حصول الخوف كقوله تعالى ولا تظلم الكافرين لا يدل على وجود ذلك
الطاعة لكن قوله فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا يدل عليه
ولكن ذلك الخوف انما ظهر ليظهر الفرق بينه وبين افضل الخلق
محمد صلى الله عليه وسلم فانما اظهر الرغبة في الجنة ولا النفرة عن
النار وقوله تعالى واضمم يدك اي اليمين الى جناحك اي جنبك الايسر
تحت العضد في الابط تخرج بيضا اي تخرج مشرقة تضيء كشعاع
الشمس تنسى الضر لابد فيه والتقدير واضمم يدك تضم واخرجها
تخرج فحذف من الاول الثاني وابقى مقابلهما ليدل على
ذلك ايجازا واختصارا وانما احتيج الى هذا لانه لا يترتب على مجرد
الضم الخروج وبيضاء حال من فاعل تخرج وقوله تعالى من غير سوء
متعلق بتخرج وروي عن ابن عباس الى جناحك اي صدرك
والاول كما قال الرازي اولى لانه يقال لكل انسان جناحان
كجناحي العسكر لطرفيه وجناحا الانسان جانباه والاصل
المستعار منه جناحا الطير سميا بذلك لانه يخفقهما اي يميلهما
عند الطيران وجناحا الانسان عضداه فقضداه يشبهان جناحي
الطائر ولانه قال تخرج بيضا ولو كان المراد بالجناح الصدر
لم يتز لقوله تخرج بيضاء من غير سوء والسوء الرداءة والقبح في كل
شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوءة والبرص
البقع تنتهي الى العرب دلهم عند نفرة عظيمة واسماعهم لا سيما
مجاورة فكان جديرا بان يكني عنه ولا تزي احسن ولا اظرف
ولا اخف للماعل من كنايات القرآن واذا به يروي ان موسى
عليه السلام كان شديد الادمة فكان اذا ادخل يده اليمنى
في جيبه فادخلها في الطبه الايسر واخرجها فكانت تبرق

مثل

مثل البرق وقيل مثل الشمس من غير مرض ثم اذا ردها عادت
الى لونها الاول من غير نور وقوله تعالى اية اخرى اي معجزة ثانية
حال من ضمير تخرج كبيضاء وقوله تعالى لنريك متعلق بمحذوف
عليه اية اي دللنا بها لنريك وقوله تعالى من اياتنا الكبرى
اي العظمى على رسالتك متعلق بمحذوف على انه حال من الكبرى
والكبرى مفعول ثان لنريك والتقدير لنريك الكبرى حال كونها
من اياتنا اي بعض اياتنا واختلف اي الايتين اعظم في الاعجاز
فقال الحسن اليد لانه تعالى قال لنريك من اياتنا الكبرى فدل
بالذي عليه الاكثر ان العصى اعظم اذ ليس في اليد الا تغير
اللون واما العصى ففيها تغير اللون وخلق الزيادة في الجسم
وخلق الحياة والقدرة والاعضاء المختلفة وابتلاع الحبال والسحر
ثم اعادتها عصى بعد ذلك فقد وقع التغير في كل هذه الامور
فكانت العصى اعظم واما قوله تعالى لنريك من اياتنا الكبرى فقد
بينا انه عائد الى الكلام وانه غير مختص باليد فان قيل لم لم يقل
تعالى من اياتنا الكبرى اجيب بان ذلك ذكر لرؤس الاي وقيل
فيه اضمار معناه لنريك من اياتنا الاية الكبرى وهذا التقدير
يقوي قول القائل بان اليد اعظم اياته ولما اظهر سبحانه وتعالى
لموسى هذه الاياة عقبها بامره بالذهاب الى فرعون بقوله
تعالى اذهب اي رسولا الى فرعون وبين تعالى العلة في ذلك
بقوله تعالى انه طغى اي جاوز الحد في كفره الى ان ادعى
الالهية ولهذا حضه الله تعالى بالذكر مع انه عليه السلام مبعوث
الى الكل قال وهب قال الله لموسى عليه السلام اسمع كلامي
واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي فانك بعيني وسمعي

وان معك يدي وهرتي واني لبسك هيبة من سلطاني تستكمل
بها القوة في امرك تبعثك الي خلق ضعيف من خلقتي بطل نعمتي
وامن مكري وعزته الدنيا حتي مجد حتي واتكرد بوبيتي
اقسم بعزتي لولا الحجة والعذر التي بيني وبين خلقي لبطشت
به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي
وادعه الي عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لينا لا يغتر
بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي لا يطرف ولا يتنفس الا بعلمي
في كلام طويل قال فسكت موسي عليه السلام سبعة ايام ثم
لا يتكلم ثم جاءه ملك فقال اجب ربك فيما امرك فعند ذلك
قال رب اشرح لي صدري اي وسعه لتحمل الرسالة قال ابن
عباس يريد حتي لا اخاف غيرك والسبب في هذا السؤال ما
حكي الله تعالي عنه في موضع اخر ويضيق صدري ولا ينطلق
لساني وذلك ان موسي عليه السلام كان نحيفا فرعون اللقاني
فخاف شديد الشدة شوكته وكثرة جنوده وكان يضيق صدره
بما كلف من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالي ان يوسع
قلبه حتي يعلم ان احدا لا يقدر علي مضرته الا باذن الله تعالي
واذا علم ذلك لم يخف فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده
وقيل اشرح لي صدري بالعلم عنك ما انزلت علي من الوحي
ويسر اي سهل لي امري اي لما امرتني به من تبليغ الرسالة
الي فرعون وذلك لان كل ما يصدر من العبد من الافعال
والاقوال والحركات والسكنات فالله تعالي هو الميسر له فان
قيل قوله تعالي لي في اشرح لي صدري وتيسر لي امري بما
جداه والامر مستتم مستتيب بدونه اجيب بانه قد ابهم

الكلام

الكلام اولا فقال اشرح لي ويسر لي فعلم ان تمام مسئولها ميسرا
ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان اكد لطلب الشرح لصدره
والتيسير لامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري علي
الايضاح السالف لانه تكرير للمعني الواحد من طريق الاجمال
والتفصيل واحلل عقدة من لساني قال ابن عباس كان
في لسانه عليه السلام رتة وذلك ان موسي كان في حجر فرعون
ذات يوم في صغره فلعم فرعون لطمة واخذ بلحيته فقال فرعون لاسية
امرأته هذا عدوي واراد ان يقتله فقالت اسية انه صبي لا يعقل
ولا يميز وفي رواية ان ام موسي لما فطمته ردته الي فرعون فنشأ موسي
في حجر فرعون وامرأته يربيانه واتخذاه ولدا فبينما هو ذات يوم
يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب فرعون وتظاهر بعربده وتهم
بقتله فقالت آسية ايها الملك انه صغير لا يعقل جربه ان شئت
فجاءت بطشتين في احدهما جمر وفي الاخر جوهر فاراد ان ياخذ
الجوهر فاخذ جبريل يد موسي عليه السلام فوضعها علي النار
فاخذ جمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه وصارت عليه عقدة
وقيل قربا اليه تمرة وجمرة فاخذ الجمرة فجعلها في فيه فاحترق
لسانه وردي ان الله احترقت واجتمعت في علاجها فلم تبرء ولما
دعاه قال الي اي رب تدعوني قال الي الذي ابرا يدي وقد
عجزت عنها وعن بعضهم انه لم يترا الله ليلا يدخلها مع فرعون في
قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المؤاكلة وقيل كان ذلك
التعقد خلقة سأل الله تعالي ان الته واختلفوا في انه لم طلب
حل تلك العقدة فقيل ليلا يقع خلل في اداء الوحي وقيل لئلا
يستخف بكلامه فينفروا عنه ولا يلتفتوا اليه وقيل للاظهار

المعجزة كما ان حبس لسان زكريا عليه السلام عن الكلام كان معجزا في
حقه فكذا اطلاق لسان موسى تعجز في حقه واختلفوا في زوال
العقدة بكلامها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هارون هو افصح مني
لسانا وقول فرعون ولا يكاد يبين وكان في لسان الحسين بن
علي رضي الله تعالى عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبهما من عمه موسى وقال الحسن زالت بالكلية لقوله تعالى قد
اوتيت سولك يا موسى وضعف هذا الكلام بانه عليه السلام لم
يقل واحلل العقدة من لساني بل قال واحلل عقدة من لساني
فاذا احل عقدة واحدة فقد اتاه الله بسوله قال والحق انه انحل
اكثر العقدة وبقي منها شيء وقال الزمخشري وفي تنكير العقدة
وان لم يقل واحلل عقدتي من لساني انه طلب حل بعضها ارادة ان
يفهم عنه فهما جيدا اي ولذا قال يفقهوا اي يفهموا قولي عند
تبليغ الرسالة ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة
للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني لتنبيه استدل على ان
في النطق وفضيلة عظيمة بوجوه الاول قوله تعالى خلق الانسان علمه
البيان فماهية الانسان هي الحيوان الناطق ثانيها اتفاق العقلا
على تعظيم امر اللسان قال زهير لسان الفتى نصف ونصف
فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم وقالوا ما الانسان
لولا اللسان الا بهيمة مرسلة اي لو ذهب النطق اللساني
لم يبق من الانسان الا القدر الكاصل في البهايم وقال المرء
باصغريه قلبه ولسانه وقالوا المرء مجموعة لسانه ثالثها
ان في مناظرة آدم عليه السلام مع الملايكة ما ظهرت الفضيلة
الا بالنطق حيث قال يا آدم انبئهم باسمايهم فلما انباهم باسمايهم

قال

قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض ولما راى موسى عليه
السلام ان التعاون على الدين والتظاهر عليه مما لصقا لوجد
وزوال التهمة مزية عظيمة في الدعاء الى الله تعالى طلب المعاونة على
ذلك بقوله واجعل لي وزيرا اي معينا على الرسالة ولذلك
قال عيسى بن مريم عليهما السلام من انصاري الى الله قال الحواريون
نحن انصار الله وقال محمد صلى الله عليه وسلم ان لي في السماء وزيرين
وفي الارض وزيرين فالذان في السماء جبريل وميكايل والذان
في الارض ابو بكر وعمر وقال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بملك
خيرا قيض الله وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان
اراد شرا كفه وقالوا بوسر وان لا يستغني اجود السوق عن
الصيقل ولا الكرم الدواب عن السوط ولا اعلم الملوك عن الوزير
ولما كان التعاون على الدين منصبا عظيما اراد ان لا يحتقر هذه
الدرجة الا لاهله فقال من اهلي اي اقاربي وقوله هارون قال
الجلال المحلي مفعول ثان وقوله اخي قال عطف بيان وذكر عنه
اعاريب غير ذلك لا حاجة لنا بذكرها تنبيه الوزير مشتق من
الوزر لانه يحتمل عن الملك اوزاره وهو تهامي من الوزر لان الملك
يعتمد برايه ويلجي اليه اموره ومن الموازرة وهي المعاونة قال
الرازي وكان هارون محصوصا بامور منها الفصاحة لقول موسى
هو افصح مني لسانا ومنها الرفق لقوله يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي
ولا برأسي ومنها انه كان اكبر سنا منه وقال ابن عادل كان اكبر
سنا من موسى باربع سنين وكان افصح لسانا منه واجمل واوسم
ابيض اللون وكان موسى ادم اقنى جعدا ولما طلب موسى عليه السلام
من الله ان يجعل هارون وزيرا له طلب منه ان يشد ازره بقوله

اشدد به ازري ای اقوی به ظهري واشركه في امري ای في النبوة
والرسالة وقرا ابن عامر بسكون الیا من اخي وهمزة مفتوحة من
اشدد وهو علي مرتبته من المد وبهمزة مضمومة من اشركه
وابن كثير وابو عمرو بفتح الیا من اخي وهمزة وصل من اشدد
واشركه بهمزة مفتوحة والباقون بسكون الیا من اخي وهمزة
وصل من اشدد وفتح الهمزة من اشركه كم ان الله تعالي حكي عنه
ما لاجله دعا بهذا الدعا فقال كي نسبحك تسبيحا كثيرا قال الكلبي
نصلي لك كثيرا نحمدك ونثني عليك والتسبيح تنزيه الله تعالي عن
ذاته وصفاته عما لا يليق به وتذكرك ذكرا كثيرا ای نصفك بصفات
الكمال والجلال والكبريا وجوزا ابو البقا ان يكون كثيرا لتعاقب زمان
محذوف ای زمانا كثيرا انك كنت بنا بصيرا ای عالما بانا لا نريد
بهذه الطاعات الا وجهك ورضاك وبصيرا بان الاستعانة
بهذه الاشيا لاجل حاجتي في النبوة اليها او بصيرا بوجوه مصالحنا
فاعطنا ما هو الاصلح لنا ولما سال موسي عليه السلام ربه تلك
الامور المتقدمة وكان من المعلوم انه قد يتاتي له بما كلف به لا يتم
الا باجابته اليها لا جرم قال الله تعالي قد اوتيت سولك يا موسي
ای اعطيت جميع ما سالته عنا عليك مما منه من وجوه المصالح
ولقد منا عليك مرة اخري ای انعمنا عليك في وقت آخر
وفي ذلك تنبيه علي امور احدها كانه تعالي قال اني راعيت
مصلحتك قبل سوالك فكيف لا اعطيك مرادك بعد السوال
ثانيها اني كنت ربيتك فلو منعتك الآن كان ذلك ردا بعد القبول
واساة بعد الاحسان فكيف يليق بكرمي ثالثها انا اعطيناك
في الازمنة السالفة كما احببت اليه ورقيناك الدرجة العالية

وهي

وهي منصب النبوة فكيف يليق بمثل هذه التربية المنع عن المطلوب
فان قيل لم ذكر تلك النعم بلفظ المنة مع ان هذه اللفظة مؤذية
والمقام مقام التلطف اجيب بانه انما ذكر ذلك ليعرف موسي عليه
السلام ان هذه النعم التي وصل اليها ما كان مستحقا لشي منها بل انما
فعله الله تعالي بمحض الفضل والاحسان فان قيل لم قال مرة
اخري مع انه تعالي ذكر منا كثيرة اجيب بانه لم يعن مرة اخري
واحدة من المنن لان ذلك قد يقال في القليل والكثير ثم بين تعالي
تلك المنة وهي ثمانية اولها قوله تعالي اذ اوحينا الي امك وحيا
لا علي وجه النبوة اذ المراة لا تصلح للقضا والامامة ولا تمكن
عند اكثر العلما من تزويج نفسها فتكليف يصلح للنبوة ويدل علي ذلك
قوله تعالي وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم والوحي حالا
بمعني النبوة في القرآن كثيرا قال تعالي واوحي ربك الي النحل
واذ اوحيت الي الحواريين ثم اختلفوا في المراد بهذا الوحي علي
وجوه اولها انه رويا راتها ام موسي وكانت تاولها وضع توبي
في التابوت وقذفه في البحر والله تعالي يرده عليها ثانيها عزيمة
جازمة وقعت في قلبها دفعة واحدة ثالثها المراد خطور البال وغلبة
علي القلب فان قيل هذه الوجوه الثلاثة يعترض عليها بان
الالقا في البحر قريب من الاهلاك وهو مساو للخوف فحاصل من
القتل المفسد من فرعون فكيف يجوز الاقدام علي احدهما لاجل
الصيانة عن الثاني اجيب بانها لعلها عرفت بالاستقرا او بدق رويا
فكان الالقا في البحر الي السلامة اغلب علي ظنها من وقوع الولد
في يد فرعون رابعها لعله اوحي الي بعض الانبيا في ذلك الزمان
كشعيب عليه السلام او غيره ثم ان ذلك النبي عرفها اما مشافهة

ها

او مراسلة واعترض على هذا بان الامر لو كان كذلك لما احتيج الى
واجيب بان ذلك الخوف كان من لوازم البشرية كما ان موسى عليه
السلام كان يخاف فرعون مع ان الله تعالى كان اجراه بالذهاب
اليه مرارا خامسها لعل بعض الانبياء المتقدمين كابراهيم واسحاق
ويعقوب عليهم السلام اخبر والدتك الخبر وانهى ذلك الخبر الى
امه سادسها لعل الله تعالى بعث اليها ملكا لا على وجه النبوة
كما بعث الى مريم في قوله فتمثل لها بشرا سويا واما قوله تعالى
فمعناه ما لا تعلم الا بالوحي او هو ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم
شانه وفرط الاهتمام وبه لجنه ان اقذفيه اي القيه في
التابوت اي الهمناه ان اجعليه في التابوت فاقذفيه اي موسى
بالتابوت في اليم اي نهر النيل فليلقه اليم بالساحل اي شاطيه
والامر عيني اخبر والضمائر كلها لموسى فالمقذوف في البحر والملقى
الى الساحل هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر
فيتنافر النظم الذي هو اعجاز القرآن والتابوت الذي وقع
عليه التخيير ومراعاة الهم ما يجب على المفسر تنبيه اليم البحر
والمراد به هنا نيل مصر في قول الجميع والم اسم يقع على الماء الكثير والبحر
العظيم قال الكسائي والساحل فاعل بمعنى مفعول سمي بذلك
لان الماء يسحله اي يجرفه وقوله تعالى ياخذه عدو لي وعدو له
اي فرعون جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة او لان الاول
باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع اي سيصير عدوا له بعد
ذلك فانه لم يكن في ذلك الوقت بحيث يعادي ويؤذي انما اتخذت
تابوتا قال مقاتل ان الذي صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون
وجعلت في التابوت قطنا فجعلوا موضعه فيه وجصصته وقيرته

ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينما هو
جالس على راس بركة مع اسية بنت مزاحم اذ بالتابوت يجيء به الماء
فامر فرعون الغلمان والجواري باخراجه فاخرجوه وفتحوا راسه فلما
رأى وجه الناس وجها فاحبه حبا شديدا الا تملك ان
يعبر عنه كما قال تعالى والقيت عليك محبة مني وهذه الميثقة الثا
قال الزمخشري مني اما ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى على اني
احببتك ومن احبه الله احبه القلوب واما ان يتعلق بمحذوف هو
صفة لمحبة اي محبة خالصة او واقعة مني قد ركزتها انا في القلوب
وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون واسية حتى قالت قرة عين
لي ولك لا تقتلوه رويي انه كان على وجهه مسحة جمال وفي عينه
ملاحة لا يكاد يعبر عنه من يراه وهو كقوله تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا
المنة الثالثة قوله تعالى ولتصنع على عيني اي تربى على رعايتي
وحفظي لك فانا مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشيء بعينه اذا
اعتنى به ويقول الصانع اصنع هذا على عيني انظر اليك ليلا تخالف
عن مرادي وبعيني تنبيه ولتصنع او على الحالة السابقة باظهار
مثل معلل مثل فعلت ذلك وقرا بفتح الياء نافع وابن كثير وابو
عمرو وسكنها الباقون المنة الرابعة قوله تعالى اذ تمشي اختك
والعامل في اذ القيت او لتصنع ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا
واستشكل بان الوقتين مختلفان متباعدان واجيب بانه يصح مع
اتساع الوقت كما يصح ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا
فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيته هو في اثنائها وانت في فرضها
فتقول هل دللتم على من يكفله يروي ان امها لما وضعته
جاءت مستوفية جزع فضاقت ثديها فلم يطيبوا له مرضعة يقبل ثديها وذلك

انه كان لا يقتل ذرى امرأة فقالت لهم ذلك فقالوا انهم فجات بالام فقتل
ذريها فذلك قوله تعالى **وقتلت نفسا** قال ابن عباس هو الرجل
القبطي الذي قتله خطأ بان وكزه بحيث استغاثه الاسرائيلي
اليه قال الكسائي كان عمره اذ ذاك اثني عشر سنة **فنجيناك من**
الغم اي من غم قتله فوقاه من اقتصاص فرعون كما قال تعالى في اية
فاصبح في المدينة خائفا يترقب بالهما جرة الى مدين المنة
السادسة قوله تعالى **وفتناك فتونا** قال ابن عباس اختبرناك
اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه في محنة
بعد محنة وخلصه الله تعالى منها اولها ان امه حملته في السنة التي كان
فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه في اليم في التابوت ثم منعه
الرضاع الا من ثدي امه ثم اخفه بلجيئة فرعون حتى هم بقتله ثم
تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطي وخروجه الى مدين خائفا
فان قيل الله تعالى عدد انواع منته على موسى وهذا المقام لا يليق بهذا الموضع وفتناك فتونا اجيب بجوابين الاول له فتناك
اي خلصناك تخليصا من قولهم فتنت الذهب اذا اردت تخليصه من
الغشة وهو الثاني ان الفتنة تشديد المحنة يقال فتن فلانا عن
دينه حتى اذا اشتدت عليه المحنة حتى رجع عن دينه قال تعالى
فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله وقال تعالى الم
احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا
الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ولما
كان التشديد في المحنة يوجب كثرة الثواب عده الله تعالى من جملة
النعم وتقدم تفسير ابن عباس وهو قريب من ذلك فان قيل هل
يصح اطلاق الفتان على الله تعالى اشتقاقا من قوله تعالى وفتناك
فتونا

فتونا اجيب بانه لا يصح لانه صفة ذم في العرف واسماء الله تعالى توقيفية
لا سيما فيما يوهم ما لا ينبغي المنة السابعة قوله تعالى **فلبثت سنين في**
اهل مدين والتقدير وفتناك فخرجت خائفا الى اهل مدين فلبثت
سنين فيهم عند شعيب عليه السلام وتزوجت بابنته وهي ايما
عشرا وقيل ثمانا لقوله علي اذا جرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن
عندك وقال وهب لبث موسى عند شعيب عليه السلام ثمانية
وعشرين سنة منها عشر سنين مهر امراته فانه قضى اوفى الاجلين
والاية ذالة على انه لبث عشر سنين وليس فيها ما ينفي الزيادة
على العشر كما قاله الرازي وان قال ابن عادل يرده قوله تعالى فلما
قضى موسى الاجل اي الاجل المشروط عليه في تزويجه وسار بأهله
ومدين بلدة شعيب علي ثماني مراحل من مصر **ثم جئت على قدر** اي
على القدر الذي قدرت انك تجيء فيه لا تقدم ولا تستبيك عجلت
ولا استغفر وقتك المعين ولا استاخر وقال ابن عبد الرحمن بن كيسان
على راس اربعين سنة وهو القدر الذي يوحى فيه الى الانبياء لهذا
قاله اكثر المفسرين اي على الوعد الذي وعدتك وقدرانه
يوحى اليه بالرسالة وهو ابن اربعين سنة وكرر تعالى قوله **يا موسى**
عليه ما هو غاية الكناية للتنبيه على ذلك المنة السابعة قوله
تعالى **واصطنعتك** اي اخترتك **لنفسي** للاهر فلك في اما مر فلا
تشتغل الا بما امرتك به وهو اقامة محبتي وتبليغ رسالتي واذا تكون
في حركاتك وسكناتك لي لا لنفسك ولا لغيرك ثم بين تعالى
ما له اصطنعه معه وهو الابلاغ والادا بقوله تعالى **اذهب انت**
واخوك باياتي اي بمعجزاتي وقال ابن عباس الايات التسع التي بعث
بها موسى وقيل انها العصى واليد لانهما اللذان جريا ذكرهما في هذا

بالموضع وامر بذكر الله عليه السلام الذي قبل مجيئه الى فرعون ولا بعد
مجيئه حتى لقي فرعون فالخمس منه آية غيرها بين الآيتين قال
فقابل الحكاية عن فرعون ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
وقال تعالى قد جئناك ببرهان من ربك الى فرعون وملائه فان
قيل كيف اطلق لفظ الجمع على الاثنين اجيب بان الهمي كانت
آيات فعلا عصا حيوانا ثم ثعبانا في اول الامر كانت صغيرة لقوله
تعالى تهتز كانها جان ثم كانت تتلقم وهذه آية اخرى ثم كانت
تضيء تقبسا ونارا وهذه آية اخرى ثم ان عليه السلام يدخل يده
عليها فتخرجها فاذا هي كانت تتلقم فهذه آية اخرى ثم كانت تنقلب حيتا
فهذه آية اخرى وكذلك اليد فان بياضها آية وشعاعها آية اخرى
ثم في المجلس بعد ذلك آية اخرى فتلك على ايمانها كانت آيات
كثيرة وقيل الآيات العصا واليد وحل عقدة لسانه وقيل معناه
احد كما من الآيات يحتاج به الملك من فرعون وقومه ولا
تنيا اي لا تقترا ولا تقصرا في ذكري اي بتبليغ وعزم فان
من ذكر جلالي لم يستحسن غيري فلا يخاف احدا وقيل روحا
بذلك الذكر فلا تقصرا في مقصوده وحث ذكر الله لا بد وان
يكون ذكر احسانه وذكر احسانه لا يفتر في اداء اوامره
وقيل لا تنيا في ذكري عند فرعون بان تذكرا لفرعون وقومه
ان الله لا غير هي منهم الكفر وتذكرا لهم حتى الثواب والعقاب والترغيب
والترهيب وقيل المراد بالذكر تبليغ الرسالة اذهبا الى فرعون
انه طغى اي بادعاء الربوبية تلبسة ذكر اسم تعالى المذهوب
اليه هنا وهو فرعون وحذفه في قوله اذهب انت واخوك بآياتي

اختصارا

اختصارا في الكلام وقيل القتال فيه وجهان احدهما ان قوله اذهب انت
واخوك بآياتي يحتمل ان يكون كل واحد منهما مامورا بالذهاب على الانفراد
فقيل مرة اخرى اذهبا ليعرف ان المراد منه ان يشتغلا بذلك جميعا لا
ان ينفرد بعض احدهما دون الاخر والثاني ان قوله اذهب انت واخوك
بآياتي امر بالذهاب الى كل الناس من بني اسرائيل وقوم فرعون
ثم ان قوله تعالى اذهبا الى فرعون امر بالذهاب الى فرعون وحده
واستبعد هذا بل الذهابان متوجهان لشيء واحد وقد حذف من
كل من الذهابين ما اثبته في الاخر وقيل انه حذف المذهوب اليه
من الاول واثبته في الثاني وحذف المذهوب به وهو آياتي من
الثاني واثبته في الاول فقولا له قولا لينا اي مثل هذا لك الي
ان تزكى وادهديك الى ربك فتخشى فان دعوة في صولة عرض
وسئوة فان قيل لم امر الله تعالى باللين مع الكافر الجاحد اجيب
بان من دعاه الجبار اذا اعتدا عليه في الوعظ يزداد عتوا وتكبرا
فامرا باللين حذرا من ان تحمله الحماقة على ان يستطيل عليهما واخرا ما
لهما من حق التربية وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس
وابو الوليد وابو مرة وقيل اوعداه بشبابا لا هرم بعده وملكا
لا يزول الا بالموت وان يبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى
حين موته واذا مات دخل الجنة فاعجبه ذلك وكان لا يقطع امرا
دون هامان وكان غايبا فلما قدم اجرم بالذي دعاه اليه
موسى وقال اردت ان اقتل منه فقال له هامان كنت ارى ان
لك عقلا ورايا استرب تريد ان تكون مربوبا وانت تعبد
تريد ان تعبد فقلبه عن رايه وقوله تعالى لعله يتذكر او
يخشى متعلق باذهبا او قولا اي با سر الامر على رجائكما وطمعكما

هارون بجعل الخطاب معه خطابا مع هارون وكلام هارون على
سبيل التبع في تلك الحالة وان كان مع موسى وحده الا انه تعالى
اضافه اليهما كما في قوله واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وقوله لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان القائل عبد الله بن
ابي وحده فان قيل ان موسى عليه السلام قال رب اشرح لي
صدري فاجابه الله تعالى بقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى وهذا يدل
على انه تعالى قد شرح صدره ويسر له ذلك الاوامر والنواهي وحفظ
تلك الشرائع على وجه لا يتطرق اليها السهو والتحريف وذلك
شيء آخر غير الخوف قال الله تعالى لهما لا تخافا انني معكما حافظكما
وناصركما اسمع وارى اي ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل
ما يوجبه حفظي ونصرتي قال ابن عباس اسمع دعاءكما فاجيب واري
ما يراد بكما فامنع فلست بغافل عنكما فلا تهتما وقال القفال قوله
تعالى اسمع واري يحتمل ان يكون مقابلا لقوله يفرط علينا او ان
يطغى يفرط علينا بان لا يسمع منام وان يطغى بان يقتلنا قال
تعالى اني معكما اسمع كلامكما فاسخره للاستماع منكما واري
افعاله فلا اتركه حتى يفعل بكما ما تكرهانه ثم انه سبحانه وتعالى
اعاده ذلك التكليف فقال فاتياه لانه سبحانه وتعالى قال في
المرة الاولى اذهب الى فرعون وفي الثانية قال اذهب انت
واخوك وفي الثالثة قال اذهبا الى فرعون وفي الرابعة قال ههنا
فاتياه فان قيل الله تعالى امرهما في الثالثة بان يقولا له قولا لينا
وههنا امرهما بقوله تعالى فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا
بني اسرائيل اي الى الشام ولا تعذبهم اي خل عنهم من استعمالك
اياهم في اشغالك الشاقة كالحفر والبناء وحمل الثقيل وقطع

مباشرة من يرجو ويطمع ان يبر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه
ويسعى باقصى وسعه قال الزمخشري ولا يستقيم اذ براءة ذلك في حق الله تعالى
اذ هو عالم بعواقب الامور وعن سيبويه كلما ورد في القرآن من لعل وعسى
فهو من الله واجب بمعنى انه يستحيل بنا معناه في حق الله تعالى وقال
المبرد ان لعل بمعنى كي فتفيد العلية كما تقول اعمل لعلك تأخذ اجرتك
قال ثعلبة وقد رأى رجلا عند يحيى بن معاذ فقال له قل لا الهنا فلعلك يحيى وقال
آخر هذا بركة بمن يقول انا الاله فكيف بركة من يقول انت الاله فان
قيل ما الفائدة في ارسالهما والبالغة عليهما في الاجتهاد في امر عدو
تعالى بانه لا يؤمن اجيب بان ذلك الزام الحجة وقطع المعذرة
واظهار حادث في قضاء عجيب ذلك من الايات والذكر للتحقيق
والخشية للمتوهم اي ان لم يتحقق عندكما ولم يتذكر فلا اقل من ان
يتوهم فيخشى ولذلك قدم الاول ويروى عن كعب انه قال
والذي يحلف به كعب انه لمكتوب في التوراة قولا لينا وسافيه
قلبه فلا يؤمن ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه الذكرى
والخشية وذلك حين ابصر الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي
آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين ثم ان موسى وهارون
قالا ربنا انا نخاف ان يفرط اي يعجل علينا بالعقوبة او ان
يطغى اي يتجاوز الحد في الاساءة علينا فان قيل لما تكرر الامر
من الله تعالى بالذهاب فقدم الذهاب والتعليل بالخوف هل
يدل على معصية اجيب بان الامر ليس على الفور فسقط السؤال
وهذا من اقوى الدلائل على ان الامر لا يقتضي الفور فان قيل
قوله قالا ربنا يدل على ان المتكلم موسى وهارون ولم يكن هارون
هناك حاضرا اجيب بان الكلام كان مع موسى الا انه كان متبوع

هارون

المعجز وكان في عون يشغلهم في ذلك مع قتل الاولاد وفي هذا التقليط
من وجوه الاول قوله انا رسولا ربك وهذا يقتضي الانقياد لهما
والتزامه لطاعتهما وذلك يعظم على الملك المتبوع الثاني قولهما
فارسل معنا بني اسرائيل فيه ادخال النقص على ملكه لانه
كان محتاجا اليهم فيما يريده من الاعمال الثالث قولهما ولا تعذبهم
الرابع قولهما قد جيناك باية من ربك فالغاية في التليين اولا
والتقليط ثانيا اجيب بان الانسان اذا ظهر لحاجة فلا بد من
التقليط حتى لم ينفع التليين فان قيل اليس الاولى ان يقول
انا رسولا ربك قد جيناك باية من ربك فارسل معنا بني اسرائيل
ولا تعذبهم لان ذكر المعجز مقرونا بالدعاء للرسالة اولى من تاخيره
عنه اجيب بان هذا اولى لانهما ذكرا مجموع الدعاء وهي ثم استدلا
على ذلك المجموع بالمعجز وقولهما قد جيناك باية من ربك قال
الزمخشري هذه الجملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا
ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا
ببينتها التي هي مجيء الاية قال فان قيل ان الله تعالى قد اعطاهما
اياتين هما العصى واليد ثم قال تعالى اذهب انت واخوك
باياتي وذلك يدل على الثلاث اياتٍ وقال ههنا جيناك باية
وذلك يدل على انها كانت واحدة فكيف الجمع اجاب القفال
بان معنى الاية الاشارة الى جنس الاياتٍ كما تقدم قال قد جيناك
ببيان من عند الله ثم يجوز ان يكون ذلك حجة او مجيء كثيرة
وتقدم الجواب عن التشبيه والجمع واذ في العصا واليد اياتٍ وقوله
تعالى والسلام على من اتبع الهدى يحتمل ان يكون من كلام الله
تعالى كانه تعالى قال فقولا انا رسولا ربك وقولا والسلام على

من

من اتبع الهدى ويحتمل ان يكون من كلام الله وختم عند قوله وقد جيناك
باية من ربك وقوله تعالى بعد ذلك والسلام على من اتبع الهدى
وعد من قبلهما ممن آمن وصدق بالسلامة له من عقوبات الله في
الدنيا والاخرة وان سلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين
وقال بعضهم ان على بمعنى اللام لمن اتبع الهدى كقوله تعالى من
عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقال تعالى في موضع اخر
ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها انا قد اوحي الينا ان
العذاب على من كذب وتولى اعرض عند قال
البيضاوي ولعل تغيير النظم والتعريج بالوعيد والتوكيد فيه لان
التهديد في اول الامر اهم واسجم وبالواقع اليق ولما اتياه وقالا
انا رسولا ربك وبلغاه ما امرا به قال لهما فمن ربكما يا موسى انما
نادى موسى وحده بعد مخاطبته لهما معا اما لان موسى هو الاصل
في الرسالة وهارون تبع ووزير واما لان فرعون كان
لحنته يعلم الرتبة التي كانت في لسان موسى ويعلم فصاحة اخيه
بدليل قوله هو افصح مني لسانا فاراد ان يخجله ويدل عليه
قوله فرعون ولا يكاد يبين واما لانه حذف المعطوف للعلم
به اي يا موسى وهارون قاله ابو القاسم ان فرعون لم يتفرغ
مع موسى بالبطش والتدبير الما دعاه الى الله تعالى مع انه كان
شديد القوة عظيم الغلبة كثير العسكر بل خرج فعه في المناظرة
لانه لو اذاه لنسب الى الجهل والسفاهة فاستنكف من ذلك وشرع
في المناظرة وذلك يدل على ان السفاهة من غير حجة لم يرضه
فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف يليق ذلك بمن يدعي
الاسلام والعلم تنبيه قال فمن ربكما يا موسى وقال

في سورة الشعراء ما رب العالمين وهو سؤال عن الماهية فهما سؤالان مختلفان
والواقفة واحتج قال ابن عادل والاقرب ان يقال سؤال من كان عالما
على سؤال من لا يعلم كان يقول لي انا اسئلك عن الرب فقال فرعون ربكما فلما
اقام موسى الدلالة وعرف انه لا يمكنه ان يدعيه في هذا المقام
لظهوره وجلالة عدل الى طلب الماهية لان العلم بماهية اسم تعالى
غير حاصل للبشر فان قيل لم قال فرعون ربكما ولم يقل فرعون الهكما
اجيب بانه انفت نفسه ربما الم تربك فينا وليدا اذكر ذلك على
سبيل التعجب كانه قال انا ربك فلم تدع ربا آخر وهذا يشبه كلام نمرود
حين قال له ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال له نمرود انا احيي واميت
ولم تكن الاماتة التي ذكرها ابراهيم هي الاماتة مع الاحياء التي عارضه
نمرود الا في اللفظ فكذا ها هنا لما ادعى موسى ربوبية الله تعالى ذكر
فرعون هذا الكلام انا الرب الذي ربيتك ومعلوم ان الربوبية التي
ادعاها موسى عليه السلام غير الربوبية في المعنى وانه لا مشاركة
بينهما كانه قيل فما اجاب به موسى فقيل قال مستدلا على اثبات
الصانع باحوال المخلوقات ربنا الذي اعطى كل شيء اي من الانواع خلقه
اي صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى العين
الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع
وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما خلق
له من المنفعة غير ناي اي غير مقتد عنه واعطى كل حيوان نظيرا في
الخلق والصورة حيث جعل الحصانة والحمر زوجين والبعير والناقة
كذلك والمراة والرجل كذلك فلم يزاوج منها شيء غير جنسه وما
هو على خلاف على خلقة اي عرف الله تعالى الحيوان الكافر
من المخلوقات كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل اليه قال الزمخشري

وس

ويسد ذرهذا الجواب ما اخبره وما اجمعه وما ابينه لمن التمس الذهن ونظر
بعين الانصاف وكان طالبا للحق ولما خاف فرعون ان يزيد موسى
في اظهار تلك الحجة فيظهر للناس صدقه قال لموسى فما بال اي حال
القرون اي الامم الاولى كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عباد تهم
الاوثان وانما كانت تعبد الاوثان دون تلك البعث ممن سبقني منهم ومن
سمعه اراد ان يصرفه عن ذلك الكلام ويشغله بهذه الحكايات فلم
يلتفت اليه فلذلك قال علمها عند ربي استاثر به لا يعلمه الا هو
وما انا الا عبد مثلكم لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم
احوال هذه القرون حفظت عند ربي في كتاب هو اللوح المحفوظ ويجوز
ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه في علمه تعالى بما استحفظه العالم وقيده
بالكتبة ويوديه قوله لا يضل ربي ولا ينسى والضلال اذ يخفى الشيء
في مكانه فلم يهتد اليه والنسيان ان يذهب عنه بحيث لا يخطر
بباله وهما محالان على علام الغيوب تجلادا العبد الذليل والبشر
الضئيل اي لا يضل عني ولا ينسى كما تضل انت وتنسى يا مدعي
الربوبية بالجهل والوقاحة ثم عاد الى تتميم كلامه الاول وابراز
الدلائل الظاهرة على الوحدانية فقال الذي جعل لكم في جملة
تخلق الارض مهادا اي في شانها تشبيه هذا الموصول في محل رفع صفة
لربي او خبر لمحذوف تقديره هو او منصوب على المدح وقرا عاصم
وحمزة بفتح الهاء اي مهد ها مهدا اي يتمهدونها تمهي لكم كالمهد
وهو ما يمهد هنا وفي سورة الزخرف مهدا بفتح الميم للصبي وقرا
الباقون بكسر الميم وفتح الهاء والف بعدها وهو اسم ما يتمهد
كالفراش او جمع مهد وسلك اي يسهل لكم فيها سبلا اي طرقا بين
الجبال والاودية والبراري تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا

منافعها وانزل من السماء ماء اي مطرا وعدل بقوله فاخرجنا به عن
لفظ الغيبة الي صيغة التكلم علي الحكاية لكلام الله تعالي تنبيها علي
ظهور ما فيه من الدلالة علي كمال قدرته وحكمته وايذانا بانه
مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلي هذا نظائره كقوله تعالي
الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن
خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق
ازواجا اي اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها
مع بعض وقوله تعالي من نبات بيان وصفة للازواج وكذلك شتي
وهو جمع تشتيت من شت الامر تفرق بخي ورحي جمع مريض ورحيم
جمع جريح فالفه للتانيث اي ازواجا متفرقة ويجوز ان يكون صفة
للنبات فانه من حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد
والجمع اي انما مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل
بعضها يصلح للناس وبعضها للبهايم فلذلك قال تعالي كلوا وارعوا
انعامكم والانعام جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم تقال رعته للانعام
ورعيتها والامر للاباحة وتذكير النعمة والجملة حال من ضمير اخرجنا
اي مسخرين لكم الاكل ورعي الانعام اي وبقية الحيوانات ان في ذلك
اي فيما ذكرت من هذه النعم لايات اي لعبر لاولي النهي اي اصحاب
العقول جمع نهية كغرفة وغرف وسميت به العقل لانه ينهي صاحبه
عن ارتكاب القبائح ولما ذكر سبحانه وتعالي منافع الارض والسما
بين انها غير مطلوبة لذاتها بل هي مطلوبة لكونها وسايل الي
منافع الاخرة فقال منها اي الارض خلقناكم فان قيل انما خلقنا
من النطفة علي ما بين في سايز الايات اجيب بان المراد
انه لما خلق اصلنا ادم عليه السلام من تراب كما قال تعالي كمثل آدم

خلقه

خلقه من تراب حسن اطلاق ذلك علينا ثانيها ان تولد الانسان
انما هو من النطفة ودم الطمث وهما متولدان من الاغذية
والغذاء اما حيواني او نباتي والحيواني ينتهي الي النباتي والنبات
انما يتولد من امتزاج الماء والتراب فصح انه تعالي خلقنا منها وذلك
لانها في كونها نباتا مخلوقتين من النطفة ثالثها روي ابن مسعود
ان ملكا الارحام ياتي الي الرحم حين يكتب اجل المولود ورزقه
والارض التي يدفن فيها فانه يؤخذ من تراب تلك البقعة وينثره
علي النطفة ثم يدخلها في الرحم واخرج ابن المنذر عن عطا الخراساني
قال ان الملك ينطلق فياخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره
علي النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة وفيها نعيدكم اي مقبورين
بعد الموت ومنها نخرجكم اي عند البعث تارة اخري اي مرة اخري اي تتالف
اجزاكم المتفتتة المختلطة بالتراب وبودهم كما كانوا احياء ويحتمل ان يخرجهم الي
المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا ولما كان المقام لتعظيم القدرة
عطف عليه قوله تعالي ولقد اريناه اي ابصرناه اياتنا كلها اي التسع
المختصة بموسي عليه السلام وهي العصي واليد وفلق البحر والجراد
والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل فكذب بها وزعم انها سحر وابي
ان يسلم فان قيل قوله تعالي كلها يفيد العموم وانه تعالي ما اراه
جميع الايات فان من جملة الايات ما اظهرها علي ايدي الانبيا قبل
موسي عليه السلام وبعده اجيب بان لفظ الكل وان كان للعموم
وقد يستعمل في الخصوص مع القرينة كما يقال دخلت السوق
فاشتريت كل شيء او يقال ان موسي عليه السلام اراه اياته وعدد
عليه اياته غيره من الانبيا فكذب فرعون بالكل او يقال تكذيب بعض
المعجزات يقتضي تكذيب الكل فحكي سبحانه وتعالي ذلك علي الوجه

الذي يلزم ثم كانه قيل كيف صنع في تكذيبه واباه فقيل قال حين علم
حقيقة ما جاء به موسى وظهوره وخاف ان يتبعه الناس ويتركوه
في نفسه وهنا عظيما اجيتنا لتخرجنا من ارضنا اي الارض التي تحق
ما لكوها ويكون ذلك الملك فيها فصارت فرايسه ترعد خوفا مما
جاء به موسى لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قوة الجبال
لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يذل ناصره والله غالبه على
ملكه لا محالة ثم اضاف الاتباعه اذ ذلك سحر بقوله بسحرك يا موسى
فكان ذلك مع ما القوه من عاد لهم في الضلال صارفا لهم عن
اتباع ما راوه من البيان ثم اظهر لهم انه يعارضهم بمثل ما اوتي به
بقوله فلنا تينك بسحر مثله اي مثل سحرك يعارضه فاجعل بيننا
وبينك موعدا اي من الزمان والمكان لا نخلفه اي لا نجعله خلفنا ولا
انت اي لا نخالفه ولو كان كل من الزمان والمكان لا ينفك عن
الاخر قال مكانا وانث ذلك المكان لاجل وصفه بقوله سوى اي عدلا
وقال ابن عباس نصفا تستوي مسافة الفريقين اليه فانظر الى
هذا الكلام الذي رزقه وعفته وصفه بما وقته به فوه عن العادة
واستر يقودهم بعناده حتى اوردهم البحر فاغرقهم ثم في عمر ان النار
اخر تهم وقيل معنى سوى اي يسوي هذا المكان وقرا شعبة وابن
عامر وحمزة والكسائي بضم السين والباقون بكسرها واما شعبة
وحمزة فقد الكسائي في الوقف مخففة والباقون بالفتح وقيل المراد
بالموعد الوعد لان الاخلاف لا يليام الزمان والمكان اي بل
الوعد الذي هو يصح وصفه بالخلف وعدمه والى هذا انجا جماعة
ممتارين لم يرد عليهم بقوله قال موعدكم يوم الزينة فانه
لا يطابقه تنبيه يحتمل ان قوله قال موعدكم يوم الزينة ان يكون

من

من قول موسى عليه السلام وهذا اظهر مما قاله الرازي لوجوه الاول
انه جواب لقول فرعون فاجعل بيننا وبينك موعدا الثاني وهو ان
تعيين يوم الزينة يقتضي اطلاع الكل على ما سيقع فتعيينه اغا
يليق بالمحق الذي يعرف ان الله لا المبطل الذي يعرف انه ليس معه
الا التلبيس ثالثها ان قوله موعدكم خطاب للجميع فلو جعلناه من
فرعون لموسى وهارون لزم اما حمله على التعظيم او ان اقل الجمع
اثنان فالاول لا يليق بحال فرعون معهما والثاني غير جايز فاذا
جعلناه من موسى عليه السلام استقام الكلام واختلف في يوم
الزينة فقال مجاهد وقتادة النيروز وقال ابن عباس وسعيد
ابن جبير هو يوم عاشوراء وقيل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه
ويجتمعون في كل سنة وقيل يوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون
ذلك اليوم وفي قوله وان يحشر للمفعول لان الكلام ابجمع القصد
لا كون نعين معين الناس اي يجتمعون ضحى اي وقت الضحوة فيكون
اظهر لما يعمل واجلى لا يات الليل الا وقد تقضي الامر وعرف المحق
من المبطل ويكثر التحدث بذلك في كل بدو وحضر ويشيع في جميع
اهل الوبر والمدر فتولى اي اعرض فرعون عن موسى الى لهقيته ما
يريد من الكيد بعد توليته عن الانقياد لامر الله تعالى فجمع كيده
اي مكره وحيلته وخداعه الذي دبره على موسى يجمع من يحمل
بهم الكيد ويهم السحرة حشرهم من كل فج وكان اهل مصر اسحر اهل
الارض واكرمهم ساحرا وكانوا في ذلك الزمان اشد اعتنا بالسحر
واسهر ملكا منهم واكثر ثم اتى للميعاد الذي وقع القرار عليه من حشر
من السحرة والجنود ومن يتبعهم من الناس مع توفر الدواعي على
الاتيان للعيد والنظر الى تلك المغالبة التي لم يكن مثلها وتاشوف

السامع الى ما كان من موسى عليه السلام عند ذلك استانف تعالى
اخبر عنه بقوله تعالى قال لهم اي لا تعلوا الكيد والعناد وتم السحرة
وغيرهم موسى حين راى اجتماعهم ناصحا لهم ويلكم بايها الناس الذي
خلقكم الله تعالى لعبادته لا تفتروا اي لا تتعمدوا على الله كذبا
باسناد اكاذيبه فيسحتكم قال مقاتل يهلككم وقال قتادة يستاصلكم
بعذاب من عنده وقرا حفص وحمزة والكسائي بضم الياء وكسر الحاء
من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والباقون بفتحهما والسحت لغة
الحجاز وقد خاب من افترى اي تحاب فرعون وانه افترى واحتال
ليبقى الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا اي تجاذب السحرة امرهم بينهم
لما سمعوا هذا الكلام عجبا منهم انه لا يقدر ان يواجه فرعون بمثله فجمع
جنوده واتباعه ثم ليسلم منه الا من اسلم معه واسروا النجوى قال الكلبي
قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقال محمد بن اسحاق لما قال لهم
موسى لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر
وبالعوا في اخفاء ذلك فان النجوى الاسرار ليبطلوا امر فرعون
واتباعه على ذلك فكانت فتيا ما قالوا واخفى انتهى تنازعهم فقيل
قالوا اي السحرة ان هذان لساحران اي موسى وهارون وقرا
ابن كثير وحفص بسكون النون من ان وشد دها الباقون وقرا
ابو عمرو بالياء بعد الذال والباقون بالالف على لغة من يجعل الف
المثنى لازما في كل حال قال ابو حيان وهي لغة لطوائف من
العرب بني الحارث بن كعب وبعض كنانة وخثعم وزبيد وبني الفطر
وبني الهجيم ومراد وعذرة قال شاعرهم تزود مني بين اذناه ضربة
بمثل يدي اذ نبه وقال آخر ان اباها وابا اباها قد بلغا في المجد
غايتاها وقيل تقدير الاية انه ها ان ذان فحذف الهاء ذهب

جماعة

جماعة الى ان حرف ها هنا بمعنى نعم هذا ان روي ان اعرابيا سال ابن الزبير
شيا فحرمه فقال لعن الله ناقة حملتني اليك قال ابن الزبير ان وصاحبها
اي نعم وشدد ابن كثير النون فكانت نجواهم في تلفيف هذا الكلام
وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباع موسى وهارون
بسحرهما اي بما يقولان من دعوى الرسالة وغيرها ان يخرجاكم من
ايمانكم من ارضكم هذه التي اعتقوها وبني وطنكم خلفا عن سلف
بسحرهما الذي اظهراه لكم وغيره ولما كان كل حزب بما لديهم فرحون قالوا
ويذهبا بطريقتكم المثلى مونث الامثل وهو الافضل اي بمذهبكم الذي
هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلام دينه لقوله اني اخاف ان
يبدل دينكم وقيل اراد اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا
ارباب علم فيما بينهم كقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل
الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم
فاجمعوا كيدكم اي من السحر وغيره فلا تدعوا منه شيا الا جيتم به
وقرا ابو عمرو بهمزة الوصل بين الفاء والجيم وفتح الميم والباقون
بالهمزة مقطوعة وكسر الميم ثم ائتوا اي للقاء موسى وهارون صفا
اي مصطفين لانه اهيب في صدور الرايين تنبيه اختلفوا في
عدد السحرة فقال الكلبي كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من
القبط وسبعون من بني اسرائيل وقال عكرمة كانوا اثنتي عشر الفا
من الفرس وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الاسكندرية وقال
وهب خمسة عشر الفا وقال السدي بضعة وثلاثون الفا وقال
القاسم بن سلام كانوا سبعين الفا وقيل اثني عشر الفا مع كل منهم
على كل قوله حبالا وعصي واقبلوا عليه اقبالة واحدة وظاهر
القران لا يدل على شي من هذه الاقوال ولما كان التقدير فمن اتى

كذلك فقد استعلى عطف عليه قولهم وقد افلح اليوم في هذا الجمع الذي
ما اجتمع مثله قط من استعلى اي فاز بالمطلوب من غلب فلما القي السحرة
موسى قالوا له متادبين لئن لين القول مع تخفيم لذلم ينفع لم يعين
بل تفهيم ذلك ان رزقهم اسم تعالى الايمان ببركته يا موسى اما ان تلقي
اي ما معك مما تناظرنا به اولا واما ان نكون نحن اول من القى ما معه
قال لهم موسى عليه السلام مقابلا لادبهم باحسن منه ولانه فهم ان
مرادهم الابتدا وليكن ذلك هو الآخر فتكون له العاقبة بتسليط معجزته
على سحرهم فلا يكون بعدها سحر القوا انا اولا بل القوا انتم اولا
فانتهزوا الفرصة لان ذلك كان مرادهم بما فهم من تغيير السياق
والتعريض بالاول فالقوا ما معهم من الحبال والعصي فاذا حبالهم
وعصيهم التي القوها قد فاجات انه يخيل اليه تخييلا مستندا من
سحرهم اي الذي قد فاقوا به اهل الارض انها لشدة اضطرابها
تسعى فان قيل كيف يجوز ان يقول موسى عليه السلام بل القوا
فيا مرهم بما هو سحر اجيب بان ذلك الامر كان مشروطا بالتقدير
القوا ما انتم ملقون ان كنتم محقين كما في قوله تعالى فاتوا بسورة
مثله اي ان كنتم صادقين وفي القصة انهم لما القوا الحبال والعصي
اخذوا اعين الناس فراي موسى والقوم كانه الارض امتلاءت
حيات وكانت قد اخذت مثلا من كل جانب ورواها تسعى
وقيل لطخوها بالزيبق فلما وقعت عليها الشمس اضطربت فخيل
اليهم انها تتحرك وقرا ابن ذكوان تخيل بالتاء الفوقية على التانيث
والباقون بالياء على اسناده الى ضمير الحبال فاوجس اي احس في
نفسه خيفة موسى فان قيل كيف استشعر الخوف وقد عرض عليه
المعجزات الباهرة كالعصي واليد ثم ان الله تعالى قاله له بعد ذلك

انني

انني معكما اسمع واري فكيف وقع الخوف في قلبه اجيب باوجه احدها
انه خاف من جهة ان سحرهم من جنس معجزته ان يلتبس امره على الناس
فلا يومنوا به الثاني فيه انه خوف طبع البشرية مثل ما خاف من عصاه
اول ما راها لذلك الثالث لعله كان مامورا ان لا يفعل شيا الا
بالوحي فلما تاخر عليه نزول الوحي عليه في ذلك الجمع فيبقى الجزم
انه لنا الايمان المزيل لذلك الخوف بقوله قلنا لا تخف من شيء من امرهم ولا عزمهم
ثم علل ذلك بقوله تعالى واكده انواعا من التاكيد لاقتضاء الحال
انكارا ان يغلبه احد اظهر وامن سحرهم لعظمه انك انت خاصة
الاعلى اي الغالب غلبة ظاهرة لا شبهة فيها والق ما في يمينك
بهمزة وصل عصاك تحقير لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم
والق العود الذي في يدك او تعظيما لها اي لا تحتفل بكثرة هذه
الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها اي العصا وهي التي
قلنا لك اول ما سئلناك عما بمناجاتك وما تلك بيمينك يا موسى
ثم ان يناك منهما او يناك تلقف اي تبتلع بقوة واجتماع مع كونها
لا تكاد تدرك ما صنعوا اي فعلوه بعد تدربهم كيف وممارسة طويلة
فلما القاها صارت اعظم من حياتهم ثم اخذت تزداد عظما حتى ملاءت
الوادي ثم صعدت حتى علقت ذنبها باطراف الثنية ثم هبطت
واكلت كلما عملوا في المبلين والناس ينظرون اليها لا يحبون الا
انهم سلموا ثم اقبلت نحو فرعون لتبتلعه فاحتة فاها ما بين ذراعا
فصاح بموسى فاخذها فاذا هي عصا كما كانت ونظرت السحرة فاذا
هي لم تدع من حبالهم وعصيهم شيا الا اكلته وعرفوا انه ليس بسحر
واصل تلقف تتلقف حذفت احدى التاءين وتا العناوعة تحتمل
التانيث على اسناد الفعل الى العصا والخطاب على اسناد

الفعل الي السبب وقرا ابن ذكوان بوصل الفا على الخبر او الاستيناف
والباقون بسكتة خفيفة وحفص بسكتة اللام وتخفيف القاف على انه
من القفته بمعنى تلقفته **انما** اي الذي **صنعوا** اي وروا وافتعلوا وها لكذ
امر **كيد ساحر** اي كيد سحري لا حقيقة له والاضافة وقراحمزة والكسائي
بكسر السين وسكون الحاء بمعنى ذي سحر او بتسمية الساحر سحرا
على المبالغة او اضافة الكيد الي السحر للبيان كقولهم علم فقه
والباقون بفتح السين وكسر الحاء والف بينهما فان قيل لم وحد
الساحر ولم يجمع اجيب بان القصد في هذا الكلام بيان الجنسية
لا معنى العدد فلو جمع خيل ان المقصود هو العدد الذي في قوله
ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس **حيث اتي** اي كيف ما صار وقال ابن
عباس لا يسعد حيث كان وقيل حيث شاء حيث احتاله فانه انما
يفعل ما لا حقيقة له فان قيل لم نكر او لا تم عرفي ثانيا اجيب بانه
كان قال في هذا الذي اتوا به فسم من اقسام السحر لا فائدة فيه
ولا شك ان الكلام على هذا الوجه ابلغ ثم انه استأنف ما امره
به من القاء عصاه فكان مما وعده به سبحانه وتعالى من تلقفها
لما صنعوا منه غير ان يظهر عليها زيادة في نحن ولا غيره مع ان
حبالهم وعصيهم كانت شيئا كثيرا فعلم كل من راي ذلك حقيقة
وبطلان ما فعل السحرة فبادر السحرة منهم الي الخضوع لامر الله
ساجدين مبادرة من كانه القاء سلق على وجهه ولذلك قال
تعالى بعد ان ذكر مكرهم واجتماعهم في معارضة موسي عليه السلام
وحذف ذكر الالقاء وما سببه من التلقف لانه مقصود السورة
الدلالة على تلبين القلوب القاسية **فالقي السحرة** اي فالقاهم
ما راوا من امر الله بغاية السرعة وبا يسر امر **سجدا** على وجوههم

الله تعالي توبة بما صنعوا واعانا لفرعون بسجودهم وتيقظما ما راوا
وذلك لانهم كانوا في الطبقة العليا من علم السحر فلما راوا ما فعل موسي عليه
السلام خارجا عن صناعتهم عرفوا انه ليس من السحر البتة وقالوا
قال رئيسهم كنا نغلب الناس بالسحر وكانت الآلات تبقي علينا
فلو كان هذا سحرا فاين الذي القيناه فاستدلوا بتغير احوال
الاجسام على الصانع القادر بظهور ما علي يدموسي عليه كونه
رسولا صادقا من عند الله للجرم تابوا واخلصوا واتوا بما هو النهاية
في الخضوع وهو السجود قال الاصبهاني سبحان الله ما اعظم شانهم
القوا حبالهم وعصيهم للكفر وبالجود عدم القرار وبعدهم بعد ساعة للشكر
والسجود فما اعظم الفرق بين الالقاءين فكان فاعلا قال لهذا فعلهم
فما قالوا فقيل **قالوا آمنا برب هارون وموسي** ولم يقولوا باربنا
العالمين لان فرعون ادعي الربوبية في قوله انا ربكم الاعلي والالهية
في قوله ما علمت لكم من اله غيري فلو امنوا قالوا ذلك لكان فرعون
يقوله انهم امنوا بي لا بغيري ولتعلم هذه التتمة اختاروا هذه
العبارة والدليل علي ذلك انهم لم يتيسروا علي موسي بل قدموا
هارون لان فرعون ربي موسي في صغره فلو اتقدروا علي موسي
وقد موا ذكر هارون علموا ان المراد فرعون وذكر هارون علي
الاستتباع وقيل قدموه لكبر سنه او لرويته الاية فسبحان الله
ما اعظم امرهم كانوا ادراك النهار سحرة يقرون لفرعون بالربوبية واخر
شهداء برية روي انهم لم يرفعوا رؤسهم حتي راوا الجنة والنار وراوا
ثواب اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله تعالي في سجودهم
منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة فكانه قيل لما قالوا لهم فرعون
ثم قيل **قال** لهم **آمنتم** اي بالله **له** اي مصدقين او متبعين لموسي

قبل ان آذن لكم في ذلك قال ذلك ايهاما بانه يسوءه فيه ليتيقظ الناس
عن المبادرة الي الاتباع بين جواز العقوبة وعدمها الا ان ثم استانف قوله
معاتبا لهم لئلا يتابعوه بما يوقعهم عن اتباع الحق ولما خيلهم سرع بزيدهم
حيرة بتهديدهم بالسحرة فقال مقسما فلاقطعن اي لسبب ما فعلتم لاسيئكم
علي سبيل التوزيع وارجلكم اي من كل يد ورجل وقوله من خلاف
حال يعني مختلفة اي اليمني واليسري ولاصلبنكم وعبر
عن الاستعلاء بالظرف اشارة الي تمكنهم في الصلوب فيه تمكين الظرف في
ظرفه في جذوع النخل تشنيعا لتقتلكم وردعا لامثالكم ولتعلمن ايينا
يريد نفسه لعنه الله وهو بني عليه السلام بلام القسم لقوله آمنتم له واللام
مع الايمان في كتاب الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين
وفيه تهكم بما تقدم له وقدره وجرى به من تقريب الناس
بانواع الهدايا ولو تتبع موسي عليه السلام وايست تعلم ان له
مع الهدهد به لان موسي لم يكن قط من التعذيب في شيء وقيل
يريد بموسي الذي اسمه اشد عذابا وابقي اي ادوم علي
ما لخته فانه يقتل الكافر عوضة مع قربه محمد عشاهدة العصي حية
وتقدمها الموالات الا بعد استيفاء موسي من نشرها وعجزه عن
رفعها كيف يتقول بهذا السحرة وبالغ في وعيدهم اي لعذاب الله اكد
ويستمر بي موسي في قوله ايانا اشد عذابا وابقي اجيب بانه كان
في اشد الخوف في قلبه الا انه يظهر الجلادة والوقاحة تمشية لما قد
وتزويجا لامره قال الرازي ومن استقرا احوال العالم علم ان الفاجر
قد يفعل افعال هذه الاشياء وحمايدل علي صحة ما ذكرنا قوله انه لكبيركم
الذي علمكم السحر لانه كان يعلم ان موسي عالما الطهم البتة وما القيهم
وكان يعلم من سحرة استيار كل واحد من هو وكيف يحصل ذلك العلم

قبل ان آذن لكم ... الذي علمكم السحر

انه كان يقول مع ذلك هذه الاشياء كانه قيل فما قالوا له فقيل قالوا له
لن نؤثرك اي نختارك علي ماجاءنا علي لساننا موكي من البينات
التي عاينا ها وعلمنا انه لا يقدر احد علي معناها تما ولا بد وانما
يدل علي الخالق من الفعل الخارق ترقوا الي ذكره بعد معرفته بفعله
اشارة الي علو قدره فقالوا والذي اي ولا نؤثرك بالاتباع علي الذي
فطرنا اي ابتدا خلقنا اشارة الي ربوبية الله تعالي لهم وله والجميع الناشي
وتنبيها علي عجز فرعون عند من استحقه وفي جميع اقوالهم هذه من
تفخيم الله تعالي عباده وايثاره وتحقير فرعون امر عظيم تنبيه قد
علم مما تقرر ان والذي معطوف علي ما وانما اخروا ذكر البارئ
تعالي لانه من باب الترقي من الادني الي الاعلي وقيل الواو قسم والموصول
مقسم به وجواب القسم محذوف اي وحق الله الذي فطرنا لن نؤثرك علي
الحق ولما تسبب عن ذلك انهم لا يسالون به وعلمه انما يعلمهم هو
باذن الله تعالي قالوا له فاقض اي فاصنع في عملك الذي تعنيه ما
انت قاض اي فاتفق الذي انت قاضيه ثم علموا ذلك بقولهم انما
تقضي اي تصنع بنا ما تريد انك قد تركك الله عليه تقضي الحياة الدنيا
النصب علي الاتساع اي انما حكمك في علي الجسد خاصة فتحي
ساعة تقتلها راحة ونحن لا نخاف الا من يحكم علي الروح وانت في
الجسد فذاكر هو العذاب الشديد الدائم ثم علموا تعظيم الله
تعالي واستهانتهم بفرعون بقولهم انا آمنا بربنا اي المحسن الينا
طول اعمارنا مع اساءتنا بالكفر وغيره ليغفر لنا من غير نفع يلحقه
بالفعل وضرر يدركه بالترك خطايانا التي قابلنا بها احسانه ثم خصوا
بعد العموم فقالوا وما اكرهتنا عليه وبينوا ذلك بقولهم من السحر
لتعارض المعجزة فانكاد الاكمل لنا عصيانك فيه لان الله تعالي اقتي

بان يبقى فان قيل كيف قالوا ذلك وقد جاروا مختارين يحلفون بعزة فرعون
انهم المغلبة اجيب بانه قد روي انهم لما سجدوا كانوا اثنين وسبعين
الفا من القبط والباقون من بني اسرائيل اكرههم فرعون على تعلم
السحر وروي انهم راوا موسى عليه السلام نائما وعصاه تحرسه فقالوا
لفرعون ان السحر اذا نام بطل سحره فهذا لا يقدر علي معارضته
فابى عليهم واكرههم على المعارضة وقيل ان الملوك في ذلك الزمان
كانوا ياخذون البعض من رعيتهم ويكلفونه تعلم السحر فاذا شاخ
بعثوا اليه احدا ليعلمهم في كل وقت من يحسنه ولما كان التقدير
فرجنا اهل التقوى واهل المغفرة عطفوا عليه مستحقرين لكماله
والله اي الجامع لصفات الكمال خير جزاء منك فيما وعدتنا به وابقى ثوابا وعقابا
قال ابو حيان والظاهر ان الله تعالى سلمهم من فرعون ويديه وقوله تعالى
ومن اتبعكما الغالبون وقال الرازي ليس في القرآن ان فرعون فعل
باولئك القوم المؤمنين ما اوعدهم ولم يثبت في الاخبار وقال البقاعي
سيأتي في آخر الحديد ما هو صريح في نجاتهم ثم علل هذا الحكم بقوله
انه اي الامر الشأن من يات ربه اي الذي رباه واحسن اليه بان
اوجده وجعل له جميع ما يصلحه مجرما اي يموت على كفره فان له جهنم دار
الاهانة لا يموت فيها فيستريح من عذابها بخلاف عذابك فانه اخزه
الموت وان طال ولا يحيى فيها حياة مهناة بما يدفع ما قيل ان
الجسم الحي لا بد ان يبقى اما حيا او ميتا فخلوه عن الوصفين محال
وقال بعضهم انا نشاهد حالة ثالثة وهي كحالة المذبوح قبل ان يموت فلا
هو حي لانه قد ذبح ولا يبقى الحياة معه ولا هو ميت لان الروح
لم تفارقه بعد فهي حالة ثالثة ومن ياته اي ربه الذي اوجده ورباه
مؤمنا اي مصدقا به قد ضم الى تصديقه الايمان انه عمل اي في الدنيا

الصالحات

الصالحات اي التي من جملتها كما قالت عائشة رضي الله عنها مستلزمة للمصالح الاعمال
فاولئك اي العالوا الرتبة لهم الدرجات العلى جمع عليا مؤنث اعلا
التي لا نسبة لدرجاتك التي اوعدتناها اليها ثم بينوها بقولهم جنات
عدن اي اعدت للاقامة وهيئت فيها اسبابها تجري من تحتها الانهار
اي من تحت غرفها واشجارها فلا يراد هو ضع منها الذي يجري فيه
بل الاجري وقولهم خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او
الاستقرار وذلك جزاء كل من تزكى اي تطهر من ادناس الكفر فتنبيه
هذه الايات الثلاث وهي من قوله انه من يات ربه مجرما الى هنا
يحتمل ان تكون من كلام السحرة كما تقرر وان تكون ابتداء كلام من الله
تعالى وقوله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي عطف
على قوله ولقد اريناه ايانا وفيه دليل على ان موسى عليه السلام
كان مستجيبوه فاراد الله تعالى تمييزهم من طبقة فرعون وحلفائهم
فاوحى اليه ان يسري بهم ليلا والسري اسم لسير الليل والاسراء
مثله والحكمة في السري بهم ليلا ستأتي وهم العدو ويمنعهم عن مرادهم
او ليكون ذلك محاققا لفرعون عن طلبه وتتبعه او ليكون اذا تقارب
العسكران لا يرى عسكر موسى عسكر فرعون فلا يهابونهم
وقرا نافع وابن كثير بكسر النون وهمزة وصل بعدها من سري
والباقون بسكون النون وهمزة تقطع بعدها من اسرى لغتان
اي اسر ببني اسرائيل من ارض مصر الذين لبيت قلب فرعون لهم
حتى اذن في مسيرهم بعد ان كان قد ابى ان يطلقهم او يكف عنهم
العذاب فلما قد بهم ناحية بحر القلزم فاضرب اي اجعل لهم بالضرب
بعصاك طريقا في البحر والمراد بالطريق الجنس فانه كان لكل سبط طريق
وقوله يبسا صفة لطريقا وصف به لما يؤول اليه لانه لم يكن يبسا بعد

انما مرت عليه العصا فخففته كما روي وقيل في الاصل معدود وصف به مبالغة
وقيل جمع بابس كخادم وخدم وصف به الواحد مبالغة فلما اعتراها ما يجري
وايبس الله تعالى له الارض واراد المرور فيها قال تعالى له لا تخاف دركا
اي بدرك فرعون ولا تخشى غرقا وقرأ حمزة بحذف الالف بينهما
وبين الخاء على ان يكون نهيا مستأنفا والباقون برفع الخاء والالف بينهما
وبين الشين على انه مستأنف فلا محل له من الاعراب او انه في محل نصب
على الحال من فاعل اضرب اي اضرب غير خائف فاتبعهم فرعون
بجنوده اي وهو معهم على كثرتهم وقوتهم وعلوهم وعن كثرتهم فكانوا كالماء
الذي لا معين له بدون متبوعه والمتبوع بنو اسرائيل وذلك ان
موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فتبعهم ليردهم الى مصر
فاتبعهم فرعون نفسه وهذا جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل الباء
زائدة فغشيهم اي فرعون وقومه من اليم اي البحر ما غشيهم اي امر
لا يعلم كنهه الا الله تعالى من الهول وعظمه فاهلكهم وتطبع ما بريهم ولم يبق منهم احدا وما
اهدى فرعون قومه اي بل عاد بهم الى عبادته وما هديتكم اي ما ارشدتكم وهذا تكذيب
لفرعون وتهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد فنبه
الله تعالى بني اسرائيل على ما انعم به عليهم فقال تعالى يا بني اسرائيل
قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه وذكر ابن عباس رضي الله
عنهما ان الله تعالى اوحى الى موسى ان يقطع بقومه البحر وكان بنو
اسرائيل استعاروا من قوم فرعون الحلي والدواب للعيد يخرجون
اليه فخرج بهم ليلا وكان يوسف عليه السلام عهد الى قومه عند موته
ان يخرجوا عظامه معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عجوز
على موضع العظم فاخذه وقال موسى عليه السلام للعجوز
اسألك اي الفرق لك شيئا اطلبه فقالت اكون معك في الجنة

فلما خرجوا اتبعهم فرعون وعلى مقدمته الف الف وخمسمائة الف سوى
الجنيب والتلب فلما انتهى موسى الى البحر قال هنا امرت فاوحى الله
تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فقال لهم موسى
ادخلوا فيه قالوا كيف وهي رطبة فدعا ربه فهبت عليها الصبا فجفت
فقالوا لخاف الغرق في بعضنا فجعل بينهم كوى يرى بعضهم بعضا
فدخلوا حتى جاوزوا البحر واقبل فرعون الى تلك الطرق فقال له قومه
انما موسى قد سحر البحر كما تري وكان على فرس حصان فاقبل جبريل
عليه السلام على فرس انثى في ثلاثة وثلاثين من الملائكة فما
مر جبريل بين يدي فرعون فابصر الحصان الفرس فاقتحم بفرعون على
اثرها فصاحت الملائكة في الناس الحقوا حتى اذا لحق اخرهم
اراد اولهم ان يخرج التقى البحر عليهم ففرقوا فرجع بنو اسرائيل
حتى ينظروا اليهم وقالوا يا موسى ادع الله يخرجهم لنا حتى ننظر اليهم
فلفظهم البحر الى الساحل فاعتبروا من سلاحهم وذكروا ان
عساكر ان جبريل قال يا محمد لولا يتقي وانا ادس في فرعون في
الماء والطين مخافة ان يتوب فيدخل معي قوله تعالى فغشيهم من
اليم ما غشيهم ولما انعم الله تعالى على قوم موسى عليه السلام بانواع
النعم ذكرا ولادهم تلك النعم فنادام بقوله تعالى يا بني اسرائيل
والمنادي من وجد من اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
وخوطبوا بما انعم به على اجدادهم زمن موسى عليه السلام ولما
شكر ان ازالة الضرر يجب تقديمه على ايصال المنفعة الدينية اعظم
من ايصال المنفعة الدينوية فلهذا ابدا تعالى بازالة الضرر بقوله قد
انجيناكم من عدوكم فان فرعون كان ينزل بهم من انواع الظلم
كثيرا من القتل والاذلال والحرج والاتعاب الشاقة ثم بين بذكر

المنفقة الدينية بقوله تعالى **ووعدناكم جانب الطور الايمن** اي على ايمانكم
في توجهكم هذا الذي وجهكم فيه الى بيت المقدس ايمنكم ابراهيم عليه
السلام وهو جانبه الذي يلي البحر وناحية مكة واليمن ووجه المنفقة
فيه انه انزل في ذلك الجزء عليهم كتابا فيه بيان دينهم وشرع
شرعهم ثم ثلث بذكر المنفقة الدنيوية بقوله تعالى **ولا تطغوا فيه**
اي فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي بما حد الله لكم فيه من
الصرف والطرد والمنع عن المستحقين وقرا الكسائي **فيحل** بضم الحاء
اي ينزل والباقون بكسرها اي يجب **عليكم غضبي** اي عقوبتي **ومن**
يحلل عليه غضبي فقد هوى اي هلك وقيل سقط شقي وقيل وقع في
الهاوية وقرا الكسائي بضم اللام الاولى وكسرها الباقون واللكان
الانسان محال الذل وان اجتهد رجاه واستعطفه بقوله تعالى **واني**
لغفار اي بسبال ذيال العفو **لمن تاب** اي رجع عن ذنوبه
من الشرك وما يقاربه **وآمن وعمل صالحا** تصديقا لايمانه **ثم اهتدى**
باستمراره على ذلك الى موته فالتاء اعلام الله تعالى وصف نفسه
بكونه غافرا وغفورا وغفارا وبانه له غفرانا ومغفرة وعبر
عنه بلفظ الماضي والمستقبل والامر اما وصف كونه غافرا فقوله تعالى
في حق داود عليه السلام **فغفرنا له** واما صيغة المستقبل فقوله
تعالى **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** وقوله تعالى **ان الله يغفر الذنوب**
جميعا وقوله تعالى في حق صلى الله عليه وسلم **ليغفر لك الله ما تقدم**
من ذنبك واما لفظ الاستغفار فقوله تعالى **استغفروا ربكم ويستغفرون**
للذين آمنوا وههنا نكتة لطيفة وهي ان العبد له اثنتا ثلاثة
الظالم والظلوم والظلام اذا كثر منه الظلم وهو تعالى في مقابلة كل
واحد من هذه الاسماء اسم فكان الله تعالى قال ان كنت ظالما فانا
غافر

غافر وان كنت ظلوما فانا غفور وان كنت ظلاما فانا غفار فيجب علي
كل من ارتكب معصية كبيرة او صغيرة ان يتوب منها لهذه الاية ودلت
على ان العمل الصالح غير داخل في الايمان لانه تعالى عطف العمل الصالح
على الايمان والمعطوف غاير المعطوف عليه ولما امر تعالى موسى عليه
السلام بحضور الميقات مع قوم مخصوصين قال المفسرون ثم السبعون
اختارهم الله تعالى من جملة بني اسرائيل يذهبون معه الى الطور لياخذوا
التوراة فساروا معه حتى جاوز موسى من بينهم شوقا الى ربه وخلف
السبعين وامرهم ان يتبعوه الى الجبل فقال تعالى له **وما اعجلك عن**
قومك اي لاي شيء ميعاد اخذ التوراة **يا موسى قال** مجيبا لربه تعالى **هم**
اولاء اي بالقرب مني **يا تون على اثري** اي ماشيين على اثار مشيتي
قيل انما خلفهم بسيرة لا يقتدى بها عادة وليس
بيني وبينهم الا مسافة قريبة تتقدم بها الرفقة بعضهم على بعض
وعجلت اليك رب لترضى اي لتزداد عني رضا فان المسارعة الى الامتثال
امرك والوفاء بعهدك يوجب مزيد رضاك تنبيه في الآية سؤالات
الاول قوله تعالى **وما اعجلك** استفهام ويعلم الله تعالى بحال ذلك اجيب
عنه بانه كان في صيغة الاستفهام ولا مانع منه الثاني ان موسى عليه
السلام لا يخلو اما ان يكون معذورا في ذلك التقدم او لم يكن فان
كان الاول كان التقدم معصية وان لم يكن فلا انكار اجيب عنه بانه
عليه السلام لعله ما وجد نصا في ذلك فاجتهد فاخطا في اجتهاده
فاستوجب العتاب الثالث قوله **وعجلت** والعجلة مذمومة اجيب
عنه بانها محمودة في الدين قال تعالى **وسارعوا الى مغفرة من ربكم**
الرابع قوله **لترضى** يدل على انه انما فعل ذلك ليحصل الرضى واذا لم يكن
راضيا عنه وجب ان يكون ساخطا عليه وذلك لا يليق بحال الانبيا

اجيب عنه بان المراد تحصيل دوام الرضى او زيادته كما مر لخامس قوله
اليك يقتضي كون الله تعالى في جهة لانا الي للانتهاء الغاية واجيب عنه
بانا اتفقنا علي ان الله تعالى لم يكن في جهة فالمراد حكاية وعدك
السادس قوله تعالى ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان جوابه
اللايق به ان يقول طلبت زيادة رضاك والتشوق الي كلامك واما
قوله بهم اولاء علي اثري ففيه سبق علمه كما تري اجيب عنه بان
سوال الله تعالى يتضمن شيئين احدهما انكار نفس العجلة والثاني
السوال عن سبب التقدم فاجاب عن السوال عن العجلة للامرين
انهم قالوا وعجلت اليك رب لترضى قال تعالى فانا اي فتسبب عن
عجلتك عنهم انا قد فتنا اي ابتليناهم بعدك اي بعد ذهابك
لهم بعبادة العجل وهم الذين خلفهم مع هارون وكانوا ستمائة الف
وممن بقي من عبادة العجل منهم الا اثني عشر الفا واضلهم السامري
باتخاذ العجل والدعاء الي عبادته فاطاعه بعضهم واستمع بعضهم
والسامري منسوب الي قبيلة من بني اسرائيل يقال لهم السامرة
وكانوا قوما قيل كانوا من قوم يعبدون البقر فمر اناس من بني اسرائيل
ولم يكن منهم واسمه موسي بن ظفر وكان منافقا فرجع موسي لما بلغه
ربه بذلك الي قومه بعد ما استوفي الاربعين ذا القعدة وعشر ليال من
ذي الحجة واخذ التوراة غضبان عليهم اسفا اي حزينا بما فعلوا قال
اي لقومه لما رجع اليهم مستفهما لهم يا قوم الم يعدكم ربكم بقوله الم يعدكم
ربكم اي الذي احسن اليكم وعدا حسنا اي بانه ينزل عليكم كتابا
حافظا ولكن عنكم خطابا كرر وبكر علي اعدائكم الي غير ذلك من
اكرامه ولما جرت العادة بان طول الزمان ناقض للعزائم غير
المعهود كما قال ابو العلا احمد بن سليمان المصري لا تسكنك ان طال

الزمان

الزمان بنا وكم حبيب تمادي به نسي قال لهم افطال عليكم العهد
اي زمن لطف الله بكم فتغيرتم عما فارقتكم عليه كما تغير اهل الزمان لبعد
والاخلال في العزائم لضعف العقول وقلة التدبر ام اردتم اي بالتفرق
مع قرب العهد وذكر الميثاق ان يحل اي يجب عليكم بسبب عبادة العجل
غضب من ربكم المحسن اليكم اي وكلا الامرين لم يكن اما الاول فواضح
واما الثاني فلا يظن باحد ارادته والحاصل انه يقول فعلتم ما لا يفعله
عاقل فاخلفتم اي فتسبب عن فعلكم ذلك انا اخلفتم موعدي اليكم وعدكم
اياي بالثبات علي الايمان بالله والقيام علي ما امركم به والتشوق
السامع الي جوابهم استانف ذكره فقال قالوا ما اخلفنا موعدك
بملكنا اي بان ملكنا امرنا الذي خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامري
لما خلفناه واختلف في هذا الجميع علي وجهين الاول انهم الذين لم
يعبدوا العجل فكانهم قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا اي بامركنا بملكه
وقد يضيف الرجل فعل قرينه الي نفسه كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا
واذ تلتم نفسا وان كان الفاعل لذلك اباهم لانهم فكانهم قالوا
الشبهة قويت علي عبدة العجل فلم نقدر علي منعهم عنه ولم نقدر
الفا علي مفارقتهم لانا خفنا ان يصير ذلك سببا لوقوع التفرقة وزيادة
الفتنة الثاني انهذا قول عبدة العجل والمراد انه غير ما اوقع الشبهة
فانه كان لذلك لنا فان قيل كيف كان رجوع قريب من ستمائة الف
انسان من العقلاء المكلفين عن الدين الحق دفعة واحدة الي عبادة عجل
يعرف فساد ها بالفطرة اجيب بانه هذا غير ممتنع في حق البلداء من
الناس وقراءة نافع بفتح الميم وحمزة والكسائي بضمها والباقون
بكسرها ثلاثتها في الاصل لغات في مصدر ملكت الشيء ثم ان القوم
فسروا الوزر الحامل لهم علي ذلك الفعل فقالوا ولكن حملنا قرا نافع

وابن كثير وابن عامر وحفص بضم الحاء وكسر الميم مشددة وابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي بفتح الحاء والميم مخففة **اوزارا** اي اثقالا **من زينة القوم** اي حلي قوم فرعون استعارها منهم بنو اسرائيل بسبب عرس وقيل استعاروها لعيد كان لهم ثم لم يردوها عند الخروج مخافة ان تفعلوا به وقيل بما القاه البحر على الساحل بعد ان اتهم فاخذوا وقال البيضاوي ولعلهم حموها اوزار الاثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستامنين وليس للمستامن ان ياخذ من مال الحربي **فقذفناها** اي في النار **فكذلك القى السامري** اي ما كان معنا من الحلي او من اثر الرسول روي انه نحوي لما مر به رسول يكلما استخلف على قومه اخاه هارون واجلهم ثلاثين يوما وذهب فجاءهم اليلمها فاتاها ثم كره ان يكلم رسول ربه ثم مستقبل فجمع شيا من نبات الارض فقال له ربه او ما عجلت ان ربح المسك اطيب من ربح المسك ارجع فتمم عشرا وقيل اتمم اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين يوما فلما وفاتوا قد اكملت العدة فلما راي قوم موسى انه لم يرجع اليهم سالهم ذلك وكان هارون قد خلفهم وقال انكم خرجتم من مصر والقوم قد عوني عندكم عواري فاحمى واحفرة والقوه فيها ثم اوقدوا علي نارا فلا يكون لنا ولا لهم وكان السامري قد راي اثرا فقبض قبضة فمر بها هارون فقال له يا سامري الم تلق ما في يدك فقال هذه قبضة من اثر الرسول الذي جاوزنا البحر ولا القيها على شي الا ان تدعو الله اذا القيتها ان يكون ما اريد فالقاها ودعا له هارون فقال اريد ان يكون عجلا فاتهم ما في يخرج وصار عجلا فهذا معنى قوله تعالى **فاخرج لهم عجلا جسدا** فمن ذلك الحلي الذي اخذه له جوف لين فيه روح **له خوار** اي صوت يسمع قال ابن عباس لا والله ما كان له صوت قط وانما كان الريح تدخل في دبره فتخرج من فيه فكان ذلك

الصوت من ذلك وقيل انه صاغه ووضع التراب المقبوض عن فرس جبريل في فمه فقالوا اي السامري ومن افتتن به اول ما راه **هذا الهكم واله موسى فنسي** اي فنسيه موسى وذهب يطلبه عنده الطور وفنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان **افلا يرون** اي فقالوا ذلك فتنسب عن قولهم عما لهم عن رويته **ان** اي ان **لا يرجع اليهم قولا** والا لكان يكلمهم **ولا يملك لهم ضرا** اي ان لم يعبدوه **ولا نفعا** فيقولوا ذلك لجهلهم **ولقد قال لهم هارون من قبل** اي قبل رجوع موسى مستطلعا لهم **يا قوم انما فتنتم** اي وقع اختباركم فاخطاتم في صحة ايمانكم وصد كم فيه وانما كم عليه **به** اي بهذا العجل من اجراجه كم علي خلاف العادة الخارقة للعادة وكد لاجل انكارهم فقال **وان ربكم** اي الذي اخرجكم من العدم وربا كم بالاحسان **الرحمن** وحده الذي تفضل عليكم وعليهم بالنعم **فاتبعوني** فيما امركم به **واطيعوا امري** اي في الثبات على الدين **قالوا لن نبرح** **عليه** اي العجل **عاكفين** اي مقيمين **حتى يرجع الينا موسى** فقاتلهم معهم ابو كان معظمهم قد ضل فلم يكن معه من يقوي بهم فخاف ان يجاهدهم الكافرين فلا يفيد ذلك شيا مع ان موسى لم يامرهم بقتالهم وانما قال له **واصلح** ولا تتبع سبيل المفسدين فراى من الاصلاح اعتزالهم اياه بالتنحية انما قال هارون ذلك شفقة على نفسه وعلى الخلق اما شفقة على نفسه فلانه كان ماموورا من عند الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان ماموورا من عند اخيه بقوله اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلو لم يشتغل بالامر بالمعروف والنهي

عن المنكر وكان مامورا من عند اخيه بقوله اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع
سبيل المفسدين فلو لم يشتغل بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لكان
مخالفا لامر الله ولامر موسى وذلك لا يجوز او حي الله تعالى لموسى
ابن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وماتيتي الفا من
اشرارهم فقال يارب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا
لغضبي وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه غير
الله فليس من الله في شيء ومن اصبح لا يهتم بامر المسلمين فليس منهم وعن
النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل المومنين في
توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى
له سائر الجسد واعن عبد الله بن ابي اوفى قال خرجت اريد النبي
صلى الله عليه وسلم فاذا ابو بكر وعمر عنده فجاء صغير يبكي فقال لقمه
ضم الصبي اليك فانه حنال فاخذه عمر واذا امرله تو لولد كاشفقة عن
راسها جزعا على ابنها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ادرك المراة
فنادها فجات واخذت ولدها وجعلت تبكي والصبي في حجرها
فالتفتت فرات النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك اترون هذه
رحيمة بولدها قال يا رسول الله كفى بهذه رحمة فقال والذي نفسي
بيده ان الله ارحم بالمومنين من هذه بولدها ولقد سلك هارون
في موعظته احسن الوجوه لانه زجرهم عن الباطل اولا بقوله فاتبعوني
ثم دعاهم اليها بقوله واطيعوا امري وهذا هو الترتيب الجيد لانه
لابد قبل تعليم شيء من اماطة الاذى عن الطريق وهو ازالة الشبهة
ثم معرفة الله تعالى فانها هي الاصل ثم النبوة ثم الشريعة فبيان هذا
الترتيب احسن الوجوه ولما ذكر ما قال هارون تشوقت النفس
الى علم ما قال موسى فقيل قال ياهارون انت نبي الله واني

وزيري

وزيري وخليفتي فانت اولى الناس بانه الوحه واحتهم بان اعانته
ما منعك اذ اي حين رايتهم ضلوا عن طريق المهدي واتبعوا سبيل
الردى ان لا تتبعني في سيرتي من الاخذ على يد الظالم طوعا او كرها
تنبيه اللام زيدت للتاكيد لان النافي اذا زيد في كلام كان نافيا لمعنى
معنى فيفيد اثباتا للمعنى ونفيا لضده فيكون ذلك في غاية التاكيد
واثبت الياء بعد النون ابن كثير وقنا ورصلا واثبتها نافع وابو عمرو
وصلا لا وقفا وحذفها الباقون وصلا ووقفا افعصيت اي فتكبرت عن
اتباعي فتسبب عن ذلك انك عصيت امري واخذ بلحيته وراسه يجره
اليه غضبا لله تعالى فكانه قيل ما قال له فقيل قال مجيبا له مستعطفا
بذكر ولد وطن ضمها بعد فتح الروح مع ما له من الرقة والشفقة
يا ابن ام فذكره بها خاصة وان كان شقيقه لانه يسوءها ما يسوءه
ويسرها ما يسره من الاب وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وحفص بفتح الميم وكسرها
ابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي
سيء بهما ثم علل ذلك بقوله اني خشيت ان تقول اذا اشددت عليهم
حتى يصل الامر الى القتال فرقت بين بني اسرائيل بفعلك هذا الذي
لم يجد سببا لقلة من كان معك وضعفك عن ردهم ولم ترقب قولي
اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولم تقاتل ولم ترد بهم
ولو ادى الامر الى السيف ولما فرغ من نصيحته اقرب الناس اليه واحقهم
بنصيحته وحفظه على المهدي اذا كان راس الهداة تشوف السامع
الى معاكان من غير فاستانف تعالى ذكره بقوله قال اي موسى عليه
السلام لراس الاهل الضلال معرضا عن اخيه بعد قبول عذره عاجلا
ما سبب اليه سببا لسوآله عن الجامل له عليه فما خطبك اي امرك
هذا العجب العظيم الذي حملك على ما صنعت واخبرني ربي انك اضللتهم

به يا سامري قال السامري بجيب له ابصرت من البصر والبصيرة بما لم يبصروا
به اي رايت ما لم يروه بنو اسرائيل وعرفت ما لم يعرفوا وقال ابن عباس رض
علمت ما لم يعلموا ومنه قولهم رجل بصير اي عالم قاله ابو عبيدة واراد انه
راى جبريل عليه السلام فاخذ من موضع حافر دابته قبضة من تراب
كما قال فقبضت اي فكان ذلك بمسببا لان قبضت عبضة اي مرة من القبض
اطلقها على المقبوض تشبيها للمفعول بالمصدر من اثر فرس ذلك الرسول
اي المعهود فنبذتها في الحلي الملقى في النار او في العجل وكذلك ايكا
تسول لي نفسي اخذ الترب سولت اي حسنت وزينت لي نفسي نبذها
في الحلي فنبذتها كان منها ما كان ولم يرجع الي ذلك داع والعجلي
عليه حامل غير التمويل تنبيه كون المراد بالرسول جبريل عليه السلام
هو ما عليه عامة المفسرين واراد بأثر التراب الذي اخذه من موطئ
حافر دابته لما راه يوم فلق البحر وعن علي رضي الله عنه انه جبريل عليه السلام
لما نزل ليذهب موسى الى الطور ابصره السامري من بين الناس واختلفوا
في انه كيف اختص السامري برؤية جبريل عليه السلام ومعرفته من بين
الناس فقال ابن عباس في رواية الكلبي انما عرفه لانه ربي في
صغره وحفظه من القتل حين امر فرعون بذبح اولاد بني اسرائيل فكانت
المراة اذا ولدت طرحت ولدها حيث لا يشعر به ال فرعون فتاخذ الملائكة
الولدان ويربونهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامري
ممن اخذه جبريل عليه السلام وجعل كف نفسه في فيه فما يقع منه
العسل واللبن فلم يختلف البيجي عرفه فلما راه عرفه قال ابن جريج فعلى
هذا قوله بصرت بما لم يبصروا به يعني رايت ما لم يروه ومن فسر الابصار
بالعلم فهو صحيح ويكون المعنى علمت ان ترابة فرس جبريل عليه السلام
لخاصية الاحياء قال ابو مسلم ليس في القرآن ما يقترح بهذا الذي ذكره

المفسرون

المفسرون فيحمل على وجه آخر وهو ان يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام
وبانه سنته وريسمه الذي امر به فقد يقول الرجل اذا فعل فلان ما فقوائر
فلان ويتبع اثره اذا كان يمتثل رسمه والتقدير ان موسى عليه
السلام لما اقبل على السامري باللوم والميلة عن الامر الذي
دعاه الى اضلال القوم في العجل فقال بصرت بما لم يبصروا به اي
عرفت الذي انتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة من اثر فرس
ايها الرسول اي شيء من دينك فنبذتها اي طرحته فعند ذلك اعلمه
موسى عليه السلام بما له من العذاب في الدنيا والاخرة وانما ورد لفظ
الاخبار عن الغائب كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له ما يقول الامير
في كذا اي بما ذا يامر الامير وانما اراد عامة اذ موسى كان مع هارون
وكلهم فعلى هذا ذهب من حكى الله تعالى قوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر
انك لمجنون وانما يقولون هذا لانزال قال الرازي وهذا القول الذي
ذكره ابو مسلم ليس فيه الا انه مخالف للمفسرين ولكنه اقرب الى
التحقيق لوجوه احدها ان جبريل عليه السلام ليس بمعهود باسم الرسول
ولم يجر له فيما تقدم ذكر حتى يحمل لام التعريف اشارة اليه فاطلاق
لفظ الرسول لارادة جبريل كما انه تكليف بعلم الغيب وثانيها انه
لا بد فيه من الاضمار وهو قبضت من اثر حافر دابة الرسول والاضمار
خلاف الاصل وثالثها انه لا بد من التعسف في بيان ان السامري
كيف اختص من بين جميع الناس برؤية جبريل عليه السلام ومعرفته
وكيف عرف ان تراب حافر فرسه لهذا الاثر والذي ذكره من ان
جبريل هو الذي ربّاه فبعيد لان السامري لم يعرف ان جبريل حال كمال
عقله عرف قطعا ان موسى نبي صادق فكيف يحاول الاضلال وان كان
ما عرفه حال البلوغ فانه ينفعه كون جبريل مربيا له حال الطفولية

في حصول تلك المعرفة ثم ان موسى عليه السلام لما سمع من السامري ما
ذكر قال له فاذهب اي فتسبب عن فعلك اي اقول لك اذهب من بيننا
وحيث ذهبت فان لك في الحياة اي ما دمت حيا ان تقول لكل من رآه
لا مساس اي لا تمسني ولا امسك فلا تقدر ان تفك عن ذلك فكان يهيم
في البرية مع الوحوش والسباع واذا مس احدا او مسه احد حما جميعا
عافمه الله بذلك وكان اذا لقي احدا يقول له لا مساس اي لا تقربني
ولا تمسني وقال ابن عباس لا مساس لك ولولدك حتى ان بقايا نسلهم
اليوم يقولون ذلك واذا مس احد من غيرهم احدا منهم حما جميعا في
الوقت وان لك اي بعد الممات موعدا للثواب ان تبت وللعقاب ان ابيت لن
تخلفه قرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر اللام اي لن تغيب عنه والباقون بفتحها
اي بل تبعث اليه فلا انفكاك لك عنه كما انك في الحياة لا تقدر
ان تنفك من الناس فاختر لنفسك ما يحلو ولما ذكر ما للاله
الحق من القدرة التامة في الدارين اتبعه عجز العجل فقال وانظر
الى الهك اي بزعمك الذي ظلت اي دمت في عبادته يسيرة جرا كما اشار
اليه تخفيف القفيف فان اصله ظللت بلامين اولاهما مكسورة
حذفت تخفيفا عليه عاكفا اي مقيما لعبادته لنحرقنه اي بالنار ثم بالمبرد
قال البقاعي كما سلف عن نفض التوراة وكان معنى ذلك انه
احماه حتى لانت فماه على المبادة ثم نسفه اي لنذرينه
اذا صار سحالة في اليم اي البحر الذي اغرق الله تعالى فيه آل فرعون ثم
نجمهم الله تعالى سحالته التي هي من حليهم ونجعلها في نار جهنم ذكورهم
نجعلها من اشد العذاب عليهم واكد الفعل اظهارا لعظمة الله
تعالى الذي امره بذلك وتحقيقا للصدق في الوعد فقال لنسفنه
قال الجلال المحلي وفعل موسى بعد ذبحه ما ذكره انتهى وعلى هذا

لا يصح

لا يصح ان يبرد بالمبرد قال الرازي ويمكن ان يقال صار لحمه ودمه وذبحه ثم
برد عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث يمكن نسفها ولما ارادهم لطلاك
ما هم عليه بالعيان اخبرهم بالذي علي وجه الحصر فقال انما الهكم الله
اي المجامع لصفات الكمال ثم كشف المراد من ذلك وحققه بقوله الذي
لا اله الا هو اي لا يصلح لهذا المنصب احد غيره لانه وسع كل شيء
علما تمييز محول عن الفاعل اي احاط علمه بكل شيء فكل شيء اليه مفتقر
وهو غني عن كل شيء واما العجل الذي عبدوه فانه لا يصلح للالهية
بوجه ولا في عبادته شيء من خير ولما شرح الله تعالى قصة موسى
عليه السلام مع فرعون ولاتم مع السامري ثانيا على هذا الاسلوب
الاعظم والسبيل الاقوم كان كأنه قيل هل يعارض شيء من القصص
على هذا الاسلوب البديع والمثال الرفيع فقيل نعم كذلك اي مثل
هذا القص العالي في هذا النظم العزيز العالي كقصة موسى ومن ذكر
معه نقص عليك من انباء اخبار ما قد سبق من الامم زيادة في
علمك واجلالا لاقتدارك وتسلية لقلبك واذهابا لحزنك مما التقى للرسل
من قبلك وتكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليهتبر السامع
ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتاكد الحجة على من عاند وكابد
وقد اتيناك اي اعطيناك شرفا لك وتعظيما لقدرك من لدنا اي من
عندنا ذكرا اي كتابا هو القرآن ومن تسميته القرآن بالذكر وجوه
احدها انه كتاب فيه ذكر ما يحتاج اليه الناس من امر دينهم ودنياهم
وثانيها انه يذكر فيه انواع الآء الله ونعمايه وفيه التذكير والموعظة
كما فيه الذكر والشرف لك ولقومك كما قال تعالى وانه لذكر لك
ولقومك وسمي الله تعالى كل كتاب انزله ذكرا فقال فاسئلوا اهل
الذكر والتنكير فيه للتعظيم فانه مستمر على اسرار كتبه انتهى ٢

المنزلة من اعرض عنه فلم يؤمن به فانه يحمل يوم القيمة وزرا اي
حملا ثقيلا من الاثم خالدين فيه اي في عذاب الوزر وساء اي وبئس
لهم اي ذلك الحمل يوم القيمة وقوله حملا تمييز تفسير للضمير في ساء والمخصوص
بالذم محذوف تقديره وزرهم واللام للبيان ومن احتمل عليه كان
مذكرا له بكل ما يريد من العلوم الفائقة ويبدل من يوم القيمة
يوم ينفخ في الصور اي القرن النفخة الثانية وقرا ابو عمرو وابن عامر
الاولى مبنية حتى وهم الفاعل اسناد الفعل الى الآمر به تعظيما له والى
الثاني والباقون ببنائها للمفعول وفتح الفاء ونحشر المجرمين اي الكافرين
يومئذ زرقا اي عيونهم مع سواد وجوههم وقيل لان زرقة العيون
اقبح شيء من الوان العيون الى العرب لانها الروم اعدائهم وهم زرق
العيون ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد صهب السبال
ازرق العين وقيل المراد العمى لان حدقة من يذهب نور بصره
يزراق وقيل عطاشا حال كونهم يتخافتون اي يخفضون اصواتهم
بينهم لما يملا صدورهم من الرعب والهول واكتفت خفض الصوت
واخفائه ان اي يقول بعضهم لبعض ما لبثتم اي مكثتم الا عشرا اي
من الليالي بايامها في الدنيا وقيل في القبور وقيل بين النفختين وقيل
مقدارا ربعي سنة قالوا ذلك اما استقصارا لمدة الراحة في جنب
ما بدا لهم من العذاب وذلك ايام السرور تقصر وليالي ما لاقوا ذهبت
عنهم ونقضت والذاهب وان طالت مدته تقيسه بالانتهاء ومنه
قوله تعالى عبد الله بن المعتز تحت اطباق الثرى كفى بالانتهاء نقصا
واما الاستقلالهم في الاخرة فانه يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقلل
لبث اهلها فيها بالقياس الى لبثهم في الاخرة كما قال تعالى كانهم
في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسال العادين

واما

واما علمنا وهو اشد قال الله تعالى نحن اعلم من كل احد بما يقولون
حين ذلك اليوم اي ليس كما قالوا اذ يقول امثلهم اي اعدلهم طريقة اي رايا واد
عملا في الدنيا بما يحسبون اله اي ما لبثتم الا يوما اي عبد الاحاد
لا عبد العقود كما قال تعالى في اية اخرى لقسم المجرمون ما لبثوا غير
ساعة كذلك كانوا يؤفكون فلا يزال الوهن في افكهم صرفهم عن الحق في
الدارين لان الانسان يموت على ما عاش عليه ويبعث على ما مات
عليه ولما وصفه سبحانه وتعالى امر يوم القيمة حكى سؤال من لا يوثق
بكشفه فقال تعالى ويسالونك اشرف الخلق عن الجبال كيف تكون يوم
القيمة فقال الفتحاك قل لتثقيف مشركي مكة قالوا يا محمد كيف تكون الجبال
يوم القيمة وكانت سوا لهم على سبيل الاستهزاء ولما كان مقصودهم
من هذا السؤال الطعن في الحشر والنشر فلا جرم اجره الله تعالى
بالجواب معتنا بحرف التعقيب بقوله فقل لهم ينسفها ربي نسفا
لان تاخير البيان في مثل هذه المسئلة الاصولية غير جائز واما المسايل
الفروعية فجائز فلذلك ذكر سبحانه في كل موضع ما يليق به في قوله تعالى ويسالونك ماذا
ينفقون قل العفو وقوله تعالى ويسالونك عن اليتامى قل اصلاح
لهم خير بغير حرف التعقيب والنسف القلع الذريع وقيل القطع الذي
يقطعها من اصلها ويجعلها هباء منثورا قال الخليل ينسفها يذهبها
ويطيرها وفي ضمير فيذرها قولان احدهما انه ضمير الارض اضمرت
للدلالة عليها كقوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة والثاني
ضمير الجبال وذلك على حذف مضاف اي فيذر مراكزها وقعارها
ويجوز ان يكون بمعنى يجعلها فيكون قاعا حال وان يكون بمعنى
ترك التصييرية فيتعدى لاثنين فقاعا ثانيهما والقاع قال الزجاج
المستوي وقيل الارض التي لا بناء فيها ولا نبات وفي قوله صفصفا

تعالى وكذلك نقص اي ومثل انزال ما ذكر انزلناه اي القرآن قرآنا جامعا
لجميع المعاني المقصورة ثم وصفه تعالى بامرين احدهما قوله تعالى عربيا
اي بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وحزالة
عن كلام البشر الثاني قوله تعالى وصرفنا فيه من الوعيد اي كررناه
وفصلناه ويدخل تحت الوعيد بيان العقايد والمحارم لان الوعد بما يتقى
بتكريره وتقريره يقتضي ببيان الاحكام فلذلك قال تعالى لعلهم يتقون
اي يجتنبون الشرك والمحارم ويتركون الواجبات فتصير التقوى لهم ملكة
او يحدث لهم ذكرا اي عظة واعتبارا حين يسمعونها فيتجنبهم عنها ولهذه
النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن فتعالى الله في ذاته
وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا تماثل ذاته
وصفاته ذواتهم وصفاتهم الملك الذي لا يعجزه شيء فلا يملك مني بحقيقة
غيره حق اي الثابت الملك فلا يزال لكونه متكافيا في زمن حاز لعظمة
ملكه وحقيقة ذاته وصفاته صرف خلقه على ما هم عليه من
الامور المباينة ولما سئل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كيفية تنفع القرآن للمكلفين وبين
انه سبحانه وتعالى عن كل ما لا ينبغي موصوف بالاحسان والرحمة
ومن كان كذلك صان رسوله عن السهو والنسيان في امر الوحي
فلذلك قال تعالى ولا تعجل بالقرآن اي بقراءته من قبل ان يقضى اليك
وحيه من الملك الشأن له اليك من حفز تشابه كما انا لم نعجل بانزاله
عليك جملة بل رتلناه لك ترتيلا ونزلناه اليك تنزيلا مفصلا
تفصيلا وموصلا توصيلا فاستمع لم ملقيا جميع تاملك اليه
ولا تستلوقه بالقراءة فاذا فرغ فاقرأه فانا نجمعه في قلبك مولا
تكلفك المسابقة بتلاوته وقل رب ايها المحسن الي بافاضة العلوم
علي زدني علما اي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال لئلا ما

اوحي

اوحي اليك قبل لا تعجل رواه الترمذي عن ابي هريرة قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني
علما والحمد لله على كل حال واعوذ بالله من حال اهل النار وكان ابن
مسعود اذا قرأ هذه الاية قال اللهم زدني علما ويقينا ولما قال تعالى
كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق ذكره هذه القصة انجاز الموعد
فقال ولقد عهدنا بما لنا من العظمة الى آدم ابي البشر اي وصيناه اذ لا
يأكل من الشجرة او امرناه عطفا على قوله تعالى وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة
على ان اساس بني آدم على المعصيات وعرقهم راسخ بالنسيان من قبل
اي قبل زمن محمد من الازمان الماضية قبل هؤلاء الذين تقدم في هذه السورة
ذكر نبائهم واخبارهم فنسي عهدنا واكل منها ولم نجد له عزما اي تصميم
راي وثبات على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان
ولم يستطع تغريره قال البيضاوي ولعل ذلك كان في بداءة امره قبل ان
يجرب الامور ويدوق ادرعها وسرعها انتهى والاري العسل والسري
المتظل قال البغوي قال ابو امامة الباهلي لو وزن حلم آدم بحلم
ولده لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقال البيضاوي وعن
النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني ادم بحلم آدم لرجح حلمه
وقد قال تعالى ولم نجد له عزما قال ابن الانباري والحلم بالكسر الاناة
والثبت في الامور فان قيل ما المراد بالنسيان اجيب بانه يجوز ان يراد
النسيان الذي هو نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة
ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك
النسيان ولم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعا عنه لان النسيان يكاد
يؤاخذ به وانما رفع عنا وكان الحسن ما عصى فقال الله نسيانا واذ يراد
الترك وانه ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة والاكل منها وقيل

فقلنا

شيء عقوبة الله وظن انه نهي تنزيه تنبيه هذا هو المرة الخامسة من
قصة آدم في القرآن اولها في البقرة ثم في الاعراف ثم في الحجر ثم في الكهف
ثم ها هنا وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس تقدم الكلام على ذلك مستوفى في سورة البقرة وقوله
تعالى ابى جملة مستانفة لانها جواب سؤال مقدر اي ما منعه من السجود
فاجيب بانه ابى ومفعول الاباية يجوز ان يكون مرادا وقد صرح به في
الآية الاخرى في قوله تعالى ابى ان يكون من الساجدين وحسن
حذفه هنا كون العامل رأس فاصلة ويجوز الايراد اصلا وان
المعنى انه من اهل الاباء والعصيان من غير نظر الى متعلق الاباء اما هو
فقال بسبب استتباعه بعد ان حملنا عليه ولم نعاجله بالعقوبة يا آدم
ان هذا الشيطان الذي تكبر عليك عدو لك ولزوجك حوا ام المد لانها
منك وسبب تلك العداوة من وجوه الاول ان ابليس كان حسودا لهما لما
آثار نعم الله في حق آدم حسده فصار عدوا له الثاني ان آدم عليه السلام
كان شابا عالما لقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها وابليس كان شيخا
جاهلا لانه اثبت فضيلة بفضيلة اصله وذلك جهل الشيخ الجاهل ابدا
يكون عدو الشاب العالم الثالث ان ابليس مخلوق من النار وآدم
مخلوق من الماء والتراب فبين اصلهما عداوة فسرت تلك العداوة
فان قيل لم قال تعالى فلا يخرجنكما من الجنة مع ان المخرج لهما منها هو
الله تعالى اجيب بانه لما كان بوسوسته هو الذي فعل ما ترتب عليه
خروج صح ذلك فان قيل لم قال تعالى فتشقى اي فتتعب وتتعبني
الدنيا ولم يقل فتشقيا اجيب بوجهين احدهما ان في ضمن شقاء الرجل
وهو تميم اهله واميهم شقاء وتمم كما ان في ضمن سعادته سعادتهم فاختص
الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على كونه رأس فاصلة وعن

سفيان

وعن سفيان بن عيينة قال لم يقل فتشقيان لان حواء داخلة معه في وقوع
النهي عليهما جميعا وعلى اولادهما جميعا كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم
النساء وايها النبي لم تحرم ما احل الله لك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم
فدخلوا في المعنى معه وانما كلم النبي وحده الثاني اريد بالشقاء التعب
في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لان الرجل هو الساعي على
الرزق وروي انه اهبط الى آدم ثور احمر فكان يحرث عليه ويسيح الغرق
من جبينه ويحتاج بعد الحرث الى الحصد والطحن والعجن وغير ذلك مما
يحتاج اليه وعن الحسن قال رعني به شقاء الدنيا فلا تلقى ابن آدم الا
شقيانا صابا ابي ولو اراد شقاوة الآخرة ما دخل الجنة بعد ذلك ولما كان
الشبع والري والكسوة والكن هي الامور التي يدور عليها اكثر الناس
ذكر الله تعالى حصول هذه الاشياء في الجنة من غير حاجة الى الكسب
والطلب وذكر لها بلفظ النفي لاضدادها بقوله تعالى ان لك ألا تجوع
فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ اي تعطش فيها ولا تضحى اي لا تحيل لك
حر شمس الضحى لانتفاء الشمس في الجنة بل اظلالها في ظل ممدود وظله
الاشياء كانها تفسير الشقاء المذكور في قوله تعالى فتشقى فوسوس
اي فتعقب تحذيرنا هذا من عيش بعد من زمان ان وسوس اليه
الشيطان المحترق المطرود وهو ابليس اذا معنى اليه الوسوسة واما
وسوس له فمعناه لاجله فلذلك عدي تارة باللام في قوله تعالى
فوسوس لهما وتارة بالى هنا بين تعالى بذلك الوسوسة ما هي بقوله
تعالى قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اي على الشجرة التي
ان اكلت منها بقيت مخلدا وملك لا يبلى اي لا يبيد ولا يفنى قال
الرازي واقعة آدم عجيبة وذلك لان الله تعالى رغبه في دوام
الراحة وانتظام المعيشة بقوله تعالى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى

انك لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ورغبه ابليس الخبائي
دوام الراحة بقوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وفي انتفاء دوام
المعيشة بقوله وملك لا يبلى فكان الشيء الذي رغب الله تعالى آدم فيه
هو الذي رغبه ابليس فيه الا ان الله تعالى وقف ذلك الامر على الاحتراس
عن تلك الشجرة وابليس وقفه على الاقدام عليها مع انا ادم عليه السلام
مع كمال عقله وعلمه بان الله تعالى مولاه وناصره ومربيه وعلمه بان
ابليس عدو حيث امتنع من السجود له وعرض نفسه للمنة
بسبب عداوته كيف يميل في الواقعة الواحدة والمقصود الواحد قول ابليس
مع علمه بعداوته له واعراضه عن قول الله تعالى مع علمه بانه الناصح له
والمربي ومن تامل هذا الباب طال تعجبه وعرف آخر الامر ان هذه
القصة كالتنبيه على انه لا دافع لقضاء الله ولا مانع منه وان الدليل
وان كان في غاية الظهور وفي غاية القوة فانه لا يحصل النفع به الا
اذا وفق الله ذلك وقد له انتهى وبدل على ذلك ما ثبت في الحديث
الصحيح روى البخاري ومسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال احتج
آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى انت آدم الذي خلقك
الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته واسكنك جنته
ثم اهبطت الناس بخطيئتك الى الارض فقال موسى آدم انت موسى
الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه واعطاك الالواح فيها بيان
كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان اخلق
قال موسى باربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه
فغوى قال نعم قال افتلومني على ان عملت عملا كتب الله علي ان اعمله
قبل ان يخلقني باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحج آدم موسى وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الله تعالى مقادير الخلائق قبل ان يخلق
السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء وقال الكلبي
بقدر حتى العجز والكيس ثم كان ابليس قال لآدم بلسان او اشار
الى الشجرة التي نهي عنها ما بينكم وبين الملك الدائم الا ان تاكلا منها
فاكلا اي فتسبب عن قوله وتقدم ان اكلا منها بصور وجه مستفاد لقوله
ناسين ما عهد اليهما لامر قدره الله في الازل فبدت لهما سوآتهما قال ابن
عباس بدت لهما اعينهما فاجمع سوآتهما كما قال صغت قلوبكما اي فظهر لكل
منهما قبل وقبل الاخر ودبره وسمي كل منهما سوأة لان انكشافه يسوء
صاحبه وطفقا يخصفان اي اخذا يلزقان عليهما من ورق الجنة ليستترا
به قال ابن عادل وهو ورق التين وعصى آدم بالاكل من الشجرة وان
كان اتما فعل الناسي شيئا لان عظم مقامه وعلو رتبته يقتضيان
له من الله الاعتناء ودوام المراقبة ربه المحسن اليه عالم بيله احد من بنيه
من تصويره له بيديه واسجاد ملائكته له وعاداه من عاداه فغوى
اي فعل ما لم يكن له فعله وقيل اخطا طريق الحق وضل حيا طلب الخلد
باكل ما نهي عنه فخاب وكم نيل مراده وصار من العز الى الذل ومن
الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز ان يقال عصى آدم ولا يجوز ان
يقال ادم عاصي لانه انما يقال عاص لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل
يجيء بوبه فيقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاوده ويتخذه
تنبيه تمسك بعضهم بقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى في صدور
الكبيرة عنه من وجهين الاول ان العاصي اسم للذم فلا يطلق الا على
صاحب الكبيرة وبقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
خالدا فيها ولا معنى لصاحب الكبيرة الا من فعل فعلا يعاقب عليه الثاني
ان الغواية والضلالة اسمان مترادفان والغي ضد الرشاد ومثل

هذا الاتباع لما لا الفاسق المتهمك في نسقه واجيب بان المعصية مخالفة الامر
والامر قد يكون بالواجب وقد يكون بالمندوب فانك تقول لامرته فعصاني
وامرته بسجود الدواب فعصاني وان كان كذلك لم يمتنع اطلاق اسم العصيان
على آدم بكونه للمندوب وان كانت وصف تاركه المندوب بانه عاص
مجاز واجاب ابو مسلم الاصبهاني بانه عصى في مصالح الدنيا لانها يتصل
بالمكاليف وكذا القول في غوى قال الرازي والاولى عندي في هذا الباب
ان يقال لعله كانت قبل النبوة وقد تقدم شرح ذلك في البقرة
وقيل بل الكلمات السبع مثاوله هو لا يعلم انه النبي صلى الله عليه وسلم
شجرة مخصوصة لا على الجنس ولعلها انما كانت التوبة من ترك
التحفظ لا من المخالفة فهو كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين
اي من ذنوبهم بالاضافة الى علو احوالهم كالسيئات ثم اجتباه ربه اي
اختاره واصطفاه فتاب عليه اي قبل توبته واعاد عليه بالعفو والمغفرة
وهدى اي هداه لرشده حتى رجع الى الندم والاستغفار ولما كانت
دار الملوك لا تحتمل مثل ذلك وان كان قد رضيه بالاجتباء لهما قال اهبطا اي
على التثنية فقال الرب سبحانه التي انهمكت حرمة دار اهبطا اي
آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما منها اي الجنة جميعا وقيل
الخطاب لآدم وحده ذريته ولابليس وذريته قوله تعالى بعضكم لبعض عدو
يكون على التغليب الاول لبعض الذرية لبعض عدو ومن ظلم بعضهم بعضا
وعلى الثاني آدم وذريته وابليس وذريته فتح الله تعالى فاما يأتينكم
فوائد ان الشرطية بما الزائدة يا بني آدم مني هدى اي كتاب ورسول فمن
اتبع هداي الذي اتصفته به من اوامر الكتاب والرسول فلا يضل
اي بعد ذلك عن طريق السداد في الدنيا ولا يشقى في الاخرة قال
ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله تعالى من الضلالة

وقاه الله تعالى يوم القيمة سوء الحساب وذلك ان الله تعالى يقول فمن اتبع
هداي فلا اضل وفي الاشقى ولا وعد تعالى من اتبع المهدي انه اتبعه يوعيد من
اعرض فقال ومن اعرض عن ذكري اي القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه
فان له معيشة ضنكا والضنك اصله الضيق والشدة وهو مصدر فكانه قال ذا
معيشة ذات ضنك واختلف في ذلك فقال ابو هريرة وابو سعيد الخدري
وابن مسعود المراد بالمعيشة الضنك عذاب القبر وروي ابو هريرة ان
عذاب القبر الكافر قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليسلطن عليه
في قبره تسعة وتسعين تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل
حية تسعة رؤس يجدن منه ويلسعونه وينفخون في جسمه الى يوم
يبعثون وقال الحسن وقتادة والكلبي هو الضيق في الاخرة حتى يجتمع فاه
طعامهم الضريع والزقوم وسرابيلهم الحميم والغساق فلا يموتون فيستريحوا ولا يحيون
وقال ابن عباس المعيشة الضنك هي ان يضيق عليه ابواب الخير فلا يجد شيئا
لذة فيها وعن عطا المعيشة الضنك هي حصيبة الكافر لانه غير موقن
بالثواب والعقاب وروي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال عقوبة المعصية ثلاثة ضيق للمعيشة والعيش في الشقة
وان لا يتوصل الى قوته الا بمعصية اسود ذلك ان ختم الدين السلم وخاتمة
السوء كل على الله تعالى وعلى قسمته فهو يضيق ما رزقه الله بتمام
وسهولة فيعيش عيشا رضيا كما قال تعالى فلنحيينه حياة طيبة
والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى
الازدياد من الدنيا سلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق
فيعيش ضنك الحال نظمة قال صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واد
من ذهب لابتغى اليه ثانيا ولو ان له واديين لابتغى لهما ثالثا ولا يملا
جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب متفق عليه قال بعض

المتقون فقة لا يبرحون احد عما ذكر به الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه
رزقه وقال تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم
مدرارا وقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء
غدقا ثم ذكر حال المعرض في الاخرة بقوله تعالى ونحشره يوم القيمة
اعمى قال ابن عباس اذا خرج من القبر خرج بصيرا فاذا سيق الى
المحشر عمي والعلم جمع بذلك بين هذا وبين قوله تعالى اسمع بهم وابصر
يوم ياتوننا وعن عكرمة قال اعمى عليه كل شي الا جهنم وفي لفظ قال
لا يبصر الا النار وعن مجاهد المراد بالعمى عدم الحجة ويؤيده ان قال
رب لم حشرتني اعمى في هذا اليوم وقد كنت بصيرا اي في الدنيا وفي
اول هذا اليوم فكانه قيل بم اجيب فقيل قال لربه كذلك اي مثل
ذلك فعلت ذلك ثم فسره فقال اتتك اياتنا واضحة بينة فنسيتها
فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك اي ومثل تركك اياها اليوم
تنسى اي تترك في العمى والعذاب وكذلك اي ومثل هذا الجزاء الشديد
نجزي من اسرف في متابعة هواه فتكبر عن متابعة اوامرنا ولم يؤمن
بكتاب بايات ربه وحالفهما ولعذاب الاخرة اشد مما عذبهم به في الدنيا
والقبر لعظمه وابقى فانه غير منقطع ولما بين تعالى ان من اعرض عن
ذكره كيف يحشر يوم القيمة اتبعه بما يعتبر به المكلف من الافعال الواقعة
في الدنيا ممن كذب الرسل فقال افلم يهد اي يبين بيانا يقود الى المقصود
لهم اي لهؤلاء الذين ارسلت اليهم اعظم رسلي وفاعل يهد مضمر في
قوله كم اهلكنا قال ابو البقاء الفاعل ما دل عليه الهلكنا اي اهلاكنا
والجملة مفسرة له وقال الزمخشري فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم
يهد لهم هذا اعتقاده ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في
الاخرين سلام محلي نوح في العالمين اي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز

ان يكون فيه ضمير الله او الرسول المتقدم ذكره جزية مفعول اهلكنا قبلهم من
القرون اي بتكذيبهم لرسلنا حالكون منهم يمشون اي هؤلاء العرب من
اهل مكة وغيرهم في مساكنهم اي في سفرهم الى الشام واليمن يشاهدون
اثار اهلاكهم ان في ذلك اي في الاهلاك العظيم الشان المتوالي في كل امة
لايات عظيمات البينات لاولي النهى اي لذوي العقول الناهية عن
القبائح قال التقامي ولما هددهم باهلاك الماضين ذكر سبب التاخير
عنهم بقوله تعالى ولولا كلمة اي عظيمة قاضية نافذة سبقت اي في الازل
من ربك الذي عودك بالاحسان بتاخير العذاب عنهم الى الاخرة فانه
يعامل بالحلم والاناة لكان اي العذاب لزاما اي لازما اعظم لزوم
لهم في الدنيا مثل ما نزل بهاد وعيد ولكن سبق لهم لمزيد من شقائهم وتعرضهم
من اصلاب بعضهم من يوحد وانما فعلنا ذلك اكراما لك ورحمة لامتك
فيكثر اتباعك فيعلوا ذا خيرات فيكون ذلك زيادة في شرفك والى
ذكره الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم وانما كان الذي لو شئته وحيا
ادخره الله الي فاجوائ اكون اكثرهم تابعا وفي رفع قوله تعالى واجل
مسمى وجهان اظهرهما عطفه على كلمة اي ولولا اجل مسمى لكان العذاب
لازما لهم وهذا ما صدر به البيضاوي والثاني انه معطوف على
الضمير المستتر في كان وقام الفصل بجرورها مقام التاكيد واقتضى
هذا المجاب على هذا وهو قول الزمخشري والبيضاوي وفي هذا
الاجل المسمى قولان احدهما ولولا اجل مسمى في الدنيا لذلك العذاب
وهو يوم بدر والثاني ولولا اجل مسمى في الاخرة لذلك العذاب
وهذا كما قال الرازي اقرب قال اهل السنة له تعالى ان يحكم بما شائ
يفضل من شاء بفضله ومن شاء بعدله من غير علة اذ لو كان فعله لعلة
لكانت تلك العلة اما قديمة فيلزم قدم الفعل واما حادثة فيلزم

افتقارها الى علة اخرى ويلزم التسلسل ثم انه تعالى لما اخبر نبيه صلى
الله عليه وسلم بانه لا يملك احد قتل استيفاء اجله امره بالصبر
فقال فاصبر على ما يقولون لك من الاستهزاء وغيره وقد كان في
اول الامر مأمورا بترك القتال وبسبح اي صل وقوله تعالى بحمد ربك
حال اي وانت حامد لربك على انه وفقك لذلك واعانك عليه قبل
طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر ومن آنا الليل
اي ساعاته فسبح قبل المغرب والعشي وقوله تعالى واطراف النهار
معطوف على محل فسبح انا المنصوب اي صل الظهر لان وقتها يدخل بزوال
الشمس فهو طرف النصف الاول وطرف النصف الثاني قال ابن عباس
دخلت الصلوات الخمس في ذلك وقيل المراد الصلوات الخمس في الوقت
لان الزمان اما ان يكون قبل طلوع الشمس او قبل غروبها فالليل
والنهار داخلين في هاتين العبادتين واوقات الصلوات الواجبة
دخلت فيما بقي وقوله ومن آنا الليل فسبح واطراف النهار للتوكيد
وقال ابو مسلم لا يبعد حمل التسبيح على التنزيه والاجلال والمعنى
اشتغل بتنزيه الله في هذه الاوقات قال فيقال للنهار له طرفان
فكيف قال واطراف النهار وهلا قيل طرفي النهار واجيب بوجهين اظهرهما
انه انما جمع لانه يلزم في كل نهار وبعود والثاني ان اقل ما يكون اثنان
وقرأ قوله تعالى لعلك ترضى ابو بكر والكسائي بضم التاء اي ترضى
بما تنال من الثواب كقوله تعالى ولكن عند ربه مرضيا وقرأ الباقون
بفتحها اي ترضى بما تنال من الشفاعة قال تعالى ولسوف يعطيك ربك
فترضى وقال تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا والمعنى على
القراءتين للتخالف لان الله تعالى اذا ارضاه فقد رضي اذا رضي
فقد ارضاه ولما كانت النفس ميالة الى الدنيا مرغوبة بالحاضر

من فاني العطايا وكانت تجلبها عن ذلك هو الموصل الى حريتها الموزن
بعلو همتها قال تعالى مؤكدا ايذانا بصعوبة ذلك ولا تمدن مؤكدا بالنون
الثقيلة عينيك اي لا تطل نظرك بما بعد النظرة الاولى المعفو عنها الى ما
متعنا به وبهجة الحياة الدنيا ازواجا اي اصنافا منهم اي الكفرة
استحسانا له وتمنيا ان يكون ذلك مثله والامتاع اللذاذ بما يدرك
من المناظر الحسنة ويسمع من الاصوات المطربة ويشم من الروائح
الطيبة وغير ذلك من الملابس والمناكح وقوله تعالى زهرة الحياة
الدنيا اي زينتها وبهجتها منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او بدل على
تقدير معنى اعطينا فازواجا مفعول اول وزهرة هو الثاني وذكر
وذكر ابن عادل غير هذين الوجهين سبعة اوجه لا حاجة لنا بذكرها هنا
علل تعالى نهيهم بقوله تعالى لنفتنهم فيه اي لنختبرهم بما اعطيناهم
فيكون سبب عذابهم في الدنيا بالعيش الضنك كما مضى وفي الآخرة
بالعذاب الاليم فصورته تقرر من لم يتأمل معناه حتى التأمل فيما انت
فيه خير مما هم فيه ورزق ربك في الجنة خير مما اوتوه في الدنيا وابقى
ايدوم او ما رزقته من نعمة الاسلام والنبوة اولذات امواله الغالب
عليها الطيب والسرقة واكرمه من بعض الوجوه والحلال خير والبقي
قال الزمخشري لان الله تعالى لا ينسب الى الا ما حل وطاب ورزق
ما حرم رفث واكرام لا يسمى رزقا الا وهذا جار على مذهب المخالف
لاهل السنة من ان الحرام ليس برزق وقال ابو مسلم الذي نهى عنه بقوله
ولا تمدن عينيك ليس هو النظر بل هو الاسف اي لا تأسف على ما فاتك
مما نالوه من زهرة الدنيا وقال ابو راشد نزلت هذه الآية في هر نزل بالنبي
صلى الله عليه وسلم فجعل الي يهودي يبيع او يستلف الي حتى
فقال والله لا افعل الا برهن فاخبرته بقوله فقال صلى الله عليه وسلم اني

لا يرين في السماء وآمنين في الارض احمل اليه رمحي لكديد فنزل قوله ولا تمدن عينيك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وقال ابو الدرداء اطلب الدنيا ارحن للدار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعن اكيسن لولا حق الناس لحربت الدنيا وعن عيسى بن مريم عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ذهبا فتتخذكم لها عبيدا ولما امر الله تعالى نبيه بتزكية النفس امره بان يامر اهله بالصلاة بقوله تعالى **وامر اهلك بالصلاة** اي امر اهل بيتك والمراد بعض اهله كما مر امتثل بالصلاة كما كان ابو كم اسمعيل عليه السلام يدعو بهم الى كل جزاء الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وليتعاونوا على الاستقامة على حفظ صحتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا الى ما يأتيه الرزق وكان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية يذهب الى فاطمة وعلي رضي الله عنهما كل صباح ويقول الصلاة **واصطبر** اي داوم **عليها لا نسألك رزقا** اي لا نكلفك رزقا لنفسك ولا لغيرك **نحن نرزقك** وغيرك كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فتفرغ بالك للامر الاخرة وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله ضيق امرهم بالصلاة وتلا هذه الاية وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلطان قرأ ولا تمدن عينيك الاية ثم نادى الصلاة الصلاة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا فصلوا امر الله ورسوله ثم يتلو هذه الاية **والعاقبة** اي الجنة المحمودة **للتقوى** اي لاهل التقوى قال ابن عباس الذين حذروا شركه واتقوه ويؤيده قوله تعالى في موضع آخر والعاقبة للمتقين ولا معونة على

الرزق

الرزق وغيره بشيء بواسطة الصلاة فقد كان صلى الله عليه وسلم اذا جد به امر اي بالجوع لبا الوحدة اي احزنه فزع الى الصلاة قال ثابت وكانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام انما تنزل بهم امور فزعوا الى الصلاة وعن ابي هريرة وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا ابن آدم تفرغ لعبادتي املا صدرك غنى واسد فقرك وان لم تفعل ملأت صدرك شغلا ولم اسد فقرك وعن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم احوال الدنيا لم يبال الله في اي اوديتها هلك وعن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من جعل من كانت له الدنيا همه فرق الله عليه امره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت الاخرة همه جمع الله له امره وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة ثم ان الله تعالى بعد هذه الوصية حكى عنهم شبهتهم بقوله تعالى **وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه** فكانه من لوازم قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وهو قوله لولا هلا يأتينا بآية وقال في موضع آخر لو ما تأتينا بآية كما ارسل الاولون ثم اجاب الله تعالى عما رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله **اولم تأتهم بينة** اي بيان **ما في الصحف الاولى** من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية المشتمل عليه القرآن من انباء الامم الماضية واهلاكهم بتكذيب الرسل فما يؤمنهم ان يكون حالهم في سؤالك الايات كحال اولئك وقرأ نافع وابو عمرو وحفص بالفوقية على التأنيث والباقون بالتحتية على التذكير **ولو انا اهلكناهم** معاملة لهم في عصيانهم **بعذاب من قبله** اي هذا القرآن المذكور في الاية الماضية وما تأتيهم من في قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن وفي معنى الرسول فيما

انزلنا عليك القرآن لتشقى او من قبل محمد صلى الله عليه وسلم لقالوا
اي يوم القيمة ربنا يا من هو متصف بالاحسان الينا اولا اي بطلا ولم لا
ارسلت الينا رسولا يا مرنا بطاعتك فنتبع اي فنتسبب عنه ان نتبع
اياتك التي تنجينا بها من قبل ان نذل بالعذاب هذا الذل ونخزى
بالمعاصي التي عملناها على جهل فلا حرج ذلك ارسلناك اليهم واتممنا
بك الحجة عليهم ولما علم بهذا ان ايمانهم كما تمنع وجدانهم لا ينفعهم بل ان
جاءهم الهدى يطفئوا فيه وان عذبوا قبله تطالوا كانه قيل فما الذي
افعل معهم فقيل قل لهم كل اي مني ومنكم متربص اي منتظر ما يؤول اليه
امري وامركم فتربصوا فانكم كالهايم ليس لكم تامل فستعلمون اي عما قريب
بوعد لا خلف فيه وهو يوم القيمة من اصحاب الصراط اي الطريق السوي
اي المستقيم ومن اهتدى اي من الضلالة تحصل على جميع ما ينفعه
واجتنب جميع ما يضره امن ام انتم قال ابن عادل عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قرا طه ويس
قبل ان يخلق آدم بالفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن طوبى
لامة ينزل عليها هذا وطوبى لالسن تكلم بهذا وطوبى لاجوان
تحمل هذا وعن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاهل
الجنة من القرآن الا تسمون طه انتهى ولم يذكر لذلك سندا واما
ما رواه البيضاوي بنحو الزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من
قرا طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار فحديث موضوع

سورة الانبياء عليهم السلام مكية

قال الرازي باجماع وهي
مائة واحدى او اثنتا عشرة اية والفا وستون كلمة واربع الاف وثمانية
وتسعون حرفا بسم الله الحكم العدل الذي عمت قدرته وعمراه الرحمن
الذي ساوى بين خلقه في رحمة ايجاده الرحيم الذي نجا من شاء من
عباده

عباده في معاده قال ابو جعفر بن الزبير في برهانه لما تقدم قوله تعالى
ولا تمدن عينيك الى قوله فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن
اهتدى يخاطب تعالى اقترب اي قرب للناس حسابهم اي في يوم القيمة اي
فلا تمدن عينيك الى ذلك فالى جعلته فتنة واشار بصيغة الاقتعال
الى مزيد القرب لانه لا امة بعد هذه ينتظر امرها واخر الفاعل تهويلا
لتذهب النفس في تعيينه كل مذهب فان قيل وصف ذلك اليوم
بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول اكثر من تسعمائة عام اجيب بانه
مقترب عند الله والدليل عليه قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وان
يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ولان كل آت وان طالت اوقات
استقباله وتراقبه قريب وانما البعيد هو الذي وجد وانقرض قال
الشاعر فلا زال ما تهواه اقرب من غد ولا زال ما تخشاه بعد ومنهم
ولا زال ما يبقى من الدنيا اقل واقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم
النبيين صلوات الله وسلامه عليه الموعود مبعثه في آخر الزمان
وقاله بعث انا والساعة كهاتين واشار باصبعيه وقال صلى الله عليه
وسلم ختمت النبوة بي كما ذكر في الاحاديث الباقية من حلقة التكليف
اقارن الماضي وعن ابن عباس ان المراد بالناس المشركون وهو من
اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القايم وهو ما يتلوه من وصفهم
المشركين وهو قوله تعالى وهم اي والحال انهم في غفلة اي من الحساب
معرضون عن التاهب لهذا اليوم لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتيقظون
لما ترجم اليه عاقبة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن
والمسيء وايضا ان هذه الاية تركت في كفار مكة ولما اخبر تعالى عن
غفلتهم واعراضهم دل على ذلك بقوله ما ياتيهم وما عرف في النفي بقوله
من ذكر اي وحي ينبههم على سنة الغفلة والجهالة وبقوله تعالى محدث

صفة لذكر او صلة لياتيهم **محدث** اي الاية ما يوجد من الله تعالى من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به وبهذا استطاب احتجاج المعتزلة بان القرآن حادث بهذه الاية وقيل معناه ان الله تعالى يحدث الامر بعد الامر فينزل الاية بعد الاية والسورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيرها من الامور والوقايع وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من المسنن والمواعظ سوى ما في القرآن واضافته اليه لان الله تعالى قاله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى **الا استمعوه** اي قصدوا سماعه وهو اجد واحق كتم **وهم** اي والحال انهم **يلعبون** اي يفعلون فعل اللاعبين بالاستهزآء والسخرية لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب **لاهية** اي غافلة معرضة **قلوبهم** عن ذكر الله تشبيه قوله تعالى وهم يلعبون لاهية قلوبهم والاول مترادفان او متداخلان ولما ذكر تعالى ما يظهر ونه في حالة الاستماع من اللهو واللعب ذكر ما يخفونه بقوله تعالى عطفا على يستمعونه **واسروا** اي الناس المحدث عنهم **النجوى** اي بالغوا في اسرارها بينهم وقوله تعالى **الذين ظلموا** بدل من واو واسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به او مبتدا والجملة المتقدمة خبره والمعنى وهؤلاء اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم وقيل جاءت لغة من قال اكلوني البراغيث وقيل منصوب المحل على الذم ثم بين تعالى ما تناجوا به بقوله تعالى **هل** اي فقالوا في تناجيهم هو **هذا** الذي اتاكم **الا بشر مثلكم** اي في خلقته واخلاقه من الاكل والشرب والحياة والممات فكيف يخص عليكم بالرسالة ما هذا الذي جاء به مما لا تقدرون على مثله الا سحر للحقيقة لرمح نسبب عن هذا الانكار قولهم

قولهم **افتاتون السحر وانتم** اي والحال انكم **تبصرون** باعينكم انه بشر مثلكم فكانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستدل من لم نعده ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن فانكروا حضر به فان قيل لم اسروا هذا الحديث وبالغوا في اخفائه اجيب بان ذلك كان بتشبيه التشاور فيما بينهم والتجاوز في طلبه الطريق الى يهدم امره وعادة المتشاورين في خطب ان لا يتركوا احدا يسمع نجواهم ويتجاهدون في طي سرهم عنهم ما امكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان قال القشيري فيا عجبا للعجب من قوم راوا ما اعجزهم فلم يجوزوا ان يكون من الرحمن الداعي الى الغفور باكبائه وجزموا انه من الشيطان الداعي الى الهوان باصطلاء النيران والعجب ايضا انهم انكروا الاختصاص بالرسالة مع مشاهدتهم لما يخص الله تعالى به بعض الناس عن بعض من الذكاء والفطنة وحسن الخلائق والاخلاق والقوة والصحة وطول العمر وسعة الرزق وتحو ذلك اه ولا عجب فانما عقول اضلها هواها كما قيل فماذا يقول هؤلاء فقل **قل** لهم **ربي** المحسن الي **يعلم القول** سواء كان سرا او جهرا كائنا **في السماء والارض** على حد سواء لانه لا مسافة بينه وبين شيء من ذلك **وهو السميع العليم** فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يعلنون فان قيل هلا قيل يعلم السر لقوله تعالى واسروا النجوى اجيب بان القول عام يشمل السر والجهر فكان في التعبير به العلم بالسر دلالة فكان اوفى في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم سرهم ونجواهم فان قيل لم يترك هذا الاكد في سورة الفرقان في قوله تعالى قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولم يقل يعلم القول كما هنا اجيب بانه ليس بواجب ان ياتي بالاكد في كل موضع

ولكن يجيء بالتوكيد تارة وبالاكد اخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبا
لاحسن في غيره ليتفنن الكلام افنانا ويجيء الغاية وما روعنا على ان
اسلوب تلك الاية خلاف اسلوب هذه من قبل انه تقدم ههنا انهم
اسروا النجوى تكاد اراد انه يقول ربي يعلم ما اسروه فوضع القول
موضع ذلك للمبالغة وعم فقد وصفه بانه المزله الذي يعلم السر في
السموات والارض ثم نبه بقوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب
عنه مثقال ذرة وقرا حفص وحمزة والكسائي قل بصيغة الماضي بالا
عن الرسول والباقون قل بصيغة الامر على انه تعالى بين ان المشركين
اختلفوا في القول في النبي صلى الله عليه وسلم وفيما يقول بقوله تعالى بل
قالوا اي قال بعضهم هذا الذي قاله لكم اضغاث احلام اي اخلاط اراها
في النوم وقال بعضهم بل افتراه اي اختلقه من عند نفسه ونسبه
الى الله تعالى وقاله بعضهم بل هو اي النبي صلى الله عليه وسلم شاعر
فيما جاءكم به نشر والشاعر يخيل ما لا حقيقة له وغيره اوانهم كلهم اخبروا
عن قولهم هو سحر الى انه شاعر لعلم احلام ثم الى انه كلام مفترى من
عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا المبطل متحير رجاع غير ثابت على
قول واحد قاله الزمخشري ويجوز ان يكون تنزيلا من الله تعالى
لاقوالهم في درج الفساد وان قولهم الثاني افسد من الاول والثالث
افسد من الثاني وكذا الرابع ثم انهم لما قدحوا في اعظم
المعجزات طلبوا اية غيره فقالوا فليأتنا دليلا على رسالته باية
كما اي مثل ما ارسل الاولون بالايات كتسبيح الجبال وتسخير الريح
وتحيي الموتى واحيا الموتى وابرا الاكمه والابرص وصحة التشبيه من
حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالاية قال الله تعالى مجيبا لهم ما امنت
قبلهم اي قبل مشركي مكة من قرية اي من اهل قرية اتتهم الايات
اهلكناها

اهلكناها باقتراح الايات لما جاءتهم افهم يؤمنون اي ليوجيتهم بما ذكر
اعاجيهم وفيه دليل على ان عدم الاتيان بالمقترح للاتباء عليهم اذ
لو اتي به لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستيصال كمن قبلهم ولما
بين تعالى بطلان ما اقترحوا به في الرسول صلى الله عليه وسلم
بكونه بشرا قال تعالى عاطفا على امنت مجيبا عن قولهم هل هذا
الا بشر مثلكم وما ارسلنا قبلك اي في جميع الزمان الذي تقدم
زمانك في جميع طوايف البشر الا رجالا يوحي اليهم اي لم نرسل الملائكة
الى الاولين انما ارسلنا رجالا يوحي اليهم مثلك ثم انه تعالى امر المشركين
ان يسألوا اهل الكتاب بقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر وانما اجابهم
على هذه الاية لانهم كانوا لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا واذا انكروا ان
محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالذكر القرآن اي فاسئلوا
المؤمنين العالمين من اهل القرآن وقرا ابن كثير والكسائي بفتح الياء
والهمزة بعدها وكذا الخلف حمزة في الوقف والباقون بسكون الياء
وهمزة مفتوحة بعدها ثم بين تعالى على انهم غير محتاجين في هذه الي
السؤال بما قد كان بلغهم على الاجمال من احوال موسى وعيسى
وابراهيم وغيرهم عليهم السلام بقوله تعالى معبرا باداة الشرط عما
لهم الى المعاني ان كنتم جهلا تكم لا تعلمون اي لا اهلية لكم في انتفاء
علم بل كنتم اهل تقليد محض وتتبع صرف وبما بين تعالى انه صلى الله عليه
وسلم على سنة من تقدم من الرسل في كونه رجلا بين الله على يديه
في جميع الاوصاف التي حكم بها على البشر في العيش والموت فقال
على الاول بقوله تعالى وما جعلناهم اي الذين اخترنا بهم الى الناس
لما مر وانهم بأوامرنا جسدا اي ذوي جسد لحم ودم متصفين بانهم
لا يأكلون الطعام بل جعلنا لهم اجسادا يأكلون ويشربون وليس ذلك

بما نع من ارسالهم فارية قال ابن فارس في المجمل وفي كتاب الخليل
ان الجسد لا يقال لغير الانسان وتوحيد الجسد لارادة الجنس كانه
قيل ذو ضرب من الاجساد او علي حذف مضاف اي ذوي جسد كما
اوتا ويل الضمير لكل واحد وهو جسم جسماني اللون لا يطلق علي
الماء والهوي سمي الماء مبنيا علي انه لا لون له وانما يتلون بلون
ظرفه او مقابله لانه جسم شفاف لكن قال الامام الرازي بل كله
لون يدرك ومع ذلك لا يحجب عن رويته ما وراءه ثم بنيه علي الثاني
بقوله تعالي وما كانوا خالدين اي باجسادهم بل ماتوا كما مات الناس
قبلهم وبعدهم وانما امتاز واعن الناس بما ياتيهم عن الله تعالي
ورسولكم صلي الله عليه وسلم ايس بحاله فتريصوا كما اشار السيخ طه
فانه متربص بكم وانتم عاصون الملك الذي اقترب حسابه لخلقه وهو
مطلع له ثم صدقناهم الوعد اي الذي وعدناهم بهلاكهم وعدا مثل
قوله تعالي واختار موسي قومه حذف الجار والاوصل في الوعد
وهل قومه وصدقه عدة قتاله وصدقني بني بكر والاصل في هذا
المثل ان اعرابيا اعرض بعيرا للبيع فقال له المشتري ما سنه
قال بكر فا تفق انه ند فقال صاحبه هدع هدع وهذه اللفظة مما
يسكن بها صغار الابل للكبار فقال المشتري صدقني سن بكرة واعرض
فصار مثلا تشبيها لشار تعالي بادادة التراخي التي انهم طال بلاؤهم
بهم وصبر بهم عليهم ثم اجل بهم ببسطوته وادامتهم عظمته فانجيناهم اي
الرسل ومن نشا وهم المؤمنون ومن بني اتباعه حكمة كمن يسر من هو
احد من ذريته ولذلك حيث به العرب من عذاب الاستئصال
واهلكنا المسرفين اي المشركين لان الشرك اسرف علي نفسه لقد
انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا اي القرآن فيه ذكركم اي شرفكم وحسن

كما قال تعالي وانه لذكر لك ولقومك او فيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها
الثناء حسن الذكر كحسن الجوار والوفا بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة
والسخا وما اشبه ذلك وفيه ذكر ما تحتاجون اليه من امر دينكم او لانه نزل
بلغتكم وقيل فيه تذكرة لكم لتتعظوا وتتفكروا في الذكر بمعني الوعد او الوعيد افلا
تعقلون فتؤمنون به وفي ذلك حث علي التدبر وتلاف لكوني من لوازم
العقل وكم قصمنا اي اهلكنا من قرية اي اهلها بغضب شديد لان القصم كالقطع
الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزا بخلاف القصم وقوله تعالي
كانت ظالمة اي كافرة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت هم مقامها ثم بين
المبهم عنها بقوله تعالي وانشانا بعدها اي بعد اهلاك اهلها قوما اخرين اي
مكانهم ثم بين حالهم عند احلال البأس بهم بقوله تعالي فلما احسوا اي ادركوا
اهلها بحواسهم باسنا اي عذابنا اذا هم منها اي القرية يركضون هاربين
منها مسرعين راكضين دوابهم لما ادركهم مقدمة العذاب والركض حث
الدابة بالرجل ومنه اركض برجلك ومشيهم بهم من فرط اسرعهم
بعد تخبرهم علي الرسل وقولهم لهم لتخبر جنكم من ارضا او لتفقدن
في ملتنا فاداهم لسان الحال تقريعا وتشفيا لحالهم لا تركضوا
والقائل له ملك او من المؤمنين وارجعوا الي ما اترفتم اي تمتعتم فيه من التنعم والتلذذ والاترف ابطال النعمة
وهي الترفه ولما كان اعظم ما يوصف عليه عيد العيش الناعم المسكن
قال ومساكنكم اي التي كنتم تفتخرون به علي الضعفا عما وسعتم من
فنائها وعليتم من بنائها وحسنتم من مشاهدها لعلكم تسئلون
وفي هذا تهكم بهم وتوبيخ اي ارجعوا الي نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون
غدا عما يجري عليكم ويزل لبا موالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن
علم ومشاهدة وارجعوا واجلسوا كما كنتم وترتبوا في مزاولكم حتي

سالكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره ويتفذ فيه امركم وغيركم ويقولون
لكم بما تامرون وماذا ترسمون لنا وبينا من ديناكم على العادة او لسانا
الحال او يسالون كما كنتم تسالون فتابوا بما عندكم من الانفة والحمية والعظمة
وعبادة الصمات كما تكون الرؤساء في مقاعدهم العلية ومراتبهم السنية
فيجيبون سائليهم بما شاؤا ولما كان كانه قيل بما اجابوا هذا القائل
قيل قالوا جنة لانفضح لقولهم عند نزوله الياس يا ويلنا اسئانة الي انه
حل بهم لانه نادى بها المعذب وتوقعه كما يقول الشخص لمن يعذبه
يا سيدي كانه يستغيث به ليكف عنه وذلك عبادة منهم وعمى عن الوحي
احالهم بما فهم كالبهائم لاينظرون الي السبب الاقرب ثم على الطويل
ثم تاكيد التزامهم بقولهم انا كنا جيلة وطبعا ظالمين حيث كذبنا الرسل
وعصينا امر ربنا فاعترفوا حيث لاينفعهم الاعتراف لغوات محله وعن
ابن عباس ان هذه الصرخة صعود بفتح الحاء والصاد المهملة وسيد بجبل
قرب تبالة باليمن تنسب اليهما الثياب وفي الكريك كفن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في ثوبين سحوليتين ورديد حصور بتين بعثه الله لهم
نبيا فقتلوه فسلط الله تعالى عليهم بخت نصر كما سلط الله على اهل
بيت المقدس فاستاصلهم وروي انه لما اخذتهم السيوف نادى مناد
من السماء بالشارات الانبياء وهي بفتح اللام وبمثلثة وبهمزة مسالكنة
اي يا اهل ثارات اقتم اي الطالبة به مهم فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه فقدموا وقالوا ذلك فما اي فتسبب عن احلالنا بهم
ذلكه الياس اعنى ما زالت تلك الدعوى البعيدة وهو جمعهم عن اكبين
والسلامة وهي قولهم يا ويلنا يعاودهم يردد وكما الادعوى لهم بحق بها
لان الويل ملازم لهم غير مفكك عنهم وترفقهم لرغيرنا فيم حتى جعلناهم
حصيدا كالزرع المحصود بالمناجل فماتوا قتلوا بالسيف شبه حصيد

على

حصيد على وزن فعيل بمعنى مفعول ولذلك لم يجمع لانه يستوي فيه المذكر
وغيره خامدين اي ميتين كجمر النار اذا طفئت وصارت رمادا فاذ
مثل كيف ينعب جبل ثلاثة مفاعيل اجيب بان حكم الاثنين فصاعدا من
حكم الواحد لان معنى قولك جعلتهم حطاما جعلت جامعا للطحن
وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لما ثلاثة لاتحصى واكثر وا وخامدين
صفة لحصيد او حال من ضميرهم بينهم مبتدا ومعطوف على النفي في خلقنا
السموات والارض وما بينهما ليعتبروا بقوله تعالى وما خلقنا السماء على علو
واحكام والارض على عظمها واتساعها وما بينهما مما دبرناه لتمام المنافع
من اصناف البدايع وعجايب الصنايع لاعبين اي عابثين كما يسوي
الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وانما خلقناها
مشتملة على بدايع الحكم تبعث على التفكر وتذكير الذي في الاعتبار وتسببا لما
ينتظم به امر العباد في المعاش والمعاد ومما ينفي عنه اللعب اتبعه
بقوله فقال لو اردنا اي مما من شانه ان يتخذ لهو اي مما يتعاطى بين ويلعب
ويتلهى هو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى لاتخذناه
من لدنا اي من عندنا مما يليق ان ينسب الي عظمتنا من اكابر الجن
والملائكة ومن مقامات القدرة وكمال العظمة ان كنا فاعلين ذلك لكنا
لم نفعله لانه لا يليق بحكمتنا فلم نفعله وقوله تعالى بل نقذف اي نرمي
بالحق اي الايمان على الباطل اي الكفر اضراب عن اتخاذ اللهو
وتنزيه لذاته من اللعب بل شانا ان نرمي بالحق الذي من جملته الجلد
على الباطل الذي من عداد اللهو فيدمغه اي يذهبه واستعار
لذهاب الباطل بالحق القذف والدمغ تصويرا لابطاله به واهدار
ومحقه فجعل كانه جرم صلب كالصخرة ووجه استعارة القذف والدمغ
لما ذكرنا ان اصل استعمالهما في الاجسام ثم استعير القذف لدحض

الباطل بالحق والدمغ لاذهاب الباطل والمستعار منه حسي والمستعار
له معقولي فاذا هو في الحال زاهق اي ذاهب والزهوق ذهاب الروح وذكره
لترشيح المجاز من اطلاق القذف على رمي الحق ثم عطف على ما فايدة
اذا ذق له تعالى ولكم اي ايها المبطلون الويل اي العذاب الشديد
مما تصفون الله تعالى به مما ينبغي ان لا يوصف كاتخاذ الولد تنبيه ما
اما مصدرية او موصولة او موصوفة والمحكي تعالي كلام الطاعنين
في البنوات واجاب عنها بين ان اعراضهم من تلك المطاعن التمرد
وعدم الانقياد بين بقوله تعالي وله من في السموات اي الملائكة
وفي ملكت العرش وجمع السماء هنا للاشعار بتفخيم الملك ذلك والملائكة
عقلاء لم لا تذكر كقوله الارض وحده فقال والارض اي له ذلك خلقا وملكا
اشعارا عن طاعتهم لانه هو المالك لجميع المحدثات والمخلوقات وغلب
من تغليبا للعقلاء وقوله تعالي ومن عنده اي وهم الملائكة باجماع الامة
ولان الله تعالي وصفهم بانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهذا
لا يليق بالبشر مستدا جزء لا يستكبرون عن عبادته بنوع كبر طلبا
ولا ايجاد او خصهم بالذكر لكرامتهم عليه تنزيلا لهم منزلة المقربين
عند الملك تنبيه العندية للشرف والرتبة لا عندية المكان وايضا
فانه تعالي قال الملائكة مع كمال شرفهم وعظمة جلالتهم لا يستكبرون
عن عبادته فكيف يليق بالبشر الضعيف التمرد عن طاعته ومع
ذلك فهم لها ولا يستحسرون اي لا يعيون وانما جي بالاستحسار الذي
هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم تعظيما ودوايما حقيقة
بان يستحسر منها ولا يستحسرون ولا يطيقون ان ينقطعوا عنها فانهم
ذكره قوله تعالي يسبحون اي ينزهونه المستحق للتنزيه بانواع التنزيه
من الاقوال والافعال الليل والنهار اي في جميع اياهما دايما لا يفترون اي

عن

اي عن ذلك وقتا من الاوقات فمن فهم لا نفس مثالا يشغلها عنه
بشاغل ولما كانوا عند هذه البيانات حقيقين بان يبادروا الى التوحيد
فلم يفعلوا كانوا حقيقين بعد الاعراض عنهم بالتوبيخ والتهكم والتعنيف
فقال تعالي ام اتخذوا اي بل اتخذوا قائم مقام بل للانتقال والهمزة للانكار
انكار ان تكون الالهة من الارض وهي نسبتها الى الارض الاتخاذ بانها من
الاصنام التي تعبد في الارض لان الالهة على صنفين ارضية وسماوية
ومن ذلك حديث الامة التي قال لها صلي الله عليه وسلم اين ربك
فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه فهم منها ان مرادها نفي
الالهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات ان السماء مكان الله تعالي
ويجوز ان يراد بالالهة من جنس الارض لانها احد ان تتخذ من بعض
الحجارة وتعمل من بعض جواهر الارض هم ينشرون اي يحيون الموتى
لانهم ولو لم يقدروا على ذلك لكن ادعاؤهم لها يقتضي ان يقدروا على
ذلك فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به
تجهيلهم والتهكم بهم والمبالغة في ذلك زيد الهمزة الموبخ للاختصاص
الاستفهام بهم ثم انه سبحانه وتعالي اقام البرهان القاطع على
نفي الالهة غير بهذا التمانع وهو استدلال برهاني لاهل الكلام فقال
لو كان فيهما اي السموات والارض اي تدبيرهما آلهة الا الله اي غير الله
لفسدتا اي لخرجتا عن نظامهما المشاهد لوجود التمانع بينهم على
وفق العادة عند تعدد الحاكم وعند عبد الملك بن مروان نحن قتلنا
عمرو بن سعيد الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن
لا يجتمع فحلان في سؤل وهذا ظاهر واما طريقة التمانع فتقال
التمانع في المقدور بوجود المعنى مفض الى المحال لانا لو فرضنا وجود
المعنى فلا بد ان يكون كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه

ولو فرضنا ان احدهما اراد تحريكه والاخر اراد تسكينه فاما ان يقع المرادان
وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين او لا يقع واحد منهما مراد
الاخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس
او يقع مراد احدهما دون الاخر وذلك ايضا محال لان الذي يقع
مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز ينافي
وهو على الاله محال فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات
واذا اوقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم
العلوي والسفلي من المخلوقات دليل على وحدانية الله تعالى
والدليل السمعية على الوحدانية كثيرة في القرآن ولما افاد هذا
الدليل انه لا يجوز ان لا يكون المدبر للسموات والارض الا واحدا ان
ذلك الواحد لا يكون الا الله تعالى قال فسبحان الله اي تنسب
على ذلك تنزه المتصف بصفات الكمال رب اي خالق العرش اي الكرسي
الجسم المحيط بجميع الاجسام الذي هو محال التدبير ومنشأ التقادير
عما يصفون اي الكفار الله به من الشريك له وغيره ثم بين تعالى ذلك
بقوله تعالى لا يسئل اي من سأل عما يفعل لعظمته وشدة سلطانه
واذا كانت عادة الملوك وبحكم ان الانبياء لهم حين في مملكتهم
عن افعالهم وعما يورد ون ويصدرون من تدبير ملكهم لهيبة واجلالا
مع ان جواز الخطأ والزلل وانواع الفساد عليهم كان
ملك الملوك رب الارباب خالقهم ورازقهم اولى ان لا يسأل
عن افعاله مع علمه واستقرار في العقول ان ما يفعله كله مفعول
بد واعي الحكمة ويجوز عليه الخطأ وهم يسئلون اي لانهم مملوكون
مستعبدون ظاهرا وباطنا فالخلق بأسرهم لم يفعلوا من كل ما
فعلوه وكرر قوله ام اتخذوا من دونه الهة كرر لما استقر

واستغاثا

واستغاثا لكفرهم واظهارا لجهلهم ولما كان جوابهم اتخذنا ولا نرجع امر
الله تعالى نبيه صلى الله عليه بجوابهم فقال قل هاتوا برهانكم على
ما ادعيتموه من عقل او نقل كما اتيت انا ببرهان النقل المؤيد بالعقل
ولما كان تعالى لا يواخذ بمخالفة العقل ما لم يقم اليه دليل النقل اتبعه
قوله مشيرا الى ما ثبت انه تعالى به الرسل من الكتب هذا ذكر اي
موعظة وشرف لمن معي من امتي وهو القرآن الذي عجزتم عن معارضته
وذكر اي وهذا ذكر من قبلي من الامم العاصية وهو التوراة والانجيل
وغيرهما من الكتب السماوية فانظروا هل تجدوا فيها الا الامر بالتوحيد
والنهي عن الاشراك ولما كانوا لا يجدون سنيقة تهمهم فضلا عن حجة
ذمهم الله تعالى على جهلهم بمواضع الحق فقال تعالى بل اكثرهم اي بل اكثر المدعوين
لا يعلمون الحق فلا يميزون بينه وبين الباطل بل اكثرهم جهلة والجهل
اصل الهلاك والفساد فهم اي فنتسب عن جهلهم ما افتتحنا به السورة من
انهم معرضون عن التوحيد واتباع الرسل ولما كان الارسال امرا لم يكن
غير مستقر في الزمان المتقدم كما ان الرسالة لا يقوم بها كل احد فلذلك
الارسال لا يصلح له كل زمن اثبت انكار في قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
واعرق في النفي فقال من رسول في شيء الا نوحي اليه من عندنا
انه لا اله الا انا فاعبدون وهذا اقرر لما سبقه من امر التوحيد وقال
تعالى الا انا ولم يقل نحن لئلا يجعلوا ذلك وسيلة الى ما ادعوه من
تعدد الالهة ولذلك قال فاعبدون بالافراد وقرأ حفص وحمزة
والكسائي بالنون وكسر التاء والباقون بالياء وفتح التاء ولما بين سبحانه
وتعالى بالدلائل الباهرة كونه منزها عن الشريك والضد والند
رد فذلك ببراهينه عن اتخاذ الولد بقوله وقالوا اتخذ اي تكلفوا كما
يتكلف من يكون له ولد الرحمن اي الذي كل موجود من فيض نعمه ولدا

هود ٢١

نزل في خزاعة حيث قالوا الملايكة بنات الله وقيل نزل ذلك في اليهود حيث
قالوا الله تعالى عما يقولون فكانت منهم الملايكة سبحانه اي تنزه عن ان
يكون له ولد فان ذلك يقتضي المجانسة بينه وبين الولد ولا يصح مجانسة
المنعة للمنعم الحقيقي كما حكى الله تعالى عنهم قولهم وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا عما ان الله سبحانه وتعالى نزه نفسه عن ذلك بقوله تعالى بل
اي الذين جعلوهم لله ولدا وهم الملايكة عباد عن عباده انفة عليهم
بالايجاد كما انفهم على عبادتهم بالاولاد فان العبودية تنافي الولدية
مكرمون بالعصمة من الزلل ولذلك عبر لاكرامهم بقوله تعالى لا يسبقونه
اي لا يسبقونه اذنه بالقول اي لا يقولون شيئا حتى يقول كما هو شان
العبيد المودبين وهم بامره اذا امرهم يعملون لا يفترون عن غاية
المراقبة فجمعوا في الطاعة بين القول والفعل وذلك في غاية الطاعة
ثم علل اخباره بذلك بجهله بما هو المخبر به مندرج فيه بقوله تعالى
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما عملوا وما هم عاملون لا يخفى
عليه خافية مما قدموا واخروا ثم صرح تعالى بلازم الجملة الاولى
فقال ولا يشفعون اي لا في الدنيا ولا في الاخرة الا لمن ارتضى اي
الا لمن قال لا اله الا الله فسقط بذلك القول قول المعتزلة ان الشفاعة
في الاخرة لا تكون لاهل الكباير ثم صرح بلازم الجملة فقال وهم من خشيته
اي لا من غيرها مشفقون اي خايفون واصل الخشية خوف مع تعظيم
وكذلك خص بها العلما والاشفاق خوف مع اعتنا فان عدي بمن
فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس ولما نفى تعالى الشريك
مطلقا ثم الولدية اتبعه التمهيد على ادعايه بتعذيب المتبوع الموجب
لتعذيب التابع بقوله تعالى ومن يقل منهم اي من الخلايق حتى العباد
المكرمون الذين وصف كرامتهم وقرب منزلتهم عنده وانى يخلهم ان

الـه

الـه من دونه اي الله اي غيره والذي قال ذلك كما قال الجلال المحلي هو
ابليس دعا الى عبادة نفسه واحر بطاعتها فذلك اي اللعين الذي
لا يصلح للتعذيب اصلا نجزيه جهنم نظلمه كذلك اي مثل هذا الجزا العظيم
نجزي الظالمين اي المشركين ثم ان الله سبحانه وتعالى شرع الآن
في الدلايل الدالة على وجود الصانع فذكر منها ستة انواع النوع
الاول قوله تعالى اولم ير اي يعلم الذين كفروا علما هو كالمشاهدة ان السموات
والارض كانتا رتقا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة
الارض رتقا قال ابن عباس والضحاك كانتا شيئا واحدا ملتزقين ففتقناهما
واحدة ففتقناهما اي فصلنا بينهما بالهوي والرتق في اللغة السد
والفتق الشق قال كعب خلق السموات والارض بعضها على بعض
ثم خلق ريحا فوسطها ففتقهما بها وقال مجاهد والسدي كانت السموات
رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السما بالمطر والارض
بالنبات فيكون المراد بالسموات سما الدنيا وجمعها باعتبار الافاق
او السموات بأسرها على ان لها مدخلا في الامطار وانما قال تعالى
رتقا على التوحيد وهو من نعت السموات والارض لانه مصدر والكل قرئ
وانما يعلمون ذلك فهم متمكنون من العلم بالنظر او باستفسار من
العلما او مطالعة الكتب وقرا ابن كثير الم يغير وابن الهمزة ولم
والباقون بالواو وبين الهمزة واللام والنوع الثاني من الدلايل قوله
تعالى وجعلنا اي خلقنا بما اقتضته عظمتنا من الما الما هو الدافق وعرفه
كل شي حي مجازا من النبات وحقيقة من الحيوان فان قيل قد خلق
الله تعالى بعض ما هو حي من غير الما كآدم وعيسى والملايكة اجيب

بان هذا اخرج مخرج الاغلب والا كثر اي ان اكثر ما خلق الله خلق من الما
وبقائه بالماء وقيل المراد بالماء ما نزل من السماء وشيء من الارض
افلا يؤمنون مع ظهور هذه الايات الواضحات بتوحيد النوع
الثالث من الدلايل قوله تعالى وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا
ثوابت كراهة ان تميد اي تتحرك بهم قيل ان الارض بسطت على الماء
فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة في الماء فارساها الله واثبتها
بالجبال النوع الرابع من الدلايل قوله تعالى وجعلنا فيها اي في الارض
فجاجا اي مسالك واسعة سهلة ثم ابدل منها سبلا اي مذللة
للسلوك ولولا ذلك لتعسر او تعذر الوصول الى بعض البلاد لعلهم
يهتدون الى مصالحهم من دياريهم وغيرها والى ما فيها من الدلايل
الوحدانية النوع الخامس من الدلايل قوله تعالى وجعلنا السماء
وافردها مع ارادة الجنس لانها اكثر الناس نظرا واهدوا من فيها الا
السما الدنيا ولانها محفوظة للبعض الواحد الذي سقفا اي للارض
كالسقف للبيت محفوظا اي عن السقوط بالقدرة وعن الفساد
والاختلال الى الوقت المعلوم بالمشيئة وعن الشياطين بالشهب
وهم اي اكثر الناس عن اياتها اي من الكواكب الكبار والصغار ومن
الرياح والامطار وغير ذلك من الدلايل التي تفوت الاحصاء
الدالة على قدرتنا على كل ما نريد من البعث وغيره وعلى عظمتنا
بالتفرد بالالهية وغير ذلك من اوصاف الكمال من الجلال
والجمال معرضون لا يتفكرون فيها من التسيير والتدبير وغير ذلك فيعلمون
انه خالقها لا شريك له النوع السادس من الدلايل قوله تعالى وهو
اي لا غير الذي خلق الليل والنهار ثم انتهما اعظم اياتهما بقوله
تعالى والشمس التي هي اعظم اية للنهار والقمر الذي هو اعظم اية الليل

كل

كل اي من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم في فلك اي مستدير كالطاحونة
في السما يسبحون اي يسيرون بسرعة كالسابح في الماء والتشبيه به
اتى بضمير جمع من يعقل والمراد بالفلك الجنس كقولهم الامير حلة وجلد
بهم سبعا اي كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى
بما يدل على الجنس اختصارا لان الغرض الدلالة على الجنس ونزل
لما قال الكفار انا نتمنى موته فيستريح من قبله الخلد اي البقا
في الدنيا افاين اذ يتمون موتك فان متهم اكانوا خالدون فيها لان الله
يسوي بين الدين فالجملة الاخيرة محل الاستفهام الانكاري في معنى ذلك وقول
فروة بن مسيك المحاربي وقد للشامتين بنا افيئوا سيلقى الشامتون كما لقينا وقرا نافع وحفص وحمزة والكسائي بكسر الميم والباقون بضمها
ثم بين تعالى ان احدا لا يبقى في هذه الدنيا بقوله تعالى كل نفس ذائقة
الموت اي ذائقة مرارة مفارقتها جسدها فلا يفرح احد ولا يحزن
بموت احد بل يشتغل بما يهمه والمراد الاشارة بقوله ونبلوكم اي نعاملكم
معاملة المبتلي المختبر ليظهر في عالم الشهادة الشاكر والصابر والمؤمن
والكافر كما هو عندنا في عالم الغيب بان نجازي الكل بالشر وهو المضار
الدنيوية من الفقر والاسقام وسائر الشدايد الدنيوية والنار الاخروية بالمكاره
وكثير وهو نعم الدنيا من الصحة واللذة والسرور والتمكن من
المرادات وقوله تعالى فتنة مفعول له اي ليظهر الصبر وعدمه او تشكرون
ايها الكافر كيف تفتن الذهب اذا اردت تصفيته بالنار وعما يخالطه من
الغش وقيل تعالى اذ العبد مع التكليف يتردد بين هاتين الحالتين
لكي يشكر على المنح ويصبر على المحن فيعظم ثوابه اذا قام بما يلزم
واليها بعد الموت لا الى غيرنا يرجعون فيجازيكم بما فعلتم ثم عطف تعالى
على قوله واسروا النجوى قوله تعالى واذا راك اي وانت اشرف الخلق

الذين كفروا اي حال الرؤية الكفر اي حين يزدادونه يقولون انكارا واستهزاء اهذا الذي يذكر المتكم اي بسوء والذكر يكون بالخير والشر واذا دلت القرينة على احدهما اطلق عليه ذكر العدو لا يكون الا بسوء وهم اي والحال انهم بذكر الرحمن اي اذا ذكر لهم الرحمن بنعمه كافرون وذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا مسيلمة وهم الثانية للتاكيد وقد نزل في استعجالهم العذاب خلق الانسان من عجل كانه خلق منه لفرط استعجاله وقيل ما سبق العرب يقولون للذي يكثر منه الشيء خلقت منه كقولك خلق زيد من الكرم مجازا مما طبع عليه عبر بالماضي عن المطبوع عليه مبالغة في لزومه له ولذلك قيل الله على القلب اي خلق العجل من الانسان ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعد وقال سعيد ابن جبير والسدي لما دخل الروح في راس آدم وعينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل الروح في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح الى رجليه عجلا الى ثمار الجنة فرتع فقيل خلق الانسان من عجل والمراد بالانسان آدم وارتضاه اولا بن عطية وقال قوم معناه خلق الانسان يعني آدم من تعجيل في خلق الله اياه لان خلقه كان بعد خلق كل شيء في اول النهار يوم الجمعة فاسرع في خلقه قبل مغيب الشمس قال مجاهد فلما احيي الروح راسه قال يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس وقيل بسرعة وتعجيل على غير ترتيب خلق سائر الادميين من النطفة ثم العلقة ثم المضغة وغيرها وقال قوم معنى عجل اي تعجل قال الشاعر والشيخ في الحمزة الهمامية والنخل ينبت بين الماء والعجل ثم قال تعالى مهددا للمكذبين بني ساريكم اياتي اي مواعيدي بالعذاب فلا تستعجلون اي تطلبون اذا وجد العجلة بالعذاب او غيره فاني خلقت العجلة التي هي من جملة نعتا يضركم لا نعدام ارادة الشيء قبل وانه فان

قبل لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله تعالى وكان الانسان عجولا ليس لهذا من تكليف ما لا يطاق اجيب بان هذا من المركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وذكر العجلة هذا راه بعض ايآته وهو العقل يبدد ويقولون في استعجالهم متى هذا الوعد اي بانيان الايات من الساعة ومقدماتها وغيرها ان كنتم فيما توعدوننا به صادقين اي عريقين في هذا الوصف يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء ثم بين تعالى انهم يقولون ذلك لجهلهم بقوله تعالى لو يعلم الذين كفروا وذكر المفعول بقوله تعالى حين اي وقت لا يكفون اي لا يدفعون عن وجوههم التي هي اشرف اعضائهم النار استلاما وعجزا ولا عن ظهورهم التي هي اشد احيائهم من السياط ولا هم ينصرون اي لا يمنعون من العذاب بالقهر وجواب لو محذوف والمعنى لو علموا اذا قاموا على كفرهم وقالوا استعجلوا العذاب ولا تالوا مجيء هذا الوعد ان كنتم صادقين بل تاتيهم اي القيامة بغتة اي فجاة فتبهتهم اي تحيرهم يقال فلان مبهوت اي متحير فلا يستطيعون ردها اي لا يطيقون طوعا ذلك لهم في ذلك الوقت لياسهم عنه ولا هم ينظرون اي يمهلون للتوبة او معذرة ولما كان التدبير حاق بهم هذا باستهزائهم بك اتبعه ما يدل على ان الرسل في ذلك سواء واحد تسليته له صلى الله عليه وسلم تعاطفا على واذا راك ولقد استهزئ برسل من قبلك اي كثير من ذلك بهم استهزوا وقرا ابو عمرو وعاصم وحمزة في الوصل بكسر الدال والباقون بالضم واذا وقف حمزة ابدل الهمزة ياء ساكنة فحاق اي نزل بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك ولما اعلم الله تعالى ان الكفار في الاخرة لا يكفون عن وجوههم النار

ولا عن ظهورهم بسائر ما وصفهم به اتبعه بامنهم في الدنيا فقال تعالى لا ان الله
تعالى يحرسهم ويحفظهم لما بقوا في السلامة فقال تعالى لرسوله صلى
الله عليه وسلم قل يا اشرف المرسلين للمستهزئين من يكلؤكم اي يحفظكم بالليل
والنهار من الرحمن اي من عذابه ان نزل بكم اي لا احد يقدر ذلك بل هم
عن ذكر ربهم اي القرآن معرضون لا يتفكرون فيه ولا يخطرونه ببالهم
فضلا ان يخافوا بأسه ام فيها معنى الهمزة كأنه اي الهم الهة
بأعيانهم مما يسوءهم من دوننا ليس لهم ذلك ثم وصف الهتهم بالضعف
فقال لا يستطيعون اي الآلهة نصر انفسهم فكيف ينصرون عابديهم
ولا هم اي الكفار منا اي من عذابنا يصحبون اي يجارون فيقال صحبك
الله اي حفظك واجارك بل متعنا هؤلاء اي الكفار على حقارتهم وآبائهم
من قبلهم بالنعم استدراجا حتى طال عليهم العمر اي امتدت عليهم ايام
الدنيا بالروح والطمأنينة فحسبوا ان الامر الواقع على ذلك لا يتغلبون ولا
ينزع عنهم ثوب امنهم واستمتاعهم وغلط رئيس اللام بجلاء عنه وافتقر
بذلك وذلك طمع فارغ وامل كاذب افلا يرون اي يعلمون علما هو في قوة
مثل الرؤية بالبصر انا نأتي الارض اي ارض الكفرة ننقصها من اطرافها
بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها بقتل بعض وردع بعض
عن دين الاسلام في نقص واولياؤنا في زيادة افهم الغالبون اي
مع مشاهدتهم لذلك ام اولياؤنا والحال كذلك كما زعموا وفي التعرض
لعنوان الالهية ما لا يخفى قل يا اشرف الخلق لهؤلاء المشركين انما انذركم
اي احوفكم بالوحي من الله لا من قبل نفسي ولا يسمع
الصم الدعاء اي ممن يدعوهم اذا ما ينذرون اي يخوفون لهم لتركهم العمل
بما سمعوه كأنهم فاقدو حاسة السمع لا يسمعون دعاء
المنذر فكيف فيقبل اذا ما ينذرون اجيب بأن وضع الظاهر موضع المضمر
للدلالة

للدلالة على تقاعدهم وتصديهم اسماعهم اذا انذروا اي بهم على هذه الصفة
من الجراءة والجسارة وعلى التصام من الايات الانذارية وقرأ ابن عامر ولا يسمع
بالتاء الفوقية مضموما مكسورا الصم ونصب بهم الهم على خطاب النبي والباقون
بالياء التحتية وفتح الصم ورفع بهم الهم وفي الدعاء اذا هم تان مختلفتان من
كلمتين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة فنافع وابن كثير وابو عمر وبتحقيق
الاولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء والباقون بتحقيق الهمزتين هذا
في حال الوصل فاذا وقف على الهمزة الاولى فالجميع يبتدئون الثانية
بالتخفيف وتثقيل همزة وهشام بابدال الهمزة الثانية حرف مد والتوسط والقصر
ولئن مستهم اي اصابتهم نفحة وقعة خفيفة وفي ذلك مبالغات ذكر المس
والباء في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء والقاء
الدالة على المرة من عذاب ربك المحسن اليك بنصرك عليهم من الذي ينيرون
بالعقوبة وقد اذهلهم امرنا يا ويلنا الذي لا ثاني يحضرنا لات غيرها انا
كنا ظالمين دعوا على انفسهم بالويل بعد ما اقروا بالظلم ثم ذكر تعالى بعض
ما ينير في حساب الساعة من العدل فقال عاطفا على قوله تعالى بل
تأتيهم بغتة ونضع الموازين القسط اي ذوات العدل ليوم القيمة اي فيه
والمراجح الموازين لكثرة من توزن اعمالهم ويجوز ان يرجع الى الوزنات
وقيل وصف الموازين تمثيلا لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب
الاعمال بالعدل والصحيح الذي عليه ائمة السلف ان الله تعالى يضع
ميزانا حقيقة يوزن به اعمال العباد وعن الحسن هو الميزان له كفتان
ولسان ويروى ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فاراه
كل كفة ما بين المشرق والمغرب فغشي عليه ثم افاق فقال الهي من الذي
يقدر ان يملأ كفته حسنات قال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها
بتمرة فان قيل كيف توزن الاعمال مع انها اعراض اجيب بان فيه طريقين

احدهما توزن صحايف الاعمال فتوضع صحايف الحسنات في كفة وصحايف
السيئات في كفة والثاني ان توضع في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة
وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة فان قيل هذه الاية تنافي ما قضى به قوله
تعالى في الكفار فلا يقيم لهم يوم القيمة وزنا اجيب بان المراد منه انا للاكرم
ولا نفظلهم **فلا تظلم نفس شيئا** اي من نقص حسنة او زيادة سيئة
وان كان اي العمل **مثقال** اي وزن **حبة من خردل** اي صغر منه وانما مثل
به لانه لا غاية عندنا في القلة وقرا نافع برفع اللام على ان كان التامة
والباقون بالنصب وكذا في لفمان **اتينا بها** اي بوزنها وكما كان حسابا كالاتي
كلهم بي كل ما صدر منهم من امر باهر للعقل حقره عند عظمته تعالى **وكفى بنا**
اي بما لنا من العظمة **حاسبين** اي محصين في كل شيء دلا يكون في الحساب
احد مثلنا تفيد من جهة ان معناه انه لا يروج عليه شيء من خداع ولا
يتبلغ غلطها ولا ضيل ولا ينسى الى غير ذلك من كل ما يلزم منه نوع لبس
وكرب منتفر وبعد من جهة انه مطلع على حسن تقدير ان دق وخفي
ولما تكلم سبحانه وتعالى في دلايل التوحيد والنبوة والمعاد شرع في
تقص الانبياء عليهم السلام تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم فيما
نالهم من قومه وتقوية لقلبه على ادا الرسالة والصبر على كل عارض
وذكر منها عشرة القصة الاولى قصة موسى عليه السلام المذكورة في قوله
تعالى **ولقد اتينا موسى وهارون** اي اخاه الذي سال ربه ان يشد
ازره به **الفرقان** اي التوراة الفارقة بين الحق والباطل وبين الحلال
والحرام **وضياء** بها الاظلام معه اي يستضاء بها في ظلمات الحيرة والجهل
وقرا ابن كثير بحذف الضاد بهمزة مفتوحة ممدودة والباقون بياء بعدها
الف **وذكرا** اي عظة **للمتقين** الذين يجتنبون ما يحتاجون اليه من الزلايم وقيل
الفرقان النصر وقيل فلق البحر ومراده بالضياء على هذا التوراة ثم بين

المتقين

المتقين بوصفهم بقوله تعالى **الذين يخشون** اي يخافون خوفا عظيما **ربهم** اي المحسن
اليهم بعد الايجاد بالتربية وانواع الاحسان **بالغيب** عن الناس اي في الخلا
عنهم بعد الاراءة بالغيب قبل ان يكشف لهم الحجاب في الجنة **وهم من الساعة**
التي توضع فيها الموازين وقد لا يرضى عنها الجاهلون مع كونها اعظم خاطر على
كل خير وصارف عن كل شر **مشفقون** اي خايفون لانهم لفرطها مستمرون
ولنصب الموازين فيها عالمون ولما ذكر تعالى وفرقان موسى عليه السلام
وكان العرب ليشاهدون تمسك اليهود به حثهم على كتابهم الذي هو اشرف
منه بقوله تعالى **وهذا** اي القران واشار اليه باداة القرب ايماء الى
علو رتبته وانه لعلو مرتبته **ذكر** اي موعظة **مبارك** اي كثير خيرها **انزلناه** على اشرف
الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **افانتم له منكرون** اي جاحدون
استفهام توبيخ القصة الثانية قصة ابراهيم عليه السلام المذكورة في قوله
تعالى **ولقد اتينا** بما لنا من العظمة **ابراهيم رشده** اي صلاحه وهداه **من**
قبل اي من قبل موسى وهارون وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل
استنبايه او بلوغه حيث قال انه ايجاده حيث وجبي **وكنا به** ظاهرا وباطنا
عالمين بانه اهل لما اتيناه لانه جبلة حين جامع لمحاسن الاوصاف وحكما
افعال يديم على الرشد ويثبت فيه الى ابعد الحدود جبلة لما طبعناه
عليه وبين ذلك اشارة الى انه فعله تعالى لما باختيار وحكمة وانه عالم
باكبر بيئات وتعليق **اذ قال** اي ابراهيم **لابيه وقومه** بعالمين اشارة الى
انه لو لم يكن باذن منا ورضى لما نصرناه وهو وحده على قومه كلهم
ولو لم يكن برضينا لمنعناه من تهضر قومه عليه وتمكين النار منه ثم ذكر
متعلق القول مشكلا عليهم بحقر الاصنام بهم **ما هذه التماثيل** اي الصور التي
صنعتموها مماثلين بها ما في ذهن روح اسرجا عليين طلها مما لا يكون الا من لا مثل
له وهي الاصنام **التي انتم لها** اي لاجلها وحدها مع كثرة ما تشاهدون وما هو

افضل منها عاكفون اي مقيمون علي عبادتها فان قيل هلا قال عليها
عاكفون كقوله تعالي يعكفون علي اصنام لهم اجيب بان اللام للاختصاص
لا للتعدية ولو فقدا التعدية لعداه بصلته التي هي علي ثم انه تعالي
ذكر جوابهم له بما لزم الاستفهام من السؤال بانهم قالوا وجدنا اباءنا
لها عابدين فاقتدينا بهم لا حجة لنا غير ذلك فانظر ما افتح التقليد
وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حتي استدرجهم للبي ان قلدوا اباءهم في
عبادة التماثيل وعمروا لها جباههم وهم معتقدون انهم علي شئ
وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون الحق عن باطلهم وكفي اهل
التقليد مسبة ان عبدة الاصنام منهم والتقليد ان جاز فانما يجوز
لمن علم في الجملة ان علي حق ولذا قال ابراهيم عليه السلام لقد كنتم
انتم وآباؤكم بقوله انتم لاجل صحة العطف لان الضمير المرفوع المتصل كجزء
جزء الفعل والعطف علي ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحو اسكن
انت وزوجك الجنة وآباؤكم اي منشئكم في ضلال مبين بين ان المقلدين
والمقلدين جميعا منحرطون في سلك ضلال لا يخفي علي من به ادني
سكة لاستناد الفريقين الي غير دليل بل الي هوي متبع والي شيطان
مطاع لاستحالة ان يكون سائرهم علي ضلال مستجن من تضليله
اياهم فلذا قالوا ظننا منهم انهم لم يقلدوهم ذلك عن علي ظاهر واجبتنا
في هذا الكلام باكي الذي يطابقه الواقع ام انت من اللاعبين اي
فتو له علي وجه المزاح والملاعبة لا علي طريق الجد وهذه التماثيل ليست
ارباباً بل ربكم اي الذي يستحق منكم اختصاصه بالعبادة رب السموات
والارض اي مدبرهن القايم بمصالحهن الذي فطرهن اي خلقهن علي
غير مثال سبق وانتم وتماثيلكم مما فيهن من مصنوعاته انتم تشهدون

بذلك

بذلك اذا رجعتم الي عقولكم مجردة عن الهوي وقيل الضمير في فطرهن
للتماثيل قال الزمخشري وكونه للتماثيل ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج
عليهم وانا علي ذلكم اي الامر البين من ان ربكم ربه فلا يجوز عبادة غيره
من الشاهدين اي الذين يقدرون علي اقامة الدليل علي ما يشهدون
به لهم يشهدون الا علي ما هو عندهم مثل الشمس للكامل فلما انتهي حين احتظركم
السؤال الي الضلال ولما اقام البرهان علي اثبات الآلهة اتبعه
البرهان علي ابطال الباطل بقوله وتالله وهو قسم والاصل في القسم الباء
الموحدة والواو بدل منها والتاء بدل من الواو وفيها مع كونها بدلا
زيادة علي التاكيد بالتعجب لاكيدن اصنامكم اي لاجتهدن في كسر
اصنامكم ولفظ التاكيد وما في الثامن التعجب من تسهيل الكيد علي
يده وتاتيه لذلك كان امرا مفروطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري
انه مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن عمرو مع عتوه
واستكباره وقوة سلطانه وتمالئه علي نصرة دينه ولكن اذا اراد
الله شيئا عقد له تيسيرا ولما كان عزمه علي ايقاع الكيد في جميع
الزمان الذي يقع فيه توليهم في اي جزء تيسر له منه استظهر لكيده
فقال بعد ان تولوا مدبرين اي بعد ان تدبروا منطلقين الي عيدكم
قال مجاهد وقتادة انما قاله ابراهيم هذا سرا من قومه ولم يسمع ذلك
الا رجل واحد كما فشاه عليه وقال انا سمعنا فتي يذكرهم يقال له
ابراهيم وقال السدي كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا اذا رجعوا
من عيدهم دخلوا علي الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الي مشاربهم
فلما كان ذلك العيد قال له ابوه ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الي
عيدنا اعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق
القي نفسه وقال اني سقيم يقول استكي رجلي فلما مضوا نادي

في آخرهم وقد بقي صغيرا لم يكسرها فسمعوها منه ثم رجع ابراهيم
الى بيت الالهة وهن في بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه اصغر
منه والاصنام بعضها الى جنب بعض كل صنم يليه اصغر منه الى باب البهو
واذا بهم قد جعلوا طعاما وضعوه بين يدي الالهة وقالوا اذا رجعنا وقد
بركت الالهة اصنامنا الاكلنا منه فلما نظر ابراهيم اليهم والى ما بين
ايديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء الا تاكلون فلما لم يجبوه
قال لهم مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفاسه
في يده حتى لم يبق الا الصنم الاكبر علق الفاس في عنقه ثم خرج فذلك
قوله عز وجل فجعلهم جذاذا اي فتاتا وقرا الكسائي بكسر الجيم والباقون
بضمها الا كبيرا لهم فانه لم يكسره وضع الفاس في عنقه وقيل ربطه بيده
وكانت اثنان وسبعون صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها
من حديد وصاص وخشب وحجر وكان الصنم الكبير من الذهب مكلل
بالجوهر في عينيه ياقوتتان تتقدان لعلهم اي هؤلاء الضلال اليه
اي ابراهيم يرجعون عند الزامه بالسؤال فتقوم عليهم الحجة فلما عادوا
الى اصنامهم فوجدوها على تلك الحال قالوا لمن فعل هذا الفعل الفاظ
بالهتنا انه لمن الظالمين حيث وضع الاهانة في غير موضعها فان الالهة
حقها الاكرام لا الاهانة والانتقام قالوا اي الذين سمعوا قول ابراهيم
تالله لاكيدن اصنامكم سمعنا فتى اي شابا من الشباب يذكرهم اي يسوءهم
ويسبهم يقال له ابراهيم اي هو الذي نظن انه صنع هذا انما ابلغ ذلك
منرود واشراف قومه قالوا فاتوا به الى بيت الاصنام على اعين
الناس اي جمرة والناس ينظرون اليه نظر الاخفاء منه حتى كانه ماش
على ابصارهم ممكنا منها تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون
عليه بانه الذي صنع وفعل بالالهة هذا الفعل كرهوا لذبا خذه

بغير

بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما اتوا به قالوا
منكرين عليه أانت فعلت هذا الفعل الفاحش بالهتنا يا ابراهيم تنبيه
هذا الهمزتان مفتوحتان من كلمة فالقراء جميع تحقق الاولى والثانية
يسهلها نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام بخلاف عنه وادخل الف
قالون وابو عمرو والبزي وقنبل بتحقيقهما وعدم الادخال بينهما ثم قال ابل فعله
متكلما بهم وملزما بالحجة بل فعله كبيرهم غيرة ان يعبد معه من دونه
وتنبيه بقوله هذا اسناده الى الذي تركه من غير كسر ولما اخبرهم ولم
يكن احد اراه حتى يشهد على فعله وكانوا قد حملوا ابصارهم ووضع
الطعام لهم محل من يعقل تسبب عنه امرهم بسؤالهم فقال فاسئلوهم
اي عن الفاعل ليخبركم به وقوله ان كانوا ينطقون اي على زعمكم انهم
آلهة يعزون وينفعون فيه تقديم جواب الشرط اي فان قدروا على
النطق امكنت عنهم القدرة والا فلا فاراهم عجزهم عن النطق وفي
صحيحا انا فعلت ذلك روي عن ابي هريرة انه رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات
الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه
اختي وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته اي لانه لم يتكلم
بكلمات صورتها صورة الكذب وان كانت حقا في الباطن لاقتضاء
الحال وقيل في قوله اني سقيم اي سأسقم وقيل سيقيم القلب
اي ميت بضلالتكم وقوله لسارة هذه اختي اي في الدين وقوله
بل فعله كبيرهم هذا روي عن الكسائي انه كان يقف عند قوله
بل فعله ثم يبتدئ من فعله وقوله كبيرهم هذا ابتداء وخبر قال البغوي وهذه
الثلاث لا تنفي الكذب والاولى هو الاول للحديث فيه ويجوز ان يكون
الله تعالى قد اذن له في ذلك لمقصد الصلاح وتبكيتهم والاحتجاج عليهم

كما اذن ليوسف عليه السلام حتى نادي مناديه فقال ايتها العير انكم لسارقون
ولم يكونوا سرقوا وقال الرازي احد شيئ محمول على المعاريض فانه ما
منذ وحد عن الكذب اي تسميته المعاريض كذبا لما اشبهت صورتها
صورته وقرا ابن كثير والكسائي بفتح السين وتركه الحمزة وكذا
يفعل حمزة في الوقف والباقون بسكون السين وبعدها همزة مفتوحة
وقيل الوقف على قيل فعله م ابتدأ بقوله كبيرهم هذا او لما اضطرهم
الدليل ان يحققوا امنهم على محض الباطل فرجعوا الى انفسهم بالتفكر
فقالوا اي بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون لكون كلمة ضعفتم العبادة فيخلي
مواضعها لا ابراهيم فانه اصاب باهانتها ثم نكسوا على رؤسهم اي انقلبوا
عن مستحقهن مما يليق بهم من الاقرار بالسفه في المجادلة له بعد ما
استقاموا من قولهم نكس المريض اذا عاد الى حاله الاول تشبه
عودهم الى الباطل بعودة اسفل الذي مستقليا على اعلاه ثم ابهم
قالوا اي في مجادلتهم عن سن كانهم واجد لقد علمت يا ابراهيم ما هؤلاء
ينطقون اي فكيف تامرنا بسوالهم ولما نسب عن قولهم هذا اقرارهم
بانهم لا فائدة فيهم احتج لابراهيم عليه السلام الحجة عليهم قال
منكرا عليهم موبخا لهم افتعبدون من دون الله اي بدله اما لا ينفعكم
شيئا من رزق وغيره لترجوه ولا يضركم شيئا اذا لم تعبدوه لتخافوه
اف اي بئسا وقبحا لكم ولما تعبدون من دون الله اي غيره وزرا
نافع وحفص بتنوين الفا مكسورة وابن كثير وابن عامر بفتح الفاء
من غير تنوين ولما نسب عن فعلهم هذا الوضوح انه لا يقر به
عاقل انكر عليهم وبخهم بقوله افلا تعقلون قبح صنيعكم وانتم
شيوخ قد مرت لكم الدهور ومنكتكم التجارب ولما رحضت حجتهم
وبان عجزهم وظهر افكهم واندفع الباطل قالوا عادلين الى العناد
واستعمال

القوة السببية حرقوه بالنار لتكونوا قد فعلتم فيه فعلا اعظم مما
فعلنا بآلهتكم وانصروا آلهتكم ليتجعلها جذاذا ان كنتم فاعلين نصرتها قال
ابن عمر ان الذي قال هذا رجل من الاكراد فتلا اسمه ميتوت فخسف الله
تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقيل قاله نمرود بن كوش
ابن عام بن نوح عليه السلام وروي ان نمرود وقومه حين هموا باحراقه
حبسوه في بيت ثم بنوا عليه بنيانا كالحيلم بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له
اصلب الحطب من اصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول
لئن عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المراة تغزل وتشتري بغزلها
الحطب احتسابا في دينها وكان الرجل يوصي بشئ الحطب والغاية فيه
فلما جمعوا ما اراد وا اشعلوا في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت
النار واشتدت حتى كانت الطير تمر بها فتحترق من شدة وهجها وحرها واوقد
عليه سبعة ايام فلما اراد وا ان يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فجاء
ابليس عليه اللعنة فعلمهم عمل المنجنيق فعملوا ثم عمدوا الى ابراهيم
فشدوه ورفعوه على راس البنيان ووضعوه في المنجنيق مقيدا
مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا
الثقلين صيحة واحدة ربنا خليلك يلقى في النار ليس في ارضك من
يعبدك غيره فاذن لنا في نصرته فقال عز وجل انه خليلي وليس
لي خليل غيره وانا الله ليس له الها غيري فانا اعلم به وانا وليه
فخلوا بيني وبينه فلما ادوا القاه في النار اتاه خازن المياه فقال
ان اردت ان اخمد النار اتيتك فان شئت اطفات النار في الحال وقال خازن الرياح فقال ان شئت طيرت
النار في الهواء فقال ابراهيم عليه السلام لا حاجة لي اليكم حسبي الله
ونعم الوكيل وروي عن كعب الاحبار ان ابراهيم حين اوثق ليلقوه في
النار قال لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك

ثم رموا به في المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم الك
حاجة قال اما اليك فلا فقال جبريل فاسال ربك فقال ابراهيم حسبي
من سوالي علمه بحالي وعن ابن عباس في قوله تعالى وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار وقالها محمد
صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم قال كعب الاحبار جعل كل شيء يطفئ النار عنه الا الوزغ
فانه كان ينفخ في النار وعن ام شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
امر بقتل الاوزاغ وقال كان ينفخ على ابراهيم فلما اراد الله تعالى الذي له
القوة جميعا سلامته منها قال تعالى قلنا يا نار كوني بارد تنافي التي لا
تخالف عنها مرادا بردا قال ابن عباس لو لم يقل وسلاما لمات ابراهيم
من بردها وفي الاثار انه لم يبق يومئذ نار في الارض الا طفئت
فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم ولو لم يقل تعالى على ابراهيم
لبقيت ذات برد ابدا ولكنني كونني ذات برد وسلام على ابراهيم
بلغ في ذلك حتى كان بردا وسلاما واراد ابردي فيسلم منك
ابراهيم او امر بردي برد اغير ضار قال السدي فاخذت الملائكة
بضبعي ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا بعين ماء عذب وورد
احمر وزعفران فقال كعب ما احرقت النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا
وكان ابراهيم في ذلك الموضع سبعة ايام قال ابن تمام بن عمرو قال
ابراهيم ما كنت ايام قط انعم مني في الايام التي كنت في النار وقال
ابن يسار وبعث الله تعالى ملك الظل في صورة ابراهيم فقعد معه
الى جنب ابراهيم يونسه قال وبعث الله تعالى جبريل عليه السلام
بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص واجلسه على
الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول اما

علمت

علمت ان النار لا تضر احبابي ثم نظر نمرود واشرف على النار من صرح له فراه
جالسا في روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه
يا ابراهيم يا عبد الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين ما اريد هل
تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال تحتمل ان قمت فيها ان لا تقرك قال لا
قال قم فاخرج منها فقام ابراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه
قال من الرجل الذي رايته معك هيئته مثل صورتك قاعدا الى جنبك
قال ذاك ملك الظل ارسله الي ربي ليونسني فيها فقال نمرود اني
مقرب الى الهك قربانا لما رايت من قدرته وعزته فيما صنع بك
حين ابيت الا عبادته وتوحيده اني ذابح له اربعة الاف بقرة قال اذا
لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه الى ديني فقال الا استطيع
ترك ملكي ولكن سوف اذبحها له فذبحها له فحبس نمرود عن ابراهيم
ومنعه الله تعالى منه وكان ابراهيم اذ ذاك ابن ستة عشر سنة واحتقا
العالمة بالنار لا تمنا لهول ما يقاسيه وتقطعه ولذلك جاء في
الحديث لا يعذب بالنار الا خالقها وقيل ان الله تعالى نزع عنها الذي
طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق
والاستعلاء كما كانت والله على كل شيء قدير فدفع عن ابراهيم
حرقها كما يدفع ذلك عن خزنة جهنم واراد وا به كيدا اي بما لهم
اضراره بالنار وبعد خروجه منها فجعلناهم اي بما لنا من الجلال الاخسرين
اي اضر من كل خاسر عاد سعيهم بورها نا قاطعا على انهم على الباطل
وابراهيم على الحق وموجبا لزيادة درجته واستحقاقهم اشد العذاب
وقد ارسل الله تعالى على نمرود وعلى قومه البعوض فاكلت لحومهم
وشربت دماءهم ودخلت في دماغه بعوضة فاهلكته فالقيء وقع
مثل الله العقبة لبعض اتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو ابو مسلم

نمرود فخرج من مصر الى الشام فنزل السبع من ارض فلسطين وهو برية الشمس
ونزل لوط بالمؤتفكة وبني عليي مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله
تعالى نبيا الى اهله وما قرب منها فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض
التي باركنا فيها للعالمين اي كما انجيناك انت يا اشرف اولاده وصدقك ابا
بكر رضي الله تعالى عنه الى طيبة التي مزقنات شاربك وبثثنا من انوارها
في ارجاء الارض واقطارها ما لم ينبث مثله قط وباركنا فيها للعالمين باخلفا
الراشدين وغيرهم من العلماء العاملين الذين انبثت خيراتهم العلمية والعملية
والمالية في جميع الاقطار ولما اولد لابراهيم عليه السلام في حال
يئسه من خلقه وعجز امراته مع كونها عقيما وكان ذلك دالا على الاقتدار على
البعث الذي السياق كله له قال تعالى ووهبنا له دالا على ذلك بنوعي
التفضيل اسحاق اي من شبابه العدم وتركه من حاله لتقدمه اي فكان
دليلا على اقتدارنا على ما نريد لا سيما من اعادة الخلق في يوم الحساب
ثم انه قد يظن لتوالد بين شيخ فان وعجوز عقيم كان على حالة من الضعف
لا يولد لمثله معها نفى ذلك بقوله تعالى ويعقوب نافلة اي ولد الاحفاد
زيادة على ما دعي به ابراهيم عليهما السلام ثم نفى سبحانه وتعالى ولادة
يعقوب وهو اسرائيل وذرياتهم الى ان ساموا البحور عنته وبارزوا الابطال
سنة وكلا من هؤلاء الاربعة وهم ابراهيم ولوط واسحاق ويعقوب وعلم
ربنهم بقوله تعالى جعلنا صالحين اي مهيئين لطاعتهم لله تعالى كلما
يرونه او يراد ونه او يراد منهم ثم لما ذكر انه تعالى اعطاهم رتبة
الصلاح في انفسهم ذكر انه تعالى اعطاهم رتبة الصلاح لغيرهم فقال تعالى
معظما لامامتهم وجعلناهم ائمة اي اعلاما ومقاصد ايقتدي بهم في الدين
لما اتيناهم من العلم والنبوة وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وبتسهيل الهمزة
الثانية المكسورة بين الهمزة والياء ويجوز ابدالها عندهم ياء خالصة ولا

تخلو اني طلبه الاسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له اتشهد اني رسول الله قال
نعم فامر بنار فالقي فيها ثم وجده قائما يصلي فيها وقد صارت عليه بردا وسلاما
وقدم المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فاجلسه عمر بينه
وبين ابي رضي الله عنهم وقال عمر الحمد لله الذي لم يمتني حتى اراني في امة محمد
صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله ونجيناه ولوطا
اي من نمرود وقومه من ارض العراق الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وهي
الشام باركه الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار ومنها بعث اكثر
الانبياء قال ابي بن كعب باركه الله فيها وسماها مباركة لانه ما من ماء عذب
الا ينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس اي يهبط من السما الى الصخرة
ثم يتفرق في الارض قاله ابو العالية وعن قتادة ان عمر رضي الله تعالى عنه
قال لكعب الاحبار ان لا تتحول الى المدينة فانها مهاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقبره فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا امير المؤمنين ان الشام
كنز الله في ارضه وبها كنزه من عباده وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون هجرة بعد هجرة
فخيار الناس الى مهاجر ابراهيم قال محمد بن اسحاق استجاب لابراهيم رجال
من قومه حين رأوا ما صنع الله عز وجل من جعل النار عليه بردا وسلاما
على خوف من نمرود وملئه ان يفتنهم وآمن به لوط وكان ابن اخيه وهو لوط بن هارون
ابن تارخ وهاران هو اخو ابراهيم وكان لهما اخ ثالث يقال له ناخور بن تارخ
وامنت به ايضا سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم فخرج
من كوثى بفم الكاف ومسكنة قال ابن الاثير هي كوثى العراق وهي سلة السواد
وهما ولد ابراهيم الخليل عليه السلام مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة كما قال
تعالى فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي فخرج يلتمس الفراد بدينه والامان
على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم

يدخلون بينهما شيأ وقرأ الشامي بتحقيق الهمزتين من غير ادخال بلا خلاف
يعبدونه اي يديمون البنا من وفقناه للهداية بامرنا اي بامانا واوحينا اليهم
ايهم فعل اي ان يفعلوا الخيرات ليحثوهم عليها فيتم كالهم بانضمام العمل الي العلم
قاله البقاعي ولعله تعالي عبر بالفعل دلالة علي انهم استثلوا كل ما يوحي
اليهم وقال الزمخشري اصله ان يفعل الخيرات ثم فعل الخيرات كذلك اقام
الصلاة وايتاء الزكاة اه وقوله تعالي واقام الصلاة وايتاء الزكاة من عطف
العام علي الخاص تعظيما لشانهما لان الصلاة تقرب العبد الي الحق تعالي والزكاة
احسان الي الخلق قال الزجاج الاضافة في الصلاة عوض عن تاء الثانيث
يعني فيكون من الغالب لا من القليل وكانوا لنا اي جبلة وطبعا عابدين
اي موحدين مخلصين في العبادة ولذلك وقع الصلة الفعلية الثالثة
قصة لوط عليه السلام المذكورة في قوله تعالي ولوطا اي واتينا لوطا
او واذكر لوطا ثم استانف قوله تعالي اتيناه حكما اي نبوة وعملا مجملا بالعلم
وقيل فصلا بين الخصوم وعلما من بيانا بالعلم مما ينبغي علمه للانبيا ونجيناه
من القرية اي قرية سدوم التي كانت قبل اتيانا له منها تعمل اي اتاها
العمل الخبايث من اللوط والرمي بالبندق واللعب بالطيور والقمار
في اليمين وغير ذلك وانما وصف القرية بصفة اهلها واسندها اليها علي
حذف المضاف واقامته مقامه ويدل عليه انهم كانوا اي بما جبلوا عليه
قوم سوء اي ذوي قدرة علي الشر بانهماكهم في الاعمال السيئة فاسقين
اي خارجين عن كل خير وادخلناه في رحمتنا اي في الاحوال السنية
والاقوال العلية والافعال الزكية التي هي سبب للرحمة العظمي ومسببة
عنها ثم علل ذلك بقوله تعالي انه من الصالحين اي الذين سبقت لهم
منا الحسني اي لما جبلناه عليه من اخير الفصلة الرابعة فقد نوح عليه
السلام المذكورة في قوله تعالي ونوحا اي واذكر نوحا اذ اي حين نادي

اي

اي دعا الله علي قومه بالهلاك بقوله رب لا تذر علي الارض من الكافرين ديارا
ونحو من الدعاء من قبل اي من قبل لوط ومن تقدمه فاستجبنا اي اردنا
الاجابة واوجدناها بعظمتنا له في ذلك الدعاء بسبب عن ذلك قوله تعالي
ونجيناه واهله اي الذين دام ثباتهم علي الايمان وهم من كان معه في
من الكرب العظيم اي من اذي قومه بالغرق والكرب الغم المشديد وقال
السدي وقال ابو حيان الكرب اقصي الغم والاخذ بالنفس وهو هنا الغرق
عبر عنه باول احوال ما اخذ الغريق ونصرناه اي منعناه من القوم اي
المتصفين بالقوم الذين كذبوا بايتنا من ان يعلوا اليه سوء وقيل من بمعني
علي انهم كانوا قوم سوء اي لا عمال لهم الا ما يسوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع
الامرين السلذيذ بحق والاشراك في الشر لهم بجمعهم في قوم الا والله اعلم اتبعت
القصة الخامسة قصة داود وسليمان عليهما السلام المذكورة في قوله تعالي
وداود وسليمان ابنه اي لذكر هما واذكر خبرهما اذ اي حين يحكمان في الحرث
اي انبت الزرع وهو من اطلاق اسم السبب علي المسبب كما تسمي علي المطر
والنبت قال ابن عباس واكثر المفسرين كان ذلك كرما وقد نالت عناقيده
وقال قتادة كان زرعا قال ابن اسحاق وهو اشبه بالعرف اذ نفشت اي
انتشرت فيه غنم القوم نزعته قال قتادة النفش في الليل والهمل بالنهار
وكنا لحكمهم اي الحكمين والمحتاكمين اليهما شاهدين اي كان بعلمنا ومرائينا
لا يخفي علينا عملهما وقال الفراء جمع اثنين فقال لحكمهما ويريد داود وسليمان
لان الاثنين جمع وهو مثل قوله تعالي فان كان له اخوة فلامه السدس وهو
يريد اخوين قال ابن عباس وقتادة وذلك ان رجلين دخلا علي داود عليه
السلام احدهما صاحب حرث والاخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان
غنم هذا انفلتت عنه ليلا فوقعت في حرثي فافسدته فلم يبق منه شيأ فاعطاه
داود رقاب الغنم بالكرم فخرجا فمرا علي سليمان وهو ابن احد عشر سنة عليه السلام

فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان وهو ابن احد عشر سنة لو وليت
امرهما لقضيت بغير هذا وروي انه قال غير هذا ارفق بالفريقين فاخبر بذلك
داود فدعاه ط فقال كيف تقضي ويروي انه قال بحق النبوة والابوة الا
ما اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الكرم
ينتفع بدرها ونسلها وصوفها وبيذر صاحب الغنم لصاحب الكرم مثل كرمه
فاذا صار الكرم كهيئته دفع الى اهله واخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود
القضاء ما قضيت كما قال تعالى ففهمناها اي الحكومة سليمان اي علمناه
القضية والهمناها له تنبيه يجوز ان تكون حكومتهما بوحي الا ان حكومة
داود نسخت بحكومة سليمان ويجوز ان يكون باجتهاد الا ان اجتهاد سليمان
بالصواب فان قيل ما وجه كل واحدة من الحكومتين اجيب بان وجه
حكومة داود ان الضرر وقع بالغنم فسلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال
ابو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بدله او يفديه وعند
الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت تحيط بقدر القضاء
في الكرم ووجه حكومة سليمان الله جعل الانتفاع بالغنم بدلا عما فات من
الانتفاع بالكرم من غير ان يزول ملك صاحب الغنم عن الغنم او يتبع
صاحب الغنم ان يعمل في الكرم حتى يزول الضرر وقال الشافعي
اصحابنا الشافعي فيمن غصب عبدا وابق من يديه انه يضمن بالقيمة
ويتنفع بها المغصوب منه بان اجاره فوته الغاصب من منافع العبد
فاذا علم بتراد فاذا قتل لو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما
حكمها اجيب بان ابا حنيفة واصحابه لا يرون في هذا ما تالفا بالتراد
بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد لقوله صلى الله عليه وسلم
جرح العجماء جبار اي هدر رواه الشيخان وغيرهما والشافعي واصحابه
يوجبون الضمان بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك قضى النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل
الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل ولما كان ذلك
ربما اوهم شيئا في امر داود نفاه بقوله تعالى وكلا منهما اتينا حكما اي نبوة
وعلما موسسا وعلما موديا بصالح العمل وعن الحسن لولا هذه الاية لرايت
القضاة قد هلكوا ولكنه تعالى اثنى على سليمان عليه السلام لصوابه وعلى
داود باجتهاده اه وهذا على الراي الثاني وعليه اكثر المفسرين وعن عبد
الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم
الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فاخطا فله اجر واحد
كل مجتهد مصيب او المصيب واحد لا بعينه رايان اظهرهما الثاني ولان كلا منهما
مخالف لمفهوم الاية اذ لو كان كل مجتهد مصيبا لم يكن للتقسيم في الحديث
معنى وقوله صلى الله عليه وسلم واذا حكم فاجتهد فاخطا فله اجر لم يرد به
الا توجر على الخطا بل يوجر على اجتهاده في طلبه الحق لان اجتهاده عبادة
والاثم في الخطا عنه موضوع فاصابته من احكام داود وسليمان علمهما
السلام ما روي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول كانت امراتان معهما ابناهما جاء الذيب فذهب
بابن احداهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب
بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان فاخبرتاه فقال
ايتوني بالسكين اشقه بينكما قالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها
فقضى به للصغرى اخرجاه في الصحيحين ثم انه تعالى ذكر لداود وسليمان بعض
معجزات فمن بعض معجزات الاول ما ذكره بقوله تعالى وسخرنا مع داود
الجبال مع صلابتها وعظمها يسبحن معه اي بتقدير الله تعالى ولو شئنا
لجعلنا الحجر والفحم تكلم بصواب الحكم وقال ابن عباس كان ينهم تسبيح كتسبيح
والشجر وقوله تعالى والطير عطفا على الجبال او مفعول معه وقال وهب

كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذا الطير قال قتادة يسبحن اي يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر سمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق اليه وقيل يسبحن بلسان الحال وقيل يسبح من رآها تسير معه بتسيير الله تعالى فلما جبلت على التسبيح وصفت به وكنا فاعلين اي من شأننا أن نفعل مثال هذه الافاعيل ولكل شيء نريده ولا يستكبر علينا امر وان كان عندكم عجبا وقد اتفق كهذا الفيل واحد من هذه الامة كان معلف ابن عبد الله بن الشخير اذا دخل بيته سبحت معه ابنيته واما النبي صلى الله عليه وسلم فكان الطعام يسبح بحضرته واكلهما وغيره وعلمناه صنعة لبوس اي صنعة الدروع التي تلبس في الحرب قال قتادة اول من صنع هذه الدروع وسردها واتخذ حلقا داود وكانت من قبل صفائح وقد الان الله تعالى لداود الحديد وكان يعمل منه بغير نار وكان طيعا قال البغوي ويسمى اللبوس في اللغة اسما لكل ما يلبس ويستعمل في الاسلحة كلها ويسمى الملبوس كالحلوب والركوب وقوله تعالى لكم متعلق بعلم او صفة للبوس وقوله تعالى لتحصنكم من بأسكم بدل منه بدل اشتمال باعادة الجار ومرجع الضمير يختلف باختلاف القراءات فقرأ شعبة بالتاء فالضمير لله تعالى وقرأ ابن عامر وحمزة بالتاء على التانيث فالضمير للصنعة او للبوس على تاويل الدرع وقرأ الباقون بالياء التحتية فالضمير لداود واللبوس وقوله تعالى فهل انتم شاكرون اي لنا على ذلك اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة او التوبيخ ومن بعض معجزاته الثاني ما ذكره بقوله ولسليمان وسخرنا لسليمان الريح قال البغوي وهي هوا يتحرك ويهب جسم لطيف يمنع بلطفه من القبض عليه ويظهر للحس بحركته والريح تذكر وتونث عاصفة اي شديدة الهبوب فان قيل قد قال تعالى في موضع آخر تجري بامره رخاء والرخاء اللين اجيب بانها كانت تختلف

امره ان اراد ان تشتد اشتدت وان اراد ان تلين لانت وقيل كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا امرت بكرسيه اسعدت به في حدة يسيره على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر وقوله تعالى تجري بامره اي مشيئته حال ثانية او بدل من الاول او حال من ضمير لها الى الارض التي باركنا فيها اي الشام وذلك انه كانت تجري بسليمان واصحابه الى حيث شاء سليمان ثم تعود الى منزله بالشام قال وهب بن منبه كان سليمان عليه السلام اذا خرج اتى تجلسه عكفت عليه الطير وقام اليه الجن والانس حتى يجلس على سريره وكان اقرب من اقل ما يعدون عن الغزو لا يسمع في ناحية من الارض بملك الا اتاه حتى يذله فكان اذا اراد الغزو امر بمسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب والة الحرب فاذا حمل سليمان يدا امر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحملته حتى اذا استقلت به امر الرخاء فمرت به شهرا في روحته وشهرا في غدوته الى حيث اراد وكانت تمر بمسكره الريح الرخاء بمزعة فتحركهما والاشر نزاباي الاتوذي طاير او قال مقاتل نسجت الشياطين بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة الاف كرسي من ذهب وفضة تقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع عليه ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح الى الصباح وقال سعيد بن جبير كان يوضع لسليمان ستمائة الف كرسي يجلس الانس فما يليه ثم يليهم الجن ثم يظلهم الطير ثم يحملهم الريح وقال الحسن لما شغلت الخيل نبي الله سليمان حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فابدله الله تعالى

مكانها خيرا منها واسرع الريح تجري بامره كيف شاء وكان يغدو من ايليا فيقيل
باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها ببابل وقال ابن زيد كان له مركب
من خشب وكان فيه الف ركن في كل ركن الف بيت يركب معه فيه بنو
والانس تحت كل ركن الف سلطان يرفعون ذلك المركب فاذا ارتفعت
انت الريح الرخاء سارت به وهم يقيل عند قوم بينه وبينهم شهر والاترة
القوم الا فيها وقد اظلهم معه الجيوش وكما اي ازلا وابدا احاطة العظمة
بكل شئ اي من هذا وغيره من امره وغيره علمي ومن علمنا ان ذلك لا تولد
الاتواتفا وسخرنا الريح له كما سخرناها للنبي صلى الله عليه وسلم ليالي الاقرا
قال حذيفة رضي الله تعالى عنه حتى كانت تقلهم بالحجارة ما يجاوزن عسكرهم
فمن سهم الله تعالى بها ورد واباقيهم لم ينبا لواخر او اعطى صلى الله عليه وسلم
اعم مما اعطى جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقد اعطى صلى الله عليه وسلم
التصرف في العالم العلوي الذي جعل الله تعالى فيه الفيض على العالم السفلي
بالاحتراق للطبائع بالاستحالة وبامساك المطر لما دعا بسبع كسبع يوسف
عليه السلام اخرى كما في احاديث كثيرة وآتي مع ذلك بمفاتيح خزائن
الارض كلها فردها صلى الله عليه وسلم ومن اي وكنا بالسلمان الشياطين
الذين هم اكثر شئ تمردا وعتوا من يغوصون له اي يدخلون في البحر فيخرجون
بجواهر وغيرها من المنافع اكسابا اجسامهم مع لطافتها لتقبل الغوص
في الماء معجزة في معجزة وقد خبئ نبينا صلى الله عليه وسلم الذي
جاء بشهاب من نار واسرجاعة من اصحابه رضي الله تعالى عنهم
عفاريت اتوا على عز الصدقة وامكنهم الله تعالى منهم ويعملون عملا
دون ذلك اي سوى الغوص كبنا المدن والقصور واختراع الصنائع
الغريبة كقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية وكنا
لهم حافظين اي حتى لا يخرجوا عن امره وقال الزجاج معناه حفظناهم

ما

فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على ايوب عليه السلام وذلك حين
ذكره الله تعالى واثنى عليه فادركه البغي وكسد فصعد سريعا حتى
وقف من السما موقفا كان يقفه فقال الهي نظرت في امر عبدك ايوب
فوجدته عبدا انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته
بنزع ما اعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج من طاعتك
قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانفق عدو الله ابليس
حتى وقع على الارض ثم جمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم
ماذا عندكم من القوة فاني قد سلطت على مال ايوب وبي المصيبة
الفادحة والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين
اعطيت من القوة ماذا شئت تحولت اعصارا من نار واحرقت كل شئ
اتي عليه قال له ابليس فات الابل ورعاتها فاتى الابل وقد وضعت
رؤسها ورعت في مراعيها فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار
من نار لا يدنو منها احد الا احترق فاحرق الابل ورعاتها حتى اتى على آخرها
ثم جاء عدو الله ابليس في صورته فبعثه على قعود ابي ايوب فوجده
قائما يصلي فقال يا ايوب اقبلت نار حتى غشيت ابلك فاحرقتها
ومن فيها غيري فقال ايوب الحمد لله الذي هو اعطاني اياها وهو اخذها
وانما مال الله اعارنيها وهو ولي بها اذا شاء تركها واذا شاء نزعها
وقد بكيت وحزنت نفسي وما يحزنني على الفناء قال ابليس فان الله
ربك ارسل عليها نارا من السما فاحرقتها فتركت الناس يعجبون
يتحدثون منهم من يقول ما كان ايوب يعبد شيئا وما كان ايوب الا
في غرور ومنهم من يقول لو كان الله ايوب يقدر على ان يصنع شيئا
لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ليشمت عدوه وعدوه
قال ايوب الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني عريانا اخرجت من بطن امي

وعريانا

وعريانا اعود في التراب وعريانا احشر الى الله عز وجل ليس ينبغي لكل ان نتزع
حين اعطاك الله وتجزع حين قبض الله عارية الله ولي بك وبما اعطاك
ولو علم الله تعالى فيك ايما العبد جزع النقار وحك مع تلك الارواح
وصرت شهيدا ولكنه علم فيك شرا فاخرجك فرجع ابليس الى اصحابه
خاسيا ذليلا فقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني لم اكلم قلبه قال عفريت
عندي من القوة ماذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح الا خرجت
روحه قال ابليس فات الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح
صيحة فجعلت امواتا من عند آخرها وماتت رعاتها ثم جا ابليس متمثلا
بقرما من الرعاة الى ايوب وهو يصلي فقال له مثل القول الاول فرد
عليه ايوب مثل الرد الاول ثم رجع ابليس الى اصحابه فقال ماذا عندكم
من القوة فاني لم اكلم قلب ايوب فقال عفريت عندي من القوة ما اذا
شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شئ تاتي عليه قال فات الفدادين
والحرث فانطلق حتى اسرع الفدادين في الحرث والزرع فلم يشعروا
من نصب ريح عاصف فنسفت كل شئ من ذلك حتى كانه لم يكن ثم جاء
ابليس متمثلا بقرما ذا كرا ذلك الى ايوب وهو قايم يصلي فقال له مثل
القول الاول فرد عليه ايوب مثل الرد الاول وجعل ابليس
يهلك ماله مالا مالا حتى مر على آخره كلما انتهى اليه هلاك مال من
اولاده حمد الله تعالى واحسن الثنا عليه ورضي عنه بالقضاء وطن
نفسه بالصبر على البلا حتى لم يبق له مال فلما راى ابليس انه قد
افنى ماله ولم يتجح منه شيء صعد سريعا حتى وقف في الموقف الذي يقف
فيه وقال الهي انك ايوب يرى انك ما سلطته بولده فانت مصطفيه المال
فهذا انت مسلطني على ولده فانما المصيبة التي لا تقوم لها قلوب
الرجال قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ولده فانفض عدو الله

ابليس حتى جا بني ايوب وهم في دورهم فلم يزل يزلزلها بهم حتى تداعى من قواعده
وجعل جدله يضرب بعضها بعضا ويرميهم بالخشب والحجارة حتى قتل اكثرهم كل
قتلة ورفع القصر فقلبه فصار واحدكبين وانطلق الى ايوب متمثلا بالمعلم
الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه ودماغه
فاخبره وقال لو رايت بنيك كيف عذبوا وقتلوا فكانوا مثلين على رؤسهم
يسيل دماؤهم ولو رايت كيف شقت بطونهم فتناثرت امعاؤهم لتقطع
قلبك فلم يزل يقوله هذا ويوخ حتى رقق قلب ايوب وبكى وشغر قبضة
من التراب فوضعها على راسه وقال ليت امي لم تلدني فاغتنم ابليس
ذلك فصعد سريعا بالذي كان من جزع ايوب حسرو ما به لم يكن يثيب
ايوب ان فاد ابهر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت
توبته الى الله عز وجل وهو اعلم فوقف ابليس خاسيا ذليلا وقال
الهي انما هون علي ايوب المال والولد انه يريني انك ما منعته بنفسه
انك تعيد له المال والولد فهل انت مسلطي على جسده فقال الله عز
وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه
ولا على قلبه ولا على عقله وكان الله عز وجل اعلم به لم يسلطه
عليه الا رحمة لايوب ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين
وذكرى للعالمين في كل بلاء نزل بهم ليتاسوا به في الصبر ورجاء
الثواب فانقض عدو الله سريعا فوجد ايوب في مصلاه ساجدا
فعجل قبل ان يرفع راسه فاتاه من قبل وجهه فنفخ في منخره نفخة
اشتعل منها سائر جسده فخرج من قرنه الى قدمه تاليل مثل البيات
الغمر فوقعت فيه حكة فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها
بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة والخشب
فلم يزل يحكها حتى قتل لحمه وتقطع وتغير وانتن واخرجه اهل القرية

وجعلوه

وجعلوه على كنسة وجعلوا له عرشا فرضه خلق الله كلهم غير امراته
وهي رحمة بنت افرايثم بن يوسف بن يعقوب بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام
فكانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه ولما راى به الثلاثة من اصحابه وهم
الغر ويلدد وصابر ما ابتلوه الله تعالى به اعظموه ورفضوه من غير ان
يتركوا دينه فلما طال به البلا انطلق اليه فبكتوه ولاموه وقالوا اليه
تب الى الله من الذنب الذي عوقبت به عليه قال وحفر معهم في حديث
السن قد امن به وصدقه قال لهم انكم تكلمتم ايها الكهول وانكم احق بالكلا
من لاسناننا كم ولكنكم تركتم من القول احسن من الذي قلتم ومن الراي
اصوب من الذي رايتم ومن الامر اجمل من الذي اتيتم وقد كان لايوب
عليكم من الحق والذمام افضل من الذي وصفتم فهل تدرون ايها الكهول
في من انتقصتم وجرمة من انتهكتم ومن الذي عيبتم واتهمتم الم تعلموا ان
ايوب نبي الله وخيرته وصفوته من اهل الارض الي يومكم هذا الم
تعلموا ولم يطلعكم الله على انه قد سخط شيا من امره منذ ما اتاه
الله ما اتاه الي يومكم هذا ولا انه نزع شيا منه من الكرامة التي اكرمه
بها ولا ان ايوب قال على الله غير الحق في طول ما ابتلي الي يومكم هذا
فان كان هذا البلا هو الذي ازري به عندكم ووضعه في انفسكم فقد علمتم
ان الله تعالى مبتلي المومنين والصديقين والشهدا والصالحين وليس بلاوه
لاوليائه على سخط عليهم ولا لهوانه لهم ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو
كان ايوب ليس من الله على هذه المنزلة الا انه اخ اختبره على حد الصحبة
لكان لايحل بكيم ان يتزول اخاه عند البلا ولا يعيره بالمعصية ولا
يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين والكفير حمه ويبكي معه ويستغفر له
ويحزن لحزنه ويدله على ارشد امره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل
هذا فاسد الله ايها الكهول فقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت

ما يقطع السنتكم ويكسر قلوبكم الم تعلموا ان الله عباد اسكتهم خشيته من غير
عجب ولله بكم وانتم لهم الفصحا البلغا النبلا الالبا العالمون بالله ولكنهم
اذا ذكروا عظمة الله انقطعت السنتهم وانكسرت جلودهم وانكسرت
قلوبهم وطالت عقولهم اعظاما لله واجلالا له فاذا استفاقوا من ذلك
استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم مع الخاطئين والخاطئين
ولكنهم ابرار بررة ومع المقصرين المفرطين وانتم لا كياس اتقيا يا نقال
ايوب ان الله سبحانه وتعالى يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير
فمتى نبتت في القلب يظهر ان الله تعالى على اللسان وليست تكون
الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة واذا اراد عبد حبل الله البر
حكيما في العالم تبتغط منزلته عند الحكما وهم يردون عليه من الله تعالى
نور الكرامة ثم اعرض عنهم ايوب عليه السلام على الثلاثة وقال
اريتموني يا عظما بارهبتم قبل ان تستتروا وبكيتم قبل ان تقبروا تقربوا الي
بي لو قلت تصدقوا علي ما هو الكم لعل الله ان يخلصني او تقربوا قربانا لعل
الله ان يتقبله ويرضى عني وانكم قد اجتررتم انفسكم وظننتم انكم عوضتم
باحسانكم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم لم تجدوا فتمم لو وجدتم لكم عيوبا
قد سترها استغفاري بالعافية التي لبستكم وقد كنتم فيما خلا موتورين
وانا مسموع كلامي معروف حتى منتصف من خصمي فاصبحت اليوم
وليس لي راي ولا كلام وانتم كنتم اشد علي من مصيبتي ثم اعرض عنهم
ايوب واقبل على ربه مستغيثا به مستغفرا متضرعا اليه فقال
يا رب لاي شي خلقتني ليتني اذ كرهتني لم تخلقني ليتني عرفت الذنب الذي
اذنبت والعمل الذي عملت فعرفت وجهك الكريم عني لو كنت اكتفيتني
يا يا عيفا الموت كان اجلى لي لم اكن للغريب دارا ولا للمسكين قرارا ولا للنعيم
ولا يا ولا للراحة فيما الهي انا عبدك ان احسنت فالمن لك وان اسأت

فبيدك

نبيدك عفو بتي جعلتني للبلا عرضا وللفتنة نصبا وقد وقع بي بلاؤك
سلطته علي جبل ضعف علي حمله فكيف يحمله ضعفي فاذ قضاؤك هو
الذي اذلني واذ سلطانك هو الذي اسقمني واتخار جسمي ولو اذن لي
بنزع الهيبة التي في صدري واطلق لساني حتى اكلم بملاء فمي فاذل
بعذري واتكلم ببراتي واخاصم عن نفسي لرجوت اذ يعافيني عند ذلك عافاني
بي ولكنه القاني وتعالى عني فهو يراني ولا اراه ويسمعني ولا اسمعه
قال ذلك واصحابه عنه اظله غمام حتى ظن اصحابه انه عذابهم نزل
يا ايوب ان الله تعالى يقول يا ايوب ها انا قد دنوت منك ولم ازل منك
قريبا قم فاذل بعذرك وتكلم بحجتك وخاصم عن نفسك واشدد ازرك
وقم مقام جبار يخاصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغي ان يخاصمني الا جبار
فكلمني لعله ملكك نفسك يا ايوب امرا ما بلغ منك قوتك اين انت مني يوم
خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل كنت معي يوم اطرافها هل
انت علمت بي مقدار قدرتها ام علي شي وصفت الكنانها اطاعتك
والماء الارض ام بحكمتك كانت الارض لما غطاها ابن كنت مني يوم رفعت
السما سقفا في الهوا لا تتعلق بسبب من فوقها ولا يثقلها دعم من تحتها هل
بلغ من حكمتك ان تجري نورها او يسير نجومها او تختلف بامرك ليلها
ونهارها اين انت مني يوم ابعث الامطار وكنت سكرت البحار اسلطانك
حبس امواج البحار على حدودها ام قد تركك منذ الارحام حتى بلغت
مدتها اين انت مني يوم صببت الماء على التراب ونضت سوء امزجة الجبال هل
تدري على اي شي ارسيتها او باي مثقال وزنتها ام هل لك من ذراع
تطيق حملها ام هل تدري اين الما الذي انزلته من السما ام هل تدري من
اي شي انشى السحاب ام هل تدري خزانة الثلج ام اين جبال البرد ام اين
خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل واين خزانة الريح وباي لغة

تتكلم الاشجار ومن جعل العقول في اعواف الرجال ومن يشق الاسماع
والابصار وشهادات الملائكة المكرمين وتمام الجبار بن بجيرة وقسم الابرزا
بحكمته في كلام كثير يدل على كمال قدرته ذكرها لايوب فقال ايوب بكلتا
وكل لساني وعقلي ورأي وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي تعرض
لي الهي قد علمت ان كل الذي ذكرت صنع يدك وتدبير حكمتك واعظم
من ذلك واعجب لو شئت عملت لا يعجز عنك شيء ولا تخفى عليك خافية
اذ لم تعني البلايا التي تكلمت فكان البلاء هو الذي اتلفني فليت الارض
انشقت بي فذهبت فيها ولم اتكلم بالذي يسخط ربي وليتني تحت بغي في اشد
بلاء قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت لتعتذر ربي وسكت حتى سكنت لترحمني
كلمة زلت مني فلم اعد قد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني
والصقت بالتراب خدي اعوذ بك اليوم منكدة واستجير من جهد البلاء فاقرني
واستغيث بك من عقابك فاغثني واستعين بك على امري فاعني
واتوكل عليك فاكفني واعتصم بك فاعصمني واستغفرك فاغفر لي
فلن اعود لشيء تكره مني قال الله تعالى يا ايوب نفذ فيك علمي وسبقت
رحمتي عفوني فقد غفرت لك فقال ايوب اني قد مسني الضر بتسلط
الشيطان علي في بدني واهلي ومالي وقد علمت الان في ديني وذلك
انه تزين لامراة ايوب ان تامرني ان اذبح لصنم فانه يبرأ ممن يتوب فقلت
لذلك وحلفت ليعذبنها ان برأ عافية جلدة وقال وهب لبث ايوب في البلا
ثلاث سنين وروي عن انس بن مالك انه لبث سبع سنين وثمانية عشر
سنة وقال كعب سبع سنين وقال الحسن ملكنا ايوب مطروحا على كناسة
لبني اسرائيل سبع سنين وكلهم مختلفون في الدود لا يقربه احد
غير امراته رحمة صبرت معه محمد الله معه اذ احمد وايوب مع ذلك
لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلايه فلما غلب ايوب ابليس

ولم

ولم يستطع منه شيئا اعترض امراته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم
والجسم والجمال على مركب من مراكب الناس له عظم وبهاء وجمال فقال
لها انت صاحبة ايوب بهذا الرجل المبتلى قالت نعم قال فهل تعرفيني
قالت لا قال لها انا اله الارض وانا الذي صنعت بصاحبك لانه اطاع
الله السماء وتركني فاغضبني ولو انه سجد لي سجدة واحدة رددت عليه
وعليك كل ما كان من مال وولد واراحها ايامهم ببطن الوادي الذي لقيتاها
فيه قال وهب وقد سمعت الله انما قال لها لو انه صاحبك الا طاعها ولم
يسم عليه لعرفني بما بهذه البلاد وفي بعض الكتب انه ابليس قال لها الحقي
بي سجدة حتى ارده عليك المال والاولاد واعافي زوجك فرجعت
الى ايوب فاخبرته بما قال لها وما اراها قال لقد اتاك عدو الله
ليفتنك عن دينك ثم اقسم ان الله ان عافاه ليضربنها مائة جلدة وعند
ذلك قال مسني الضر من طمع ابليس في سجود امرتي ودعائه اياها
واياي الى الكفر وانت اي وكمال انت ارحم الراحمين فافعل بي ما ينبغي
الرحمن بالمضرور وهذا التعريض بسؤال الرحمة حيث ذكر نفسه بما يوجب
الرحمة ولم يكن به بغاية الرحمة ولم يصرح وكان ذلك اللطف في السؤال
احد كالتي الاعراض واحدى بالنوال ويحكى ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
سليمان بن عبد الملك وقال له يا امير المؤمنين مشت جرذان بيني على العمى
فقال لها الطفت في السؤال لاجرم لاردن تنب وتب العهود وملا بيتها
جاء ان الله تعالى رحم رحمة امراة ايوب بصبرها معه على البلاء وخفف
عليها واراد ان يبر يمين ايوب فامره ان ياخذ ضغثا يشتمل على مائة
عود صغار فيضربها به ضربة واحدة كما قال تعالى في اية اخرى وخذ
بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث ورد في الخبر ان ابليس اتخذ تابوتا واجعل
فيه اداوية وجلس على طريق امراة ايوب بعد ان فرق الناس فمرت به

امراة ايوب فقالت ان لي مريضا افتداويه قال نعم ولا اريد شيا الا ان تقول
اذا شفيته انت شفيتني فذكرت ذلك لايوب فقال هو ابليس فتحذر عاره
وحلف ان شفاه الله تعالى ليضربنها مايه جلدة وقال وهب وغيره
كانت امراة ايوب تعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليه البلا يئسها
الناس فلا يستعملها احد فالتمست له يوما من الايام ما تطعمه فما
وجدت شيا فجزت قرنا من راسها فباعته برغيف فاتته به فقال لها
اين قرنك فاخبرته فقال حسبي الفر وقال قوم انما قال ذلك حين
قعد الدود في قلبه ولسانه فخشي ان يمتنع عن الذكر والفكر وقال
حبيب بن ابي ثابت لم يدع الله تعالى بالكشف حتى ظهرت ثلاثة اشيا
احدها قدم عليه هدية ان حين بلغهما خبره فجا اليه ولم يبق له الا
عينا ه وراياه امراعظيما فقالا لو كان عند الله لكف منزلة ما اصابك
هذا والثاني ان امراته طلبت طعاما ولم تجد ما تطعمه فباعت
ذوابتها وحملت اليه طعاما والثالث قول ابليس اني اداويه على
ان يقول انت شفيتني وقيل ان ابليس وسوس اليه ان امراته زنت
فتظلمت ذوابتها من غيل صبه وحلف ليضربنها مايه جلدة وقيل
معناه مسني الفر من سماتة الاعداء وقيل قال ذلك حين وقعت
دودة من فخذه فردها الى موضعها وقال كلي جعلني الله طعامك
فمضت عصمة زاد الحمها على جميع ما قاسى من عفن الديدان فان
قيل ان الله تعالى سماه صابرا وقد اظهر الشكوى ولجزع بقوله
اني مسني الضر ومسني الشيطان بنصب اجيب بان هذا ليس
بشكاية انما هو دعا به ليدل قوله فاستجبنا له ولجزع انما هو للخلق
فاما الشكوى الى الله فلا يكون جزعا ولا تركه صبرا كما قال يعقوب
عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وقال سفيان بن عيينة

من

من اظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك
جزعا كما روي ان جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال كيف تجدك قال اجدني مغموما واجدني مكروبا وقال صلى الله عليه
وسلم لعائشة رضي الله تعالى عنها حين قالت وارأساه بل انا وارأساه
وروي ان امراة ايوب قالت له يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة
الرخا فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة
بلائي مدة رخائي ثم انسبب عن الاجابة قوله تعالى فكشفنا اي بما لنا
من العظمة ما به من ضر بان امرناه ان يركض برجله فتنبع له عين من
ماء كما قال تعالى اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله فانبجست
له عين ماء فدخل فيها فاغتسل فاذهب الله تعالى كل ما كان به من
البلا ثم خرج حتى اذا بعد عن خلق فامر ان يضرب برجله الارض مرة
اخرى ففعل فنبع عين ماء بارد وامره فشرب منها فذهب كل داء كان
بباطنه فعاد كاصح ما يكون من الرجال واجملهم فاقبلت امراته فلم تعرفه
بعد صحته فلم تجده فقامت كالوالهة ثم جات اليه وهي لا تعرفه فقالت
يا عبد الله هل لك بالرجل المبتلى الذي كان ههنا قال نعم وما لي
لا اعرفه فتبسم وقال انا هو فمن قنه بضحكه فاعتنقته قال ابن
عباس فوالذي نفسي بيد عبد الله ما فارقته من عناقه حتى
رد الله عليهما كل ما كان لهما قال تعالى واتيناه اهله اي اولاده الذكور
والاناث وبانواجوالهم وكل من الصنفين ثلاثة اوسبعة ومثلهم معهم اي
من زوجته رحمة وزيد في شبابها حتى اعادله عليه اكثر المعمرين وقيل
اتاه المثل من نسل ماله وولده الذي رده اليه اي فولد له من ولده
ولد ولد وقال وهب كان له سبع بنات وثلاثة بنين وروى الضحاك
عن ابن عباس رد الى امراته شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا

وقال قوم اتى الله تعالى ايوب في الدنيا مثل اهله الذين هلكوا فانهم لم
يردوا عليه في الدنيا وقيل عكرمة قيل لايوب ان اهلك لك في الآخرة
وان شئت عجلنا لهم لك في الدنيا وان شئت كانوا لك في الآخرة فقرارك
مسلمهم فعلى هذا يكون معنى الاية واتيناه اهله في الآخرة ومثلهم
معهم في الدنيا وروي عن انس بن مرفعه كان ايوب اندر للقمح واندر
للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فافرغت احداهما على اندر القمح الى
ان افرغت الاخرى على اندر الشعير الورق حتى فاض وروي ان الله تعالى
بعث اليه ملكا وقال ان ربك يقرئك السلام ويصرك فاخرج الى اندر
فخرج اليه فارسل عليه جرادا من ذهب فقال انما اغتسل وخرج
الدود منه جعل الله تعالى له اجنحة فطارت فجعلها الله تعالى جرادا من
ذهب واطرت عليه فطارت واحدة فاتبعها وردها الى اندره فقال له
الملك اما يكفيك ما في اندرك فقال بلى ولكن لا غنى لي عن بركتك
من بركتو عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينما ايوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب
فجعل ايوب يحثي في ثوبه فناداه ربه يا ايوب الم اكن اغنيتك عما ترى
قال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك وقوله تعالى رحمة مفعول له
اي نعمة عظيمة ومنها بقوله من عندنا بحيث لا شبهة من نظر ذلك انها
فعلناه الا رحمة منا وان عين لا يقدر على ذلك وذكرى اي عظة عظيمة
للعابدين كلهم ليتاسوا به فيصبروا اذا ابتلوا ولا يظنوا ان ذلك انما
نزل بهم لمهانتهم ويشكروا اذا اثيبوا كما اثيب وقيل لرحمتنا العابدين فانا
نذكرهم بالاحسان ولا ننسانهم القصة السابقة قصة اسماعيل واذكر
وذي الكفل المذكورة في قوله تعالى واسمعيل اي واذكر اسماعيل ابن
ابراهيم عليهما السلام الذي سخرنا له من الماء بواسطة الروح الامين

ما عاش

عليه السلام بعد ان كان هالكا لا محالة ثم جعلناه طعاما طيبا لوفدنا
ستمرة اهله وصغاره وقيل كبير من الذين حين دعا ربه فيما اخبر الله تعالى عنه
وذو الكفل اليسع في قوله فاما بعد ذكر عظيم واذكر ادريس انه ابن شيث بن
آدم عليهم السلام قيل انه اول من خط بالقلم واول من نظر في الحساب
والهيئة ورفع له مكانا عليا
واذكر ذا الكفل سمي بذلك قالوا كان نبيا من بني اسرائيل اوحى الله
تعالى اليه اني اريد ان اقبض روحك وارفع عن ملكك على بني اسرائيل
فحيث تكفل لك ان يصلي بالليل لا يفتر ويصوم بالنهار لا يفطر ويقضي بين
الناس ولا يغضب فاذن في ملكك اليه فظهر ذلك فقام شاب فقال
انا اتكفل لك بهذا فتكفل وفي بعض ما تكفل له وسماه فسمي ذا الكفل
وقال مجاهد لما كبر اليسع قال لو اني استخلفت رجلا من الناس يعمل
عليهم في حياتي حتى انظر كيف يصنع قال فجمع الناس كلهم فقال من يقبل
مني بثلاث استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام رجل
فقال انا فاستخلفه فاتاه ابليس في صورة شيخ ضعيف حتى اخذ
بعضده للمقايلة وكان لا ينام بالليل والنهار لا تدركه النومة فذهب
النوم فقال من قعد لقفا الشيخ كبير مظلوم فقام فضرب الباب فقال ان
بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا ما فعلوا وجعل يطول
في ذلك فقال القايلة فقال اذا رجعت فاتني فاني اخذ حقك فانطلق
فرجع فكان في مجلسه ينظر بعد يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه فلم يجده
فلما كان الغد جلس يقضي بين الناس وينظر فلم يره فلما رجع الى
القايلة واخذ مضجعه اتاه فدق الباب فقال من انت فقال انا الشيخ
المظلوم ففتح له وقال الم اقل لك اذا رقدت فلا ايتني فقال انا لم اجئ
قوما اذ اعرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا انت تحقرني

قال فانطلق فاذا جلست قاتني وفاته القايلة فلما جلس جبل ينظر فلا
يراه وشق عليه ذلك فلما كان اليوم الثالث قال لاهله
لا اتعجل هذا الرجل يترب مني حتى انام فانه قد شق علي النعاس فلما
كان تلك الساعة جاء فلم يأذن له الرجل فلما استيقظ نظر عن يمينه فاذا في
البيت فشور منها فاذا هو في البيت فدق عليه الباب فدخل
فاستيقظ فقال يا فلان الم اعهد اليك ان لا تدخل من قبلي فلم يرد فاخذ من
ابن اتيت فقام الى الباب فاذا هو مقتلا فاخذته واذا الرجل واقع
في البيت فقاله ان لم تخصوم يبايعك فقال اعجوه والله قال فوالله عيني
فشتله ما ترى لا عفسنك الله فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر
فوفى به وقيل ان ابليس جاءه وقال ان لي غريما يطلبني فاصبر ان
تقوم معي فلم يستو في حتى مسه فانطلق معه حتى اذا كان في القرى
خلاه وذهب فرجع اليه اصحابه فاخبروه ان صاحبي هرب وقيل انه قال
رجل لكفل ان يصلي كل ليلة مائة ركعة اليوم ان يقبض روحه ففعل
فيما انه بعد كان نبيا فمات الحسن كان نبيا وعن ابن عباس انه اليكن
ونقل هرون كرباي وقيل هو يوشع وقال ابو موسى لم يكن نبيا ولكن كان
عبدا صالحا وتمام قول الله تعالى في حق هؤلاء الثلاثة اسماعيل وادريس
وذو الكفل كل اي كل واحد منهم من الصابرين على ما ابتلاه به فانهم
نوال الصابرين وادخلناهم في رحمتنا اي في نعمتنا التي انعمنا بها عليهم
ينعمه الواجب من يوجه عليهم وجه عمم من جميع ما انعم به فكان ظرفا للعموم
ثم علله ذلك بقوله تعالى انهم من الصالحين اي لكل ما كلفوه من شأنه تعالى منهم
يعني انهم جبلوا جبلة خيرة فعملوا على مقتضى ذلك فكانوا من الكاملين
في الصلاح وهم الانبياء الذين صلاحهم معصوم عن كدر المعصية الموصوفة
بالثامنة فقد يوصف عليه السلام المذكورين في قوله تعالى وذا النون

اي واذكر صاحب الحوت وهو يونس بن متى وبيد لامني اذ ذهب مغاضبا
واختلفوا في معنى ذلك فقال الضحاك مغاضبا لقومه وهو رواية الكوفي
وغيره عن ابن عباس قال كان قوم يونس ليكونون فلسطين فغزاهم ملك
فسبى منهم تسعة اسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف فاوحى الله تعالى
الى شعيب النبي ان يسير الى حزقيل الملك وقل له يوجه نبيا فوليا الى
هؤلاء فان الملغي في قتلهم حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال الملك
من ترى وكان في مملكته خمسة انبياء فقال يونس فانه قوي امين فدعى
الملك يونس وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك الله باخراجي قال لا
قال فهل سماني لك قال لا قال فلست اذهب ابدا غير اني اقوياء فلحقوا عليه
فخرج من بينهم مغاضبا للنبي والملك ولقومه فاتى بحر الروم فركبها
قال عروة بن الزبير وسعيد بن جبير وجماعة ذهب عن قومه مغاضبا
لربه ان كشف عن قومه العذاب بعد ما وعدهم وكرها ان يكون بين
نوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيى منهم ولم يعلم السبب
الذي رفع به العذاب عنهم وكان عفنيه انفة من ظهور خلف من
وعده وان يسمى كذابا الاكراهية لحكم الله تعالى وفي بعض الاخبار
انه كان من عادة قومه اذا تيقنوا من حرب عليه الكذب فخشي ان
ينالهم ما لم يأتهم العذاب فيغضب والمغاضبة حاصلة من
المفاعلة التي تكون من واحد كالمسافرة والمعاقبة فمعنى قوله مغاضبا
اي غضبانا وقال الحسن انما غاضب ربه من اجل انه امره بالمسير الى
قوم ليبذرهم باسمه ويدعوهم اليه فسأل ربه ان يعفيه ليذهب فقيل له
ان هذا الامر اسرع من ذلك حتى سأل الجبال بتيظ الى ان ياخذ نعل ليلبسها
ثم يمشي فيها كراهية خلعه حتى ذهب مغاضبا وعن ابن عباس قال اتى
جبريل يونس فقال انطلق الى اهل نينوى فانههم قال المتمم لية قال

الامر اعجل من ذلك فغضب فانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس كان
عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل عليه اثقال النبوة تفسخ تحتها
تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذف فيها بين يديه وخرج هاربا فلذلك
اخرجه الله تعالى من اولي العزم فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى
وهو مكظوم فظن ان لن نقدر عليه الولن نضيق عليه بالعقوبة قاله
مجاهد وقتادة والضحاك وقال عطاء وكثير من العلماء معناه فظن ان لن يضيق
عليه الحبس من قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وعن ابن
عباس انه دخل على معاوية فقال لتحدثن بقتي امواج القرات البارحة
خرقت فيها فلم اجد لتمشي خلالها الا بك وهادي يا معاوية فقرا هذه
الاية فقال اوظن نبي الله ان لن نقدر عليه قال هذا من القدر
اي الذي معناه الضيق لا من القدرة قال ابن زيد هو استفهام معناه
انه يعجز ربه فلا يقدر عليه فنادى اي فاقتضت حكمتنا ان عاقبناه حتى
يستسلم فالتقمه في البحر فالتقمه الحوت فمكث فيه اربعين صباحا
يوما وليلة وقال عطاء سبعة ايام وقيل ان الحوت ذهب به مسيرة
الاف سنة وقيل بلغ به تخوم الارض السابعة وحسبه ان يكون له
طعاما فنادى في الظلمات ظلمة الليل وظلمة الماء وظلمة بطن الحوت
وقيل في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله تعالى وهب
الله بنور بصرهم وتركهم في ظلمات وقيل يمر جميعهم من البحر الى الظلمات التي الى النور
الى الظلمات وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه في ظلمتي بطن الحوت وظلمة
البحر لا اله الا انت وقد انزهه عن الشريك والصاحبة فقال سبحانك اي تنزهت
عن كل نقص فلا يقدر علي الا بما اذنت فيه الا انت كنت من الظالمين اي
ناقصا الي نفسه من النقص بما انزه الله عن مثله انى كنت من الظالمين اي

في

في خرجي من بين قومي قبل الاذن فاعفني كما هو سيرة القادرين روى عن
ابي هريرة مرفوعا واوحى الله تعالى الى الحوت انا خذه ولا تخدش له لحما ولا
تكسر له عظما فاخذه ثم هوى به الى مسكنه في البحر فلما انتهى به الى اسفل
البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله تعالى اليه ان
هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو في بطن الحوت فسمع الملائكة فقالوا
يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وفي رواية صوتا معروفا من مكان
مجهول فقال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا
العبد الصالح الذي كان يصعد لك منه في كل يوم وليلة عمل صالح
قال نعم فشفعوا فيه عند ذلك فامر الحوت فقذفه في الساحل كما قال
تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم فذلك قوله تعالى لولا ان تداركه نعمة من ربه
لنبذ بالعراء من النواحي من تلك الظلمات بتلك الكلمات لنجعلنه اي ولكي نجعله
عبرة للمؤمنين من مكروب يدعو بدعائه الا استجاب له وعن الحسن ما نجا
يونس الا بقوله الى الله تعالى الا ترى انه يقول عن نفسه ما ظلم وقرا ابن عامر وابو بكر وحفص
وحده تصبر مجزوما وشدد به يعقوب على ان اصله بحذف احدى النونين الثانية
كما حذف احدى التاءين الثانية في تظاهرون وهي ان كانت فاحذف فيها ادغم
منحذف حرف المضارعة التي تحذف في جواب لو وما حذف من جواب لو اسند الى ضمير
المصدر وهو التخلص وقرا الباقون بنونين الثانية من خاء معجمة ساكنة
اضلع فيه متى كلفتنيه الية يونس عليه السلام فرفع بها وعن سعيد بن جبير عن
ابن عباس كانت معها ثمانية احرجه ابن مردويه وعلى الحوت بيت ليلة وفي
سورة الصافات فنبذناه بالعراء وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف

او ليزيدون وقلك اخروه انما كانت من قبل بدليل قوله تعالى وان يونس لمن
المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون العقبة التاسعة قصة زكريا عليه
السلام اعلم ان كرة في قوله تعالى وهذكر ياي واذكر زكريا ويبدل عنه اذ
نادى ربه نداء الحبيب المقرب فقال رب باستعاذة البعد لانه يريد فردا
اي بعيدا من عمر وقد كبر سنه ما ايتيني من الحكمة واية اي وكمال انكاء
على الله تعالى في بعد نساءه وخلقه وكبر سنه اني اريد عبدك
عبيدا اخرين فانت تحتني على ان تعمل لي اردني من العلم والحكمة حاجبين
ولدا اختص به وكيف يتصور ان يطلب ولدا وله كان في حد من السن لا احراك
به قط وزوجته في حال من العقم الذي معه حبلى فكيف وقد جاوزت
عن العباس ولذلك يعبر عما يتعذر على العظماء فقال تعالى وهب لي
ولدا لا ارثا نبيا حكيما عالما واصطفى لهما خاصة من بين اهل ذلك الزمان
ذرية اي جعلنا ها صالحة لكل خير له فاصلي ها هنا للولادة بعد عقمها
واصلي ها للزكريا بعد ان كانت سريعة الغضب سيئة الخلق فاصلي
لا ادري ما حسن اخلاقي اي الانبياء الذين سماهم في هذه السورة
وقيل ذكر زكريا وروح ويحيى كانوا اي جبلة وطبعا يسارعون في الخيرات
اي الطاعات يبادرون فيها الموت اي مباسبقة من تعاني اخرى ولو على
عظم اخطارها لهم بقوله تعالى ويدعوننا مستخرين لجلال الله وعظمته او كانوا
رغبا اي طمعا في رحمتنا ورهبا اي خوفا من عذابنا وكانوا اي جبلة وطبعا
لنا خاشعين اي خائفين خوفا يظهر اثره عليهم على الخضوع والانكسار وقال
مجاهد الخشوع هو الذي في القلب وقيل متواضعين وسئل الاعمش
اكنت تحسب ابراهيم فقال المتدري قلت افلي قال بينه وبين الله اذا
اراد ان يتوب وانا على بابه فليس يسد فتحة العلك ترى انه باكل خشب
وخياط ابن سبعة الفقه والعاشرة قصة مريم ابنة عمران عليها السلام المذكورة

في

في قوله تعالى التي اي واذكر مريم التي احصنت فرجها اي حفظته من الحلال
والحرام حفظا بليغا لبلوغ فيكرر ويجدد به كما قال تعالى حكاية عن مريم يمسسني
بشر ولم اك بغيا والعبارة قد تقصر عن الاشارة الى الاستطراع الى اسرار تعالى
بالعبادة صبح ما هو مقتضى ذلك من سمات الاهانة والملاقاة في متانة الرياضة
والصبر انها ليست بنبية فنفخنا فيها من روحنا اي امرنا جبريل حتى
نفخ في جيب درعها فاحدث ذلك النفخ في الصبح في بطنها واضاف الروح اليه
تعالى تشريفا للمضاف كما في بيت الله وناقة الله وتنكير روحا للتعظيم
من شاء من عباده وجعلناها وابنها اي شأنهما او حالهما او ذلك وحد قوله
نفسها او حالهما او ذلك وحد قوله آية للعالمين من الجن والانس والملائكة
بليغ من ناصر حالها بحيث تحقق كالها وقدرته تعالى فان قيل هلا قال تعالى
ليعلم كمال قدرتي قلنا لان الآية ما يتوصل بالنظر الصحيح فيه الى العلم
بالمدلول وهو قدرة الله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين اجبب بما تقدم وبان
الليل والنهار لشدة ارتباطهما كشيء واحد وبني اعتبارات به من غير تحمل وبما هنا اخر التعريض
بما قال بما مضى من قصص هؤلاء الانبياء عليهم السلام انهم كلهم مشتغلون
بالتوحيد الذي هو اصل الدين فقال تعالى وانا ربكم اي ملة الاسلام
التي هي ملتكم ايها المخاطبون الذي يجب ان تكونوا على احسن حال كونها امته
امة الرسول واصل الامة الجماعة التي دين على مقصد واحد او في فصل الاربعة
الاجتماع اطلقها هاهنا على مقصد واحد منهم اكد سبحانه وتعالى هذا المعنى
بقوله تعالى اي لا غير ما تفرعت عنه الاديان من الاسلام مبدأ الاديان وانا ربكم اي الحقيق
بالعبادة لا غير فاعبدون فاخلصوا لي العبادة دون غيري فتقطعوا امرهم بينهم
اي تفرقوا في امر دينهم متحالفين فيما بينهم طوائف اليهود والنصارى يقال الكتابي
فرقوا دينهم بينهم على ما يشتهيه كل منهم وتبعا بعضهم بعضا وبيتوا بعضهم بعضا وقطعوا

الا لفظ الكلام صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينبغي عليهم ما اعتدوه
اليه احزنني ويقبح عليهم فعلهم ويقول الا ترونني الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين
الله المتين حيث اعرضوا عن عبادته فخلعوا ما يتوذع بالطاعة اليه ويتقربون به
بينهم فيغير لهذا الغضب والذلك الغضب تمثيلا لاختلافهم فيه وتغييرهم له
وقرأ واحزابا بشيء كم توعدهم بقوله تعالى وكل اي من هذه الفرق وانه بالغ في
الجرد الباء وبخ التهديد وجوب فتحكم بينهم فتشيب عن هذا الحكم ان ابناء جنسهم
اقامة للعدل فيما على كلا من المحق والمبطل الصاغرين والمطل الكبائر الى
العذاب الاليم اعدادا لما يستحقه وذلك يوم يعني قوله تعالى فاذا هي شاخصة
والمسيح تحقيقا للوعد وتسلية بالفضل من يعمل اي منهم الآن من الصالحات
وهو مؤمن اي بالبعث بعمله على الاساس الصحيح فلا كفران اي جحود
لسعيه بل تشكر ويثاب عليه تنبيه قوله تعالى فلا كفران لسعيه ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه وانا له اي لسعيه كاتبون اي مثبتون
في صحيفة عمله وما ابتناء تهنو غير ضايع فلا نفقد منه بشيا قل او لاجل
ومن المعلوم ان قسيمه وهو من يعمل من السيات وهو كافر فلا يتم ليوزنا
ومن يعمل منها وهو مؤمن فهو في مشيتنا قاله البقاعي ولعله اخذ من هذين
القسمين من غيبا في الايمان ولما كان هذا غير صحيح في ان هذا الرجوع
بعد الموت بينه بقوله تعالى وحرم اي ممنوع على قرية اي اهلها اهلكناها
بالموت انهم لا يرجعون اي الينا بل الذين هو تحت التراب باطلا من غير احياء
بل الينا بموتهم ربحوا انفسهم او في البرزخ سعيدين او معذبين بعضا دون بعض
بالنعيم والعذاب الاكبر تثبيت لما سبق ذكره في الاية وهو ملجوء
عليم البقاعي والذي قدره الزمخشري ان معنى اهلكناهم عزمنا على اهلاكهم
او قدرنا اهلاكهم او معنى الرجوع من الكفر الى الاسلام والاثابة فتكون
الاعزية والذي قدره الجلال المحلي ان الذين اي يستمر وجودهم الى الدنيا

فيكون

ترتيب الاهلاك بالموت وهذا اقرب بما قاله ابن عباس فانه قال الرجوع على
قرية اهلكناها انهم لا يرجعون الى الدنيا ويقال لهم اهلكناهم لعذاب الآخرة
وقال اخرون حرام واجب على اهل قرية اهلكناهم ان لا يتوبوا ولا يرجعوا
عن كفرهم ابي حكمنا بذلك وامضيناه ونفذناه لانهم لا يرجعون ابدا
لا يتوبون ومن الدليل على هذا المعنى انه تعالى قال في الاية التي قبلها
ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه اي يتقبل عمله
ذكر هذه الاية بعقبه وبين انه كل من لا يتقبل عمله فهو من اهل النار
قرئ حرام بكسر الحاء وقال ابو علي الفارسي هما لغتان مثل حل وحلال
وقرئ حرم بضم الحاء وهو جمع حرام مثل رهن ورهن وقرئ حرم بفتح الحاء
والراء والف بعدها اي قضى وحكم وهو مصدر حرم مثل كفر كفرانا وقوله تعالى
حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج حتى غاية لما قبلها من قوله تعالى وحرام
على قرية اهلكناها ان لا يرجعوا حتى يقوم القيمة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام
اي هي التي تقع بعدها الجمل وتدخل على الجملة الشرطية والجزائية
كقولك مرض فلان حتى لا يرجون وقد مات حتى ان امه لتقف عليه فتبكي
وقرئ فتحت بالتخفيف والتشديد والتاء بعد الفاء والباء تفتح بالتخفيف
وتوجع بالتشديد ومعناهما واحد والمعنى ان امر ياجوج وماجوج لعظمه
وشدته اذا انقضى وجاء اوانه فتحت سدهم وخلوا وانتشروا من كل
نشز من كل مكان مرتفع من الارض وهو جمع نشز مثل حزن واحزان
وقرئ بالتخفيف مع الضم عن كل شيء الذين وفي العبارة قاصر لان الارض
كروية وقيل الضمير راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وعن حذيفة
ابن اسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر
الساعة قال انها لن تقوم الساعة حتى ترون قبلها عشر ايات فذكر الدجال
والدخان والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه

السلام ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف
بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تسوق الناس إلى محشرهم
واقترب الوعد الحق أي يوم القيامة قال حذيفة لو أن رجلا اقتنى فلوا بعد
خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة فإذا هي شاخصة
أبصار الذين كفروا قال الكلبي شخصت أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من
شدة ذلك اليوم تنبيه فإذا هي للمفاجأة وهي تقع في المجازاة
سادة مسد الفاء كقوله تعالى إذا هم يقنطون فإذا جاءت الفاء معها
تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل إذ هي شاخصة أو فهي
شاخصة كان سديدا قال سيبويه والضمير للقصة يعني فإذا القصة
شاخصة يعني القصة أن أبصار الذين كفروا تشخص عند ذلك وقال
الزمخشري هي ضمير مبهم توضحه الأبصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا
وأسروا النجوى الذين ظلموا يا ويلنا أي يقولون يا ويلنا ويتعلق بي
يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين ويا للتنبيه
قد كنا في الدنيا في غفلة من هذا أي اليوم حيث كذبنا وقلنا إنه غير
كائن ثم أضربوا عن الغفلة فقالوا بل كنا ظالمين لأنفسنا بهم أي
وضعنا الشيء في غير موضعه أعرضنا عن تأمل الدلائل والنظر في
ما يلزم وكذبنا الرسل وعبدنا الأوثان وقوله تعالى إنكم خطاب لأهل
مكة الكفار وهم معشر المشركين وما تعبدون من دون الله أي يعني
من الأوثان حصب جهنم أي وقودها وهو ما يرمى به إليها وتهيج به من
حصب يحصبه إذا رماه بالحصب والحصب في لغة أهل اليمن الحطب وقال
عكرمة هو الحطب بالحبشية قال الضحاك يعني يرمون بهم في النار كما يرمى
بالحصب وقوله تعالى أنتم لها واردون داخلون استئناف أو بدل من حصب
جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على أن ورودهم لأجلها

لو

لو كان هؤلاء آلهة أي الأصنام ما وردوها أي ما دخل الأوثان
ومن عبدها النار وقرأ نافع وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية ياء والباقون
بتحقيق الأولى والباقون بتحقيقهما وكل أي من العابدين
والمعبودين فيها خالدون لا خلاص لهم منها
عليه الأوثان قبل أن يقذفوا بالعابدين لهم زفير
[illegible]
الفساد
عنها عنهم فإن رضاه عن الله على عكس ما بين
لهم فيها
بهم فيها زفير
النفخة
لهم زفير وهم فيها لا يسمعون
قال ابن مسعود
إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك
التوابيت في توابيت أخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا
يرى أحدهم أن في النار أحدا يعذب غيره وعنه أنه قرأ قوله تعالى إنكم
عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة
وستون صنما فجلس إليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليهم إنكم وما تعبدون الآية
ثم قام فأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي فرآهم يتهامسون فقال
فيم خوضكم فأخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
أما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له ابن الزبعرى أأنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة

وعن ابن عباس انه قال لما قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال
ايها الناس انكم محشورون وستحشرون حفاة عراة غرلا ايا نعيد اول خلق نعيده
كما بدانا اول خلق نعيده ايا كما بدانا اول مرة نعيدهم عراة غرلا غرل الاغرل يحتوي
كتاب شهيد بما فيه يوم القيمة فنظر فيه فقال انا شهيد على من في كتابي هذا
اول مرة وعدا كذلك يقول الله تعالى علينا وعده علينا انا كنا
ايها الاول وايها الاخر على حالة الاحوال اما علمتم انا نقدر على ما هو اهون
علينا في شيء من ذلك ثم ان الله تعالى حقق ذلك بقوله تعالى ولقد كتبنا
في الزبور من بعد الذكر قال ابن عباس عن جبير وعطاء بعد الزبور يعني
كتب الله المنزلة بعد الذكر ام الكتاب الذي عند الله وعناه من بعد لانه
لم يكن قبل الوح المحفوظ وقال ابو العالية عنى بالزبور التوراة
وقال الشعبي ابن جريج يعني بالذكر القرآن فالزبور كتاب
داود عليه السلام والذكر القرآن ومعنى من بعد من عند كقوله تعالى
وكان وراءهم ملك اي امامهم وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها
اي مع ذلك وقيل الزبور جميع الكتب المنزلة والذكر اللوح المحفوظ
ان الارض يرثها عبادي وحقق ما اراد به اضافتها اليه بقوله تعالى الصالحون
اي الذين يعملون بطاعة الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما
يريد المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الربيع بن انس
هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج هذه الارض التي
وعد الله ان يورثها الصالحين هي ارض الجنة وقال ابن عباس اراد ارض
الكفار يفتحها الله على المسلمين وقيل اراد ارض الدنيا يورثها الله
المسلمين وقيل اراد بالارض الارض المقدسة وقيل اراد ارض
الارض كلها تكون لامة محمد صلى الله عليه وسلم

ذلك

ذكرها بما يعلمه الله تعالى وجرى على هذا التباعي في تفسيره وتراجمه لكون
الباء والباقون بفتحها ان في هذا اي القرآن لبلاغا اي وصولا
الى البغية فان من اتبع القرآن وعمل به وصل الى ما يرجو من الفوائد
وقيل بلاغا اي كفاية يقال في هذا الشيء بلاغ وبلاغ وبلغة اي كفاية
والمعنى ان زاد يكفيه كما يكفي المسافر وقال الزجاج هذا اشارة الى ما ذكر في
هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة لقوم
عابدين اي عاملين به وقال ابن عباس عالمين قال الزجاج والاولى
ان يكون معنيه بين الامرين لان العلم كما يتم والعمل كما يتم والعمل بدون
العلم غير مفيد والعلم بدون العمل غير كاف وقال كعب الاحبار نعم امة محمد صلى
الله عليه وسلم لهم الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج كان هذا اشارة
الى ما ذكر من التقدير بمحامد ومحاسنها كما ذكرنا الا ان العاد تم عطف عليه
قوله تعالى وما ارسلناك اي على حالة من الاحوال الا على حالة كونك
رحمة للعالمين كلهم اهل السموات والارض من الجن والانس وغيرهم طائعهم
بالثواب وعاصيهم بتاخير العقاب الذي كنا نستاصل الامم به فنحن نمهلهم
ونترفق بهم اطمعا في ايمان كثير منهم او ايمان كثير من ذريتهم الى يوم القيامة
من اكابر الفساق واعلم ان ذكر بعد طول الكلام الضلال وتكاثرهم في
اشراك المحال ومن اعظم ما يظهر فيه هذا الشرف في عموم الرحمة وقت الشفاعة
العظمى يوم يجمع الله تعالى الاولين والاخرين وتقوم الملائكة صفوفا
والشياطين وسطهم ويموج بعضهم في بعض من شدة ما هم فيه يطلبون
من يشفع لهم فيقصدون اكابر الانبياء نبيا نبيا عليهم الصلاة والسلام
فيحيل بعضهم على بعض وكل منهم يقول لست لها حتى ياتوا محمدا صلى الله عليه
وسلم فيقولون انت لها فهو يقوم معه لواء الحمد فيشفعه الله تعالى وهو المقام
المحمود الذي يغبطه به الاولون والاخرون فهو صلى الله عليه وسلم

الخطاب الكل اجمعين ولما اورد تعالى على الكفار الحجج في ان الله هو الواحد وبين انه
ارسل رسوله رحمة للعالمين امره بتبليغ ذلك بامره صلى الله عليه وسلم بقوله
تعالى قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي في امر الالهية الا
وحدانيته وما انا لكم الا اله واحد لم يوح الي غيره فدعوى تعدد الالهة تكذيب لذلك
فالدليل من قصر الصفة على الموصوف والثاني من قصر الموصوف على الصفة
والمخاطب فيهما من يعتقد الشركة فهما وان قصر قلب وقال الزمخشري انما القصر
لكم على شيء اي القصر الذي على حكم الكون لكم انما زيد قايم وانما يقوم زيد
فقط فقد اجتمع المثالان في هذه الاية لانه انما يوحى اليه مع علمه بمنزلة
انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قايم وفايدة اجتماعهما
الدلالة على ان الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على
استيثاره تعالى بالوحدانية اه وانما كان الوحي الوارد على هذا
النسق موجبا ان يخلصوا التوحيد لله تعالى قال صلى الله عليه وسلم فهل
انتم مسلمون اي منقادون لما اوحي الي من وحدانية الاله والاستسلام
لامره اي اسلموا فانه قد تم ما دعوتكم اليه فمال اي لهم
فان تولوا اي اعرضوا عما دعوتهم اليه من التوحيد والاسلام فقل اذنتكم
اي اعلمتكم ما كنت وما كنتم جميعا بذلك على سواء اي حال من الفاعل والمفعول
عالمين مستوين في الاعلام به لم اطلع
على احد منكم ولا استبد به دونكم لتناهوا واذ الذي توعدون اله ريب اقرب
خبايا يكون قربه على ما يتعارفونه اهـ وما توعدون من غلب
المسلمين عليكم وعذاب الله اياكم المشتمل عليه وان ذلك كائن
لا محالة متى لا بد ان يحل بكم بذلك الذلة والصغار وان كنتم لا ترون ذلك
يكون لتماديكم في الغفلة والاغترار انه تعالى لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه وانما يعلمه
الله تعالى انه تعالى يعلم الجهر من القول اي ما تجهرون به من العظايم وغير

ذلك

ذلك وينبه تعالى على ذلك فان من احواله الجهر اذ ترفع الاصوات جدا حيث
تختلط ولا يميز بينها ولا يعرف كثير من حاضر عما قاله اكثر القايلين فما علم
سبحانه وتعالى انه لا يشغله صوت عن آخر ولا يفوته شيء من ذلك ولا
كثر ويعلم ما تكتمون عما تضمره وتنفي صدوركم من الاعتقاد للمسلمين وتنظر
ذلك قوله تعالى في اول السورة قل ربي يعلم القول في السماء والارض وكن
لازم ذلك المجازاة عليه بما يحق لكم من تعجيل وتاجيل فتستملون لكم تخيب
ظنونكم ويتحقق ما اقول فتستطعون نحو يا في صادق ولست بساحر ولا
شاعر ولا كاذب فهذا من ابلغ التهديد فانه لا ابلغ من التهديد بالعلم
ولما كان الامهال قد يكون لنفاهته وقد يكون لنفاسته قال وان ادري
ان يكون تاخير عذابكم لنفاهتكم كما تظنون ام لا اعلم اي تاخير العذاب فتنة
اي اختبار لكم ليظهر ما يعلمه منكم من السر لغيره لان حالكم حال من يتوقع
بعد ذلك ومتاع لكم تتمتعون به الى حين اي بلوغ مدة اجالكم التي حتمها
لكم في الازل ثم يا حذكم بغتة وانتم لا تشعرون ولما كان لله ان يفعل
ما شاء من عدل وتفضل وكان من العدل جواز تعذيب الله الطايع
وتنعيم المؤمن العاصي وكان صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية
في البيان لهم ونهم قد بلغوا النهاية في اذيته وتكذيبه اخبر الله ان يفوض
الامر اليه تسلية له بقوله تعالى قال رب اي يا المحسن الي وسع اي ابخر
الحكم بيني وبين قومي بالحق اي بالامر الذي يحق لكم صنا من نفر وحذف الاذ
وقرا حفص بفتح القاف والفاعل هو وفتح اللام بصيغة الماضي على حكاية
رسول الله صلى الله عليه وسلم والباقون بضم القاف وسكون اللام
بصيغة الامر فان قيل كيف يحسن قول الرسول صلى الله عليه وسلم
احكم بالحق والله تعالى لا يحكم الا بالحق اجيب بان المعنى على هذا
العدل كانه استعجل العذاب لمن كذبه فقيل له اصبر فسوف يوم بدر تظهر فيه لنا

افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقال ابن العباني وبه احكم بحكمك اكفنى فحذف
الكاف واتى بالميم لكن مقامه فى الاية يقتضى ان يكون طلبه اداهم بطلب وحينئذ الطلب
طلب الرغبة من الطالب فى حكمه اكفنى ورفاهية العيش الخصب الرحمن
اى العام الرحمة لنا ولكم بايجاد الاسباب علينا ولولا عموم رحمته لاهلكنا
اجمعين وانا كنا بحضرته ببطلانه الا الاقل قد يهلكون اذا اخذ الله الناس
بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة الا بعد تصانع اى المطلوب منه
العفو عليه ما تصفون من كذبكم على الله تعالى فى قولكم اتخذ الله
ولدا وعلى النبى صلى الله عليه وسلم فى قولكم يسامر وعلى القرآن فى
قولكم شعر قال الزمخشرى وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول ذلك
فى حروبه ولم يقل كوله سندا واحدا رواه البيهقى وابو نعيم قال الزمخشرى
من قاله صلى الله عليه وسلم قال ان قرأ قرب حسابه الله حسابا
يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن فحذف موضع
سورة الحج لكاتبه الا وقت الناس من يعبد الله على حرف
الاية يقال لا هذا ان خفيا ان المستهزئين ثمانية وهى ثمانية وقيل خمسة
او ستة او سبعة وسيجىء ايضا بسم الله الذى اقتضت عظمته خضوع كل
شىء الرحمن الذى عم برحمته كل موجود الرحيم الذى خص بفضله من شاء من
عباده ولما ختمت السورة التى قبلها بذكر الترهيب عن الفزع الاكبر
وعلى الحساب وابتدأت هذه بوعد من كان العظم ذلك يوم يرونها الذين اتقوا
ان الوقت الذى لا مرد له التقوى المجتبية من هوله ذلك اليوم بقوله تعالى يأيها
الناس اى الذى لقدم اهوال تلك الساعة اقترب لكم حسابهم اذ ورد ان ذلك
عام فى الانفس وهو يوم الموت اى لعفوه واقتاب ربكم اى لبأسه ان زلزلة
الساعة اى كل مرضعة اى ذات رضاع عما ارضعت عن ولدها وتضع كل ذات حمل حملها
اى تسقطه قبل التمام من هول ما ترى وتنسى كل مرضعة ولدها اى تشغله عن
ارضاعها وتذهل كل حامل عن حملها اى تسقطه قبل التمام من هول ما ترى وترى الناس
سكارى اى كأنهم سكارى من الخمر وما هم بسكارى اى ليس بهم سكر الخمر ولكن
سكر الخوف وترى الناس سكارى وما هم بسكارى اى كأنهم سكارى من الخمر وما هم بسكارى
ولكن عذاب الله شديد اى لا يطاق فكيف بعذاب الله ومن الناس من يجادل فى الله
بغير علم اى فى شأن الساعة ويتبع كل شيطان مريد اى يتبع فى الجدال كل
شيطان متمرد على الله تعالى كتب عليه اى على الشيطان انه من تولاه اى اتخذه
ربا فانه يضله اى يحمله على الضلال ويهديه اى يرشده فى الدنيا الى عذاب السعير
اى عذاب النار فى الآخرة يأيها الناس ان كنتم فى ريب اى شك من البعث
فانا خلقناكم من تراب اى خلقنا اباكم آدم منه ثم من نطفة ثم من علقة
ثم من مضغة اى قطعة لحم قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة اى تامة الخلق
وغير تامة الخلق لنبين لكم اى ما نريد من قدرتنا بخلقنا اياكم على اطوار
مختلفة ونقر فى الارحام ما نشاء اى من الاجنة الى وقت الوضع اجل مسمى
اى وقت الوضع ثم نخرجكم طفلا اى من بطون امهاتكم ثم لتبلغوا اشدكم
اى كمال عقولكم ومنكم من يتوفى اى قبل بلوغ الاشد ومنكم من يرد الى
ارذل العمر اى الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اى ليصير
بحيث لا يعقل شيئا مما كان يعقله قبل ذلك وترى الارض هامدة اى يابسة
لا نبات فيها فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت اى تحركت بالنبات وربت اى
انتفخت بالنبات وانبتت من كل زوج بهيج اى صنف حسن يسر الناظرين
ذلك بسبب ان الله هو الحق اى الثابت الالهية وانه يحيى الموتى اى
يوم القيامة وانه على كل شىء قدير اى فلا يعجزه شىء ان الساعة آتية
لا ريب فيها اى لا شك فى مجيئها وان الله يبعث من فى القبور اى
الموتى ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم اى بغير دليل ولا هدى
اى بيان ولا كتاب منير اى واضح ثانى عطفه حال من ضمير يجادل
اى متكبرا عن الحق ليضل عن سبيل الله اى دينه له فى الدنيا خزى
اى ذل بالقتل يوم بدر وهو النضر بن الحارث ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق
اى النار ذلك اى يقال له ذلك بما قدمت يداك اى بسبب ما كسبت
وان الله ليس بظلام للعبيد اى بذى ظلم لهم فيعذبهم بغير ذنب ومن الناس
من يعبد الله على حرف اى على طرف من الدين لا فى وسطه ولا فى قلبه
فان اصاب خيرا اى رخاء وصحة وسعة اطمأن به اى سكن اليه وان اصابته
فتنة اى بلاء وشدة انقلب على وجهه اى ارتد كفارا خسر الدنيا والآخرة
اى فلم يظفر بخير منهما ذلك هو الخسران المبين اى الظاهر يدعو من دون الله
اى يعبد من دونه ما لا يضره اى ان لم يعبده وما لا ينفعه اى ان عبده ذلك
هو الضلال البعيد اى عن الحق يدعو لمن ضره اقرب من نفعه اى ان عبده
لبئس المولى اى الناصر ولبئس العشير اى الصاحب ان الله يدخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار اى فى الجنة ان الله
يفعل ما يريد اى من اكرام اوليائه واهانة اعدائه من كان يظن اى ان لن
ينصره الله اى محمدا صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب
الى السماء اى سقف بيته ثم اختنق به ثم ليقطع اى ثم لينظر هل يذهبن
كيده اى فعله ما يغيظ اى ما يغيظه من نصر الله اياه فان لم يفعل ذلك
فليس له حيلة يذهب بها غيظه وكذلك انزلناه اى القرآن آيات بينات
اى واضحات وان الله يهدى من يريد اى هدايته لعلمه بأنه من اهل الهداية
ان الذين آمنوا والذين هادوا اى اليهود والصابئون اى قوم بين المجوس
واهل الكتاب والمجوس اى عبدة النار الذين اشركوا اى عبدة الاوثان
ان الله يفصل بينهم اى يقضى بينهم يوم القيامة بالحق ان الله على كل
شىء شهيد اى عالم به ألم تر اى ألم تعلم يا محمد ان الله يسجد له
من فى السموات ومن فى الارض اى يخضع له بالعبودية من فى السموات
ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس
اى يسجد له طوعا وكثير حق عليه العذاب اى وجب عليه العذاب بالنار
لكفره ومن يهن الله اى يشقه فما له من مكرم اى يسعده فان الله يفعل
ما يشاء اى من اكرام اوليائه واهانة اعدائه هذان خصمان اختصموا فى ربهم
اى فى دينه فالذين كفروا اى منهم قطعت لهم ثياب من نار اى على قدر
اجسامهم يصب من فوق رؤوسهم الحميم اى الماء الحار يصهر به ما فى بطونهم
والجلود اى تذيبها ولهم مقامع من حديد اى سياط لو ضرب بها جبل لذاب
كلما اى كلما حاولوا ان يخرجوا منها اى من النار من غم اعيدوا فيها
اى ردوا فيها وذوقوا عذاب الحريق اى النار يقال لهم ذلك توبيخا وتقريعا
ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار
اى فى الجنة يحلون فيها من اساور من ذهب اى جمع سوار وهو ما يجعل
فى اليد من الزينة ولؤلؤا اى ويؤتون لؤلؤا اى مرصعا بالذهب ولباسهم فيها
حرير اى ثيابهم فيها حرير وهدوا اى ارشدوا الى الطيب من القول اى
الى قول لا اله الا الله وهدوا الى صراط الحميد اى الى دين الاسلام
ان الذين كفروا اى بالله ورسوله ويصدون عن سبيل الله اى دينه
والمسجد الحرام اى ويصدون عن المسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء
العاكف فيه والباد اى المقيم فيه والطارئ عليه فى الحرمة سواء فى ان
كل واحد منهم يصلى حيث شاء ومن يرد فيه بإلحاد بظلم اى ومن يرد
فيه مرادا ما بظلم اى بشرك نذقه من عذاب اليم اى مؤلم ان الذين
كفروا اى بالله ورسوله ويصدون عن سبيل الله اى دينه والمسجد الحرام
الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد اى المقيم فيه والطارئ عليه
فى الحرمة سواء فى ان كل واحد منهم يصلى حيث شاء ومن يرد فيه بإلحاد
بظلم اى ومن يرد فيه مرادا ما بظلم اى بشرك نذقه من عذاب اليم اى مؤلم
ان الذين كفروا اى بالله ورسوله ويصدون عن سبيل الله اى دينه

اى هركبها المسلمون للغزو فى سبيل الله ومنافع اخر فى تجارتهم وحوائجهم
حتى اذا اتى عليها اى على الابل حين من الزمان وقد ركبت وحملت
فحان اوان نتاجها وولادها اى فعلوه ويصح ان يكون الضمير للقرية على طريق
قوله تعالى واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها وجاز ذلك
لان القرية فى الطرف واجراء مجرى المختص كما قالوا فى المدينة يا اهل يثرب
ويدل عليه قراءة من قرأ حتى اذا فتحت بالتاء على تأنيث القرية وقرئ فتحت
وقرئ فتحت بالتشديد اى كثرة ابوابها لكثرة الداخلين فيها من كل وجه
وترى الناس سكارى اى كأنهم سكارى من الخوف والفزع وما هم بسكارى
اى ليس بهم سكر الخمر ولكن عذاب الله شديد اى لا يطاق فكيف بعذاب الله
ان زلزلة الساعة شىء عظيم اى امر هائل لكبر جرمه وعظم خطره يوم ترونها
اى القيامة او الزلزلة او الساعة او الارض او السماء تذهل كل مرضعة
اى تشغل عن ولدها بما يدهمها من هول ما ترى فلا تلتفت اليه وتضع كل ذات حمل
حملها اى تسقطه قبل التمام من هول ما ترى وترى الناس سكارى
اى كأنهم سكارى من الخمر وما هم بسكارى اى ليس بهم سكر الخمر ولكن
عذاب الله شديد اى لا يطاق فكيف بعذاب الله ومن الناس من يجادل فى الله
بغير علم اى فى شأن الساعة ويتبع كل شيطان مريد اى يتبع فى الجدال كل
شيطان متمرد على الله تعالى كتب عليه اى على الشيطان انه من تولاه اى اتخذه
ربا فانه يضله اى يحمله على الضلال ويهديه اى يرشده فى الدنيا الى عذاب السعير
اى عذاب النار فى الآخرة يأيها الناس ان كنتم فى ريب اى شك من البعث
فانا خلقناكم من تراب اى خلقنا اباكم آدم منه ثم من نطفة ثم من علقة
ثم من مضغة اى قطعة لحم قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة اى تامة الخلق
وغير تامة الخلق لنبين لكم اى ما نريد من قدرتنا بخلقنا اياكم على اطوار
مختلفة ونقر فى الارحام ما نشاء اى من الاجنة الى وقت الوضع اجل مسمى
اى وقت الوضع ثم نخرجكم طفلا اى من بطون امهاتكم ثم لتبلغوا اشدكم
اى كمال عقولكم ومنكم من يتوفى اى قبل بلوغ الاشد ومنكم من يرد الى
ارذل العمر اى الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اى ليصير
بحيث لا يعقل شيئا مما كان يعقله قبل ذلك وترى الارض هامدة اى يابسة
لا نبات فيها فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت اى تحركت بالنبات وربت اى
انتفخت بالنبات وانبتت من كل زوج بهيج اى صنف حسن يسر الناظرين
ذلك بسبب ان الله هو الحق اى الثابت الالهية وانه يحيى الموتى اى
يوم القيامة وانه على كل شىء قدير اى فلا يعجزه شىء ان الساعة آتية
لا ريب فيها اى لا شك فى مجيئها وان الله يبعث من فى القبور اى
الموتى ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم اى بغير دليل ولا هدى
اى بيان ولا كتاب منير اى واضح ثانى عطفه حال من ضمير يجادل
اى متكبرا عن الحق ليضل عن سبيل الله اى دينه له فى الدنيا خزى
اى ذل بالقتل يوم بدر وهو النضر بن الحارث ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق
اى النار ذلك اى يقال له ذلك بما قدمت يداك اى بسبب ما كسبت
وان الله ليس بظلام للعبيد اى بذى ظلم لهم فيعذبهم بغير ذنب ومن الناس
من يعبد الله على حرف اى على طرف من الدين لا فى وسطه ولا فى قلبه
فان اصاب خيرا اى رخاء وصحة وسعة اطمأن به اى سكن اليه وان اصابته
فتنة اى بلاء وشدة انقلب على وجهه اى ارتد كفارا خسر الدنيا والآخرة
اى فلم يظفر بخير منهما ذلك هو الخسران المبين اى الظاهر يدعو من دون الله
اى يعبد من دونه ما لا يضره اى ان لم يعبده وما لا ينفعه اى ان عبده ذلك
هو الضلال البعيد اى عن الحق يدعو لمن ضره اقرب من نفعه اى ان عبده
لبئس المولى اى الناصر ولبئس العشير اى الصاحب ان الله يدخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار اى فى الجنة ان الله
يفعل ما يريد اى من اكرام اوليائه واهانة اعدائه من كان يظن اى ان لن
ينصره الله اى محمدا صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب
الى السماء اى سقف بيته ثم اختنق به ثم ليقطع اى ثم لينظر هل يذهبن
كيده اى فعله ما يغيظ اى ما يغيظه من نصر الله اياه فان لم يفعل ذلك
فليس له حيلة يذهب بها غيظه وكذلك انزلناه اى القرآن آيات بينات
اى واضحات وان الله يهدى من يريد اى هدايته لعلمه بأنه من اهل الهداية
ان الذين آمنوا والذين هادوا اى اليهود والصابئون اى قوم بين المجوس
واهل الكتاب والمجوس اى عبدة النار الذين اشركوا اى عبدة الاوثان
ان الله يفصل بينهم اى يقضى بينهم يوم القيامة بالحق ان الله على كل
شىء شهيد اى عالم به ألم تر اى ألم تعلم يا محمد ان الله يسجد له
من فى السموات ومن فى الارض اى يخضع له بالعبودية من فى السموات
ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس
اى يسجد له طوعا وكثير حق عليه العذاب اى وجب عليه العذاب بالنار
لكفره ومن يهن الله اى يشقه فما له من مكرم اى يسعده فان الله يفعل
ما يشاء اى من اكرام اوليائه واهانة اعدائه هذان خصمان اختصموا فى ربهم
اى فى دينه فالذين كفروا اى منهم قطعت لهم ثياب من نار اى على قدر
اجسامهم يصب من فوق رؤوسهم الحميم اى الماء الحار يصهر به ما فى بطونهم
والجلود اى تذيبها ولهم مقامع من حديد اى سياط لو ضرب بها جبل لذاب
كلما اى كلما حاولوا ان يخرجوا منها اى من النار من غم اعيدوا فيها
اى ردوا فيها وذوقوا عذاب الحريق اى النار يقال لهم ذلك توبيخا وتقريعا

حصين انهما اتين الا يتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخرج الملي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه
وسلم فترامى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ولم يزالوا باكين
من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحلوا السروج عن الدواب ولم يعرجوا
الخيام وقت الزوال ولم يطعموا اذ راوكانوا ما بين حرفين وباك وعكر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي يوم ذلك قالوا الله ورسوله
اعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث بعث النار وذلك يخي
حديث ابي سعيد وزاد فيه عمر فمن كل يدخل من امتي سبعون الفا كجنة
بغير حساب قال عمر سبعون الفا قال نعم ومع كل واحد سبعون الفا
وثلاثة من الكساي بفتح الياء وسكون الكاف فيهما والباقون بضم الياء
وفتح الكاف وبعد الكاف الف واما ل الالف بعد الراء ابو عمرو وحمزة
والكسائي بخفة وورش بين بين والباقون بالفتح وثقل في النفير
ابن الحارث وكان كثير الجدل وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن
اساطير الاولين وكان ينكر البعث واحيانا من صار ترابا ومن الناس
اي المذبذبين من لا يسعى في اعلا نفسه ويعتدي فيكذب بغير حق
بسوء عمله واعماله لانه يجادل في الله اي في قدرته على ذلك اليوم
وفي غير ذلك بعد ان جاءه العلم بما اجترا على سلطانه العظيم بغير علم
بل بالباطل الذي هو مجرد عرف فيترك اتباع الهداة ويتبع غاية جهده
في جداله كل شيطان متمرد بالواو سعد باللعن مريد اي متجرد للفساد
ولا شغل له غيره قال الزمخشري بيضاوي واصله العري اي عن السائر
كتب اي قضى وقدر على سبيل الحتم الذي لا بد منه بتقدير ابا للازم عن
الملزوم عليه اي على ذلك الشيطان انه اي الشان من تولاه اي فعل
معه فعل الولي مع وليه باتباعه والاقبال على ما يزينه فانه يضله

بما ينقص البدن من الطاعات فيخلي سبيل الخير وعبد به اي يجازين له من الشهوة
لكما ملتم علي الزلات الي عذاب السعير اي النار ثم الزم الحجة منكرا البعث
بقوله تعالي يا ايها الناس اي كافة ويجوز ان يراد المنكر فقط ان كنتم في ريب
اي شك وعمة وحاجة الي البيان من البعث وهو قيام الاجسام بارواحها
كما كانت اول قادر علي خلقكم ثانيا ثم انه سبحانه وتعالي ذكر من مبادئ
الخلقة الاولي امورا سبعة المرتبة الاولي قوله تعالي فانا خلقناكم فجر
الميم للتنبيه علي انه شيء من تراب لم يسبق له الفناء بالحياة وهي اخلق من
تراب وجهان احدهما انا خلقنا اصلكم وهو آدم عليه السلام من تراب
الثاني من الاغذية فالاغذية اما حيوان واما نبات وغذاء الحيوان
ينتهي الي النبات فقط والنبات انما يتولد من الارض والماء
فصح قوله تعالي انا خلقناكم من تراب المرتبة الثانية قوله تعالي ثم من
نطفة وحالها بعد كونها من التراب فانها بيضا سائلة لزجة صافية
كما قال تعالي من ماء دافق واصلها الماء القليل قال البغوي واصل
النطفة الصب قال البيضاوي المرتبة الثالثة قوله تعالي ثم من
علقة اي قطعة دم جامدة ليس فيها اهلية للسيلان ولا شك ان
بين الماء وبين الدم الجامد مباينة شديدة المرتبة الرابعة قوله تعالي
ثم من مضغة اي قطعة لحم صغيرة وهي في الاصل قدر ما يمضغ مخلقة
اي مسواة لا نقص فيها ولا عيب يقال خلق السواك والعود سواه
وملسه من فيه لهم صحة خلقا اذا كانت ملسا وغير مخلقة اي
وغير مسواة فكان الله تعالي يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة
واملس من العيوب ومنها ما هو علي عكس ذلك ينتهي في ذلك التفاوت
تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم
هذا قول قتادة والضحاك وقال مجاهد المخلقة الولد الذي يخرج

حيا

حيا وغير المخلقة السقط وقال قوم المخلقة المصورة وغير المخلقة اي
غير المصورة وهو الذي يبقي فيها من غير تخطيط وتشكل واحتجوا بما روي
علقمة عن عبد الله بن مسعود موقوفا عليه قال ان النطفة اذا استقرت
في الرحم اخذها ملك بكفه وقال اي رب مخلقة او غير مخلقة فان قال
غير مخلقة قذفتها في الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك
اي رب ذكر ام انثي وشقي ام سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق باي
ارض تموت فيقال له اذهب الي ام الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك
فيذهب فيجدها في ام الكتاب فيمسخها فلا يزال معه حتي يأتي علي
آخر صفتها لي الذي اخرجاه في الصحيحين قال حدثنا رسول الله صلي
الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن
امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل
ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم
ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتي
ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار
فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتي ما يكون بينه وبينها الا
ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها فكانه قال
تعالي يقول انما نقلناكم من حال الي حال ومن خلقة الي خلقة
لنبين لكم هذا الذي يحق قدرتنا وحكمتنا وان من قدر علي خلق البشر
من التراب والماء وقدر علي ان يجعل النطفة عظاما قدر علي اعادة
ما ابداه بل هو ادخل في القدرة من ذلك والعود في القياس ورد
الفعل غير معدي الي المبين اعلام بان افعاله هذه يتبين بها من
قدرته وعلمه ما لا يحيط به الوصف ولا يكتنهه الذكر ونقر في الارحام
اي من ذلك الذي خلقناه ما نشاء انعامه الي اجل مسمي وهو وقت

الوضع وادناه بعد ستة اشهر وانقضاء اخر اربع سنين بحسب قوة الارحام
وضعفها وقوة المخلقات وضعفها وكثرة ما تفتقر به من الدعاء وقلته
الى غير ذلك من احوال وشؤون لا يعلمها الا بارئها جلت قدرته وتقا
عظمته وعالم نشأ اقرأ بحجته الارحام واسقطة دون التمام او تخرجه
فيضمحل المرتبة الخامسة قوله تعالى ثم يخرجكم طفلا وهو معطوف
على نبين ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما
ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر حتى تولد وانى
حال الطفولية من صغر جثة وضعف البدن والسمع والبصر وجميع
الحواس ليلا تملكوا امهاتكم بكبر اجرامكم وعظم اجسامكم المرتبة
السادسة قوله تعالى ثم اي عند اجلكم لتبلغوا بهذا الانتقال في
اسنانه الاجسام من الرضاع الى المراهقة الى البلوغ الى الكهولة
اشدكم اي الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين الى الاربعين جمع
شدة كالانعم جمع نعمة كانه شده في الاصول المرتبة السابعة قوله
تعالى ومنكم من يتوفى اي عند بلوغ الاشد او قبله ومنكم من يرد
لشيخوخة وبناه للمجهول اشارة الى سهولته عليه لاستناده لولا
تكرار المشاهدة عند الناظر لتلك القوة والنشاط وحسن التواصل
بين اعضائه والارتباط الى ارذل اي اخس العمر وهو سن الهرم
وينقص قواه لكيلا يعلم من بعد علم كان اوتيه شيأ اي ليعود كهيئته
الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه
وينكر من عرفه حتى يسأل عند من ساعته يقول لكثرة من هذا فتقول
فلانة فما يلبث لخلفة الاسالك منه فان قيل هذه الحالة لا تحصل
لكل مبني لقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات لكن قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر الى هذه الحالة وقد

علم

علم بعود الانسان في ذهاب العلم وصغر الجسم الى آخر ما كان عليه في
ابتداء الخلق قطعا ان الذي اعاده الى ذلك قادر على اعادته بعد
الممات ولما تم هذا الدليل على الساعة بحكم المعادات واضح النتايج
وكان اول الايجاد دليلا على الاعادة ذكر تعالى دليلا آخر على البعث
مشاهدا بقوله وترى الارض هامدة اي يابسة ساكنة كسكون الميت
فاذا انزلنا بها الماء اهتزت اي تحركت وتاهلت للاخراج
النبات وربت اي ارتفعت وذلك اول ما يظهر منها للعين وزادت ونمت
بما يخرج منها من النبات الناشئ عن التراب والماء وقوله تعالى وانبتت
مجاز لان الله تعالى هو المنبت واضيف الى الارض توسعا اي انبتت بتقدير
ان الله المنبتة من كل زوج بهيج اي حسن نضير من انشاءات النبات في
اختلاف الوانها وطعومها وروايحها واشكالها ومنافعها ومقاديرها
قال الجلال المحلي من زائدة ولم ار من ذكر ذلك من المفسرين تنبيه
في الاية اشارة الى ان النبات كما يتوجه من نقص الى كمال فكذلك الانسان
اما من يترقى من نقص الى كمال ففي المعاد يصل الى كماله الذي اعد له من
النعيم الغني والعلم والصفا والخلود في دار السلام جبرا عن عوارض
هذا العالم ولما قرر سبحانه وتعالى هذين الدليلين رتب عليهما ما هو
المطلوب والنتيجة وذكر امورا خمسة احدها قوله تعالى ذلك اي المذكور
من ابتداء الخلق الى آخر احياء الارض بان اي بسبب ان الله
الجامع لاوصاف الكمال هو اي وحده الحق اي الثابت الدايم وما سواه
فان ثابتها قوله تعالى وانه يحيي الموتى اي قادر على ذلك والما لما اجرى
النطفة والارض الميتة مثالها قوله تعالى وانه على كل شيء من الخلق وغيره
قدير انما امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون رابعها قوله تعالى وان
الساعة التي تقدم ذكرها وتقدم التحذير منها وهي حشر الخلايق كلهم آتية

لا ريب اي لا شك فيها بوجه من الوجوه لما دل عليها مما لا سبيل الى انكاره بقول
من لا مرد لقوله وهو حكيم لا يخلف ميعاده ولا يسوغ بوجه ان يترك
عباده بغير حساب خامسها قوله تعالى وان الله يبعث بالاحياء من في
القبور يمتفي وعده الذي لا يقبل الخلف وقد وعد الساعة والبعث
فلا بد ان يفي بما وعد ونزل في ابي جهل بن هشام كما قاله ابن عباس
ومن الناس من يجادل اي بغاية جهله في الله اي في قدرته وما يجب له
هذا الاسم الشريف من صفاته بعد هذا البيان الذي لا مثل له ولا
خفاء فيه بغير علم اتاه عن الله على لسان احد من اصفيائه اعم من ان
يكون كتابا او غيره ولا هدى ارشده اليه اعم من كونه بضرورة او
استدلال ولا كتاب منير له نور يضيء لديه انه من الله ومن المعلوم
انه بانتفاء هذه الثلاثة لا يكون جداله الا بالباطل وقيل قوله تعالى
ومن الناس كرر كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين
وقوله تعالى ثاني عطفه حال اي لاوي عنقه تكبرا عن الايمان ثم قال
تعالى واذا تتلى عليه اياتنا ولي مستكبرا والعطف في الاصل كالثني
عن يمين او شمال وقوله تعالى ليضل عن سبيل الله علة للجدال
وقرا ابن كثير وابو عمر وبفتح الياء والباقون بضمها فان قيل على قراءة
الضم ما كان عرضه في جداله الضلال لغيره عن سبيل الله فكيف
علل به وما كان على قراءة الفتح مهتديا حتى اذا جادل خرج
بالجدال عن المهدي الى الضلال اجيب عن الاول بان جداله لما
ادى الى الضلال جعل كانه عرض عن وعن الثاني بان المهدي لما كان
معرضا فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال الباطل جعل كالخارج
من المهدي الى الضلال ولما ذكر فعله وعرته ذكر ما اعد له عليه
في الدنيا بقوله تعالى له في الدنيا خزي اي اهانة وذل وان طال

زمن استدراجه بتنعيمه حتى على الله ان لا يرفع شيئا في الدنيا الا وضعه
وما اعد له في الاخرة بقوله تعالى ونذيقه يوم القيمة الذي يجمع فيه
الخلائق بالاحياء بعد الموت عذاب الحريق اي الاحراق بالنار وعن الحسن
قال بلغني ان احدهم يحرق في اليوم سبعين الف مرة ويقال له حقيقة
او مجازا ذلك اي العظيم العذاب بما قدمت يداك اي بعملك ولكن
جرت عادة العرب ان تضيف الاعمال الى اليد لانها آلة اكثر العمل
واضافة الى ما يودي اليها انكاوان اي وبسبب ان الله ليس بظلام
اي بذي ظلم ما للعبيد وانما هو مجازاتهم على اعمالهم اوان المبالغة للكثرة
العبيد ونزل في العوام من الاعراب كانوا يفدون من المدينة مهاجرين
من باديتهم فكان احدهم اذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت مهرا
فرسه مهرا وولدت امراته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن
ولقد اصبت به خيرا واطمان اليه وان كان بخلافه قال ما اصبت
الا شرا فينقلب عن دينه ومن الناس من يعبد الله اي يعمل على
سبيل الاستمرار والتجدد بما امر الله به من طاعته على حرف تمثيل
لتزلزل كتزلزل من يكون على حرف شفير او جبل او غيره لا استقرار
له وكالذي يصلي طرف من العسكر فان راى غنيمة استمر وان توهم
غير فاطار فنزوذلك معنى قوله تعالى فان اصابه خير اي في الدنيا
اطمان به اي بسببه وثبت على ما هو عليه وان اصابته فتنة اي
محنة وبلية في نفسه وماله انقلب على وجهه اي رجع الى الكفر وعن
ابي سعيد الخدري ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصائب
فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال
ان الاسلام لا يقال فنزلت ولما كان الفتلا به هذا مفسدا لدنياه
ولاخرته قال تعالى خسر الدنيا بفوات ما امله منها ويكون ذلك

بسبب التغيير عليه قال تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وردي ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه والاخر بالكفر لعظم معصيته بقوله تعالى ذلك اي الامر العظيم هو اي لا غيره الخسران المبين اي البين اذ لا خسران مثله ثم بين هذا الخسران الذي رده على ما كان فيه قبل الايمان اشرحي بقوله تعالى يدعو اي يعبد حقيقة او مجازا من دون الله اي غيره من الصنم ما لا يضره ان لم يعبده وما لا ينفعه ان يعبده ذلك اي الدعاء هو الضلال البعيد عن الحق والرشاد الكثير الضلال البعيد من ضلال من ابعد في الشقي ضلاله فطالت وبعدت مسافة ضلاله ولما كان الاحسان جالبا للاقبال لان القلوب جبلت على حب من احسن اليها بين انه ما قبل في جلب النفع انما هو على سبيل الرجاء فقال تعالى يدعو لمن اي من غير ضره بكونه معبودا لانه يوجب القتال والجزي في الدنيا والعذاب في الاخرة اقرب من نفعه الذي يتوقع منه بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى تنبيه علم مما تقرر ان اللام في لمن من لبئس كما قال الجلال المحلي فان قيل الضر والنفع مشتبهان عن الاصنام مشتبه لهما في الايتين وهذا متناقض اجيب بان المعنى اذا حصل ذهب هذا الوهم وذلك ان استهانة سخه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله انه يستشفع به حين يستشفع به يوم القيمة يقوم هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استعراله بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى له الشفاعة التي ادعاها لها وقيل الاية الاولى في الاصنام والثانية في الرؤساء وهم الذين كانوا يعبدون الهم بدليل قوله تعالى لبئس المولى اي الناصر هو ولبئس العشير اي الصاحب قال الرازي وهذا الوصف

بالرؤساء البتة لان ذلك لا يكاد يستعمل في الاوثان فبين تعالى انهم يعدلون عن عبادة الله الى عبادة الاصنام والى طاعة الرؤساء ولما بين سبحانه وتعالى حال الكفار عقبه بحال المؤمنين بقوله تعالى ان الله اي ايجابا مع الجمع صفات الكمال المنزه عن جميع سوايب النقص يدخل الذين امنوا بالله ورسله وعملوا الصالحات بيانا لايمانهم الصالحات من الفروض والنوافل بخالصة النية الشاهدة ببيانهم في الايمان جنات تجري من تحتها اي من اي مكان من ارضها الانهار ولما بين سبحانه وتعالى حال الفريقين قال تعالى ان الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعطاء فيفعل ما يريد من اكرام من يطيعه واهانة من يعصيه لا دافع لرده ولا مانع ويقول تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسله في الدنيا والاخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه فالضمير راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل لم يجر لمذكر في هذه الاية اجيب بان فيها ما يدل عليه وهو ذكر الايمان في قوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا والايمان لا يتم الا بالايمان برسوله وقيل الضمير راجع الى كل من في اول الاية لانه المذكور ومن في الكنايتين ان يرجع الى المذكور اذا امكن ولذلك عول على هذا الكرماني بالنصر الرزق قال ابو عبيدة وقف علينا سايل من بني بكر فقال من ينصرني ينصره الله اي من يعطيني اعطاه الله فكانه قال من كان يظن ان لن يرزقه الله في الدنيا والاخرة فليمد بسبب اي بحبل الى السما اي سقف بيته ليشتد فيه وفي عنقه ثم ليقطع اي ليختنق به بان يقطع نفسه من الارض كما في الصحاح وقيل فليمد حبلا الى سماء الدنيا وليصعد عليه فليجتهد في دفع نصر النبي صلى الله عليه وسلم على الاذى اي فليصل رزقه على النافي وقرا ورش وابو عمرو وابن عامر بكسر

اللام والباقون بسكونها فلينظر ببصره وبصيرته هل يذهبن وان اجتهد
كيده في عدم نصرة النبي صلي الله عليه وسلم او في تحصيل رزقه ما
يغيظ من ذلك والمعني فليختنق غيظا فلابد من نصرته صلي الله عليه
وسلم واعلاء كلمته وان ذلك لا يغيب الفتيلة فان الارزاق بيد الله
لا تنال الا بمشيئة الله سبحانه وتعالي وهذا كما يقال لمن ادبر عنه امر
فجزع اضرب براسك الحجر اذا لم ترض هذا مت غيظا وجوز ذلك
وكمال انه ان لم يصبر طوعا فيصبر كرها واختلف في سبب نزول
هذه الاية علي القول الاول فذكروا فيها وجوها احدها كان قوم
من المسلمين لشدة غيظهم علي الكفار يستبطيؤن ما وعد الله
ورسوله من النصر فنزلت ثانيها قال مقاتل نزلت في نفر من اسد
وغطفان قالوا نخاف ان الله لا ينصر محمدا فينقطع الذي بيننا وبين
حلفائنا من اليهود فلا يميرونا ثالثها ان حساده واعداءه كثيرة
ان الله ينصره غاظهم ذلك وكذلك اي ومثل ما انزلنا هذه الايات
لبيان حكمها واظهار اسرارها انزلناه اي القرآن الباقي وقوله
تعالي ايات بينات اي معجزات نظمها كما كان معجزا حكمها حال وقوله
تعالي وان الله اي الموصوف بالاكرام كما هو موصوف بالانتقام يهدي
اي بآياته من يريد اي هدايته او بتثبته علي الهدي معطوف علي
محال انزلنا وقال تعالي وان الله يهدي من يريد اتبعه ببيان
من يهديه ومن لا يهديه وبدا بالقسم الاول بقوله ان الذين امنوا
بالله ورسوله وعبر بالفعل ليشمل الاقرار باللسان الذي هو احد وجوه
الايمان ثم اسرع في القسم الثاني بقوله تعالي والذين هادوا
اي انتحلوا دين اليهودية والصابئين وهم فرقة من النصاري سميت

بذلك

بذلك قيل نسبتها الي صابي عم نوح عليه السلام وقيل لخروجهم عن دين
الي دين آخر واطلاق الصابئة علي هذا هو المشهور وقيل لانهم يقولون
اصول دينهم فتخار منا كحتهم وذبائحهم فلا تخار منا كحتهم وتطلق علي
اناس علي قوم اقدم من النصاري يعبدون الكواكب السبعة ويقيمون
الاثار اليها ويقولون الصانع المختار فهو لا لا تخار منا كحتهم وذبائحهم
الا صطخري والجاحظي بقتلهم لما استفتي الظاهر العقها فيهم فقالوا
لهم الحكمة فتركهم فالصابئة تقدم وتراثا فع بالباء التحتية بعد الباء
والباقون بميم مكسورة بعد التاء المثلثة والنصاري اي الذين انتحلوا
دين النصرانية والمجوس قال قتادة هم عبدة الاوثان قال مقاتل الاديان
كلها ستة واحد للرحمن وهو الاسلام وخمسة للشيطان وقيل
خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن فجعل الصابئين مع النصاري
لانهم نوع منهم كما مر علي المشهور وقد تقدم الكلام علي هذه الاية في
سورة البقرة والذين اشركوا ان الله الذي هو احكم الحاكمين يفصل بينهم
بينهم يوم القيمة بادخال المؤمنين الجنة وعذبهم النار وادخلت ان علي
كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التاكيد ونحوه قول جرير ان الخليفة
ان الله سربله سربال ملكة به ترجي الخواتيم ثم علل ذلك بقوله تعالي
ان الله اي الجامع لجميع صفات الكمال علي كل شيء من الاشياء كلها شهيد
اي عالم به مشاهده الم تر اي تعلم ان الله يسجد له اي يخضع منقادا
لامره مسخرا لما يراد منه شيء من هو في غاية الاجتهاد في العبادة مع
والاخلاص فيها من في السموات ومن في الارض ان خضعت بذلك العاقل
لهم خضوع غيره من باب اولي واذا دخلت غير العاقل غلبا التغليب
ثم انبه باشرف ما ذكر مما لا يعقل للاذكار من عبد من دون الله او
عبد شيء منه فقال تعالي والشمس والقمر والنجوم مما الاجرام العلوية

وقمر الشمس جمع والقمر كناية والدبران يتبعهم والمشعر لحم والثريا
طي وعطارد اسد قاله ابو حيان روي عن عمر وبن دينار قال
سمعت رجلا يطوف بالبيت ويبكي فاذا هو طاوس فقال اعجبت
من بكائي قلت نعم قال وارب الكعبة ان هذا القمر ليبكي من خشية
الله ولا ذنب له ثم اتبع ذلك اعلا الذوات السفلية فقال والحجارة
اي التي اتخذت منها الاصنام والشجر اي التي عبد بعضها والدواب اي
التي عبد منها البقر كل هذه الاشيا تنقاد لامر الله ولا تابى عن
تدبيره وكثير من الناس وهم الموصوفون بزيادة الخضوع بحيث يجر بجودا
هو منه عبادة مشروعة فحق له الثواب وكثير اي من الناس حق
عليه العذاب وهم الكافرون لانهم ابوا السجود الحق فحق عليهم الحرمان
ومن يهن الله اي يشقه فما له من مكرم اي مسعد لانه لا قدرة لغيره
اصلا ان الله اي الملك الاعظم يفعل ما يشا من الاكرام والاهانة
لا مانع له ان رجلا يتكلم في المشيئة فقال له علي يا عبد الله حقك
ان تعلم ما تشا ولما تشا قال بل لما تشا قال فيمرضك اذا شاء
اذا شئت قال بل اذا شاء قال فيشفيكم اذا شاء واذا شئت قال
بل اذا شاء قال فيذهب خلقك حيث شاء وحيث شئت قال بل حيث شا
قال والله لو قلت غير ذلك لضربت الذي فيه عيناك بالسيف
ولما بين تعالى ان الناس قسمان منهم من يسجد لله ومنهم من
حق عليه العذاب ذكر كيفية اختصامهم بقوله تعالى هذان خصمان
اي المومن وخصمه والكفار الخمسة خصم وهو يطلق على الواحد
والجماعة وقرا ابن كثير بتشديد النون والباقون بالتخفيف اختصموا
اي ارقعوا الخصومة لغاية الجد في ربهم اي في دينه وروي عن
قيس بن عباد قال سمعت اباذر يقسم قسما ان هذه الاية هذان

خصمان

خصمان اختصموا في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي
وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة
اخرجاه في الصحيحين وعن ابن عباس قال لما بارز علي وحمزة
وعبيدة وشيبة وعتبة والوليد قالوا لهم تكلموا نعرفكم قال انا
علي وهذا حمزة وهذا عبيدة فقالوا الاكفاء كرام فقال علي بعضكم
ابى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال عتبة هلم المبارزة
فبارز عليا شيبة فلم يلبث ان قتله وبارز حمزة عتبة فقتله
وبارز عبيدة الوليد فصعب عليه فاتى عليه فقتله فنزلت
وعن قتادة نزلت الاية في المسلمين واهل الكتاب فقال اهل
الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ودعنا ولي بالله منكم
قال المسلمون كتابنا يقضي على الكتب كلها ونبينا صلى الله
عليه وسلم خاتم الانبيا فنحن اولى بالله منكم وعن ابن عباس
انما نزلت كذلك لان اهل الكتاب يحتجون اولي بالله واقدم
بين ايديكم كتابا وبنينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن احق بالله
منكم امنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم واعنا بنبيكم وبما انزل الله
من كتاب وانتم تفرقتم في نبيكم وكتابكم ثم كفرتم وتقدم به حسد
فهذه خصومتهم في ربهم وقتلى المومنين نعرا الكافرون وعن ابي ملة
كانوا فالمومنون خصم والكفار خصم وقيل لكل منهما اضافة والنار
اخرج عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين
والمتجبرين وقالت الجنة فما لي لا يدخلني الا ضعفا الناس
وسقطهم فقال تعالى الله عز وجل للجنة انت رحمتي ارحم بك
من اشا من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من

النار من عبيدي ولكل واحد منكما ملؤها وعن عكرمة قالت النار خلقني
الله لعقوبته وقالت الجنة خلقني الله لرحمته وهذا القول بعيد
عن السياق لان الله تعالى ذكر جزاء الخصمين بقوله تعالى فالذين كفروا
وهو المفصل بينهم المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة
قطعت اي قدرت لهم على مقادير جثثهم ثياب من نار نيران تحيط
بهم احاطة الثياب سابغة عليهم كما كانوا يلبسون الثياب في الدنيا
فاخارت بكى وعن ابي ايهم التيمي انه قال سبحان من قطع من
النار ثيابا وعن سعيد بن جبير قال قطعت من نحاس وليس من
الانية شيء اذا حمي اشد حرارة منه وقال في قوله يصب اي اذا دخلوها
من فوق رؤسهم الحميم قال ابن الخباز يذاب على رؤسهم ولكن
المشهور انه الماء الحار وعن ابي سعيد لو سقطت منه نقطة على
جبال الدنيا لاذابتها والجملة حال من الضمير في لهم او خبر ثان
واليم والباقون بكسر الميم ءا وضم الميم هذا في الوصل فان وقف
على رؤسهم فالجميع بكسر الميم وسكون الميم وحمزة على اصله في
الوقف على رؤسهم بتسهيل الهمزة يصهر اي يذاب من سائر
حرارته بما في بطونهم من شحم وغيره والجلود فيكون اثره في الباطن
والظاهر سواء وقال ابن عباس يسقون ما اذا دخل بطونهم اذابها
والجلود مع البطون ولهم مقامع جمع مقمعة بكسر الميم وفتح وهو عمود
حديد وقيل سوط يضرب به الوجه والراس ليرد المضروب عن
مراده ردا عنيفا ثم نفى الخباز بقوله تعالى من حديد اي يضربون بها
روي ابو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو
ان مقمعا من حديد وضع في الارض فاجتمع الثقلان ما اقلوه من

الارض

الارض ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اي من تلك الثياب او من النار من غم اي كلما حاولوا
الخروج من النار لما يلحقهم من اللهب والكرب الذي باخذ بانفاسهم اعيدوا
فيها اي يردوا اليها بالمقامع وعن الحسن انهم يضربون بلهب النار
فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين
خريفا وعن الفضيل بن عياض قال والله ما ظنوا في الخروج لان
الارجل مقيدة والايدي موثقة ولكن يرفعهم لهبها وتردهم المقامع
وعن الحسن قال كان عمر يقول اكثروا ذكر النار فان حرها شديد
وقعرها بعيد وان مقامعها من حديد وقيل لهم ذوقوا عذاب
الحريق اي البالغ غاية الاحراق ولما ذكر تعالى ما للاحد الخصمين
وهم الكافرون اتبعه ما للاخر وهم المؤمنون وغير الاسلوب فيه
فلم يقل والذين امنوا عطفا على الذين كفروا واسند الادخال
فيما الى الله تعالى والكرامة بان اجاد الحال المؤمنين وتعظيما لشانهم
فقال ان الله الذي له الامر كله يدخل الذين امنوا بالله ورسله
وعملوا تصديقا لايمانهم الصالحات من الفرض والنوافل الخالصة
الشاهدة بثباتهم في الايمان جنات تجري اي دائما من تحتها الانهار
اي المياه الواسعة اينما اردت من ارضها جري لك ممثل في مقابلة
ما يجري من فوق رؤس اهل النار عن معاوية عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر
الخمر ثم تشقق بعد اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح يحلون
فيها من حلية المراة اذ البست تحلي في مقابلة ما يزال من بواطن
الكفرة وظواهرهم وقوله تعالى من اساور صفة مفعول محذوف اي
حليا من اساور من للابتداء او تبعيضية واساور جمع اسورة وهي

جمع سوار ولما كان المقصود هنا علي التنوين المعطية الي الانعام بالفضل
سرت اليه باعلي ما يعرف من الكلية فقال من ذهب وقوله تعالي ولؤلؤ
معطوف علي اساور لا علي ذهب لانه لم يعهد السوار من اللؤلؤ
يراد الصفة وعن ابي موسي الاشعري ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم قال الجنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما
وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الي ربهم الا رداء الكبر ياعلي
وجهه في جنة عدن وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم ان ادني اهل الجنة لمن يتمني فيتمني ويتمني حتي
والمغرب اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقرا نافع وعاصم
بنصب الهمزة الثانية مع التنوين عطفا علي محل اساور او اضمار
الناصب مثل ويؤتون والباقون بالخفض مع التنوين وابدال الهمزة
الاولي الساكنة حرف مد العوسجي وابو بكر عند حالة الوصل واما
الوقف فهمزة بعد الالف الاولي وادا لكن الثانية تبدل واوا وله ايضا
فيها الروم وقوله ولباسهم فيها حرير وهو الابريسم المحرم لبسه علي الرجال
المكلفين في الدنيا في مقابلة لباسهم الكفار كما كان لباس الكفار في
الدنيا حريرا وابريسما ولباس المؤمنين دون ذلك وقد ورد في الصحيحين
عن عبد الله بن الزبير عن عمر رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم
قال لا تلبسوا الحرير فانه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الاخرة
قال ابن كثير قال عبد الله بن الزبير ومن لم يلبس الحرير في الاخرة
لم يدخل الجنة قال الله تعالي ولباسهم فيها حرير انتهي وفي الصحيحين
ايضا عن عمر رضي الله تعالي عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال
انما يلبس هذا من لا خلاق له في الاخرة قال النقاعي فيتوسك الكفار
بالكفار في لباسهم ان يلحقهم الله بهم فلا يموت مسلما اه والاولي ان

بجا

يجاز ذلك علي انه لا يلبسه مع السابقين فانه من مات علي الاسلام لابد
من دخوله الجنة او علي من استحقه الجنة او علي من استحله من الرجال
المكلفين وهدوا اي في الدنيا الي الطيب من القول قال ابن عباس كلمة
ان لا اله الا الله وقيل هو لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله وسبحان الله
وقال السدي هو القران وقال عطا هو قول اهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا
وعده وهدوا الي صراط الحميد اي طريق الله المحمود وهو دينه فكان فعلهم
حسنا كما كان قولهم حسنا فدخلوا الجنة التي هي اشرف دار عند خير جار
وحلوا فيها اشرف محل كما تحلوا في الدنيا باشرف الثياب مع الطرائق عكس
الكفار فانهم ارتدوا الفاني لحضوره واعرضوا عن الباقي مع شرفه فليتدبر
ذو لب ثار كما اراد ان يجزجوا منها اعيد وانيها ما ذكر بعد ما فصل
بين الفريقين حرمة البيت وعظم جرم من صد عنه فقال تعالي ان الذين
كفروا اي اوقعوا هذا الفعل الخبيث وصح عطف ويصدون وان كان مضارعا
علي الماضي لان المضارع قد لا يلاحظ منه زمان معين من حال او استقبال
بل يكون المقصود منه الدلالة علي مجرد الاستمرار كما يقال فلان يحسن
الي الفقراء يراد حال الاستقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان
منه فالصدود منهم مستمر دايم للناس عن سبيل الله اي طاعته باقسامهم
طرق مكة يقول بعضهم لمن يمر به خرج فينا ساحر واخر يقول كاهن فلا تسمعوا
منه فانه يريد ان يردكم عن دينكم حتي قال من اسلم لم يزل الوابي حتي
جعلت في اذني الكرسف مخافة ان اسمع شيا من كلامهم وكانوا يؤذون
من اسلم الي غير ذلك من انواعهم ويصدون عن المسجد الحرام ان تقام
شعايره من الطواف بالبيت والصلاة والحج والاعتمار ممن هو اهله
ذكره ابن ابيا بنيامه وصفه بما يبين شدة ظلمهم في الصد عنه بقوله
تعالي الذين جعلناه اي بالنا من العظمة للناس اي كلهم ثم بين جعله

لهم بقوله تعالى سواء العاكف اي المقيم فيه والبادي اي الطارئ من البادية
وهو الجاي اليه من غربة وقال بعضهم يدخل في العاكف الغريب اذا
جاور لزم التقييد واذا لم يكن من اهله قال الزمخشري وقد استشهد
بهذا اصحاب ابي حنيفة قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على
امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وروي ايضا هو مذهب ابن
عمر وعمر بن عبد العزيز واسحاق الحنظلي المعروف بابن راهويه
قال البيضاوي وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا
من ديارهم وسكنى عمر دار السجن فيها من غير نكير اه ورجح الواحدي
الضعف بقوله لان العاكف قد يراد به الملازم للمسجد المعتكف فيه
على الدوام وفي الاكثر فلا يلزم ما ذكر ويحتمل ان يراد بالعاكف
المجاور للمسجد الممكن في كل وقت من الاوقات من المتعبد فيه
فلا وجه لصرف الكلام عن ظاهره مع هذه الاحتمالات التي واستدل
الحنفي ايضا للجواز بقوله صلى الله عليه وسلم لما قاله له اسامة بن زيد
يا رسول الله اتنزل غدا في دارك بمكة فقال وهل ترك لنا عقيل من
رباع او ربع وكان عقيل ورث ابا طالب دون علي وجعفر
لانهما كانا مسلمين ولا يورث الاسكان الميت ما لكالة قاله الزرقاني
ويكره بيعها واجارتها للخروج من الخلاف وناز عه النووي في
مجموعه وقال انه خلاف الاولى لانه لم يرد فيه نهي مخصوص والاصل
في قال الزركشي هو المنصوص صريحا واعترض على النووي بانه صريح
بكراهة بيع المصحف والشطرنج ولم يرد في ذلك نهي مخصوص فيه
محل الخلاف بين العلماء في بيع نفس الارض اما البناء من مملوك
يجوز بيعه بلا خلاف اي اذا لم يكن من اجزاء ارضها قبل ان اسحاق
الحنظلي ناظر الشافعي بمكة في بيع دور مكة فاستدل الشافعي

بما مر

بما مر واستدل هو على المنع بقوله حدثني بعض التابعين بانهما لا يباع
قال له الشافعي لو قام غير ك مقامك لامرت بهدمك اذ ليس لك ان
تأوي رسوله تقوله حدثني بعض التابعين وقال الرازي قال اسحاق
فلما علمت ان الحجة لزمتني تركت قولي وقرأ حفص سواء بالنصب على
انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا العاكف فيه والبادي
والباقون بالرفع على ان الجملة مفعول ثان لجعلناه ويكون للناس
حالا من الضمير ويصح ان يكون حالا من المستكن في للناس ان جعله
مفعولا ثانيا لجعلنا وقرأ ورش وابو عمرو والبادي باثبات الياء
بعد الدال وصلا لا وقفا واثبتها ابن كثير وقفا ووصلا وحذفها
الباقون وقفا ووصلا ومن يرد فيه اي المسجد الحرام بالحاد بظلم اي
يميل الى الظلم والالحاد العدول الى التعدي واصله الحاد كافر وقيل
الالحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شيء نهي عنه من
قول او فعل حتى يشتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير احرام او ارتكاب
شيء من محظورات الاحرام من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن عباس
لو ان رجلا هم بقتل فيه من لا يقتله او بظلم فيه من لا يظلمه وقال مجاهد
لو هم رجل بعدن ابين بسيئة بمكة كما لقنا عذب الحسنات وقال سعيد
ابن جبير احتكار الطعام بمكة بدليل ما روي عن علي بن امية ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احتكار الطعام في الحرم
الحاد وعن عطاء قوله الرجل في الصباية للوالله بلى والله وعن عبد
الله بن عمر انه كان في الصباية له فسطاط فان احدهما في الحل والآخر
في الحرم فاذا اراد الله ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له كنا
نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله
تنبيه قوله بالحاد بظلم حالان من مراد فان ومفعول يرد متروك

يتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عاد لاعن القصد ظالما
نذقه من عذاب اليم اي مؤلم اي بعضه وخبر ان محذوف لدلالة جواب
الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد
الحرام نذيقهم من عذاب اليم فكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك
فينبغي لمن كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في
جميع ما يهم به ويقصده ولما ذكر تعالى الفريقين وجزآ كلا وختمه بذكر
البيت اتبعه التذكير به فقال تعالى واذ اي واذكر اذ بوانا لابراهيم
مكان البيت اي جعلنا له مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه
للعمارة والعبادة فان البيت رفع الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة
حمراء فاعلم الله ابراهيم عليه السلام مكانه بريح يقال له الهجوج فكشفت
ما حوله فبناه على اساسه القديم وقيل بعث الله تعالى سحابة بقدر البيت
فقامت بحيال البيت وفيها راس يتكلم يا ابراهيم ابن علي دوري فبنى
عليه وعن عطاء بن ابي رباح قال لما اهبط الله آدم عليه السلام كان
رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع اهل السماء دعاءهم رأس
الهم فرفعت الملائكة منه حتى شكت الى الله تعالى فنى دعاءها الى الله
تعالى وقيل في صلاتها فاخفضه الله الى الارض فلما قدم كان
بين مكة والطائف وقيل اول من بنى البيت ابراهيم لما روي في
الصحيحين عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اول
قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال بيت المقدس قلت كم بينهما قال
اربعون سنة ثم فسر التبوية بقوله تعالى ان لا تشرك بي شيئا
من امر العبادة وراسها وعطف على النهي قوله تعالى وطهر بيتي اي
كل ما لا يليق به من الاوثان والاقذار وطواف عريان به كما كانت
العرب تفعل للطائفين اي الذين يطوفون بالبيت فان قيل كيف
يكون

يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوية اجيب
بان التبوية لما كانت مقصودة من اجل العبادة فكانه قيل نتبدنا ابراهيم
فقلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين وقال ابن عباس للطائفين
بالبيت من غير اهله والقائمين اي المقيمين والركع السجود اي المصلين
من الكل وقال غيره القائمون هم المصلون لان المصلي لا بد ان يكون في
صلاته جامعا بين القيام والركوع والسجود قال البيضاوي وكرر لعله
عبر عن الصلاة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل بانتفاء
ذلك كيف وقد اجتمعت واذن في الناس اي اعلمهم وناد فيهم بالحج
وهو قصد البيت على سبيل التكرار للعبادة المخصوصة بالمشاعر
المعروفة وفي المامور به ذلك قولان احدهما وعليه اكثر المفسرين ان
ابراهيم عليه السلام قال لما فرغ من بناء البيت قال الله تعالى له اذن
في الناس بالحج قال يا رب وما يبلغ صوتي قال عليك الاذان وعلي
البلاغ فصعد ابراهيم الصفا وفي رواية اخرى ابا قبيس وفي اخرى
على المقام قال ابراهيم كيف اقول قال جبريل قل لبيك اللهم لبيك فهو
اول من لبى وفي رواية اخرى صعد على الصفا فقال يا ايها الناس ان
الله كتب عليكم الحج هذا البيت العتيق فسمعه ما بين السماء والارض فما بقي
شيء سمع صوته الا اقبل يلبي يقول لبيك وفي رواية اخرى ان الله يدعو على
ابي قبيس بصيته اكرام ليثيبكم به الجنة ويجيركم من النار فاجابه يوم
من كان في اصلاب الرجال وارحام النساء وكل من وصل اليه صوته من
حجر او شجر او بلله او تراب قال مجاهد فمن حج اليوم انما يلبي لدعوة
ابراهيم احد حتى تقوم الساعة الا وقد اسمعه ذلك النداء فمن اجاب مرة حج مرة ومن
اجاب مرتين او اكثر فبقدر ذلك المقدار وفي رواية فنادى
على جبل ابي قبيس يا ايها الناس ان ربكم بنى بيتا واوجب الحج عليكم

اليه فاجيبوا بكبر والتفت بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا فاجابه كل من
كتب له الحج وان يحج من اصلاب الرجال وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك
وعن ابن عباس قال لما امر الله تعالى ابراهيم بالاذان قام على الجبال
وحفضت وارتفعت له القرى العقول الثاني ان المامور بذلك هو النبي
صلى الله عليه وسلم وهو قول الحسن واختيار اكثر المعتزلة واحتجوا
عليه بانه ساجاء في القران وامكن حمله على ان محمدا صلى الله عليه وسلم
هو المخاطب به فهو اولى لان قوله تعالى واذن بالحج اقتضاه واذكر يا محمد
اذ بوانا لابراهيم في حكم الماذكور فاذا قال تعالى واذن فانه يرجع الكلام
اما ان يقال ذلك في حجة الوداع روى عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد
فرض عليكم الحج فحجوا فجواب الامر ياتوك اي ياتوا بيتك الذي بينته
لذلك مجيبين لصوتك باذنا سامعين طايعين محبتين حاشية
من اقطار السموات والارض كما يجيبون صوت الداعي من قبلنا اذا
دعاهم بعد الموت بمثل ذلك رجالا اي مشاة على ارجلهم جمع راجل
كقايم وقيام وركبانا على كل ضامر اي بعير مهزول وهو يطلق على
الذكر والانثى تنبيه على كل ضامر مرحال معطوف على حاله كانه قال
رجالا وركبانا وقوله تعالى ياتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع
من كل فج اي طريق واسع بين جبلين عميق اي بعيد روى سعيد
ابن جبير عن ابن عباس باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الحاج الراكب له بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة قيل
وما الحسنات يا رسول الله قال حسنات الحرم قيل يا رسول الله وما حسنات الحرم قال
كل حسنة بمائة الف حسنة وفي هذا دلالة على ان المشي افضل من
الركوب وفي ذلك خلاف من الائمة محله كتب الفقه ولما كان الانسان

حيا الا

يا لا الى الفوايد مستوفا الى جميع الفوايد علل الاتيان بما يرغب فيها
من فضله ما يقصد من امر المعاش بقوله تعالى ليشهدوا اي يحضروا
منافع لهم واختلف في تلك المنافع فبعضهم حملها على منافع الدنيا
وبعضهم يختص في ايام الحج وبعضهم حملها على منافع الاخرة وهي الغفران
وبعضهم حملها على الامرين جميعا وهو كما قال الرازي اولى فيأتون
تلك المنافع ينتفعون من مشعر من مشاعر الحج ومن مشاهده الى
مسجد يجمعون بالدعوة خاشعين بالهيبة خايفين من السطوة راجين
للمغفرة ثم ينصرفون الى منازلهم ومواطنهم ويتوجهون الى مساكنهم
كالسايرين الى مواقف الحشر يوم البعث والنشر المستقرين الى دار ربهم
النعيم والحجيج دنيا يا المصدقون بان خليلنا ابراهيم عليه السلام اذن
بالحج فاجابه بقدرتنا كرامة له من اراد الله تعالى حجه على بعد اقطارهم
وتنائي دارهم ممن كان موجودا في ذلك الزمان ومن كان في ظهور
الاباء والامهات الاقربين والابعدين صدقوا ان الداعي من قبلنا بالنفخ
في الصور يجمعهم كلا من كان على ظهرها ممن حفظنا لرحمه و
سلطنا عليه الارض فمزقنا حتى صار ترابا وما بين ذلك لاذ الكل
علينا بيسير قال الزمخشري وعن ابي حنيفة رحمه الله كان دنيا
بدء العبادات كلها قبل ايجاب فلما اوجب فضل الحج على العبادة كلها لما
شاهد من ذلك الخصايص ولما كانت المنافع لا تطيب وتتم الا بالتقوى
وكان الحامل على التقوي ذكر الله تعالى قال تعالى ويذكروا اسم الله
اي اجامع لجميع الكمالات بالتكبير وغيره عند الذبح وعينه وقيل كني
بالذكر عن الذبح لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على ان المقصود
مما يتقرب به الى الله تعالى ان يذكر اسمه واختلف في الايام المعلومات
فيقول تعالى في ايام معلومات فالذي عليه اكثر المفسرين وهو

ضد

اختيار الشافعي وابي حنيفة انه عشر ذي الحجة واحتجوا بانها معلومة
عند الناس بخبرهم على عملها من اجل ان وقت الحج في اخرها ثم المنافع
اوقات من العشر معروفة كيوم عرفة والمشعر الحرام ولتلك الذبائح
وقت منها وهو يوم النحر وعن ابن عباس انها ايام التشريق وبه قال ابو
عرفة الي آخر ايام التشريق واستدل لهذا بقوله تعالى على ما رزقهم
من بهيمة الانعام وهي الابل والبقر والغنم من الهدايا والضحايا اي
يذكروا اسم الله تعالى عند نحرها وذكر الضحايا والهدايا يكون في هذه
الايام ولتقدم الكلام على الايام المعدودات في سورة البقرة يكفي قوله
تعالى واذكروا الله في ايام معدودات وقوله تعالى فكلوا منها اي من
لحومها امر اباحة وذلك ان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من لحوم هداياهم
شيأ فامر الله تعالى بعكس فعلهم واتفق العلماء على ان الهدي اذا كان
تطوعا يجوز للمهدي ان ياكل منه وكذلك اضحيته التطوع لما روي
عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع فاتي علي ببدن من اليمن
وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر منها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة وعهد علي مائة فجعل
ما بقي واشركه في بدنة ثم امر من كل بدنة ببضعة اي بقطعة
فجعلت في قدر فطبخت فاكل من لحمها وشرب من مرقها احرجه
مسلم واختلفوا في الهدي الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران
والدم الواجب بافساد حج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي ان
ياكل منه شيأ قال الشافعي رضي الله عنه لا ياكل منه شيأ وكذلك كل ما
اوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر رضي الله عنهما لا ياكل من جزاء
الصيد والنذر وياكل مما سوى ذلك وبه قال احمد واسحاق وقال
مالك ياكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه الا من فدية الاذى

وجزاء

وجزاء الصيد والنذر وعند اصحاب ابي حنيفة انه ياكل من كل دم التمتع والقران
ولا ياكل من واجب سواهما وقوله تعالى ولطعموا البائس اي الذي اصابه
بوس اي شدة الفقر اي المحتاج امرا ايجابيا وقد قيل به في الاول ثم ليقضوا
تفثهم اي ليزيلوا وسخهم وشعثهم كقص الشارب والاظفار ونتف
الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم من الهدايا والضحايا
وليطوفوا طواف الافاضة الذي به تمام التحلل بالبيت العتيق اي القديم
لانه اول بيت وضع للناس وقال ابن عباس سمي عتيقا لان الله تعالى
اعتقه من تسلط الجبابرة فلم يسر اليه ليهدمه فمنعه الله
تعالى منه فان قيل قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع اجيب بانه ما
قصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه
ثم بناه ولما قصد التسلط عليه ابرهة فعل به ما فعل وقيل
لان الله تعالى اعتقه من الغرق فانه رفع في ايام الطوفان
وقال مجاهد لانه لم يملك قط وقيل بيت كريم اي العتيق بمعنى الكريم
من قولهم عتق الجيل والطير والطواف ينقسم الى ثلاثة اقسام
يدخل وقته بعد الوقوف وهذا لا يجبر بدم لانه ركن الثاني طواف
الوداع ووقته عند ارادة السفر من مكة وهو واجب يجبر تركه
بدم الثالث طواف القدوم وهو مستحب للحاج او الكلال اذا قدم
مكة روت عائشة رضي الله تعالى عنها اذا اول شيء بدا به حين
قدم النبي صلى الله عليه وسلم انه توضأ ثم طاف ثم لم يكن عمرة
ثم حج ابو بكر وعمر مثله وقرا ابن ذكوان وليوفوا وليطوفوا بكسر
اللام فيهما والباقون باسكانهما وفتح ابو بكر الواو من وليوفوا وشد
الفاء وقوله تعالى ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر او الشان ذلك
المذكور كما تقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد

الكون في معنى آخر قال هذا فقد كان كذا ومن يعظم اي بغاية تعظيمه حرمات
الله ذي الجلال والاكرام كلها وهي ما لا يحل انتهاكه من مناسك الحج
وغيرها وقيل الكعبة والبيت الحرام والمسجد الحرام والبلد
الحرام والشهر الحرام والحرم حتى يحل فهو اي التعظيم الكامل له على
امتثال الامر فيها على وجهه واجتناب المنهي عنه كالذبح بغير اسم
غير الله والطواف عريانا خير كائن له عند ربه اي الذي الذي اليه
كلها هو فيه من النعم في الاخرة ومن انتهاكها فهو شر عليه عند ربه
ثم انه تعالى بين احكام الحج بقوله تعالى واحلت لكم الانعام اي اكلها
بعد الذبح وهي الابل والبقر والغنم الا ما يتلى اي علي سبيل التجديد مسرد
عليكم تحريمه في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الاية والاستثناء منقطع
ويجوز ان يكون متصلا والتحريم لما عرض من الموت ونحوه فاجتنبوا
علي حدوده وايا كم ان تحرموا مما احل شيأ كتحريم عبدة الاوثان
البحيرة والسائبة وغير ذلك وان تحلوا مما حرم الله شيأ كاكلكم
اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك وما فهم من ذلك حل السوايب
وما معها وتحريم المذبوح للانصاب وكل سبب ذلك كله الاوثان
تسبب عنه قوله تعالى فاجتنبوا اي بقاية التجنب ابدا بيكم ابراهيم
عليه السلام الذي تقدم الاضافة له بمثل ذلك عند جعل البيت له
حنفاء الله اي الحذر الذي من حقه ان يجتنب من غير امر ونهي بينه
وبينه بقوله تعالى من الاوثان اي الذي هو الاوثان كما يجتنب
الانجاس وهو بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من
الدراهم وسمي الاوثان رجسا وكذا الخمر والميسر والازلام على
طريق التشبيه يعني انكم كما تتفرون طبايعكم من الرجس ويجتنبه

فعليكم ان تتفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى
لقوله تعالى رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه حيث العلة في اجتنابه
انه رجس والرجس مجتنب وقوله تعالى واجتنبوا قول الزور تعميم
بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس الزور لان المشرك زاعم
ان الوثن يستحق العبادة كانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي
راس الزور واجتنبوا قوله الزور كله لا تقربوا عنه اشيا لمتادية
في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيلة عبادة الاوثان والزور
من الزور من الازوراد وهو الانحراف كما ان الافك من افكه اذا صرفه
فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل قول الزور قولهم هذا
حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترايهم وقيل هو قول المشركين
في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك
وقيل هو شهادة الزور لما روي ابو داود والترمذي انه صلي الله
عليه وسلم صلي الصبح فلما سلم قام قايما مستقبل الناس بوجهه
الكريم وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله قالها ثلاثا وتلي
هذه الاية وقوله تعالى حنفاء لله اي مسلمين عادلين عن كل دين
سوي دين الاسلام غير مشركين به تاكيد لما قبله وسما حال الذين من
الوارد من يشرك اي يوقع شيأ من الشرك بالله الذي له العظمة كما يشي
من الاشيا في وقت من الاوقات فكانما خر اي سقط من السما لعلو مكانه
فيه من اوج التوحيد وسفول ما سخط اليه من حضيض الاشراك
تخطفه الطير اي تاخذه بسرعة وهو نايل في الهوي قبل ان يصل الي
الارض او تهوي به الريح اي حيث لم يجد في الهوي ما يملكه في مكان
من الارض سحيق اي بعيد فهو لا يرجي خلاصه تنبيه قال الزمخشري
يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها

مركبا كانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه هلاكا كليس بعده
هلاك بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير
فتفرقت موزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض
المطارح البعيدة وان كان مغرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء
والذي تركه الايمان واشرك بالله كالساقط من السماء والاهوية التي
تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي
الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة
اه قوله ليطوح به الخ من باب قتل للتاكيد قال الجوهري طوحه اي ذهب
وذهب به هاهنا وههنا وعن ابن نافع بفتح الخاء وتشديد الطاء الباقون
باسكان الخاء وتشديد الطاء اعظمها تقدم من التوحيد وما هو
مسبب عنه بالاشارة بادراة البعد فقال تعالى ذلك اي الامر العظيم
الكبير ذلك ممن دعاه فاز ومن حاد عنه خاب ثم عطف عليه ما هو
اعم من هذا القدر فقال تعالى ومن يعظم شعائر الله جمع شعيرة
وهي البدن التي تهدى للحرم لانها من معالم الحج بان يختارها عظام الاجرام
حسانا سمانا غالية الاثمان ويتركم المكاس في شرائها فتكاثر
غاليا وذلك في ثلاث ويكره من المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة
وروى ابن عمر عنه ابيه رضي الله عنهما انه اهدى لحسة طلبت
منه بثلاثمائة دينار فسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها
ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة
من ذهب وقال ابن عمر يسوق البدن محللة بالقباطي فلية هدى
بلحومها وجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته
المعظم امر عظيم لابد ان يقام بعد ويسارع فيه فانها اي تعظيمها

من

من تقوى القلوب فمن للابتداء ان جعلت تبعيضية فلابد من حذف تقديره
فان تعظيمها من افعال ذوي التقوى القلوب فحذفت هذه المضافات
ويستتيم المعنى الابتقديرها لانه لابد من راجع من الكبرى الى من ليرتبط وانما
ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها
في سائر الاعضاء وسميت تلك البدن شعائر لاشعارها بما يعرف بدانها
هدي كطعن حديثة بسنامها قال البغوي ولعله ماخوذ من الشعر لانها
اذا جرحت تقطع شيء من شعرها او ازيل عن محل الجرح فيكون من
الالة لكم فيها اي البدن منافع كركوبها والحمل عليها بالاجرة وغيرها وعن
ابراهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب وقال
اصحاب الراي لا يركبها الا اذا اضطر اليها الى اجل مسمى وهو وقت نحرها
ثم محلها اي مكان حل نحرها الى البيت العتيق اي عتقه والمراد اكرام جميعه
وقيل المراد بالشعائر المناسك ومشاهد الحج وبالمنافع الاجر والثواب
في هذا المناسك الى انقضاء اجالها وتحملها تحمل الناس في احرامهم الى
البيت يطوفون به طواف الزيارة ولكل امة اي جماعة مومنة سلفت قبلكم
جعلنا منسكا اي متعبدا وقربانا يتقربون به الى الله تعالى وقرا حمزة
والكسائي منسكا هنا وفي اخر السورة بكسر السين في الموضعين فيكون
بمعنى الموضع والباقون بفتحها مصدر بمعنى النسك ليذكروا اسم الله
اي الملك الاعلى وحده على ذبائحهم وقرابينهم لانه الرزاق لهم
وحده فيقولون عند الذبح الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك
واليك ثم علل الذكر بالنعمة تنبيها على التفكر فيها فقال على ما رزقهم
من بهيمة الانعام فوجب شكره بذلك عليهم وفيه تنبيه على ان
القربان يجب ان يكون من الانعام فالهكم اي الذي سرع هذه المناسك
كلها الله واحد وان اختلفت فروع شرايعه ونسخ بعضها بعضا واذا كان

ن

واحد وجب اختصاصه بالعبادة ثم اذا قال تعالى فله وحده اسلموا اي انقادوا بجوامع ظواهركم وبواطنكم في كل ما امركم به او نهى عنه وبشر المخبتين اي المطمئنين المتواضعين من اخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا ثم بين علامتهم بقوله تعالى الذين اذا ذكر الله اي الذي له الكمال والجمال وجلت اي خافت خوفا من عجلة قلق كالم ينظهر عليهم الخشوع والتواضع لحد تعالى والصابرين الذين صار الصبر عادتهم على ما اصابهم من الكلف والمصايب ولما كان ذلك قد يشغل عن الصلاة قال تعالى والمقيمي الصلاة في اقامتها واتمامها قطعا عليها واذا حصل لهم من المشقات بسبب فعلها الحج وغيره ما عسى ان يجعل ولذلك عبر بالوصف دون الفعل اشارة الى انه لا يثقلهم على الوجه المشروع مع تلك المشقات والشواغل الا راسخ في حبها بحيث لم تكن مما تمكن من قلوبهم في الغفلة عنها كما هم دائما في صلاتهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير من الهدايا التي يهدونها في اثمانها وغير ذلك احسانا الى خلق الله تعالى ولما قدم تعالى الحث على التقرب بالانعام كلها وكانت الابل اعظمها خلقا واجلها في النفس امرا خصها بالذكر فقال تعالى والبدن اي الابل المعروفة بدنة لحسنها وحسنها وانتصابها بفعل يفسره جعلناها لكم من شعائر الله اي من اعلام دينه التي شرعها لكم تعالى وقيل الخ تشعر وهي ان تطعن بحديدة في سنامها ليعلم ذلك انها هدي لكم لكم فيها خير اي نفع في الدنيا وثواب في العقبى كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما واخرجه ورديه الترمذي وحسنه عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا احب الى الله من هراقة الدم وانه ليوتى يوم القيمة بقرونها واظلافها

واشعارها

واشعارها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الى الارض فطيبوا بها نفسا ورواه الدارقطني في السنن عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انفقت الورق في شيء افضل من نحيرة في يوم عيد وعن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها اي على ذبحها بالتكبير حال كونها صوافي اي قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى لان البدنة تفعل احدى يديها فتقوم على ثلاث فاذا وجبت جنوبها اي سقطت سقوطا بردت به بزوال ارواحها والاحركة اصلا من وجب كباع وجبه اذا اسقط ووجبت الشمس وجبت عربت قال ابن كثير وقد جاء في حديث مرفوع ولا تعجلوا النفوس ان تزهق وقوله تعالى فكلوا منها اي اذا كانت تطوعا امرا باحد دفعا لما قد يظن انه قد يحرم الاكل منها للامر بتقريبها لله تعالى واطعموا القانع اي المعترض للسؤال بخشوع وانكسار والمعتر اي السايل وقيل بالعكس وهو قول الاكثر في تفسير الله تعالى قال في كتاب اختلاف الحديث والقانع هو السايل والمعتر هو الزائر وقيل القانع هو الجالس في بيته المتعفف الذي يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرض والمعتر المتعرض وقيل القانع هو المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ولا يكون له ذبيحة فيجيء الى يوم التحمة فيتعرض لهم للاجر كذلك اي مثل هذا التسخير لتعظيم الذي وصفناه من نحرها قياما سخرناها لكم بعظمتنا التي تولد عنها ما تمكن ذلك لكم وذللناها لكم تذليلا زائدا مع عظمها وقوتها تأخذ زمامها متقاعدة فتعقلونها وتجسونها ولو شئنا جعلناها وحشية لم تطق ولم تمكن بما يعجز من بعض الوحش التي هي اصغر منها جرما واقل قوة لعلكم تشكرون اي نعامشا عليكم ليعرفوا ان ما ذلل لهم الكم الا الله تعالى فيكون حالكم حال من يرجو شكرهم فتقولوا الشكر بان لا

تحرموا منها الا محرم عليكم ولا تحلوا منها الا احل وعقدوا من ما حث
على اهدايه وتقصروا بحسبما امركم وما حث تعالى على التقرب بما ذكر
اتمم عليها قال تعالى لن ينال الله الذي له صفات الكمال لحومها الماكولة
ولا دماؤها المهراقة للاراقة فانه اليه ولكن يناله التقوى منكم اي يرفع
اليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الايمان كما قال تعالى والعمل الصالح
يرفعه اي يقبله وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدما
حول البيت ولطخوا به الدم فلما جاء المسلمون اراد وا مثل ذلك فنزلت
ثم كذلك سخرها لكم تعالى التنبيه على عظيم التسخير لها منبها على ما وجب
عليهم به بقوله تعالى لتكبروا الله اي التسخير العظيم سخرها لكم بعظمته عنا
لكم لتكبروا الله اي تقولوا الله اكبر على ما هدانا واكرمنا على ما اولانا فاختصر
الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تقديته لهم وعدم امتثال
الامر بقوله تعالى وبشر المحسنين اي المخلصين فيما ياتونه ويذرونه
كما قال تعالى من قبل وبشر المخبتين والمحسن هو الذي يفعل اكمل من
الاعمال ويتمسك به فيغير بحبتها التي نفسه بتوفير الثواب عليه
وقال ابن عباس الموحدين وقوله تعالى ان الله اي الذي لا كفوء له
يدفع عن الذين امنوا وقرا ابن كثير وابو عمر وبفتح الياء وسكون
الدال وفتح الفاء والباقون بضم الياء وفتح الدال وبعدها الف وكسر
الفاء اي يبالغ في الدفع مبالغة من يبالغ فيه ولم يذكر اسم تعالى
ما يدفعه عنهم حتى يكون اعظم في فخرهم واعم وان كان في الحقيقة انه
يدفع باس المشركين فلذلك قال تعالى بعده ان الله اي الذي له
صفة الكمال لا يحب اي لا يكرم كما يفعل المحب بل يخذ ان في امانته كفور
لنعمته وهم المشركون قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا له شريكا وكفروا

نعمه

فنبه بذلك على انه يدفع عن المومنين كيد من هذه صفته وقال
قتادة يدفع عن الذين امنوا بمكة حين امر المومنين بالكف عن كفار
مكة قبل الهجرة حين اذ يهم فاستاذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في
قتلهم سرا فنهاهم عن ذلك ثم اذن الله تعالى لهم في قتالهم بقوله اذن
للذين يقاتلون اي المشركون والماذون لهم فيه وهو في القتال
محذوف لدلالة يقاتلون عليه بانهم اي بسبب انهم ظلموا فكانوا ياتون
صلى الله عليه وسلم بين مضروب ومشجوج فيظلمون اليه فيشكونهم
اليه وانا بظلم اوهم بالقتال حتى هاجر فانزلت وهي اول اية نزلت في
ان القتال بعد ما نهي عنه في ستة وستين اية وقيل نزلت في قوم
باعيانهم مما جرين من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركو العرب فاذن
الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الحج قبل انهم ظلموا واعتدوا
عليهم بالاخراج وقرا نافع وابو عمرو وعاصم بفتح الهمزة والباقون بكسرها
ولما كان التقدير فان الله اراد اظهار دينهم عطف عليه قوله تعالى
وان الله اي الذي هو الملك الاعلى على نصرهم لقدير وفي ذلك وعد من
الله بنصر المومنين ثم وصفهم بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم
الى الشعب والحبشة والمدينة بغير حق اوجب ذلك ما اخرجوا الا ان
يقولوا اي بقولهم ربنا الله وهذا القول حق والاخراج بداخراج بغير حق وليس
ذلك قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان امنا بالله بتنبيه الذين اخرجوا
بغير حق للذين يقاتلون او بدل منه او منصوب على المدح او
مرفوع خبر مبتدا محذوف ولولا دفع الله اي المحيط بكل شيء الناس بعضهم
ببعض اي بتسليط المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة لاستولى
المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى مساجد امتهم كما قال
تعالى لهدمت اي خربت صوامع وبيع صغار للرهبان مرتفعة

وبيع كنايس للنصارى وصلوات اي كنايس لليهود وسميت لانها يصلى فيها وقيل هي كلمة عبرية اصلها بالعبرانية صلوثا ومساجد للمسلمين يذكر فيها اي هذه المواضع المذكورة اسم الله العلي العظيم كثيرا وتنقطع العبادات بخرابها وقيل الضمير راجع للمسلمين جد فقط لشرفها لما ان ذكر الله يحصل فيها كثيرا فان قيل لم قدم الصوامع والبيع في الذكر على المساجد اجيب بانها اقدم في الوجود وقيل اخرها في الذكر كما في قوله تعالى ومنهم سابق بالخيرات ولان الذكر آخر العمر فلما كان نبينا صلى الله عليه وسلم خير الرسل وامتنا خير الامم لاجرم كانوا اخرهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون وقيل اخرها لتكون بعيدة عن الهدم قرئ بالتخفيف من الذكر وقرأ نافع دفاع بكسر الدال وفتح الفاء والف بعدها والباقون بفتح الدال وسكون الفاء وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بتخفيف الدال والباقون بتشديدها واظهر التاء عند القاف نافع وابن كثير وعاصم وادغمها الباقون ولينصرن الله اي الملك الاعظم من ينصره اي ينصر دينه واولياءه كائنا من كان منهم او من غيرهم وقد انجز الله تعالى وعده بان سلطانهم المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم الله اي الذي لا كفوء له لقوي اي على ما يريد عزيز اي منيع في سلطانه وقدرته وقوله تعالى الذين ان مكناهم بدل من الذين قاتلوا في الله اي بما لهم من القدرة في الارض بان جعلناهم على اضدادهم اقاموا الصلاة اي التي هي عماد الدين الدالة على المراقبة والاعراض عن تحصيل الفاني واتوا الزكاة اي الرزقة بالزهد في الحاصل منه المؤذن بعمل النفس للرجل وامروا بالمعروف اي الذي امر الله تعالى ورسوله به ونهوا عن المنكر اي الذي نهى الله ورسوله عنه وصف للذين هاجروا وهو اخبار عن الله تعالى

تعالى بالغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين والانصار رضي الله تعالى عنهم وعن عثمان رضي الله تعالى عنه هذا والله تعالى قبل بكل مراد الله تعالى ردنا عليهم قبل ان يجدوا من اكثر ما احدثوا تنبيه في ذلك دليل على صحة خلافة الائمة الاربعة الخلفاء الراشدين اذ لم يسبق ذلك غيرهم من المهاجرين واذا ثبت ذلك وجب ان يكون واعلى الحق ويكون هذه الاية على امير المؤمنين علي رضي الله عنه الاية دالة على رفع وعز الاسلام لهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين معطوف بدل من قوله تعالى من ينصره الله ولله اي الملك الاعلى عاقبة الامور اي آخر امور الخلق ومصيرها اليه في الآخرة فلا يكون لاحد فيها امر دنيوي انه لا يبقى احدا للاباذن منه ولما بين سبحانه وتعالى فيما تقدم اخراج الكفار المؤمنين من ديارهم بغير حق واذنه في مقاتلتهم وهم للرد على الله عليه وسلم النهوض وبين ان الى الله عاقبة الامور اردفه بما يجري مجرى التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما هم عليه من اذيته واذية المؤمنين بالتكذيب وغيره فقال تعالى وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم اي قبل قومك قوم نوح وثمود قوم صالح وقوم ابراهيم المتكبرون المتجبرون وقوم لوط الفجار الذين يستبيحهم اليه احد من الناس واصحاب مدين ارباب الاموال المجموعة من خزائن العقال فانت يا اشرف الخلق لست بأوحدي في التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومك وايام موسى عليه السلام قد اتى من الايات المرئية ثم المسموعة بما لم يات بمثله احد ممن تقدمه فكان تكذيبه في غاية البعد عن بجانبه

نفسها وتعالي الاسلوب تنبيها علي ذلك وعلي ان الذين اطبقوا علي تكذيبه
العظام اما قرمه فما كذب به منهم الا الناس يسير وقال تعالي **وكذب موسى**
وفي ذلك ايضا تعظيم للتسلية وتفخيم **فاملیت للكافرين** اي
امهلتهم بتاخير العقاب عنهم الي الوقت الذي صربته لهم وعبر عن طول
الامهال بادارة التراخي لزيادة المناسبة فقال تعالي **ثم اخذتهم** اخذ عزيز
مقتدر ثم نبه سبحانه وتعالي بالاستفهام في قوله تعالي **فكيف كان نكير**
اي انكاري للفظائع عليهم علي انه كان في اخذهم عبر وعجايب واهوال وعذاب
حيث ابدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا والاستفهام
للتقرير اي وهو واقع موقعه فليحذر رسولنا الذين ايتهم باعظم مما اتي
به رسول قومه مثل ذلك فانه لم يومن بكه فعلت بهم كما فعلت بمولاء
وان كانوا اهون فلا يحزنك امرهم تنبيه اثبت ورش الياء
بعد الراء من نكير في الوصل وحذفها الباقون وقفا ووصلا **وكاين**
اي وكم **من قرية** وقيل معني كاين رب وقوله **اهلكتها** قراه ابو عمرو بعد
الكاف بتاء فوقية مضمومة والباقون بعد الكاف بنون وبعدها الغين الراء
اهلكناها بدليل قوله تعالي **وهي** اي والحال انها **ظالمة** اي اهلها بكفرهم
ويحتمل ان يكون المراد اهلاك نفس القرية فيدخل تحت اهلاكها
هلاك من فيها لان العذاب النازل اذا ابلغ اذي بملك القرية
فتغير مع مدمة حيل هالكا من فيها وان كان الاول اقرب **فهي** اي
فتسبب عن اهلاكها انها **خاوية** اي ساقطة **علي** اي ساقطة علي ان
جدرانها **علي عروشها** اي سقوفها اذ كل ما ترتفع اظلاك من سقف بيت
او خيمة او ظلة او كرم فهو عرش والخاوي الساقط من خوي النجم اذا
سقط او الخالي من خوي المنزل اذا اهلي من اهله وخوي بطني اذا خلا
تنبيه قوله علي عروشها لا يخلو من ان يتعلق بخاوية فيكون المعني
انها

انها ساقطة علي عروشها سقوفها اي تقعصت الاخشاب او الاسقف
للامطار وغير ذلك من الاسرار فسقطت ثم سقط عليها الجدران فسقطت
فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها واما ان يكون خبرا
بعد خبر كانه قيل هي خاوية وهي علي عروشها اي قايمة مظلة علي عروشها
علي معني ان السقوف سقطت الي الارض فصارت هي قرارا للحيطان
سايلة فهي مشرفة علي السقوف الساقطة وقوله فهي خاوية جملة
معطوفة علي اهلكتها لا علي وهي ظالمة فانها حال كما قدرته والاعلا
ليس حال خرابها فلا يحمل لهما ان نصبت كان بمقدر يفسره اهلكتها لانها
معطوفة علي جملة اهلكتها كما مر وهي مفسرة لا محل لهما واذ وقفت
كما يليق بالابتدا فمحلهما رفع خبر الثاني ككاي والخبر الاول اهلكتها **وكم**
من **بير معطلة** اي متروكة بموت اهلها **وقصر مشيد** اي رفيع قال
بعوت اهله تنبيه علم مما قدرته ان بير معطوف علي قرية وهو يعود علي
ان عروشها بمعني مع اي مع زوي ان الهدف بير نزل عليها صالح مع اربعة
الاف ممن امن به ونجاهم الله تعالي من العذاب وهم بحضرموت وانما
سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وهم بالبلدة عند البير اسمها
حاضور فبناها فقبر صالح وامر واعليهم جملس بن حلاس وانقاموا بها
زمانا ثم كفروا وعبدوا اصنما وارسل الله تعالي اليهم حنظلة بن صفوان
نبيا فقتلوه فاهلكهم الله تعالي وعطل بيرهم وحزب قصورهم وقوله
تعالي **افلم يسيروا** اي كفار مكة **في الارض** يحتمل انهم لم يسافروا فيخوفوا
علي السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله تعالي بكفرهم وينشا لهم وازع
فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكنهم لم يعتبروا فيحمل ان كان
لم يسافروا ولم يروا **فتكون** اي فتسبب عن سيرهم ان يكون **لهم قلوب**
واعية **يعقلون بها** ما رأوه بابصارهم مما نزل بالمكذبين قبلهم **او** اي او يكون

ان كان عمي الابصار كما دل عليه حبل هذا شيما اذا ان يسمعون بها اخبارهم بالاهلا
وخراب الديار فيعتبروا فانها اي القصة لا تعمى الابصار ويجوز ان يكون الضمير
بهما تفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والمعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة
لا عمى فيها وانما العمي بقلوبهم كما قال تعالى ولكن تعمى القلوب التي في
الصدور ولا يعتد بعمي البصر فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلب
فان قيل اي فائدة في ذكر الصدور اجيب بان الذي قد تقرر وشاع
ان العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب احدقة بما يطمس
نورها واستعمل في القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو
خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة وبعد عن
الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وتفضل تقرير ليتقرر
ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس العضا للسيف ولكنه
للساعد الذي فيك فقولك الذي بين فيك تقرير لما ادعيته
للساعد وتثبيت لان محل العضاهو لا غير فكانك عقلت ما نفيته العضا
عن السيف واثبته للساعد فلم تستعن ولا سمعوا مني ولكن تعمدت
به اياه بعينه تعمدا قيل لما نزل قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو
في الاخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون
في الاخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب الذي توعدهم به تهكما
واستهزاء وحال انه لن يخلف الله اي الذي لا كفوء له وعده لاستناع
تخلف في خبره سبحانه وتعالى فيصيبهم ما وعدهم به ولو بعد حين
لكنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة وتنا عجزه يوم بدر وان يوما عند
ربك اي الاحسن اليك بتاخير العذاب عنهم اكرامالك من ايام الاخرة
بالعذاب كالف سنة مما تعدون في الدنيا وطول اياما حقيقة
او من حيث ان ايام الشدايد مستطالة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي

بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب وكاين من قرية املليت لها
اي امهلتها كما امهلتكم وهي ظالمة كظلمكم بالاستعجال وعيني ثم اخذتها
اي بالعذاب والمراد اهلها والي المصير اي المرجع فينتقطع كل حكم دون
حكمي فنفيد وعيد شديد فان قيل لم قال فكاين من قرية بالفاء وقال
هنا بالواو اجيب بان الاولى وقعت بدلا عن قوله تعالى فكيف كان نكيري
واما هنا فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو عني قوله
ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ولما كان
الاستعجال لا يطلب من الرسول انما يطلب من المرسل صرحا به تعالى
بان قدم لهم التخويف والانذار بقوله تعالى قل اي لهم يا محمد تبكيتا عن
دعائهم ما احثكم ناكبه من علمهم يا ايها الناس اي جميعا من قومك وغيرهم
انما انا لكم نذير مبين اي بين الانذار والاقتصار على الانذار مع عموم
الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام وسياقه للمشركين وانما ذكر
المؤمنين ولزامهم بقوله فالذين امنوا اي اقروا بالايمان وعملوا اي لقتضاه
لهم مغفرة لذنوبهم ورزق اي في الدنيا
بالغنايم وغيرها وفي الاخرة بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر كريم اي لا خسة فيه ولا انقطاع ولا غيره زيادة في
عظمه ولما كان في سياق الانذار قال معبرا بالماضي زيادة في التخويف
والذين سعوا اي اوقعوا السعي ولو مرة واحدة في اياتنا اي القرآن
بابطالها معجزين من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم اي يثبطونهم الي
العجز ويثبطونهم عن الايمان او معدين عاجزينا عنهم وقرا ابن كثير وابو
عمرو بتشديد الجيم بعد العين على انها حال معدة والباقون بالف
بعد العين وتخفيف الجيم اي مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول
اولئك البعداء البغضاء اصحاب الجحيم اي النار استحقاقا بما سعوا فيه فهم

فيها ليعلم انهم عاجزون عما لاح من ذلك ان الشيطان التي للكفار
شبهها فاحرزوني بما يجد الجهم في دين الله الذي امر رسوله محمدا صلى الله
عليه وسلم باظهاره وتقريره واعلم شهاره عطف عليه تسلية له صلى
الله عليه وسلم قوله تعالى وما ارسلنا اي بعظمتنا من قبلك ثم اكد الاستدراك
بقوله تعالى من رسول وهو بني امر بالتبليغ وهذا هو المشهور بمعنى
ارسلنا اوحينا فالبني اعم من الرسول ويدل عليه ما رواه الامام احمد
من انه صلى الله عليه وسلم سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة
وعشرون الفا قيل فكم الرسل فقال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وبتا
كما هو ظاهر الاية الرسول من جمع الى المجزة كتابا منزلا عليه والنبي
غير الرسول من لا كتاب له وقيل يمكن حمل الاية عليه الضا والرسول
من يأتيه الكتاب والنبي قيل له ولم يوح اليه في المنام الا اذا تمنى
اي تلى على الناس ما امره الله تعالى به او حدثهم به واشتهى في
نفسه ان يقبلوه حرصا منه على ايمانهم شفقة عليهم القى الشيطان
من التشبيه والتخيلات في امنيته اي فيما تلاه او حدث به واشتهى في
نفسه ان يقبلوه فيما يلقنه منه اوليائه فيما دلوا به اهل الطائفة
ليضلوهم وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
غرورا كما يفعل هؤلاء فيما يفترون به في وجوه الشريعة اصلا وفرعا
من قولهم في القرآن شعر وسحر وكهانة وقولهم لو شاء الله ما اشرك
ولا اشركنا وقولهم ان ما قتله الله بالموت حتف انفه او بالاكرام
ذبح وقولهم نحن اهل الله وسكان حرمه والمخرج من اكرم نفقته
بكم في المشعر الحرام وتقف الناس بعرفة ونحن نطوف في بيتنا ونحو ذلك
من ولدناه واما غيرنا فلا يطوف الا عريانا ذكر الكلبي ان اناسا من

يعطيه

يعطيه احدنا ما يلبسه ونحو ذلك مما يريد ان يطفئوا به نور الله تعالى وكذا
تاويلات الباطنية والاتحادية وانظارهم التي اكدوا بها بضلال الله بها
من يشاء ثم يحكمها فيمن اراد من عباده وما اراد من امره فينسخ اي يثبت
عن القاية انه ينسخ الله المحيط بكل شيء علما وقدرة ما يلقي الشيطان
فيبطله بايضاح امره ثم يحكم الله اياته اي يتم يحكمها جلية فيما يريد
بها وادل دليل على ان هذا هو المراد من الافتتاح بالمجازاة في
الاية الختام بقوله عطفا على ما قدره فالله على ما يشاء قدير والله
عليم باحوال خلقه حليم بما يفعلونه بهم وقيل انه صلى الله عليه وسلم حدث
نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي
وغيرهما من المفسرين لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعراض
قومه عنه وشق عليه ما راى من مباعدتهم مما جاءهم به تمنى في نفسه
ان ياتيهم من الله ما يقارب بينه وبين قومه وذلك لحرص على ايمانهم
فجلس ذات يوم في ناد من اندية قريش كثير اهله واحب يوم فيه ان ياتيه
من الله ما يفرق بينه وبين قومه فتمنى ذلك فانزل الله تعالى سورة والنجم اذا
هوى فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ افرايتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق
لسانه سمعوا الي ان تلك الغرانيق العلى وفي لفظ ان شفاعتهن
لترتجى ففرح به المشركون وهضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءة
السورة كلها وسجد في آخرها وسجد المسلمون تصديقا لنبيهم وسجد جميع
من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مومن ولا كافر الا سجد
سوى الوليد بن المغيرة وابو خيخة سعيد بن العاص فانهما اخذا
حفنة من البطحاء ورفعاها على جبهتهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين
كبيرين فلم يستطيعا السجود فتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا

وقالوا قد ذكر محمد الهتنا باحسن الذكر وقالوا قد عرفنا ان ابن بجيي ويميت
ويرزق ولكن هذا الهتنا تشفع لنا عنده فاذا جعل لهم محمد نصيبا فنحن
معه فلما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فقال يا محمد
ما اذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم اتك به عن الله عز وجل سبحانه
وتعالى فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله
حزنا شديدا فانزل الله تعالى هذه الاية تقزيه وكاذبهم وسمع
بذلك من كان بارض الحبشة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وبلغهم سجود قريش وقيل قد اسلمت اهل مكة فرجع اكثرهم الى عشائرهم
وقالوا هم احب الينا حتى اذا دنوا من مكة بلغهم ان الذي كانوا يتبدلون
من اسلام اهل مكة كان باطلا فلم يدخل احد منهم الا بجوار او مستخفيا
فلما نزلت هذه الاية قالت قريش لقد ذكر محمد على ما ذكر من منزلة الهتنا
عند الله فيغير ذلك قال الرازي هذه رواية عامة المفسرين الظاهر
اما اهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا على
البطلان بالقرآن والسنة والمعقول اما القرآن فمن وجوه احدها قوله
تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم قطعنا
منه الوتين تاليها قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي
ان اتبع الا ما يوحى الي ثالثها قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا
السنة فمنها ما روي عن محمد بن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال
هذا من وضع الزنادقة وصنفت فيه كتابا وقال البيهقي هذه القصة
غير ثابتة من جهة النقل فقد روى البخاري في صحيحه انه صلى الله
عليه وسلم قرا سورة النجم وسجد فيها وسجد المسلمون والكفار والانس
والجن وليس في حديث الغرانيق واما المعقول فمن وجوه احدها
ان من جوز على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيم الاوثان فقد كفر

لان

لان من المعلوم بالضرورة ان من عظم سعيدا كان في نفي الاوثان ناهيا
قوله بنسخ ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته وازالة ما يلقيه الشيطان
عن الرسول صلى الله عليه وسلم اقوى من نسخ هذه الايات التي يبقى الشبهة
فيها فاذا اراد الله تعالى احكام الايات لئلا يلتبس ما ليس بقرآن قرآنا
بيان بمنع الشيطان من ذلك اصلا ولي ثالثها وهو اقوى الوجوه لو
جوزنا ذلك لارتفع الامان عن شرعه ولجوزنا في كل واحد من الاحكام
والرابع ان يكون كذلك فيبطل قوله تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك
وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فانه الاقرب في
النقل من النقصان عن الوحي وبين الزيادة فيه وزاد الرازي ادلة
اخرى على ذلك ثم قال وقد عرفنا ان هذه القصة موضوعة اكثر ما في
الباب ان جمعا من المفسرين ذكروها وخبر الواحد لا يعارض الدليل
العقلية والنقلية المتواترة الا وهذا هو الذي يطمئن اليه القلب وان
اطنب ابن حجر العسقلاني في تصحيحها ثم قال وقد رجح فيتعين تاويل ما وقع
فيها مما يشكل وهو قوله التي الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى
الا على القول بما قدمته سلك العلماء في ذلك مسالك احسنها ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يتمنى نزول القرآن فاراد الشيطان في سكتة من السكتات
ونطق بتلك الكلمات تحاكيا فغمته بحيث يسمعه من دنى اليه فظنها من
قوله واشاعهما وقال البيضاوي بعد ان ذكر بعض ان ذكر هذه القصة
وهو مردود عند المحققين وان صح فانبتلا يتمنى يدل انها ثابت على الامان
عن المزلل فيه اه قال ابن الاثير والغرانيق هنا الاصنام وهي في الاصل
الذكور من طير الماء واحدها غرنوق وغرنيق سمي لبياضه قال وكانوا
يزعمون ان الاصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي
تعلو في السماء وترتفع وقيل تمنى قرا قول حسان في حق عثمان بن

عفان تمني كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسلي اي على
تاد وتمهل ولما ذكر سبحانه وتعالى ما احكم به من تمكين الشيطان من
هذا الالقاء ذكر العلة في ذلك لقوله تعالى ليجعل ما يلقي الشيطان اي اني
الممتلوا والمحدث به من تلك الشبهة في قلوب اوليائه على التفسير الاول
وعلى الثاني وغيره يوول بما ليس به فتنة اي اختبارا وامتحانا للذين
في قلوبهم مرض اي شك ونفاق والقاسية اي الكافية قلوبهم عن قبول
حق وهم المشركون وان الظالمين اي الواضعين الاشياء في غير مواضعها كفعلهم
غير مواضعها كفعلهم هو في الظلام لفي شقاق اي خلاف لكونهم في شق
غير شق حزب الله بحاجز تهم في الايات بتلك الشبهة التي تلقوها من
الشيطان وجادلوا بها اولياء الله بعيد عن الصواب لتصغي اليه افئدة
الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون وعلى
ثبوت تلك الفتنة وجري عليه اكثر المحلي قال انه من خلاف طويل
مع النبي والمومنين حيث جوي على لسانه ذكر الهتهم بما يرضيهم
ثم ابطل ذلك وليعلم الذين اوتوا العلم بانتفاء حجيته واحكام براهينه
وضعف شبه المعاجزين انه اي الشيء الذي تلوته او كذت به الحق
اي الثابت الذي لا يمكن زواله من ربك اي المحسن اليك بتعليمك اياه
فيؤمنوا به لما ظهر لهم من صحته بما ظهر من ضعف تلك الشبهة فتخبت
اي تطمين وتخضع له قلوبهم وتسكن به نفوسهم وان الله بجلاله وعظمته
لهادي الذين امنوا اي في جميع ما يلقيه اوليا الشيطان الى صراط
مستقيم اي قويم وهو الاسلام يصلون به الى معرفة بطلانه حتى لا يلتفتوا
حيرة ولا يعيرهم بشبهة يتوصلهم ذلك الى سعادة الدارين ولا يزال
الذين كفروا اي وجد منهم الكفر وطبعوا عليه في مرية اي شك ممتد قال
ابن جريج اي من القرآن وقيل مما القى الشيطان على رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقولون فما بالذكر بها بخير ثم ارتد عنها وقيل من الدين
وهو الصراط المستقيم حتى تاتيهم الساعة اي القيمة وقيل اشراطها وقيل
الموت بغتة اي فجاة لان ياتيهم عذاب يوم عقيم قال عكرمة والضحاك الا ليلة
له وهو يوم القيمة والاكثرون على انه يوم بدر وسمي عقيما لانه لم يكن في ذلك
اليوم للكفار خير كالريح العقيم التي لا تاتي بخير وقيل لانه لا مثل له في عظم
امره لقتال الملايكة فيه وعلى التقسيم الاول قوله تعالى الملك يومئذ
اي يوم القيمة لله اي المحيط بجميع صفات الكمال وحده والحكم كانه قيل ما
معنى اختصاصه به وكل الايام له قيل يحكم بينهم اليحكم حينئذ والكافرين
بالامر الفصل للحكم فيه ظاهرا وللباطن فيعلم كما ترى ذلك الا ليحل يحكم فيه
الامر على اتم سنن العدل فالذين امنوا وعملوا اي وصدقوا دعواهم
الايمان بان عملوا الصالحات وهي ما امرهم الله به في جنات النعيم تفضلا منه
ورحمة لهم بما رحمهم الله تعالى من توفيقهم للاعمال الصالحة والذين كفروا
اي ستروا ما اعطيناهم من المعرفة بالادلة على وحدانيتنا وكذبوا بايتنا
اي ساعين بما اعطيناهم من الفهم في تغييرها بالمجادلة بما يوحي اليهم اولياؤهم
من الشياطين من الشبه فاولئك البعداء عن اسباب الكرم لهم عذاب مهين
اي شديد بسبب ما سعوا في اهانة ايانا مريدين من اعزاز انفسهم
بها بالتنا والتكبر عن ايانا فان قيل لم ادخل الفاء في خبر الثاني دون
الاول اجيب بان في ذلك تنبيها على ان اثابة المومنين باكبان تفضل من
الله تعالى وان عقاب الكافرين مسبب عن اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب
ولم يقل لهم في عذاب ولما كان المومنون في صدر هم الكفار رغبهم الله في
الهجرة بقوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله اي فارقوا اوطانهم
وعشايرهم في طاعة الله تعالى وطلب مرضاته من مكة الى المدينة
ثم قتلوا في الجهاد بعد الهجرة وقرا ابن عامر بتشديد التاء والباقون

بالتحقيق واحق به بطلق الموت تفضلا منه بقوله تعالى او ماتوا اي من غير
قتل ليرزقنهم الله اي الجامع لصفات الكمال رزقا حسنا هو رزق الجنة من
غير تعارة ارواحهم اشباحهم لانهم احياء عند ربهم وانه هو اي الملك الاعلى
القادر على الاحياء كما قدر على الاماتة لهو خير الرازقين فانه يرزق
بغير حساب يرزق الخلق عامة البر منهم والفاجر فان قيل الرزاق
في الحقيقة هو الله تعالى لا رازق لخلق غيره فكيف قال لهو خير الرازقين
اجيب بان غير الله يسمى رازقا على المجاز كقولهم رزق السلطان
الجيش اي اعطاهم ارزاقهم وان كان الرازق في الحقيقة هو الله تعالى
ولما كان الرزق لا يتم الا بحسن الدار وكان ذلك من افضل الرزق
قال تعالى دار الاعلى فتمام الذي تميل ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة
يكرهون به عما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا يمكن
ان يعبر عنها وقيل هو خيمة في الجنة من درة بيضاء لها سبعون الف مصراع
وقرا نافع بفتح الميم اي دخولا وكان دخول والباقون بالضم اي ادخالا
وكان ادخال وان الله اي الذي عمت رحمته وعمت عظمته ليعلم اي بما هم
وما عملوا مما يرضيه وغيره حليم عما تقرر انه من طاعته وما
نزلوا في جنب الله تعالى فلا يعاجل احدا بالعقوبة روي ان طائفة
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين
قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا
فما لنا ان متنا معك فانزل الله تعالى هذين الايتين ذلكم اي الامر
المقرر من صفات الله تعالى الذي قصصنا عليكم ذلك ومن عاقب
اي جازى من المؤمنين بمثل ما عوقب به ظلما من المشركين اي قاتلهم
كما قاتلوه في الشهر الحرام ثم بغي عليه اي ظلم باخراجه من منزله قال
مقاتل نزلت في قوم من المشركين اتوا قوما من المسلمين للبلتين بقيتا

من

من المحرم وقال بعضهم لبعض انما اصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام
فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون وذكروهم وسالوهم ان يكفوا عن
القتال لاجل الشهر الحرام فابوا المشركون فقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت
المسلمون لهم فنصرهم الله تعالى عليهم فذلك قوله تعالى لينصرنه الله اي الذي
لا كفوء له انه الله اي الذي احاط بكل شيء قدرة وعلما لعفو عن المؤمنين
غفور لهم فان قيل لم سمي ابتداء فعلهم عقوبة مع ان العقاب من العقب
وقيل هو مختلف في الابتداء اجيب بانه اطلق عليه ذلك لتعلق الذي بينه
وبين الثاني كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فجازاه عدوانه وهو
فاعلهم وكما في قوله كما تدين تدان فان قيل كيف طابق ذكر العفو
الغفور في هذا الموضع مع ان ذلك الفعل جائز للمؤمنين لانهم مظلومون
اجيب بان المستحب لما اتيح هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله
تعالى بقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وبقوله تعالى
فمن عفى واصلح فاجره على الله وبقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى
كان في اعراضه عما ندب اليه نوع اساءة فكانه تعالى قال عفوت
عن هذه الاساءة وغفر تمالة فاني انا الذي اذنت له فيها وفي ذكر
العفو تنبيه على انه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو
الا القادر على ضده ذلكم اي النصر بان الله اي المتصف بجميع صفات
الكمال يولج اي يدخل لاجل مصالح العباد المسيء والمحسن الليل في
النهار فيجعل ظلام بعضها في ولوجها ضياء ولولا ذلك لتعطلت مصالح الناس لجعله
سرمدا فتعطلت مصالح النهار ويولج النهار في الليل فينسخ ضيائه
ظلام وبولا ذلك لتعطلت مصالح الليل اي بما به يدخل كل منهما في الاخر
بان يزيد به وذلك من التفاوت التي بها النصر وان الله بجلاله وعظمته
سميع بكل ما يقال بصير بكل ما يفعل دايم الاتقان لذلك فهو غني محتاج

اي سكون الليل ليسبح ولا لهنيا النهار ليبصر لانه سبحانه وتعالى منزه عن
الاعراض ولما وصف تعالى نفسه بما ليس لغيره علله بقوله تعالى ذلك
اي الاتصاف بتمام القدرة وشمول العلم بان الله اي القادر على كل ما اراد
هو وحده الحق اي الثابت الواجب الوجود وان ما يدعون اي يعبد المشركون
من دونه وهو الاصنام هو الباطل الزائل وقرا نافع وابن كثير وابن
عمر عامر وشعبة بالتاء على الخطاب للمشركين والباقون بالياء على
الغيبة وان هذه مقطوعة عما في الرسم وان الله لكونه هو الحق الذي لا كفو
له هو وحده العلي اي العالي على كل شيء لقدرته الكبير وكل ما سواه سافل
حقير تحت امره وقهره هذا انه سبحانه وتعالى استدل على كمال قدرته
بامور ستة الاول قوله تعالى الم تر اي ايها المخاطب ان الله اي المحيط
قدرة وعلما انزل من السماء ماء اي مطرا بان يرسل رياحا فتثير سحابا
فيمطر على الارض الملساء فتصبح الارض اي بعد ان كانت مسودة
يابسة ميتة جامدة مخضرة حية بالغة مهتزة نامية بما فيها رزق
للعباد وعمارة البلاد فان قيل لم قال تعالى فتصبح ولم يقل فاصبحت
اجيب بان ذلك لنكتة وهي افادة بقاء المطر زمانا بعد زمان كما يدوم
النعم على فلان عام كذا فاروح واغدو واشاكر له ولو قلت فراحت
وغدوت وشاكرا له لم يقع ذلك الموقع فان قيل لم رفع ولم ينصب
جوابا للاستفهام اجيب بانه لو نصبت لاعطى عكس ما هو الغرض لان
معناه اثبتت الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار ووجه ذلك
بان النصب بتقدير ان وهو معلم للاستقبال فيجعل الفعل مستقبلا والرفع
جزم بالبناء مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكرني
فان نصبته فان فاء لشكره شاكرك تقريظ منه وان رفعته فانك تثبت
لشكره وهذا امثاله مما يجب ان يرغب له من التتم بالعلم في علم
الاعراب وتوقير العلماء ان الله اي الذي له تمام النعم وكمال العلم لطيف
بعباده في اخراج النابت بالماء خيرا اي بمصالح الخلق ومنافعهم فانه مطلع
على السرائر وان دقت فلا يستبعد عليه احياء من اراد بعد موته وقال
ابن عباس لطيف بارزاقه خبير بما في قلوبهم من الفتور الامر الثاني قوله
تعالى له ما في السموات اي التي انزل منها الماء وما في الارض اي التي استقر
فيها ملكا وخلقا وان الله اي الذي له الاحاطة التامة لهو اي وحده الغني
في ذاته عن كل شيء الحميد اي المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الامر الثالث
قوله تعالى الم تر اي ايها المخاطب ان الله ذا الجلال والاكرام سخر لكم فضلا
منه ما في الارض كلها من مساكنها ومنافعها وما فيها من حيوان وجماد
وزرع وثمار فذلل تسخيره تعالى الابل والبقر مع قوتها حتى ذللها الضعيف
من الناس لما انتفع بهما احد منهم الامر الرابع قوله تعالى والفلك اي وسخر
لكم الفلك السفن ثم بين تسخيرها بقوله تجري في البحر العجاج الممتلئ
بالامواج بريح طيبة للمركوب وتحمل بامره اي باذنه الامر الخامس قوله تعالى
ويمسك السماء اي كراهة ان تقع على الارض التي تحتها بما على ظهرها وعظمها
وكونها بغير عمد تمسكها الا باذنه اي بمشيئته فيمسكها ذلك يوم القيمة حين
يريد طي هذا العالم وايجاد عالم البقاء ان الله اي الذي له الخلق والامر
بالناس على ظلمهم لرؤف اي بما يحفظ من سرايرهم رحيم اي حيث هيا
لهم اسباب الاستدلال وفتح لهم ابواب المنافع ودفع عنهم ابواب المضار
وهو ايضا وحده الذي احياكم اي عن الجمادية بعد ان اوجدكم من العدم
ثم يميتكم اي عند انقضاء اجالكم ليكون الموت واعظا لاولي البصائر منكم
ثم يحييكم اي يوم البعث للثواب والعقاب واظهار العدل في الجزاء
ان الانسان اي المشرك لكفور اي لبليغ الكفر حيث لم يشكر على هذه النعم
المحيط به فيوحد الله وقال ابن عباس هو الاسود بن عبد الاسد وابو جهل

والعاص وابي بن خلف قاله الرازي والادلي تعميمه في كل المنكرين لكرامة
اي في كل زمان جعلنا منسكا قال ابن عباس شريعة اي تعبدونا هم
ناسكوه اي عاملون بما ورد في عنه انه قال عبادا وقال مجاهد وقتادة
موضع نزبان يذبحون فيه وقيل موضع ينحرون فيه وقيل موضع عبادة وقرا
حمزة والكسائي منسكا بكسر السين والباقون بفتحها فلا ينازعنك
في الامر اي امر الذبائح نزلت في بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان وزنيم
ابن حنيس قالوا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم تاكلون مما
تقتلون ولا تاكلون مما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو نبي
له صلى الله عليه وسلم عن منازعتهم مما يقول لينازعك فلانة فلا تنازعه
وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون الا بين اثنين معناه لا تنازعهم
انت وادع اي ادع الدعوة لجميع الخلق الى ربك الحسن اليك اي الى
دينهم علل ذلك بقوله انك على الحسب ما عندهم من الانكار لقلي
عدي اي دين واضح مستقيم هو دين الاسلام وان جادلوك اي في امر الدين
بعد ان ظهر الحق ولزمت الحجة فقل الله اي الملك المحيط بالعز والعلم اعلم
بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليه وعلى هذا
وعيد فيه رفق وكان ذلك قبل الامر بالقتال وبما امر الله تعالى به المؤمنين
عنهم وكان ذلك شديدا على النفس لتشوفها الى النصرة وجاء في
ذلك بقوله تعالى مستانفا تحذيرا لهم الله اي الذي لا كفوء له يحكم بينكم
اي بينك وبين متبعك وبينهم يوم القيمة الذي هو يوم التغابن فيما كنتم
فيه تختلفون في امر الدين ومن نصر ذلك اليوم لم يبال بما حل به قوله
وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون قال البغوي والاختلاف ذهاب
كل واحد من الخصمين الى خلاف ما ذهب اليه الاخر ألم تعلم ان الله يعلم
عزه وعظيم سلطانه يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء ان ذلك

اي

اي ما ذكر في كتاب كتب فيه كل شيء حكم بوقوعه قبل وقوعه وكتب جزاؤه وهو
اللوح المحفوظ ان ذلك اي علم ما ذكر على الله وحده يسير اي سهل لان علمه
يقتضي ذاته المتعلق بكل المعلومات على السواء ويعبدون اي المشركون
على سبيل التجديد والاستمرار من دون الله اي من ادنى رتبة من رتبه الذي
قامت به جميع الدلائل عليها حق ايه على جميع صفات الكمال وتنزيهه عن
سمات النقص وهو الاصنام ما لم ينزل به سلطانا اي حجة واحدة من
الحجج ما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل والاستدلال الا انهم
جهلوه وما للظالمين اي الذين وضعوا التعبد في غير موضعه لاركابهم لهذا
الامر العظيم الخطر واكد النفي واستغرق المنفي بانبا تجاز فقال تعالى
من نصير اي يمنعهم من الله لما اسرعوا به ولا من غيره فيدفع عنهم عذابه
او يقرر مذهبهم واذا تتلى اي على سبيل التحذير والمبالغة من اي تال كان
عليهم اياتنا اي من القرآن حال كونها بينات لا خفاء فيما عند من له بصيرة
في شيء مما دعت اليه من الاصول والفروع تعرف في وجوه الذين كفروا
اي تلبسوا بالكفر المنكر اي الانكار الذي هو منكر في نفسه فيظهر اثره
في وجوههم من الكراهة والبسر من لما حصل لهم من الغيظ ثم بين ما لاح
في وجوههم بقوله تعالى يكادون يسطون اي يوقعون السطوة بالبطش
والعنف بالذين يتلون عليهم اياتنا اي الدالة على اسمائنا الحسنى
وصفاتنا العليا القاضية بوحدانيتنا مع كونها بينات في غاية الوضوح
في انها كلا سناما فيها من الحكم والبلاغة التي عجز دونها ثم امر
الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقابلهم بالوعيد بقوله تعالى قل افانبئكم
اي فاخبركم اخبارا عظيما بشر من ذلكم باكره اليكم من القرآن المتلو
عليكم وقوله تعالى النار كانه جواب سؤال قال ما هو فقيل النار اي هو
النار ويجوز ان يكون مبتدأ خبره وعدها الله الذين كفروا جزا لهم فبئس

الموعد هي ويسن المصير اي النار والمخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير
الحجة قائمة على انفذلك لا نظير في غاية التحقيق فقال تعالى منادياً اهل العلم
منبهاً بتنبيهها على ما يأيها الناس ضرب مثل اي حاصله ان من عبد غيره من
الاصنام احقر منكم فاستمعوا اي انصتوا له وتدبروه ثم فسره بقوله تعالى
ان الذين تدعون اي تعبدون وتدعونهم في حوائجكم وتجعلونهم آلهة من
دون الله اي الملك الاعلى من هذه الاصنام التي انتم بها مفترون لن
يخلقوا ذباباً اي لا دلالة لهم على ذلك في زمن من الازمان على حال من
الاحوال مع صغره فكيف بما هو اكبر منه ولو اجتمعوا اي الذين زعمتم انهم شركاء
له اي الخلق فيكم في هذا امنا لكم تبنيه محل ولو اجتمعوا له الغلب على
المحال كما قال تعالى مستحيل ان يخلقوا الذباب مشمرين وطاعليهم اجمعهم
لخلقه وتقاومهم عليه وهذا من ابلغ ما انزل الله تعالى في تجهيل قريش
واسترکاكهم عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد خرجهم عن ايمانهم
حيث وصفوا بالالهية التي يقتضي الاقتدار على المقدورات كلها مع
الاحاطة بالمعلومات عن آخرها صغيرها وكبيرها مستحيل بينهما ان تقدر
على اقل ما خلقه الله تعالى واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك
وتساندوا واداد من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق
الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئاً اجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم
يقدروا كما قال تعالى وان يسلبهم الذباب اي الذي يعتقدهم انهم الاقدرون
على خلقه وهو غاية في الاحتقار شيئاً اي من الاشياء جليلاً او قليلاً لا يستنقذوه
منه لعجزهم فكيف يعبدون سركم الله هذا امر مستغرب عبر عنه بعجز
مثل تنبيه الذباب مفرد وجمعه القليل والكثير ذباب مثل غراب واغربة
وغربان وعن ابن عباس انهم كانوا يطلون الاصنام بالزعفران ويرددون
بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله وعن

ابن

ابن زيد كانوا يجعلون الاصنام باليواقيت واللآلي وانواع الجواهر ويطيبونها
بالغالية والطيب فربما يستطير شيء منها فيأخذه طائر او ذباب فلا تقدر
الآلهة على استرداده ضعف الطالب قاله الضحاك هو العابد والمطلوب
المعبود وقال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذي
على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل على العكس الطالب الصنم والمطلوب
الذباب اي لو طلب ان يخلق الذباب لعجز عنه وكما انتج هذا جهلهم بالله
عبر عنه بقوله تعالى ما قدروا الله اي الذي له الكمال كله حق قدره
اي ما عظموه حق تعظيمه وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته
حيث اشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ان الله اي الجامع
لصفة الكمال لقوي على خلق الممكنات باسرها عزيز اي لا يغلبه شيء
والمهم التي يبعد وعنا عاجزة عن ادراكها مقهورة من اقلها قال الكلبي
نزلت هذه الآية وفي نظيرها في سورة الانعام انما نزلت في جماعة من اليهود
مالك بن الصيف وكعب بن الاشرف وكعب بن الاسد وغيرهم حيث قالوا
ان الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والارض واجناس خلقها استلقى
واستراح ووضع احدى رجليه على الاخرى فنزلت هذه الآية تكذيباً
لهم ونزل قوله تعالى وما مسنا من لغوب قال الرازي واعلم ان منشأ
هذه الشبهات هو القول بالتشبيه فيجب تنزيه ذات الله تعالى عن
مشابهة سائر الذوات خلافاً لما يقوله المشبهة وتنزيه صفاته عن
مشابهة سائر الصفات خلافاً لما يقوله الكرامية وتنزيه افعاله عن
مشابهة سائر الافعال اعني في الغرض والداعي واستحقاق المدح والذم خلافاً
لما يقوله المعتزلة قال ابو القاسم الانصاري رحمه الله تعالى فمنزه سبحانه وتعالى
جبار النفت عزيز الوصف فالاوهام لا تقدره والافكار لا تحده والعقول
لا تمثله والاذهنة لا تدركه والجهات لا تحويه والاتحاد صمدي الذات سرمدي

الصفات ولما ذكر سبحانه وتعالى ما يتعلق بالالهيات ذكر ما يتعلق بالنبوات
بقوله تعالى الله اي الله الملك الاعلى يصطفي اي يختار ويخلص من الملائكة
رسلا كجبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام ومن الناس
كابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم نزلت حين قال
المشركون انزل عليه الذكر من بيننا فاخبر الله تعالى ان الاختيار اليه
يختار ما يشاء من خلقه ان الله اي الذي له الجلال والجمال سميع لمقالتهم
بصير بمن يتخذ رسولا يعلم ما بين ايديهم اي الرسل وما خلفهم اي عملهم
محيط بما هم مطلوبون عليه وعاقبة عنهم فلا يفعلون شيأ الا باذنه تعالى
الله اي وحده ترجع بفاية السهولة الامور يوم يتجلى لفصل القضا
فيكون امره ظاهرا لا خفاء فيه ولا يعذر شيء من الاشياء الا علي وجه
العدل الظاهر لكل احد ولا يكون لاحد التفات الى غيره وقرا ابن عامر
وحمزة والكسائي بفتح التاء وكسر الجيم والباقون بضم التاء وفتح الجيم
ولما انهت سبحانه وتعالى ان الملك والامر له وحده خاطب المقبلين
على دينه ممن تخلص من الناس بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اي
تلبسوا بالايمان اركعوا تقدموا بالايمانكم واسجدوا اي صلوا الصلاة
التي ركوعها اكمل شيء اسجدوا اي صلوا الصلاة التي سجودها اكمل شيء
بالايمان تنبيه انما خص هذين الركنين في التعبير عن الصلاة لانهما
لخلوهما الهيات المعتادة هما الدالان على الخضوع فحسن التعبير
بهما وذكر عن ابن عباس ان الناس كانوا في اول الاسلام يركعون
ولا يسجدون وقيل كانت الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع
ويركعون بلا سجود حتى نزلت هذه الاية ولما خص افضل العبادة
بهم بقوله تعالى واعبدوا اي بانواع العبادة ربكم اي المحسن اليكم
بكل نعمة دينية ودنيوية ولما ذكر عموم العبادة اتبعها ما قد يكون اعم

منها

منها ما صورته صورة تعاد وقد يكون بلا نية فقال وافعلوا الخير اي كل من
القرب كصلة الارحام وعيادة المريض ونحو ذلك من معاني الاخلاق
بنية وبغير نية حتى يكون ذلك لكم عادة فيخف عليكم عمله تعالى قال
ابو حيان بدا تعالى بخاص اي وهو الصلاة ثم بعام وهو اعبدوا ربكم
ثم بالاعم وهو افعلوا الخير لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا كله وانتم راجون
الفلاح وهو الفوز بالبقاء في الجنة طامعين فيه غير مستيقنين ولا متكلين
على اعمالكم وقال الامام ابو القاسم الانصاري لعل كلمة ترجي تستعمل بان
الانسان قد ما يخلو اداء فريضة من تقصير وليس هو على يقين من ان
الذي اتى به هو مقبول عند الله والعواقب الينا مستورة وكل ميسر لما
خلق له تنبيه اختلف في سجود التلاوة عند قراءة هذه الاية فذهب قوم
الى انه يسجد عندها وهو قول عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود وابن عباس
وبه قال ابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق لظاهر ما فيها من الامر
بالسجود وقول البيضاوي ولقوله صلى الله عليه وسلم فضلت سورة
الحج بسجدتين فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما حديث ضعيف رواه الترمذي
وضعفه وذهب الى انه لا يسجد وهو قول سفيان الثوري وقول ابي
حنيفة واصحابه لانهم يقولون ترك السجود بالركوع في ذلك يدل
ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة ولما كان بجهاد اساس
العبادة وموضع كبير جد حقيقة في جهاد الكفار صالح لانه يعم كل امر
بمعروف ونهي عن منكر بالمال والنفس بالقول والفعل بالسيف وغيره
وكل اجتهاد في تهذيب النفس واخلاص العمل ختم بقتال تعالى
وجاهدوا في الله اي الملك الاعلى ومن اجل اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ
والباطنة كالهوى والنفس وقول البيضاوي وعند عليه الصلاة والسلام
انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر

حديث رواه البيهقي وضعف اسناده وقال غيره لا اصل له قيل اراد بالاصغر
جهاد الكفار وبالاكبر جهاد النفس حق جهاده اي باستفراغ الطاقة في
كل ما امر به من جهاد العدو والنفس على الوجه الذي امر به من الحج والغزو
وغير ذلك قيل ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد في الله
او حق جهادكم في الله كما قال تعالى لملابسته واختصاصه فلما كان الجهاد مختصا
بالله من حيث انه مفعول لاجله ومن اجله صحت اضافته اليه وعن مجاهد
عن الكلبي ان هذه الاية منسوخة بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم
ولما امر الله تعالى بهذه الاوامر اتبعها ببعض ما يجب به شكره وهو كالتعليل لما قبله فقال تعالى هو اجتباكم اي اختاركم لدينه والنصرته وجعل
الرسالة فيكم والرسول منكم وجعله اشرف الرسل ودينه اكرم الاديان
وكتابه اعظم الكتب وجعلكم تكونون اتباعه خير الامم وما جعل عليكم في
الدين اي الذي اختاره لكم من حرج اي من ضيق وشدة ونقوان
احد من لا يبتلي بشيء من الذنوب الا جعل الله تعالى له منه مخرجا بعضها
بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بانواع الكفارات من
الامراض والمصائب وغير ذلك فليس في دين الاسلام ما لا يجد العبد
سبيلا الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وسهله عليه
الصغيرات كالقبر والتيمم واكل الميتة والخنزير والسفر ذكره
ذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم
رواه البخاري وعن ابن عباس انه قال لم يخرج حكما كان على بني اسرائيل
من الاصار التي كانت عليهم وضعها الله تعالى عن هذه الامة وقوله تعالى
ملة ابيكم تنتصب بنزع الخافض الكاف او على المصدر لفعل دل عليه تقدم
ما قبله تجد في الحصائر اي وضع دينكم ملة ابيكم او على الاغراء
اي اتبعوا ملة ابيكم او على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم

كقولك

كقولك الحمد لله وقوله تعالى ابراهيم عطف بيان فان قيل لم كان ابراهيم ابا
للامة كلها اجيب بانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابا لامته
لان امة الرسول في حكم اولاده واختلف في عود ضمير هو علي قولين
احدهما انه يعود على ابراهيم عليه السلام وان الكلام تم عند قوله
ودعوة ابراهيم عليه السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
امة مسلمة لك فاستجاب الله تعالى له فجعلها محمدا صلى الله عليه وسلم
والقول الثاني انه يعود على الله في قوله تعالى هو اجتباكم وروي عطاء
عن ابن عباس انه قال ان الله تعالى سماكم المسلمين من قبل اي في كل
الكتب المنزلة اي التي نزلت قبل ان انزل هذا القرآن وفي هذا اي وسماكم
في هذا القرآن الذي انزل عليكم من بعد اني انزل تلك الكتب وهذا القول
كما قال الرازي اقرب لانه تعالى قال ليكون الرسول شهيدا عليكم
يوم القيمة انه بلغكم وتكونوا شهداء على الناس اي انه رسلهم بلغتهم
فعلم ان الله تعالى سماهم بذلك ليصدقوا هذا الفرض وهذا لا يليق الا بالله تعالى واعلم
ان اشهد السادات الانبياء لانهم لم يعترفوا بدين احد منهم وعلموا ان اخبارهم
من كتابهم على لسان نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك صحت
شهادتهم وقبلها الحاكم العدل وعن كعب اعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطهن
الا الانبياء جعلوا شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج
وقال تعالى ادعوني استجب لكم وعن ابي حاتم عن ابن زيد انه قال لم
يذكر الله بالاسلام والايمان غير هذه الامة ذكرها بهما جميعا ولم يسم
امة ذكرت بالاسلام والايمان غيرها وعن مكحول ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يسمي الله عز وجل باسمين سمي بهما اخي عيسى هو السلام وسمي امتي المسلمين
وهو المؤمن وسمي اخي الخوجيني تنبيه في الاية دليل على ان شهادة
غير المسلم ليست مقبولة ولما ندبهم تعالى ليكونوا خير الناس نسب عن

ذلك قوله تعالى فاقيموا الصلاة اي بي اركانها قلوبكم وصلة ما بينكم وبين
ربكم اي داوموا عليها واتوا الزكاة التي هي طهرة ابدانكم وصلة بينكم
وبين اخوانكم واعتصموا بالله اي المحيط بجميع صفات الكمال في جميع ما امركم
به من المناسك التي تقدمت وغيرها ثم علل تعالى اهليته بقوله تعالى
هو اي وحده مولاكم اي المتولي لجميع امركم فهو ينصركم على كل من يعاديكم
بحيث ان تمكنوا من اظهار هذا الدين من مناسككم الحج وغيرها ثم
علل الامر بالاعتصام وتوحيده بالولاية لقوله تعالى فنعم المولى اي
هو ونعم النصير اي الناصر لكم لانه تعالى اذا تولى احدا كفاه كل ما
اهمه واذا نصر احدا اعلاه على كل من خاصمه ولا يزال العبد يتقرب
الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له كما ثبت في الحديث انه لا يذل من واليت
ولا يعز من عاديت وهذه النتيجة التقوى وما قبله من افعال الطاعة
دليلها فقد انطبق آخر السورة على اولها ورد معظمها على مطلعها
وقال البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الحج اعطي من الاجر كحجة بعددهما وعمرة اعتمر بها بعدد من حج واعتمر
فيما مضى وفيما بقي حديث موضوع سورة المؤمنون مكية وهي
مائة وثمان او تسع عشرة آية وستمائة واربعون كلمة واربعة
الاف وثمانمائة حرف بسم الله الذي له الامر كله الرحمن الذي عم انعامه
الرحيم الذي خص من اراد بالايمان عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي يسمع
عند وجهه كدوي النحل فانزل عليه يوما فمكث ساعة حتى سري
عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا
ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا اللهم ارضنا وارض
عنا ثم قال لقد انزل علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ

قد

قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر آيات قال ابن عباس قد سعد احمد قوله
بالتوحيد وبقوله في الجنة وقيل الفلاح البقاء والنجاة ورد في هذا الحديث الزهد
وغيره وانكره النسائي وغيره تنبيه قال الزمخشري قد تعتقبه لما سمى
ثبت المتوقع ولا تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة
وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فلهذا طبوا عباد على اثبات ما توقعوه فان
قيل ما المؤمن اجيب بانه في اللغة هو المصدق واما في الشريعة فقد اختلف
فيه على قولين وقد ما ان كل من نطق بالشهادتين متواطيا قلبه لسانه
فهو مؤمن والا خبار انه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق
ثم انه تعالى حكم بحصول الفلاح لمن كان متصفا بصفات سبعة الصفة
الاولى كونهم مؤمنين الصفة الثانية المذكورة في قوله تعالى الذين هم
اي بغايرهم وظواهرهم في صلاتهم خاشعون قال ابن عباس يخشعون
اذلا وقيل خائفون وقيل متواضعون وعن قتادة الخشوع الزام الوضع
السجود ردي الكافر وقال حديث علي شرط الشيخين انه صلى الله عليه وسلم
كان يصلي رافعا بصره الى السماء فانزلت هذه الاية رمى ببصره الى نحو
مسجده اي موضع سجوده وكان الرجل اذا قام الى الصلاة هاب الرحمن
ان يشد بصره الى شيء او يحدث نفسه بشيء من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة
لها والاعراض عما سواه ومن الخشوع ان يستعمل الادب فيوقي كف
الثوب والعبث بجسده وثيابه والتشبيك والالتفات والتمطي والتثاؤب
والتغميض وتغطية الفم والسدل والقرقعة والاختصار وتقليب
الحصا روي الترمذي لكن باسناد ضعيف انه صلى الله عليه وسلم ابصر
رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه
ونظر الحسن الى رجل يعبث بلحيته فقال اللهم زوجني الحور العين
فقال ببس الخطاب انت تخطب وانت تعبث وعنه انه قال كل صلاة

ب

ص

لا يحضر فيها القلب تهي الى العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل من عرف
من على يمينه وشماله وهو في الصلاة فلا صلاة له وروي انه جبل
الله عليه وسلم قال انما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وصلى
الله عليه وسلم كم من قائم حظه من قيامه التعب والنصب وقال من
لم تنهه الصلاة عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله الا بعدا ينبغي
للشخص ان يحتاط في صلاته ليوقعها على التمام فان بعض العلما
اختار عدم الامامة فقيل له في ذلك فقال اخاف ان تركت الفاتحة
ان يعاتبني الشافعي وان قرأتها ان يعاتبني ابو حنيفة فاخترت عدم
الامامة طلبا للخلاص فان قيل لم اضيفت الصلاة اليهم اجيب
بان الصلاة وصلة بين الله وبين عباده والمصلي هو المستمع بما
وحده وبي عدته وذخيرته فهي صلاته واما الله تعالى فمنزه عني
متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها الصفة الثالثة في قوله تعالى
والذين هم عن اللغو قال ابن عباس
عن الشرك معرضون اي تاركون وقال الحسن عن المعاصي وقال
الزجاج هو كل باطل ولهو وما لا يعتد من القول والفعل وقيل هو كل
ما لا يعني الشخص من قول او فعل وهو ما ينبغي ان يستحي ويلفي
تمدحهم الله تعالى بانهم يعرضون عن هذه اللغو والاعراض عنه بان
لا يفعل ولا يرضى به ولا يخالط اهله بل يأتيه كما قال تعالى واذا مروا باللغو
مروا كراما اي اذا سمعوا الكلام القبيح اكرموا انفسهم
عن الدخول فيه الصفة الرابعة المذكورة في قوله تعالى والذين هم
للزكاة فاعلون اي مؤدون تشبيه الزكاة اسم مشترك بين
عين ومعنى فالعين هو القدر الذي يخرجه المزكي للنصاب الى
المستحق والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو المراد هنا لانه

ما من

ما من مصدر الا ويعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول
للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية
ويجوز ان يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء
وقيل الزكاة هنا هو العمل الصالح لان هذه السورة مكية وانما
فرضت الزكاة بالمدينة سنة اثنين من الهجرة قال الشعبي والظاهر
ان التي فرضت بالمدينة انما ذات النصب وان اصل الزكاة كان
واجبا بمكة كما قال تعالى في سورة الانعام واتوا حقه يوم حصاده
الا الصفة الخامسة المذكورة في قوله وتعالى والذين هم لفروجهم
في الجماع ومقدماته حافظون اي دايما لا يتبعون ما سوى تلك والفرج اسم
لسوءة الرجل والمراة وحفظهما حفظه التعفف عن الحرام ثم استثنى من
ذكر محل قوله تعالى الا على ازواجهم الآية استحق الصالحون بتعقد
النكاح ولعلو الذكر عبر بعلى وتظهر كان زيادة على البضعة اي واليا
عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المراة فراشا
وقيل على بمعنى من وجيء على ذلك البغوي او ما ملكت ايمانهم
رقابه من الاماء فان قيل هلا قال تعالى من ملكت اجيب بانه انما
عبر بما تغليبا الاماء ما يعقل لنقصهن عن الحرائر الناقصات عن
الذكور ولانه اجتمع فيها وصفان احدهما الانوثة وهي مظنة نقصا
العقل والدين والاخر ملكي كسائر السلع قال
البغوي والاية في الرجال خاصة لان المراة لا يجوز لها ان تستمتع
بفرج مملوكها فانهم غير ملومين على ذلك اذا كان على وجه
اذن فيه الشرع دون الاتيان في غير المأتي وفي حال الحيض او
النفاس او نحو ذلك كوطيء الامة قبل الاستبراء فانه حرام ومن
فعلها فانه ملوم فمن ابتغى اي طلب متعديا وراء ذلك العظم المنفعة

ن

الذي وقع استثناؤه بزنا ولواط واستمناء بيد او بهيمة او غيرها فانهم
ليسوا المبعدون من الفلاح هم العادون اي المجاوزون في تعدي
الحدود عن سعيد بن جبير قال عذب الله تعالى امة كانوا يعبثون
بمذاكيرهم اي في ايديهم وقيل يحشرون وايديهم حبالى الصفة
المذكورة في قوله تعالى والذين هم لامانتهم اي في التعريج وغيرها
سواء كانت بينهم وبين الله كالصيام والصلاة او بينهم وبين الخلق كالودايع
والبضايع او في المعاني الباطنة كالاخلاص والصدق راعون
اي حافظون بالقيام والرعاية والاصلاح والعهد ما عقد
الشخص على نفسه فيما يتقرب به الى ربه ويقع الغنا على ما امر الله
تعالى به كقوله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا ان نبيه سيجيئنا
المؤمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا وصفه تعالى ان الله
يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال تعالى وتخونوا امانتكم
وانما يودي العيون الى المعاني ويجاد المؤتمن عليه لا الامانة في
نفسها وقرا ابن كثير لامانتهم بغير الف بين النون والتا على الافراد
لان اللبس امن لان الاصل مصدر والباقون بالالف على الجمع
الصفة السابقة المذكورة في قوله تعالى والذين هم على صلواتهم
التي وصفوا بالخشوع فيها يحافظون اي يواظبون عليها ولا يتركون
شيئا من فروضها ولا مسنونا تها يجتهدون في كمالها تقدم مثله
ويودي فيما في اوقاتها فان قيل كيف كرر الصلاة ولا واحد اجيب
بانهما ذكران مختلفان فليس بمكرر وصفوا اولا بالخشوع في صلاتهم
واخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويودوها في اوقاتها
ويقيموا اركانها ويوفوها حقوقها بالاهتمام بها وبما ينبغي ان تتم به
او صافها والفيا فقد وجدت او للتنويع بالخشوع في جنس الصلاة اي

صلاة كانت وجمع اخرى على غير قراءة حمزة والكسائي فانه غير مراد بالجمع
واما مع افرادها فلان المراد بالافراد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات
الخمس والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل
ولما ذكر تعالى مجموع هذه الصفات العظيمة فخم جزاءهم فقال تعالى اولئك
اي المبالغون من الاحسان الى حيث كانوا هم الوارثون اي المستحقون
لهذا الوصف دون غيرهم من منازل اهل الجنة روي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله منزل
منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث اهل الجنة
منزله وقال مجاهد لكل واحد منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار
فاما المؤمن فيبني منزله الذي له في الجنة ويهدم منزله الذي له في
النار واما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ويبني منزله الذي
له في النار وقال بعض المفسرين معنى الوراثة هو ان يوول امرهم الى
الجنة وبنا لهم كما يوول امر الميراث الى الوارث الذين يرثون الفردوس س
وهو على الجنة عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض و
الفردوس اعلاها درجة منها تفجر انهار الجنة الاربعة ومن فوقها
يكون عرش الرحمن فاذا سالتم الله فاسئلوه الفردوس اللهم بجاه
محمد صلى الله عليه وسلم ان تجعلنا والدينا واحبابنا من اهله هم
فيها خالدون اي لا يخرجون منها ولا يموتون وانث الفردوس بتوله
تعالى فيها على تانيث الجنة وهو البستان الواسع الجامع للاصناف
الثمر روي ان الله تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة
من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك
مذري وعرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان وروي انا الله

تعالى خلق ثلاثة اشياء بيده خلق آدم وكتب التوراة بيده وغرس العرجون بيده ثم قال وعزتي لا يدخلها احد من خلقي ولا يؤيدني والمراد انه تعالى لم يكل ذلك الى غيره من ملك من الملائكة ولا جنة مخلوقة الآن قال تعالى اعدت للمتقين ولما امر سبحانه وتعالى بالعبادات في هذه الآيات والاشتغال بعبادة الله لا يصح الا بعد معرفة الله تعالى عقبها بذكر ما يدل على وجوده وانفراده بصفات تجلل الوحدانية فذكر من الدلائل انواعا الاول الاستدلال بتقليب الانسان في ادوار الخلقة وادوار الفطرة وهي تسع مراتب الاولى قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ل اي آدم من سلالة هي من سللت الشيء من الشيء اي استخرجته منه وهو خلاصته وقال ابن عباس السلالة صفوة الماء وقوله تعالى من طين متعلق بسلالة وقيل المراد بالانسان هذا النوع والسلالة قال مجاهد من بني آدم وقال عكرمة هو المني يسيل من الظهر والعرب تسمي النطفة سلالة والولد سليلا وسلالة لانهما سلولان منه المرتبة الثانية قوله تعالى ثم جعلناه اي نسله فحذف المضاف نطفة اي منيا من الصلب والترائب بان خلقناه منها في قرار مكين اي مستقر حصين هو الرحم تشبيه مكين في الاصل صفة للمستقر في الرحم وصف به المحل للمبالغة كما عبر عنه بالقرار المرتبة الثالثة قوله تعالى ثم اي بعد تراخ في الزمان وعلو في المرتبة والعظمة خلقنا اي بما لنا من العظمة النطفة اي البيضاء جدا علقة حمراء ما غليظا شديد الحمرة جامدا غليظا المرتبة الرابعة قوله تعالى فخلقنا اي بما لنا من القوة والقدرة العظيمة المضغة اي لحمة قدر ما يمضغ لا شكل فيها ولا تخطيط المرتبة الخامسة قوله تعالى فخلقنا المضغة اي بتقليبها بما شئنا لها من الحرارة والاعوار اللطيفة العظاما مضغة عظاما من راس ورجلين وما بينهما المرتبة السادسة

قوله

قوله تعالى فكسونا بما لنا من قوة الاختراع تلك العظام لحما بعد ان لم نجعل لها قبل كونها عظاما فسترنا تلك العظام وقويناها وشددناها بالعروق والاعصاب وقرا ابن عامر وابو بكر عظاما والعظام بفتح الحرفين واسكان الظاء من غير الف على التوحيد اكتفاء باسم الجنس عن الجمع والباقون بكسر العين وفتح الظاء والف بعدها على الجمع قال الخليل العظم والعظام في المواضع الثلاثة بمعنى صيرنا المرتبة السابعة قوله تعالى ثم انشاناه اي هذا المخلوق عند هذه المرتبة خلقا آخر اي خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما بعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع ظاهره وباطنه بل كل عضو من اعضائه وكل جزء من اجزائه عجايب فطره وغرايب حكمه لا تدركه بوصف الواصف ولا تبلغ نعت الناعت وثم لما بين المخلوقين من التفاوت قال الزمخشري وقد احتج ابو حنيفة رحمه الله فيمن حلف ببيضة فاوزنت عنه فقال يحنث في البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر بسوي البيضة اه ولما كان هذا التفصيل لتقدير الانسان سببا لتعظيم الخالق قال تعالى فتبارك الله اي تنزه عن كل شائبة نقص وحاز جميع صفات الكمال واشار الى حال الانسان بقوله تعالى احسن الخالقين اي المقدرين وميز احسن محذوف اي خلقا روي عن عمر رضي الله تعالى عنه انا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله احسن الخالقين فجيء بها على لساني وروي ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا فقلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر بن الخطاب فتبارك الله احسن الخالقين

حيما

ص

ي

فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم هكذا انزلت يا عمر وكان عمر يقول
وافقني ربي في اربع الصلاة خلف المقام وضرب الحجاب علي النسوة
وقولي لهن اولعسى ربه ان طلقكن والرابع ذكرت فتبارك الله احسن الخالقين فقال هكذا انزل
قال العارفون هذه الواقعة كانت سبب السعادة لعمر والشقاوة لعبد
الله بن سعد بن ابي سرح فانه قيل انه مات كافرا قال تعالي يضل به
كثيرا ويهدي به كثيرا المرتبة الثامنة قوله تعالي ثم انكم بعد ذلك
اي الامر العظيم من الوصف بالحياة والمدني المعرفي اجار متفاوتة
فابين طفل ورضيع ومحتلم شديد وشاب نشيط وكهل عظيم وشيخ
هرم الي مابين ذلك من شؤن لا يحيط بها الا اللطيف الخبير لميتون
اي لصائرون الي الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت وهو
ميت دون اسم الفاعل وهو مائت فانه للحدوث لا للثبوت المرتبة
التاسعة قوله تعالي ثم انكم يوم القيمة اي الذي يجمع فيه جميع الخلائق
تبعثون للحساب والجزاء النوع الثاني من الدلايل الاستدلال بخلق
السموات وهو قوله تعالي ولقد خلقنا فوقكم في جميع جهة العلو في
ارتفاع لا تدركون نهاية حق الادراك سبع طرايق اي سموات جمع طريقة
لانها طرق الملايكة ومستقاتهم وقيل الافلاك لانها طرايق الكواكب
فيها مسيرها وقيل لانها طرق بعضها فوق بعض كطارقة النعل وكل
شيء فوقه مثله فهو طريقة وما كنا اي بما لنا من العظمة عن الخلق
اي الذي خلقناه تحتها غافلين ان تسقط عليهم فتهلكهم بل نمسكها
كماية ويمسك السماء ان تقع علي الارض الا باذنه ولا نهملهن امرها
بل نحفظها عن الزوال والاختطاف وندبر امرها حتي يبلغ منتهي
امرها وما قدر لها من الكمال حسب ما اقتضته الحكمة وتعلقت

به المشيئة النوع الثالث من الدلايل الاستدلال بنزول الامطار
وكيفية تاثيرها في النبات وهو قوله تعالي وانزلنا من السماء اي
من جرمها وهو ظاهر اللفظ وعليه اكثر المفسرين او من السحاب
وسماه سماء لعلوه ماء بقدر اي بقدر ما يكفيهم لمعاشهم في الزرع والغرس
والشرب وانواع المنفعة ويسلم معه من المضرة اذ لو كان فوق ذلك
لاغرقت البحار الاقطار ولو كان دون ذلك لادي الي جفاف النبات
والاشجار فاسكناه اي فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض لقوله تعالي
فسلكه ينابيع في الارض وعن ابن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم
ان الله تعالي انزل من الجنة خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر
بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلهن الله تعالي من
عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها علي جناحي
جبريل فاستودعها الجبال واجراها في الجبال وسخر الارض بحرها
فيها منافع للناس من اصناف معايشهم فاذا كان عند خروج ياجوج
وماجوج ارسل الله تعالي جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم
كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسي عليه
فيبقي هذه الاشياء الخمسة فيرفع كل ذلك الي السماء وفي ذلك قوله
تعالي وانا علي ذهاب به لقادرون قد قيد في غاية العظمة فانا
كما قدرنا علي ايجاده واختراعه نقدر علي رفعه وازالته وزواله
فاذا ارتفعت هذه الاشياء كلها من الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا
قال النهروي وروي هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان عن عثمان
ابن سعيد عن سابق الاسكندري عن سلمة بن يحيي عن عقائل بن جابر
شبيه في تنكيره ذهاب ايما الي تكثير طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب
والله لا تيسيا علية شيء اذا اراده وهو ابلغ في الانعام من قوله تعالي

قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فعلى العباد ان يستغلوا
النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدايم ويخافوا نفادها اذا لم تشكر
ثم انه سبحانه وتعالى لما منه علي عظم نعمته بخلق الماء ذكر بعده هذه
النعمة التي حاصلة من الماء بقوله تعالى فاسقيناكموه اي فاخرجنا واجرينا لكم
خاصة لا لغيركم اي بذلك الماء الذي جعلناه منه كل شيء حي جنات
اي بساتين من نخيل واعناب صرح بهذين الصنفين لشرفهما ولانهما
اكثر ما عند العرب من الثمار وسمي الاول باسم شجرته لكثرة منافعها من
المنافع المقصودة بخلاف الثاني فانه المقصود من شجرته واشار
الي عينها بقوله تعالى لكم اي خاصة فيها اي الجنات فواكه كثيرة تتفكهون
بعضها من اي من الجنات من ثمارها رزقا وعيشا تاكلون رطبا ويابسا
وحمرا وزبيبا وقوله تعالى وشجرة عطف علي جنات اي وانشانا لكم شجرة
اي زيتونة تخرج من طور سيناء وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسي
ابن عمران عليه السلام بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وفي اية اخري
طور سينين ولا يخلوها ان يضاف فيه الطور الي بقعة اسمها سينا
وسينون واما ان تكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه
كامرئ القيس وكبعلبك فمن اضاف فمن كسر سين سيناء وهو نافع
وابن كثير وابو عمرو فقد منع الصرف للتعريف والعجمة والتانيث
لانها بقعة وفعلا لا تكون الف للتانيث كعلباء وحربا ومن فتح السين
وهم الباقون فلم يصرفوه لان الالف للتانيث كحمراء قال مجاهد
معناه البركة من جبل مبارك وقال قتادة معناه الحسن وقال
عكرمة بالحبشية وقال مقاتل كل جبل فيه اشجار وثمرة فهو سينا
وسينين بلغة القبط وقرا ابن كثير وابو عمرو وتنبت بضم التاء الفوقية
وكسر الباء الموحدة من الرباعي والباقون بفتح الفوقية وضم الموحدة

من

من الثلاثي فقوله تعالى بالدهن تكون الباء علي الاول للزيادة وعلي الثاني
معدية قال المفسرون وانما اضافها الله تعالي الي هذا الجبل لانه منه
نشأت في البلاد وانتشرت ولان معظمها هناك قال بعض المفسرين
وانما عرف الدهن لانه اجل الادهان واكملها وهو في الاصل ما يخرج
خفيف يتقطع ولا يختلط بالماء الذي هو اصله فينسرج ويدهن به
وقوله تعالى وصبغ للاكلين عطف علي الدهن اي ادام يصبغ اللقمة
بغمسها فيه وهو الزيت مثل انما اول شجرة نبتت بعد الطوفان ودعي
لله تعالي بالبركة في قوله تعالى توقد من شجرة مباركة النوع الرابع من
الدلايل الاستدلال باحوال الحيوانات وهو قوله تعالى وان لكم في الانعام
وهي الابل والبقر والغنم لعبرة عظيمة تعتبرون بها وتستدلون بها علي
البعث وغيره نسقيكم مما في بطونها اي اللبن بجعله لكم سائغا شرابا
للبدن موافقا للشهوة تلتذون به من بين الفرث والدم ولكم فيها
اي جماعة الانعام وقدم الجار ليتيقظ لما نفعها حتي كان غيرها عدم منافع
كثيرة باستقلاء مما لم يرد منها مما لا يتيسر من اصنف منها وباولادها
واصوافها واوبارها واشعارها وغير ذلك من اثارها ومنها تاكلون
اي وكما تنتفعون بها وهي حية تنتفعون بها بعد الذبح اكلا بسهولة
من غير امتناع مما من شيء من ذلك ولو شاء لمنعها وسلطها عليكم
ولو شاء لجعل لحمها لا ينضج او جعله قذرا لا يوكل ولكنه يسر ذلك
وجعله هنيا هاهنا لما ذكر وذللها وعليها اي الانعام الصالحة للحمل وهي
الابل والبقر وقيل المراد الابل خاصة لانها هي المحمول عليها في العادة
وقد مر ما في الفلك التي هي السفن في قوله تعالى وعلي الفلك تحملون
لانها سفاين البر كما يحمل علي الفلك في البحر فيحمل علي هذه في
البر قال ذو الرومة في المعني سفينة بر تحت خدي زمامها

ق

قال الزمخشري يريد صيد حتته اي نافته لان اسمها كان صيدح قال
رايت ينجمون عينا فقلت لصيدح انتجي بلالا يريد بلال بن ابي بردة
الاشعري والي الكوفة وما بين سبحانه وتعالى دلايل التوحيد اردفها
بذكر القصص كما هو العادة في سايرالسور وبدا بقصة نوح عليه السلام
فقال تعالى ولقد ارسلنا اي بما لنا من العظمة نوحا وهو الاب الثاني
بعد آدم عليهما السلام وكان اسمه ليشكر وسمي نوحا لوجوه احدها
كثرة ما ناح على نفسه حين دعى على قومه بالهلاك فاهلكهم الله
تعالى بالطوفان فندم على ذلك ثانيها لمراجعته ربه في شانه انه
ثالثها انه مر بكلب مجذوم فقال له اخسا يا قبيح فنوبت على ذلك
الى قومه وهم جميع اهل الارض لتواصل ما بينهم لكونهم على لغة واحدة
محصورين لانه ارسل الى الخلق اجمعين لان ذلك من خصايص نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبيا فقال اي فنسب عن ذلك
ان قال يا قوم قرتقابهم اعبدوا الله واجعله لانه الهكم وحده لا
ستحقاقه لجميع خلاله الكمال واستانف على سبيل التعليل قوله
ما لكم من آله اي معبود يحق عبيكم فلا تعبدوا سواه افلا تتقون اي
فلا تخافون عقوبته ان عبدتم غيره وقرا الكسايي بكسر الراء والميما
والباقون بضمهما فقال الملا الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا
الا بشر مثلكم اي فلا يعلم ما لا تعلمون فانكروا ان
يكون البشر نبيا ولم ينكروا ان يكون بعض الجنس انسانا وبعض الما
علقة وبعض اللقمة مضغة الخ فكانه قيل ما حمله على ذلك فقالوا
يريد ان يتفضل بتكلف الفضل بادعا مثل هذا عليكم لتكونوا اتباعا
له ولاخصوصية له دونكم ولو شاء الله اي الملك الاعلا الارسال
اليكم وعدم عبادة غيره لانزل اليكم كذلك ملايكة رسلا بابلاغ الوحي

البنا

البنا قال الزمخشري وما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر
وقد رضوا للالهية بحجر ما سمعنا بهذا اي الذي دعا اليه نوح من التوحيد
في ابايئا الاولين اي الامم الماضية ان اي ما هو الا رجل به جنة اي جنون
والجملة يقول ما يدعيه فتربصوا به اي فتسبب عن الحكم بجنونه انا نامركم
بالكف عنه لانه لا حرج على مجنون حتى اي الى حين لعله يفيق او يموت فكانه
قيل فما قال نعيل قال رب انصرني اي اعني عليهم
بما كذبون اي بسبب تكذيبهم لي فان تكذيب الرسول استخفاف بالمرسل
فاوحينا اي فتسبب عن دعايه انا اوحينا اليه ان اصنع الفلك اي
السفينة باعيننا اي انا لا يغيب عنا شيء من امرك ولا من امرهم وان
نقرن قدرتنا على كل شيء دتق بحفظنا ولا تخف شيئا من امرهم روي انه
لما اوحي اليه ان يصنعها على مثال جوجر الطاير قال الجوهري الجوجر
الطاير فالسفينة صدرها كصدره وانجابي وكما كان لا يعلم الصنعة قال
تعالى ووحينا اي وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاتا جبريل عليه السلام
السفينة ووصف كيفية اتخاذه تعالى وقد تقدم الكلام عليها مستقصى
في سورة هود فاذا جا امرنا اي بالهلاك وعقب فراغك منها واوان الركوب
وفار التنور قال ابن عباس وجه الارض وفي القاموس التنور
الكانون يخبز فيه وجه الارض وعن قتادة اذا مر في موضع في
الارض اي اعلاه وعن علي طلوع الفجر وعن الحسن انه اكوضع
المختص من السفينة الذي يسيل الماء اليه وقيل هو مثل كقولهم
حمي الوطيس والاقرب كما قال الرازي وعليه اكثر المفسرين هو
التنور المعروف بتنور الخبز ويكون ذلك فيه آية روي انه قيل لنوح
اذا رايت الماء يفور في التنور فاركب انت ومن معك في السفينة
فلما نبع الماء من التنور اخبرته امراته فركب وقيل كان تنور آدم

وكان من حجارة فصار الى نوح واختلف في مكانه فقيل الشعبي في عين الكوفة
عن يمين الداخل مما يلي باب كنده وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد
وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وقرأ الاخوان
والبزي وابو عمرو باسكان الميم الاولى من الميمين المفتوحتين
من كلمتين وحقق الاولى وسهل الثانية ورش وقنبل فاسلك
اي فادخل فيها اي السفينة من كل زوجين من الحيوان اثنين ذكرا
وانثى وقرا حفص بتنوين النون من كل اي من كل نوع زوجين فزوجين
مفعول واثنين تاكيد والباقون بغير تنوين فاثنين مفعول ومن
متعلق باسلك وفي القصة ان الله تعالى حشر لنوح السباع والطير
وغيرها فجعل يضرب يديه يمنى كل جمع فيقع يده اليمنى على الذكر واليسرى
على الانثى فيحملهم في السفينة وروي انه لم يحمل الا ما يلد وبيض
واهلك اي واهل بيتك من زوجك واولادك الا من سبق عليه القول منهم
بالهلاك وهو زوجته وولد كنعان بخلاف سام وحام
وبانت فحملهم وزوجاتهم الثلاثة وفي سورة هود ومن آمن وما آمن معه
الا قليل قيل كانوا ستة رجال ونساؤهم وقيل جميع من كان في السفينة
ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء ولا تخاطبني اي بالسؤال
في النجاة في الذين ظلموا اي كفروا فانهم علل ذلك بقوله تعالى انهم
اي قد حتم القضاء عليهم لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شانه
لا يشفع له فانه تعالى بعد ان املى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا
الا ضلالا ولم تتم الحجة البالغة لم يبق الا ان يحملوا عينة للمعتبرين
ونحن نكف عن سؤال لا يقبل ولقد بالغ سبحانه وتعالى حيث
اتبع النهي عنه الامر باحمد على هلاكهم والنجاة منهم بقوله تعالى
فاذا استويت اي اعتدلت انت ومن معك اي من البشر وغيرهم

على

على الفلك فقل اعترفت من امتثال الامر في اكمال فقل الحمد لله الذي لا كفو
له لانه مختص بصفات اكمل الذي نجانا بحملنا فيه من القوم الاعداء الاعتبار انا لمبتلين
اي الكاملين لقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب
العالمين تنبيها على ما قاله تعالى قل ولم يقل قولوا لان نوحا كان لهم نبيا وامما
فكان قوله قل لهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبريا
الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يبلغ اليها الا ملك او نبي ولما
اشار بهذا القول الى السلامة بالحمد اتبعه بالاستعانة الى الوعد
باسكان الارض بقوله تعالى وقل رب انزلني في الفلك ثم في الارض
وفي كل منزل تنزلني به وتوفقني اياه منزلا مباركا اي يبارك له فيه ويعظم
الزيادة في خيري الدارين وقرا ابو بكر بفتح الميم وكسر الزاي اي مكان
النزول والباقون بضم الميم وفتح الزاي مصدرا او اسم مكان ثم ان الله تعالى
امره ان يشفع الدعاء بالثناء عليه اعتبارا لمسئلته وهو قوله تعالى وانت
خير المنزلين مما ذكر لانك تكفيني شر ما يكيد كل مسيء وتغلبه كل امر
وما كانت هذه القصة من اغرب القصص حث على تدبرها بقوله تعالى
ان في ذلك اي الامر من امر نوح والسفينة والاهلاك للكفار لايات اي
دلالات على قدرة الله تعالى وصدق الانبياء في ان الموحدين هم المحقون
وانهم الوارثون للارض تبعا لظالمين وان عظمة سوئكم وانتشار
صولتهم وانا كنا بما لنا من العظمة والوصف الثابت الدال على تمام
القدرة لمبتلين اي فاعلين فعل المختبر المجتبي لعبادنا بارسال الرسل
ليظهر في عالم الشهادة الصابر منهم من غيره ثم يبتلي الصابرين منهم
بما يزيد حسناتهم وينقص سيئاتهم ويعلي درجاتهم ثم يجعل لهم العاقبة
كما قال تعالى والعاقبة للمتقين تنبيه اذ هي المحفوفة من التقيكة
واسمها ضمير الشان واللام هي الفارقة القصة الثانية قصة هود

وقيل صالح عليهما السلام المذكورة في قوله تعالى ثم انشانا اي احدثنا و
اخبينا من بعدهم اي من بعد اهلاكهم قرنا اي قوما اخرين هم عاد وقيل
قوم هود وقيل ثمود قوم صالح فارسلنا اي فتعقب انشائنا لهم وتشييد
عنه ان ارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود وقيل صالح قال البغوي
والاول هو الظاهر اي وهو المروي عن ابن عباس ويشهد لحكاية
الله قوله هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ويحيى قصة
هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والتشريع
بين تعالى ما ارسل به بقوله تعالى ان اعبدوا الله اي وحدوه لانه لا اله لكم
لهم دل على الاستغراق بقوله تعالى ما لكم من اله غيره افلا تتقون
اي لهذه الحال التي انتم عليها مخافة عقابه فتؤمنون وقرأ نافع وابن
كثير وابن عامر والكسائي بضم النون في الوصل والباقون بكسرها
والقراءة في غيره ذكرت قريبا وقال الملأ اي الاشراف الذين تملأ وجوههم
الصدور من قومه الذين كفروا اي غطوا ما يدل من ادلة التوحيد
والانتقام من المشركين وكذبوا بلقاء الاخرة اي بالمصير اليها
واترفناهم اي واكثرنا اموالنا من العظمة نعمائهم في الحياة الدنيا
بالاموال والاولاد وكثرة السرور بما طيبوا انفسهم ما هذا اشار واليه
تحقيرا لمدعاه المخاطبين الا بشر مثلكم في الخلق والحال ثم وصفوه بما
يوهم المساواة لهم في كل وصفه فقالوا يأكل مما تأكلون منه اي من
الطعام ويشرب مما تشربون اي من شرابكم فكيف يكون رسولا ولئن
وقولهم ولئن اللام لام قسم اي والله لئن اطعتم بشرا مثلكم اي فيما
يأمركم به انكم اذا اي اذا اطعتموه لخاسرون اي مغبونون لكونكم
ففضلتم مثلكم عليكم بما يدعيه من ايبعوا اكابرهم بقولهم تعالى ايعدكم
انكم اذا متم فكنتم اي وكانت اجسادكم

ترابا

ترابا باستيلاء التراب على ما دون عظامهما وعظاما مجردة عن اللحوم
والاعصاب انكم مخرجون اي من تلك الحالة التي صرتم اليها اذ لا رجوع
الى ما كنتم عليه من الحياة على ما كان لكم من الاجسام تنبيه قوله تعالى
مخرجون خبر انكم الاولى وانكم الثانية تاكيد لها لما طال الفصل ثم
استأنف التهويل بما دل عليه الكلام من استبعاد ذلك فقالوا هيهات
هيهات اسم فعل ماض بمعنى مصدر اي بعد جدا وقال ابن عباس
هي كلمة بعد اي بعيد ثم كانه قيل لاي شيء هذا الاستبعاد فقيل لما
توعدون من الاخراج من القبور فانه قيل ما توعدون هو المستبعد
ومن حقه اذ يرفع بهيهات كما ارتفع به في قوله فهيهات هيهات العقيق
واهله فما هذه اللام اجيب بان الزجاج قال في تفسيره البعد لما توعدون
فنزله منزلة المصدر ويصح ان تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد
التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به
واذ اللام زائدة للبيان زائدة وقف البزي والكسائي على هيهات
الاولى والثانية بالهاء والباقون بالتاء على الرسوم وقولهم ان هي
لا يفهم ما يعنون به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحياة هي الحياتنا
الدنيا ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها وبينها ومنه هي
النفس تتحمل ما حملت والمعنى للحياة الا هذه الحياة لان الخبر يدل عليها كما
ان النافية دخلت على هي لنفي معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها
فزالت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيى اي يموت منا من
هو موجود وسيأتي آخرون بعدهم وقيل يموت قوم ويحيى قوم وقيل نموت
ابا ونحيى الابناء وقيل في الآية تقديم وتاخير اي نحيى ونموت
لانهم كانوا ينكرون البعث بعد الموت كما قالوا وما نحن بمبعوثين
بعد الموت فكانه قيل فما هذا الكلام الذي يقوله قتيبة كذب ثم اخبروا

امره في الكذب فقالوا ان اي ما هو الا رجل افترى اي تعمد على الله اي
الملك الاعلى كذبا فلا يلتفت اليه وما نحن له بمؤمنين اي بمصدقين فيما
يخبرنا به من البعث والرسالة فكانه قيل فما قال فقيل قال رب اي
ايها المحسن الي بالرسالة وبارسالي اليهم وغيره من انواع النعم انصرني
اب اوقع لي النصر بما كذبون فاجابه ربه بان قال عما قليل من الزمان
وهان اليه واكد قلت بزيادة ليصبحن اب ليصيرن نادمين اي على كفرهم
وتكذيبهم اذا عاينوا العذاب فاخذتهم الصيحة اي صيحة العذاب او لما
كانت تاتي اي الامر الثابت من العذاب الذي لا يمكن مدافعته لهم ولد
لغيرهم غيرا سبحانه تعالى فماتوا وقيل صيحة جبريل عليه السلام وكيف كان
القوم مؤكد على الخلاف السابق فجعلناهم بسبب الصيحة غثاء اي
مطروحين ميتين كما يطرح الغثاء بسيل وهو ما في دمارهم بالغثاء وهو حميل
السيل والاسود من الورق والعيدان ومنه قوله فجعله غثاء احوى
اب اسود يابسا ولما كان هلاكهم على هذا الوجه سببا لهوانهم
عبر عنه بقوله تعالى فبعدا اي هلاكا وطردا عن الرحمة للقوم الظالمين
الذين وضعوا قتم التي كانت يجب عليهم بذلها في نصر الرسل لا في
هذا لانهم تشبيه بمختار هذا الدعاء عليهم والاخبار عنهم ووضع الظاهر
موضع ضميرهم للتسجيل وبعدا وسحقا وتقراوتخوينا ونحوها مصادر
موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه
نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها القصة الثالثة المذكورة في قوله
تعالى ثم انشانا اي بقطعتنا التي لا يعلمها تقديم ولا تاخر من بعدهم
اي من بعد من قدمنا ذكرهم من نوح والقرن الذي بعده قرونا
اي اقواما اخرين منهم سبحانه وتعالى تاتي يقص علينا في القرآن مفصلا
كما تقدم مرتانة يقص مجملا كما هنا وقيل المراد قصة لوط وشعيب وايوب

ويوسف عليهم السلام وعن ابن عباس بنو اسرائيل ثم ان الله تعالى اخبر بانه
لم يعجل على احد منهم قبل الاجل الذي اجل لهم بقوله تعالى ما تسبق من
امة اجلها اي الذي قدر لها بان موت قبله وما يستاخرون عنه تنبيه
ذكر الضمير بعد تانيثه رعاية للمعنى ومن زائدة ثم ارسلنا رسلنا تترا
اي متتابعين بين كل اثنين زمان طويل وقرا ابو عمرو ورسلنا بسكون
السكون والباقون برفعها وقرا تترا ابن كثير وابو عمرو وفي الوصل بتنوين
الالف على انه مصدر بمعنى التواتر وقع حالا والباقون بغير تنوين ولما
كان كانه قيل فكان ماذا فقيل كلما جاء امة رسولها اي بما امرناه من
التوحيد كذبوه اي كما فعل هؤلاء بكل ما امرتهم بذلك تنبيه اضاف
الرسول مع الارسال الى الرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال
الذي هو مبدا الامر منه والمجيء الذي هو منتهاه اليهم وقرا نافع وابن
كثير وابو عمرو بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والواو
والباقون بتحقيقهما وهم على مراتبهم في المد فاتبعنا القرون بسبب
تكذيبهم بعضهم بعضا في الاهلاك فلم يبق عند الناس منهم الا اخبارهم
كما قال تعالى وجعلناهم احاديث اي اخبارا يسمرون بها ويتعجب منها
ليكونوا عظة للمستبصرين ويعلموا انه لا يفلح الكافرون ولا يجب
الموصوفون وما احسن قول القايل ولاشيء ليدوم فكن حديثا جميلا
الذكر فالدنيا حديث والاحاديث يكون جمعا للحديث ومنه احاديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون جمعا للاحدوثة التي هي مثل
الاعجوبة والاضحوكة ومن ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو
المراد هنا ولما تسبب عن تكذيبهم هلاكهم اعقبه بقوله لبعدهم قال تعالى
فبعدا لقوم اي اقول يا علي ما يطلب منهم لا يؤمنون اي لا يوجد منهم ايمان
واذا جرت عليهم الفصول الاربعة لانهم لامزاج لهم معتدل القصة

الرابعة فقد موسي وهارون عليهما السلام المذكورة في قوله تعالي ثم ارسلنا
اي بما لنا من العظمة موسي واخاه هارون بايتنا قال ابن عباس الايات
التسع وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والجدب ونقص الثمرات وسلطان مبين اي حجة بينة وهي العصا وافردها بالذكر
لانها قد تتعلق بها معجزات شتي من انقلابها حية وتلقفها ما تاكته
السحرة وانقلاب البحر وانبجاس العيون من الحجر بعزيمها وبكونها عاما
وشمعة وشجرة حفنز امثرة ودلو وارشا فحملت كانها ليست بعصا
لما استبدت به علي العفاريت فلذلك عطفت عليها اكتفاء بما تعالي من
كاذعد والدم وملايكته ورسله وجبريل وميكال ويجوز ان يراد بالايات
نفس تلك المعجزات وبالسلطان المبين كيفية دلالتها علي الصدق
وذلك لانها وان شاركت ايات سايرالانبيا في كونها ايات متعددة فارقتها
في قوة دلالتها علي قول موسي عليه السلام وان يراد بالسلطان المبين
المعجزات وبالايات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها ايات البينة وحجة
بينة علي ما يدعيه النبي قال الرازي واعلم ان الاية تدل علي ان معجزات
موسي كانت معجزات هارون الفا وان البقية كما كانت مشتركة بينهما
فكذلك المعجزات الي فرعون وملايه اي وقومه ولكن لما كان
الاطراف لايبقا لفرعون الا شراف عدمهم عدهم من المواضع ان التقدير
ان اعبدوا الله ما لكم من الصغيره واشار بقوله تعالي فاستكبروا اي
انهم اوجدوا الكبر عن الاتباع فيما دعوتهم اليه عقب الابلاغ من غير
تامل ولا تثبت وطلبوا ان لا يكذبوا بواحدة امر من دعائهم واشار
بالكون الي فساد جبلتهم بقوله تعالي وكانوا قوما اي قويا عالين
اي متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم وان تسبب عن استكبارهم وعلوهم
انكارهم للاتباع قال تعالي فقالوا انؤمن اي بالله مصدقين لبشرين

مثلنا

مثلنا اي في البشرية والماكل والمشرب وغيرهما مما يعتري البشر كما قال
من تقدمهم وقومهما اي والحال ان قومهما اي بني اسرايل لنا عابدون
خضوعا وتذللا اي في غاية الذل والانقياد كالعبد فحق اولي منهما
بهذا ولانه كان يدعي الالهية فادعي للناس العبادة واذ طاعتهم
له عبادة علي الحقيقة فكذبوهما اي فرعون وملاه موسي وهارون
فكانوا اي فرعون وملاه بسبب تكذيبهم من المهلكين اي بالغرق بحر
فلزم ولم تقتن عنهم قوتهم في انفسهم ثم قوتهم علي خضوع بني اسرايل
واستعبادهم ولا حز بني اسرايل بعد انقاذهم من عبودية فرعون وقومه
اعجب قال تعالي تسلية لنبيه صلي الله عليه وسلم ولقد اتينا اي
بعظمتنا موسي الكتاب اي التوراة لعلهم اي قوم موسي وهارون عليهما
السلام يهتدون من الضلالة الي المعارف والاحكام ولا يصح عود
الضمير الي فرعون وملايه لان التوراة انما اوتيها بنو اسرايل بعد
اغراق فرعون وملايه بدليل قوله تعالي ولقد اتينا موسي الكتاب من
بعد ما اهلكنا القرون الاولي الفقد الخامسة فقد عيسي عليه السلام
المذكورة في قوله وجعلنا اي بعظمتنا وقدرتنا ابن مريم نسبه اليها
تحقيقا لكونه لا اب له وكونه بشرا مخلوقا في البطن مولودا للاصلح لمرتبة
الالهية وزاد في تحقيق ذلك بقوله وامه وقال تعالي اية ولم يقل
ايتين لان الاية الاولي حذفت لدلالة الثانية عليها والتقدير وجعلنا
ابن مريم وامه اية لانهما حملته من غير ذكر وقال الحسن قد تكلمت في صغرها
كما تكلم عيسي وهو قولهما هو من عند الله ان الله يرزق من يشا بغير
حساب ولم تلتقم ثديا فط تنبيه قال بعض المفسرين ولعل في ذلك
اشارة الي انه تكلمة به اية للقدرة علي ايجاد الانسان بكل اعتبار من
غير ذكر ولا انثي وهو آدم عليه السلام ومن ذكر بلا انثي وهي حواء

عليها السلام ومن انبئ بلا ذكر وهو عيسى عليه السلام ومن الزرجين وهو
بقية الناس وارينا هما اي بعظمتنا الي ربوة اي مكان عال من الارض
تنبيه قد اختلف في هذه الربوة فقال علما عن ابن عباس هي بيت المقدس
وهو قول قتادة وكعب قال كعب هي اقرب الارض الي السما ثمانية عشر
ميلا وقال عبد الله بن سلام هي دمشق وقال ابو هريرة هي الرملة
وقال السدي هي ارض فلسطين وقال ابن زيد هي مصر وقرا ابن عامر
وعاصم بفتح الراء والباقون بضمها ذات قرار اي مستوية
يستقر عليها ساكنوها ومعين اي ماء جار ظاهر تراه العيون تنبيه
قد اختلف في زيادة ميم معين واصالتها فوجه من جعله مفعولا
انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بعينه محذوف كبه
اذا اصابه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع لظهوره وجريه
من الماعون وهو المنفعة قيل سبب الايوا انما مرت بانها الي الربوة
ومرتحلها بقيت بها اثني عشر سنة ثم رجعت الي اهلها بعد ما مات
ملكهم وقيل انها آخر القصص وقد اختلف في المخاطب في قوله تعالى
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات علي وجوه احدها انه محمد صلى الله
عليه وسلم وحده علي مذهب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة
ثانيها انه عيسى عليه السلام لانه روي ان عيسى عليه السلام كان
يأكل من غزل امه ثالثها انه كل رسول خوطب بذلك وروي به لانه
تعالى في الازل تكلم آمرا ناهيا ولا يشترط في الامر وجود المامورين
بل المخاطب علي تقدير وجود المخاطبين فقول البيضاوي في الاعلى
انهم خوطبوا بذلك دقة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة علي معنى
ان كلا منهم خوطب به في زمانه بتع فيه الكشاف فان المعتزلة
انكروا تقدم الكلام فحملوا الاية علي خلاف ظاهرها وانت جبير

بان

بان عدم اشتراط ما ذكر انما هو في التعلق المعنوي لا التنجيزي الذي
الكلام فيه فانه مشروط فيه ذلك وانما خوطب جميع الرسل بذلك
ليعتقد السامع ان ما خوطب به جميع الرسل وصوابه حقيق
ان يوخذ ويعمل عليه وهذا كما قال الرازي اقرب لانه روي من امر عبد
الله اخت شداد بن اوس انما بعثت الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقدح من لبن في شدة الحر عند ظهره وهو صائم فرده صلى الله عليه وسلم
الرسول الينا قال من اين لك هذا فقالت من شاة لي ثم ردده صلى
الله عليه وسلم وقال من اين لك هذه الشاة فقالت اشتريتها من مالي
فاخذته ثم راجعته وقالت يا رسول الله لم رددته فقال صلى الله
عليه وسلم بذلك امرت الرسل انه لا تاكل الا طيبا ولا تعمل الا صالحا
والمراد بالطيب الحلال وقيل طيبات الرزق الحلال وصانه وقوام
فالحلال هو الذي لا يعصى الله فيه والصافي هو الذي لا ينسى الله فيه
والقوام هو الذي يمسك النفس ويحفظ العقل وقيل المراد بالطيب
المستلذ اي ما تستلذه النفس من المآكل والفواكه ويشهد له
مجيئه علي عقب قوله تعالى وارثنا هما الي ربوة ذات قرار ومعين والعلم
الله سبحانه وتعالى كما قال للمرسلين يا ايها الرسل كلوا من الطيبات قال
للمومنين يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ودل سبحانه
وتعالي علي ان الحلال عون علي الطاعة بقوله تعالى واعملوا صالحا
فرضا ونفلا سرا وجهرا غير خائفين من احد غير الله تعالى ثم حثهم
علي دوام المراقبة بقوله تعالى اني بما اي بكل شي تعملون عليم اي بالغ
العلم فاجازيكم عليه وقرا وان هذه بكسر الهمزة الكوفيون علي
الاستيناف والباقون بفتحها علي تقدير واعلموا ان هذه اي ملة
الاسلام وخفف النون ساكنة ابن عامر وشددها مفتوحة الباقون

امتكم اي دينكم ايها المخاطبون اي يجب ان تكونوا على ملتهم حال كونها امة
واحدة لا استثناء فيها اصلا فما دامت موحدة فهي مرضية وانا ربكم اي
المحسن اليكم بالخلق والرزق وحدي فمن وحدني نجا ومن اشرك معي
عرضي هلك فاتقون اي فاحذرون فتقطعوا اي الامور فيما بينهم
لوضوح ارادتهم لان الاية التي قبلها قد صرحت بان الانبياء ومن نجا
منهم امة واحدة لا خلاف بينهما فعلم قطعا ان الضمير للامم ومن سننا
بعدهم ولذلك كان النقل الى الامر الذي كان واحدا هم فقدم قوله
لديهم اي دينهم بعد ان كان مجتمعا متصلا بينهم وقوله تعالى زبرا حال
من فاعل تقطعوا اي احزابا مختلفين فصاروا فرقا كاليهود والنصارى
والمجوس وغيرهم من الاديان المختلفة جمع زبور بمعنى الفرقة
وقيل معنى زبرا كتبا اي تمسك كل قوم بكتاب فامنوا به وكفروا بما
سواه من الكتب كل حزب اي فرقة من الممزقين بينهم بما لديهم اي عندهم من
ضلالة وبدعة وقرا حمزة بهم الهاء والباقون بكسرها فرحون اي
مسرورون فضلا عن ان يهتموا بامر الدين وقوله تعالى فذرهم اي اتركهم خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم اي اترك كفار مكة في غمرتهم اي ضلالتهم يتمرغون
فيها حتى حين اي الى ان يقتلوا او يموتوا سلبي رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك ونهي عن الاستعجال لهذا بهم والجزع من تاخير
ولما كان الموجب لغرورهم ظنهم ان حالهم في بسط الارزاق من
الامور والاولاد حالة رضي عنهم انكر ذلك عليهم تنبيها لمن سبقت
له السعادة وكتب له الحسنى وزيادة فقال تعالى ايحسبون اي
بصنف عقولهم وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون
بكسرها انما نمدهم اي نفعل بهم به ونخوله مدة الهم من مال ينسرع
لهم وبنين غفلتهم بهم عما ذكر عن ان بقوله تعالى نسارع اي نعجل لهم

اي

اي به في الخيرات لا نفعل ذلك بل لا يشعرون انهم في غاية البعد عن الخيرات
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون
وروي عن زيد بن ميسرة انه قال اوحى الله تعالى الى نبي من الانبياء ايرح
عبدي ان ابسط اليه الدنيا وهو بعد له مني ويحرى ان اقبض عنه الدنيا
وهو قرب له مني وعن الحسن لما اتى عمر بسوار كسرى فاخذه ووضعه
في يد سراقة بن مالك فبلغ منكبه فقال عمر اللهم اني قد علمت ان نبيك
عليه الصلاة والسلام كان يحب ان يصيب مالا لينفقه في سبيلك فنزوى
ذلك عنه ثم ان ابا بكر كان يحب ذلك اللهم لا يكون ذلك مكرا منك ثم تلى
ايحسبون الاية ولما ذكر اهل الافتراق ذكر اهل الوفاق ووصفهم
باربع صفات الاولى قوله تعالى ان الذين هم اي بواطنهم من خشية
ربهم اي الخوف العظيم من المحسن اليهم المنعم عليهم مشفقون اي دائمون
الحذر الصفة الثانية قوله تعالى والذين هم بايات ربهم اي القران
ايها العبد تؤمن الصفة الثالثة قوله تعالى والذين هم بربهم اي الذي لا احسن
اليهم غيره لا يشركون اي شيئا من شركه في وقت من الاوقات كما لم يشركه
في الاحسان اليهم احد ولما اثبت لهم الايمان الخالص نفى عنهم العجب بقوله
تعالى والذين يؤتون اي يعطون ما اتوا اي اعطوا من الصدقة والاعمال
الصالحة وهذه الصفة الرابعة وقلوبهم وجلة اي شديدة الخوف ان
لا يتقبل منهم ولا ينجيهم من عذاب الله مع فعلك ذلك بقوله تعالى انهم الى ربهم
اي الذي طالما احسن اليهم راجعون بالبعث فيجازيهم على التقصير
والتقصير ويجزيهم بكل قليل وكثير وهو الناقد البصير ولا تنفع هناك
الدناءة وليس هناك الا الحاكم العدل والحكم القاطع من جهة مالك الملك
قال الحسن البصري المؤمن جمع ايمان او خشية والمنافق جمع اساة واحنا

ثم اثبت لهم ما انهم ان خلوه للاضداد بم بقوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات
وهم لها سابقون اي يبادرون الي الاعمال الصالحة قبل الموت ولما ذكر
تعالي كيفية اعمال المؤمنين المخلصين ذكر انه تعالي لا يكلف احدا فوق
طاقته بقوله تعالي ولا نكلف نفسا الا وسعها اي طاقتها ممن لم يستطع
ان يصلي الفرض قائما فليصل قاعدا ومن لم يستطع ان يصل قاعدا
فليصل مضطجعا ومن لم يستطع ان يصوم رمضان فليفطر لان مبني المخلوق
علي العجز ولدينا اي وعندنا كتاب ينطق بالحق بما عملته كل نفس وهو
اللوح المحفوظ سمي بذلك لان الاعمال تثبت فيه وقيل كتب الحفظة ونظيره قوله تعالي
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وقوله تعالي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها فشبه تعالي الكتاب بمن يصدر عنه البيان فان الكتاب
لا ينطق لكنه يعرف بما فيه كما يعرف بنطق الناطق اذا كان محققا فان
قيل ما فائدة ذكر الكتاب مع ان الله تعالي يعلم ذلك اذ لا يخفي عليه
خافية اجيب بان الله يعلم ما سيكون وقد يكون في ذلك حكمة لا يطلع
عليها الا هو وهم اي الخلق كلهم لا يظلمون اي لا ينقص من حسناتهم ولا
يزاد في سيئاتهم ثم ذكر حال الكفار فقال تعالي بل قلوبهم اي الكفرة
من الخلق في غمرة اي جهالة قد اعترتهم من هذا اي القرآن او الذي وصف
به حال هؤلاء من كتاب الحفظة ولهم اعمال من دون ذلك المذكور
لكل من هم اي الكفار لها اي لتلك الاعمال الخبيثة عاملون اي لا بد
ان يعملوها فيعذبون عليها لما سبق لهم من الشقاوة حتى اذا اخذنا
مترفيهم اي رؤسائهم واغنيائهم بالعذاب قال ابن عباس هو السيف
يوم بدر وقيل هو الجوع دعا عليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال
اللهم اشدد وطأتك علي مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم
الله تعالي بالقحط حتي اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة وانقدوا

الاولاد

الاولاد اذا هم يجارون اي يعجون ويستغيثون ويجزعون واصل الجيار
رفع الصوت بالتضرع قاله البغوي فكانه قيل فهل يقبل اعتذارهم او
يرحم انكسارهم فقيل لا بل يقال لهم بلسان الحال او المقال لا تجاروا اليوم
فانا لا نجيركم ولا نرحمكم ثم علل ذلك بقوله تعالي انكم منا لا تنصرون اي
بوجه من الوجوه ومن تحدثه نفسه بنصرتهم لم يجد له ناصرا ذلك فائدة لجيارهم الا اظهار
العجز ثم علل عدم نصرهم لهم بقوله تعالي قد كانت اياتي اي من القرآن تتلى
عليكم اي من اولياء الله وهم الحمدة النصحاء فكنتم كونا هو كالجبلة علي اعقابكم
عند تلاوتها تنكصون اي تعرضون مدبرين عن سماعها والعمل بها
والنكوص الرجوع اي القهقري مستكبرين اي عن الايمان واختلف في
عود الضمير في به فقال ابن عباس بالبيت اكراما وتعظيما لشرفه استكبارهم
وافتخارهم بانهم قوامه الحي بمن سبق ذكره وذلك انهم يقولون نحن اهل
حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا احد ولا نخاف احدا فنحن امنون فيه
وسائر الناس في تخوف وقيل بالقرآن فلم يؤمنوا به وقوله تعالي سامرا
نصب علي الحال اي جماعة يجتمعون بالليل حول البيت وقوله تعالي تهجرون
قراءة نافع بضم التاء وكسر الجيم من الاهجار وهو الافحاش اي تفحشون
وتقولون اكثنا ذكرا نحن كانوا يسبون النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه
والباقون بفتح التاء وضم الجيم اي تقرضون عن النبي صلي الله عليه وسلم
وعن الايمان وعن القرآن وترفضونها وسموا القرآن سحرا وشعرا ثم
الله تعالي لما وصف حالهم رد عليهم بان بين ان اقدامهم علي هذه الامور
لا بد ان يكون لاحد امور اربعة احدها ان لا يتاملوا في دليل نبوته وهو
المراد من قوله تعالي افلم يدبروا القول اي القرآن الدال علي صدق النبي
صلي الله عليه وسلم واصل يدبروا ليتدبروا فادغمت التاء في الدال لتقاربهما
ان يعتقدوا انه ما جاء الرسول امر علي خلاف العادة وهو المراد من قوله

تعالى ام جاءهم في هذا القول عالم بايات ابائهم الاولين الذين بعد اسماعيل وقبله
ثالثها ان لا يكون لهم اعالمين بامانته وحسن حاله قبل ادعاء النبوة وهو
المراد من قوله تعالى ام لم يعرفوا رسولهم اي الذي اتاهم بهذا القول الذي
لا قول مثله وهم يعرفون نسبه وصدقه وامانته وما جاءهم من معالي
الاخلاق حتى انهم لا يجدون فيه حقيقة بذكر ردئا ولا
وصمة يستحلون بها كما دلت عليه الاحاديث الصحاح منها حديث ابي سفيا
ابن حرب الذي في اول البخاري في سوال هرقل ملك الروم له عن
شانه صلى الله عليه وسلم وقد اقتصت كلمتهم عليه بتسميته الامين فهم
اي فنسبب عن جهلهم به انهم له اي نفسه او القول الذي اتى به
منكرون فيكونون امن جهل الحق لجهل حال الاتي به وفي هذا غاية
التوبيخ لهم لاجلهم بجهلهم وبخ اوتهم بانهم يعرفون انه اصدق الخلق
واعلاهم في كل معنى جميل ثم كذبوه رابهما ان يعتقدوا فيه الجنون
فيقولون انما جاء علي ادعاء الرسالة جنونه وهو المراد من قوله تعالى
ام يقولون به اي بعد تدبر ما اتى به وعدم عثوريهم فيه على وجه من
الوجوه الطعن به اي رسولهم جنة اي جنون فلا يوثق به ولما كانت
هذه الاسقام منفية عنه فانهم اعرف الناس بهذا النبي الكريم
وانه اكملهم خلقا واشرفهم خلقا واطهرهم شيما واعظمهم همما وارجحهم
عقلا واسلمهم راياً وارصنهم قولا واصونهم فعلا اضرب عنها وقال
تعالى بل اي ان لم يتدبروا عند سماع الايات ويسمعوا ان بالحق والا
عتقادهم شيء مما مضى وانما فعلوا ذلك لان هذا الرسول الكريم جاءهم
بالحق اي القرآن المشتمل على التوحيد وسائر الاسلام وقال
الجلال المحلي الاستدراك مما فيه للتقرير بالحق من مصدق الشيء ومجيء
الرسل للامم الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والامانة وان اكثرهم

به

به وبل للانتقال واكثرهم اي والحال ان اكثرهم للحق كارهون مناقضة للاهوا
الرديئة والسمنوات الهيمية عنادا وانما قيد تعالى الحكم بالاكثر لان
بعضهم يتركه جهلا وتقليدا وخوفا من ان يقاد هنا وبعضهم يتبعه توفيقا
من الله تعالى او تاييدا ثم بين تعالى ان اتباع الهوى يودي الى الفساد
العظيم بقوله تعالى ولو اتبع الحق اي القرآن اهواءهم بان جاء بما يهوى به
من الشرك والولد لله تعالى الله عن ذلك لفسدت السموات على
علوها واحكامها والارض على كثافتها وانتظامها ومن فيهن على كثرتهم
وانتشارهم وقوتهم اي خرجت عن نظامها المشاهد بسبب ادعائهم
تعدد الالهة لوجود التمانع في الشيء عادة عند عدد الحاكم كما سبق
تقريره في قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا بل اتيناهم
بذكرهم اي بالقرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم وقيل الذي تمنوه
بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين فهم عن ذكرهم اي الذي هو شرف لهم
معرضون لا يلتفتون اليه كما بين تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم
لا يطلبهم منهم حتى يكون ذلك سببا لشرفهم بقوله تعالى ام تسالهم اي
على ما جئتهم به خرجا اي اجرا وقرا حمزة والكسائي بفتح الراء وبعدها
الف والباقون بسكون الراء ولما كان الافكار معناه الشيء حسن موقع
قال السبب في قوله تعالى فخراج ربك اي رزقه في الدنيا وثوابه في
العقبى خير لسعته ودوامه فيه مذوحة ذلك عن عطايهم وقرا
ابن عامر بسكون الراء والباقون بفتحها والف بعدها قال ابو عمرو بن
العلا الخراج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه قال الزمخشري
والوجه ان الخراج اخص من الخراج كقولك لخراج القرية وخراج الكردة اي
الرقبة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ
خرجا فخراج ربك بقي ام تسالهم عليه اتيك لم قليلا من اعطاء

الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير وقوله تعالى وهو خير الرازقين تقرير
لخيرية عطاياه ولما ذين بحانه وتعالى طريقة القوم التبعه ببيان حجة ما جا
به الرسول بقوله تعالى وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول
السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له كما تشهد به العقول
الصحيحة ممن سلكه اوصله الى الغرض فحاز كل شرف تنبيه فذكر لهم الله
تعالى بحجة في هذه الايات وقطع معاذيرهم وعللهم فان الذي ارسل
اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خلق بابا يجتبي مثله
للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي فضل هذه الدعوى
العظيمة بباطل ولم يجعله رسولا الى النيل من دنياهم واستطالة اموالهم
ولم يدعهم الى دين الاسلام الا هو الصراط المستقيم الامم اي اذ المكنون من
ازواجهم وهو اخلالهم بالتدبر والتامل من غير برهان وان الذين لا
يؤمنون بالاخرة اي بالبعث والثواب والعقاب عن الصراط اي الذي
لا صراط غيره لانه لا يوصل الى المقصد غيره لناكبون اي عادلون منحرفون
في سائر احوالهم سايرون على غير منهج اصلا بل خبط عشوة ولو رحمنا
اي عاملناهم معاملة الراحم في ان الضر وقد وهو معنى قوله تعالى
وكشفنا ما بهم من ضر اي جوع اصابهم بمكة سبع سنين لجوا اي عادوا
وتمادوا في طغيانهم الذي كانوا عليه قبال هذا يعمهون اي يتردون
ولقد اخذناهم بالعذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا
على قريش ان يجعل عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم القحط فجا
ابو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم
الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قد قتلت الاباء
بالسيف والابناء بالجوع فقد اكلوا العرزف والعظام والقهقرى يعلمهن
وشكا اليه الفرع فادع الله تعالى يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف

عنهم

عنهم فانزل الله تعالى هذه الاية تنبيه العلماء وبر يخلط بدما تعلم بين كل
في الحرب والعلهز هنا الفراد الفخم وشكا بعض الاعراب الى النبي صلى
الله عليه وسلم السنة فقال والله ما بقي لنا ولا شيء مما يوكل الناس عندنا سوى تخلط
العامي والعلهز الفسل وليس لنا الا اليك فرارنا واين فرار الناس الا الى
الرسل فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واستبقى دفع هذه
المحن قال الله تعالى عنهم فما استكانوا اي خضعوا وخضوعا هو كالجلة
لهم واصله طلب السكون لربهم اي المحسن اليهم عند المحنة وما يتضرعون
اي يجددون الدعا بالخشوع والذل والخشوع في كل وقت بحيث يكون
لهم عادة بازاء ما جبلوا عليه من الاستكبار والعتو حتى اذا فتحنا
عليهم بابا ذا اي صاحب عذاب شديد قال ابن عباس يعني القتل يوم
بدر وهو قول مجاهد وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة اذا هم فيه
اي ذلك الباب مبلسون وهو لا يقدرون منه على نوع خلاص مبلسون
متحيرون آيسون من كل خير ثم انه سبحانه التفت الى خطابهم وبين عظيم
نعمه من وجوه احدها ما ذكره بقوله تعالى وهو الذي انشا اي خلق لكم
يا من يكذب بالاخرة السمع بمعنى الاسماع والابصار على غير مثال سبق
لتحسنوا بها ما نصب من الايات والافئدة اي التي هي مراكز العقول
لتتفكروا في الايات وتستدلوا بها على الوحدانية فكثيرا ما اعلا من
بقية الحيوان جمع فؤاد وهو القلب وانما خص هذه الثلاثة بالذكر لانه
يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها من لم
يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال ولقد ذرانا لجهنم
ولا بصار لهم ولا افئدة لهم من شيء اذ كانوا يجحدون بايات الله ولما صورلهم قوله
النعم وهي بحيث لا يشك عاقل في انه لم يتصور ان يعطى ادمي شيا منها لهم
يقدر على مكافاته حسن تبكيتهم في كفر النعم فقال قليلا ما تشكرون

لمن اولاكم هذه النعم التي لا يقدر غيره على شيء منها مع ادعائكم انكم اشكر
الناس لمن اسدى اليكم اقل ما يكون من النعم التي يقدر على مثلها كل احد
فكنتم بذلك من الحيوانات البهيمة صما بكما عميا قال ابو مسلم ليس المراد ان
لهم شكرا وان قل لكنه كما يقال للكفور الجاحد النعمة ما اقل شكر فلان
ايا ما ما ذكره في قوله تعالى وهو اي وحده الذي ذرأكم اي خلقكم وبثكم
في الارض للتناسل واليه وحده تحشرون يوم النشور تاليا ما ذكره بقوله
تعالى وهو اي وحده الذي من شأنه ان يحيي ويميت فلا مانع له من
البعث ولا غيره مما يريده ناسبا ما ذكره بقوله تعالى وله اختلاف الليل
والنهار اي التعرف بهما بالسواد والبياض والزيادة والنقصان افلا
تعقلون اي بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها
وان البعث من جملتها فتعتبرون ولما كان معنى الاستفهام الانكاري
النفي حسن بعده قوله تعالى بل قالوا اي هؤلاء العرب مثل ما قال
الاولون من قوم نوح ومن بعده فقالوا ذلك تقليدا للاولين ثم حكى
الشبهة عنهم من وجهين احدهما ما ذكره بقوله تعالى قالوا اي منكرين
البعث متعجبين من امره ايذا متنا وكنا اي بالبلى بعد الموت ترابا
وعظاما ايا لمبعوثون اي لمحشورون بعد ذلك قالوا ذلك استبعادا ولم
يتاملوا انهم قبل ذلك كانوا ترابا فخلقوا ثانيا مما ذكر وبقوله تعالى انهم قالوا
لقد وعدنا نحن وابآؤنا هذا اي البعث بعد الموت من قبل كانهم قالوا
ان هذا الوعد كما وقع منه صلى الله عليه وسلم فقد وقع قديما من سائر
الانبياء ولم يوجد مع طول العهد وظنوا ان الاعادة تكون في دار الدنيا
ثم قالوا ان اي ما هذا الا اساطير اي اكاذيب الاولين كالاضاحيك
والاعاجيب جمع اسطورة بالضم وقيل جمع اسطار جمع سطر قال ردبه
اني واسطار سطرن سطرا وهو ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له ولما

انكروا

انكروا البعث هذا الانكار المؤكد ونفوه هذا النفي المحتم امره الله تعالى ان
يقرعهم بالادلة الدالة بها مقرون ولما عارفون يلزمهم من تسليمها
الاقرار بالبعث فقال احدها قوله تعالى قل اي مجيبا لانكارهم البعث ملزما
لهم لمن الارض اي على سعتها وكثرة عجائبها ومن فيها علي كثرتهم واختلافهم
ان كنتم مما هو كالجبلة لكم تعلمون اي اهلا للعلم وفيه تنبيه على انهم انكروا
شيئا لا ينكره عاقل ولما تردد بين هذين امرين بذلك اخبر تعالى عن جوابهم قبل ان
يكون من دلايل النبوة واعلام الرسالة بقوله تعالى استيقولون
اي فظهر ما ذلك كله لله اي المختص بصفات الكمال علم انه تعالى امره بقوله
قل اي لهم اذا قالوا لك ذلك سخرا منك لعلمهم افلا تذكرون اي بذلك
المذكى وفي طباعكم المتطوع به عنكم ما غفلتم عنه من تمام قدرته
وباهر عظمته فيعلم قوة ما اخبرتكم به من البعث الذي يعود ذلك
وتعلموا انه لا يصلح شيئا منها وهو ملكه ان يكون شريكا له ولا ولدا وتعلموا
ان القادر على الخلق ابتداء قادر على الاحياء بعد الموت وانه لا يصح في الحكمة
اصلا ان يترك البعث لان الفكر لا يرضى بترك حساب عبيده والعدل
بينهم وقرا حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال والباقون
بالتشديد بادغام التاء الثانية في الذال تاليا ما قبله تعالى قل اي
لهم من رب خالق ومدبر السموات السبع كما تشاهدون من حركاتها
وسيرها فلا تحصى ورب العرش اي الكرسي العظيم كما قال تعالى وسع كرسيه
السموات والارض سيقولون لله اي الذي له كل شيء هو رب ذلك لا يجدون
لهم غير ذلك وتاكد الامر وزاد الوضوح حسنا التمديد على التادي
قال تعالى قل اي منكرا عليهم افلا تتقون اي تحذرون عبادة غيره
تالهة قوله تعالى قل اي مع ما تقرر بهم بالعالمين العلوي والسفلي
ان يقروا بما هو اعم واعظم وهو قوله تعالى من بيده ملكوت كل شيء

ملكوت كل شئ من جن وانس وغيرهما والملكوت الملك البليغ قال
ابن كيسان كانت العرب اذا كان السيد فيهم فاجار احدا لا يخفر في جواره
وليس لمن دونه ان يجير عليه ليلا يجاب عليه ولو اجار ما افاد ولهذا
قال تعالى وهو يجير اي يمنع ويغيث من يشاء فيكون في حرز لا يقدر احد
على الدنو من ساحته ولا يجار عليه ولا يمكن احدا ابدا ان يجير جوارا
يكون مستعليا عليه بان يكون على خلاف مراده بل ياخذ من اراد وان
عز فهو جميع الخلائق ويعلي من اراد وان تحاملت عليه كل المصائب
فتبين كالشمس انه لا شريك له لا في ملكه ولا ولد ينازعه وانه السيد
العظيم الذي لا اعظم منه الذي له الخلق والامر ولا معقب لحكمه
وما شاء كان وعالم بما لم يكن ثم الهمهم الى المبادرة الى الاعتراف
به وهو معهم به بقوله تعالى ان كنتم تعلمون اي في اعداد من يعلم ولذلك
استانف قوله تعالى سيقولون لله اي الذي بيده ذلك خاصا به
تنبيه سيقولون لله الاول لا خلاف فيها واما الثانية والثالثة
فقرا ابو عمرو سيقولون الله بزيادة همزة الوصل مع التفخيم فيهما
ورفع الهاء وهو الباقون بغير همز الوصل مع الترقيق وكسر الهاء
والتقدير ذلك كله لله ولما كان جوابهم بذلك يقتضي انكارا وتوقفهم
في الاقرار بالبعث استانف قوله تعالى قل ايلهم منكرا عليهم فانى
تسحرون اي فكيف يبعد اقراركم بهذا كله تخدعون وتصرفون عن
الحق وكيف يخيل لكم انه باطل ولما كان الانكار بمعنى النفي حسن قوله
تعالى بل اي لسنا الامر كما يقولون بل اتيناهم بالحق اي بما لا مرد من
التوحيد والوعد والوعيد والشرع انهم لكاذبون في كل ما ادعوه من الولد
والشريك وغيرهما مما بين الفرات فساده ومن اعظم كذبهم قولهم
اتخذ الرحمن ولدا قال تعالى ليرد عليهم ما اتخذ الله اي الذي لا كفؤ له

من

من ولد اي من الملائكة ولا من غيرهم لما قام من الادلة على غناه وانه
لا مجانس له ولما كان الولد اخص من مطلق الشريك قال تعالى وما كان معه
اي بوجه من الوجوه من اله يشابهه في الالوهية اذ لو كان معه آلهة اخر
لذهب كل اله بما خلق بالتصرف فيه وحده ليتميز ما له مما لغيره فاذا قيل
اذا لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله تعالى لذهب
جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل اجيب بان الشرط
محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله تعالى وما
كان معه من اله عليه وهو جواب لان معه الحاجة من المشركين ولعلى
بعضهم اي بعض الآلهة على بعض اذا تخالفت ارادتهم فلم يرض احد
منهم ان يعاني ما خلقه الى غيره ولا ان يمضي فيه امرا على غير مراده
كما هو مقتضى العادة فلا يكون الغلوب الها لعجزه ولا يكون مجيرا
على مجار عليه بيده وحده ملكوت كل شئ ولما طابق الدليل الاول
على نفي الشريك من نفسه الشريفة ما هو نتيجة ذلك سبحان
الله المتصف بجميع صفات الكمال المنزه عن سمات النقص عما
يصفون من كل ما لا يليق بجنابه المقدس من الاولاد والاولاد
لما سبق من الدليل على فساده ثم اقام دليلا آخر على كماله بوصفه
بقوله تعالى عالم الغيب والشهادة اي ما غاب وما شوهد وقراء
نافع وحفص وحمزة والكسائي برفع الميم على انه خبر مبتدا محذوف
تقديره هو والباقون بالخفض على انه صفة لله ثم رتب على هذا
الدليل قوله تعالى فتعالى اي تعاظم عما يشركون معه من الالهة
ثم ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى قل رب
اي يا من احسن الي اما فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزايدة اي
ان كان لا بد ان تريني لان ما والنون للتاكيد ما يوعدون من العذاب

في الدنيا والاخرة ربّ فلا تجعلني باحسانك الي في القوم الظالمين اي قرنا
لهم في العذاب فان قيل كيف يجوز ان يجعل الله تعالي نبيه صلي الله
عليه وسلم المعصوم مع الظالمين حتي يطلب ان لا يجعله معهم اجيب
بانه يجوز ان يسال العبد ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما علم
انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واخبارا له واستقتاله
صلي الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة او مائة مرة لذلك
وما احسن قول الحسن بن قول ابي بكر الصديق رضي الله تعالي عنه
وليتكم ولست بخيركم كان يعلم انه خيرهم ولكن المؤمن يتهم نفسه
وانما ذكر ربه مرتين مرة قبل الرماح ومرة قبل الكراسي لكثرة في
التفزع وانا علي ان اريك اي قبل موتك ما نعدهم
من العقاب لقادرون لكنا نوخره عنهما بان نعفو عنهم او بعض اعقابهم
يوم بدر او فتح مكة ثم انه قال فاذا
افعل فيما تعلم من امرهم فقال تعالي ادفع بالتي هي احسن اي من
الاقوال والافعال بالصفح والمداراة السيئة اذاهم اياك وهذا قبل
الامر بالقتال فهي منسوخة وقيل محكمة لان المداراة محبوبة علي كل
حال توقيا لشر او مروءة نحن اعلم بما يصفون في حقك
وحقنا فلو شيئا سفهائهم عنا وعاجلناهم بالعذاب وليس احد
باغير منا فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولما ادب سبحانه
وتعالي رسوله صلي الله عليه وسلم بانه يدفع بالتي هي احسن
علمه ما به يقوي علي ذلك بقوله تعالي وقل رب اي ايها المحسن الي
اعوذ بك اي التجي اليك من همزات الشياطين ايا ان يصلوا الي بوسواس
واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرايض سميت حثهم الناس علي
المعاصي همزا لهمز الرايض للدواب علي السعي وجمع همزات اي
لتنوع

لتنوع الوسواس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ايا ايها المربي
لي ان يحضرون في حال من الاحوال خصوصا حال الصلاة وقراءة القرآن
وحلول الاجل لانها احرب الاحوال وهم انما يحضرون خصوصا حال
الصلاة وقراءة القرآن وانما يحضرون بسوء لو لم تقل اليه وساوسهم
فان بعدهم بركة وعن جبير بن مطعم قال رايت النبي صلي الله عليه وسلم
يصلي صلاة قال عمرو لا ادري اي صلاة هي فقال الله اكبر كبيرا ثلاثا
والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من
الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر
وهمزه الموتة اخرجه ابو داود دلالة الشعر يخرج من القلب فيلفظ
به اللسان وينفثه كما ينفث الريق والمتكبر ينتفخ ويتعاظم ويجمع
نفسه ويحتاج الي ان ينفخ والموتة والجنون يغير في الدنيا كالميتة
ثم ان الله تعالي اخبر ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسالون
الرجعة الي الدنيا عند معاينة الموت لقوله تعالي حتي وهي هنا كما
قال الجلال المحلي ابتدائية او متعلقة بيصفون او بكاذبون
كما قال الزمخشري وقدم المفعول ليذهب الوهم في فاعل كل
مذهب فقال اذا جاء احدهم الموت فكشف له الغطاء ظهر له
الحق ولاحت له بوارق العذاب ولم يبق في شيء من ذلك ارتياب
قال مستحسرا علي ما فرط فيه من الايمان والطاعة نحاطبا
لملائكة العذاب علي عادة جهلة وقوفه مع المحسوس من اراد
البهائم رب ارجعون الي الدنيا دار العمل ويجوز ان يكون
جمعا لله تعالي وللملائكة او للتعظيم علي عادة الجبابرة الكبير
الاكابر سيما الملوك كقوله الا فارحموني يا آل محمد وقوله ما شبت
رحمت النساء سراكم او القصد تكرير الفعل للتاكيد لانه في معني

ارجعني كما قيل لي قفا وانما بعين قد وثقت واطرت اطرقت ولما كان في تلك الحالة مع وصوله الى الغرغرة ليس على القطع من اليأس قال لعلي اعمل ايكان اكون على رجاء من ان عمل صالحا فيما تركت اي ضيعت من الايمان بالله وتوابعه فيدخل فيه الاعمال البدنية والمالية وعنه صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما على الله واما الكافر فيقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال قتادة ما تمنى ان يرجع الى اهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويبغي السموات ولكن تمنى ان يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما عناه الكافر اذا رأى العذاب وقال ابن كيسان كان العلاء بن زياد يقول لينزل احدكم نفسه انه قد حضره الموت واستقال ربه فاقاله فليعمل بطاعة الله تعالى وطالما كان العقاد تقطع بانه لا يرجع ولو رجع لم يعمل بطاعة الله عز وجل ولو عاد كما ترد رد والعاد والما يقول اعنه وانهم لكاذبون قال الله تعالى ردعا وزجرا الكلام كلا اي لا يكون شيء من ذلك فكانه قيل فما حكم ما قال فقيل انها كلمة والمراد بالكلمة في اللغة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض رب ارجعون انه هو قائلها وقد عرف منه الخداع والكذب فمني كما عهد منه لا حقيقة لها فلا يجاب اليها ولا تسمع منه وهو له محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لا ستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم ومن ورائهم اي امامهم والضمير للجماعة برزخ اي حاجز حائل بينهم وبين الرجعة واختلف في معناه فقال مجاهد حجاب بينهم وبين الرجوع الى الدنيا وقال قتادة بقية الدنيا وقال الضحاك البرزخ ما بين الموت الى البعث وقيل هو الموت وقيل هو القبر هم فيه الى يوم يبعثون وهو يوم

القيمة

القيامة وفي هذا اشتباط لكل عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة بعد البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون في الاخرة فاذا نفخ في الصور اي النفخة الاولى وهو قول ابن عباس وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انها النفخة الاولى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية قال يوخذ بيد العبد والامة يوم القيمة فينصب على رؤس الاولين والاخرين ثم ينادي مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليات الى حقه فيفرح المرء ان يكون له حق على والده وولده او زوجته واخيه فياخذ منهم ثم قرأ ابن مسعود فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفي رواية عطا عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلا انساب بينهم اي لا يتفاخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا من انت ومن اي قبيلة انت ولم يرد ان الانسان ينقطع نسبه فان قيل قد قال تعالى هنا ولا يتساءلون وقال تعالى في موضع آخر واقبل بعضهم على بعض يتساءلون اجيب بان ابن عباس قال ان للقيمة احوالا ومواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عن معظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن يفيقون افاقة فيتساءلون وقيل التساؤل بعد الدخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار فمن ثقلت موازينه اي بالاعمال المقبولة قال النخعي ولعل الجمع لان لكل عمل ميزانا يعرف انه لا يصلح لغيره وذلك ادل دليل على العدالة فاولئك اي خاصة قال ابن عباس ولعله عمل ميزانا يعرف انه لا يصلح لغيره وذلك اولى لجمع للمبالغة

لكثرة الناجي بعد ان افرد للدلالة على كثرة الاعمال او على عموم الوزن لكل
فرد منهم المفلحون اي الفائزون بالنجاة والدرجات العلى ومن خفت
موازينه لاحراجه عن تلك الاعمال الموسسة على الايمان فاولئك
خاصة الذين خسروا انفسهم لاهلاكهم اياها بانتهاكها ستاتر الها
في دار الاعمال وشغلها باضدادها عن مراتب الكمال وقوله تعالى في جهنم
خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك وهي دار لا يتغذ اسيرها
ولا يغلق سعيرها ثم استانف فقال تعالى تلفح اي تغشى بشدة
حرها وتسمو سمها وهجمها وجوههم النار فتحرقها فما ظنك بغيرها واللفح
كالنفح الا انه اشد تاثيرا وهم فيها كالحون اي عابسون قد سمجت
شفاههم العليا والسفلى عن اسنانهم وعن ابي سعيد الخدري عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا
حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب
سرته وقوله الم تكن اياتي اي من القرآن على اضمار القول اي يقال
لهم الم تكن اياتي تتلى عليكم اي تتابع لكم قراءتها في الدنيا شيا فشيا
فكنتم بها تكذبون ثم استانف جوابه بقوله تعالى قالوا ربنا اي المسبغ
علينا نعمه غلبت علينا شقوتنا اي ملكتنا بحيث صارت اعمالنا
مودية الى سوء العاقبة وكنا اي بما جعلنا عليه قوما ضالين في ذلك
عن الحق اقوياء في موجبات الشقوة فكان سببا للضلال عن طريق
السعادة ربنا يا من عودنا بالاحسان اخرجنا منها وردنا الى دار الدنيا
لنعمل ما يرضيك فان عدنا الى مثل ذلك الضلال فانا ظالمون لانفسنا
ثم استانف جوابهم بان قاله لهم بلسان احد ملائكته بعد قدر الدنيا
مرتين كما يقال للكلب اخسا اي انزجر وازجر الكلاب وانظروا عن
مخاطبتي ساكتين سكوت هوان فيها اي النار ولا تكلمون اصلا

فانكم

فانكم لستم باهل لمخاطبتي لانكم لن تزالوا منصفين بالظلم فيايس القوم
بعد ذلك ولم يتكلموا بكلمة الا الزفير والشهيق والعواء كعواء الكلاب
وقال القرطبي اذا قيل لهم ذلك انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح
في وجه بعض فاطبقت عليهم وقال ابن عباس ان لهم شدوات
اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل
صالحا فينادون النار ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي
الله وحده وانتم به تكفرون وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله
فينادون النار ربنا اخرجنا فيجابون الم تكونوا اقسمتم من قبل
ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم
فيجابون اخسؤا فيها ولا تكلمون ثم لا يكون لهم الا الزفير والشهيق
وعواء ثم علل ذلك بقوله انه اي كونا ثابتا فريق اي ناس
استضعفتموهم من عبادي وهم المومنون يقولون مع الاستمرار ربنا
اي ايمانا يحسن الينا بالخلق والرزق امنا اي اوقعنا الايمان بجميع ما
جاءتنا به الرسل فاغفر لنا اي استر لنا ذنوبنا وارحمنا اي افعل بنا فعل
الراحم وانت خير الراحمين لانك تخلص من رحمتك من كل شقاء وهوان
فاتخذتموهم اي بسبب ايمانهم اتخذتموهم سخريا اي تسخرون منهم
وتستهزءون بهم وقرا نافع وحمزة والكسائي بضم السين والباقون
بالكسر وهو مصدر سخر كالسخر الا ان في يا النسب زيادة قوة في
الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء ان
المكسور من الهمز والمضموم من السخرية والعبودية اي تسخرون وهم
واستبعدوهم قال الزمخشري وهو والاول مذهب الخليل وسيبويه
الا واظهر الذال عند التاء ابن كثير وحفص والباقون بالادغام حتى
انسوكم ذكري اي بان تذكروني فتخافوني واضاف ذلك اليهم

لانهم كانوا السبب فيه لفرط اشتغالهم بالاستهزاء بهم وكنتم منهم تضحكون
استهزاء بهم نزلت في كفار قريش كانوا يستهزؤن بالفقراء من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ولما
تشوقت النفس بعد العلم بما فعل باعدائهم اليد جزائهم قال تعالى اني
جزيتهم اليوم اي لليوم المعهود بما صبروا اي على عبادتي ولم يشغلهم
عنها تالمهم باذاكم كما شغلكم عنها التذاذكم بها فتهتم فتاروا دونكم
وهو معنى قوله تعالى انهم هم الفايزون اي بمطلوبهم الناجون
من عذابه النار وقرا حمزة والكسائي بكسر الهمزة على الاستيناف
والباقون بفتحها على انه مفعول ثان لجزيتهم اي بانهم الله تعالى قال
لهم على لسان الملك المامور بسوالهم تبكيتا وتوبيخا للامم كانوا
يظنون ان بعد الموت يدوم العنا ولا اعادة فلما حصلوا في النار
وايقنوا انها دايمة وانهم فيها مخلدون يسوالهم كم لبثتم في الارض
على تلك الحال في الدنيا التي كنتم تعدونها عددا سنين
انتم فيها طائرون ولاعدادكم قاهرون وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
قل كم بضم القاف وسكون اللام على الامر للملك او لمعجزر وسنا
اهل النار والباقون بفتح القاف واللام والف بينهما خبرا وتقدم
توجيهه واظهر النا المسئلة عند التاء المشاة فوق نافع وابن
كثير وعاصم وادغمها فيها الباقون قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
يشكون في ذلك فان قيل كيف يصح في جوابهم ان يقولوا ذلك ولا
يقع من اهل النار الكذب اجيب بانهم بنوا ذلك للكرة علمهم فيه
من الاهوال وقد اعترفوا بهذا النسيان حيث قالوا فاسال العادين
اي الملايكة المحصين اعمال الخلق واعمارهم قال ابن عباس
انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين وقيل قالوا ذلك

تصغيرا

تصغير البعض وتحقيره بالاضافة الى ما وقعوا فيه من دوام العذاب
قال بعضهم الا اذا ايام الشقاء طويلة كما ان ايام السرور قصار وقرا
ابن كثير والكسائي بفتح الياء وترك الهمز بعدها وكذا نافع غير ورش
في الوقف والباقون بسكون الياء وهمزة مفتوحة بعدها ثم
قال الله تعالى لهم على لسان الملك ان اي ما لبثتم اي في الدنيا
الا قليلا لان الواحد وان طال مكثه في الدنيا فانه يكون قليلا
في جنب ما يلبث في الاخرة لو انكم كنتم تعلمون اي في عداد من يعلم
في ذلك الوقت لما آثرتم الفاني على الباقي ولا قبلتم على ما ينفعكم
ولتركتم افعالكم التي لا يرضاها عاقل ولكنكم كنتم في عداد الهايمين
وقرا حمزة والكسائي قل امرا والباقون قال خبرا ولبثتم تقدم
مثله وتوجيهه قال وقل ثم رحمهم الله تعالى على تفاقلهم بقوله
تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا عليا من العظمة وقوله تعالى عبثا
حال اي عابثين كقوله لاعبين مفعول له اي ما خلقناكم للعبث
ولم نرد عبثا الي خلقكم لا لحكمة اقتضت ذلك وهي ان نتعبدكم ونكلفكم
المشاق من الطاعات ونترك المعاصي وحسبتم انكم الينا لا ترجعون
في الاخرة للجزاء وروى البغوي باسناده عن انس ان رجلا مصابا امر به على
ابن مسعود فغطاه في اذنه افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون
حتى مر السرير قبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قراها على جبل لزال وقرا حمزة والكسائي
بفتح التا الفوقية وكسر الجيم والباقون بضم الفوقية وفتح الجيم ثم
نزه سبحانه وتعالى نفسه عما يقوله ويصفه به المشركون فقال تعالى
فتعالى الله الذي له الكمال والجلال علوا كبيرا عن العبث وغيره
مما لا يليق به الملك اي المحيط باهل مملكته علما وقدرة وسياسة

وحفظا ورعاية الحق اي الذي لا يتطرق الباطل اليه في شيء من ذاته ولا في
صفاته فهو سبحانه لم يزل ولا يزال له ولا لملكه لا اله الا هو فلا يوجد له نظير
اصلا في ذاته ولا في صفاته فهو منزه عن سمات النقص والعيب ثم
زاد في التعيين والتاكيد والتفرد بوصفه بصفة لا يدعيها غيره بقوله
تعالى رب العرش اي السرير المحيط بجميع الكائنات الذي تنزه منه
محكمات الاقضية والاحكام ولذا وصفه بالكرم فقال الكريم اما
لنسبته الى اكرم الاكرمين ولما بين سبحانه وتعالى انه الملك الحق للاله
الا هو اتبعه ببيان من ادعى الهها آخر فقد ادعى باطلا بقوله تعالى ومن
يدع مع الله اي المدرك الذي لا كفوء له الها آخر يعبده لا برهان له به
اي بسبب دعائه بذلك اذ الاجتهاد في اقامة برهان على ذلك لم
يجد ثم ذكر ان من قال ذلك يجازى العقاب العظيم بقوله تعالى فانما
حسابه اي جزاؤه الذي لا يمكن زيادته ولا انتقصه عند ربه اي
الذي رباه ولم يربه احد سواه الذي هو اعلم بسريرته وعلانيته
فلا يخفى عليه شيء من امره ولما فتح السورة بقوله قد افلح المؤمنون
ختمها بقوله انه لا يفلح الكافرون اي لا يبعدون فشتان ما
بين الفاتحة والخاتمة ولما سرح الله تعالى احوال الكفار في جهلهم
في الدنيا وعذابهم في الاخرة امر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام
بالانقطاع اليه والالتجاء الى عفوه ورحمته بقوله تعالى وقل رب
اي ايها المحسن الي اغفر وارحم اي اكثر من هذين الوصفين وانت
خير الراحمين فمن رحمته افلح بما وفقه له من امتثال ما اشرت
اليه اول السورة فكان من المؤمنين فكان من الوارثين الذين
يرثون الفردوس هم فيها خالدون فقد انطبق على الاول هذا
الاخر بفوز كل مؤمن وخيبة كل كافر فسبحان الله تعالى ان يكون

لنا

لنا ولوالدينا ولاحبابنا ارحم راحم وخير مامول انه المتولي للسرائر
والمرجو لاصلاح الضمائر وما رواه البيهقي وتبعا للزمخشري من
انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة المؤمنون بشرته الملائكة
بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت حديث
موضوع وقوله ايضا تبعا للزمخشري روي اذا اول سورة قد افلح واخر
من كنوز العرش من عمل بثلاث ايات من اولها واحفظ باربع ايات من
آخرها فقد نجا وافلح قال شيخنا ابن حجر حافظ عصرهم اجده

سورة النور مدنية وهي ثمان او اربع او ست وستون اية

بسم الله الذي عمت كلمته فبهرت قدرته الرحمن الذي ظهرت لخلائق
كلها بسبوغ رحمته الرحيم الذي سرى من اخلاقه بجذمته قوله تعالى سورة
خبر لمبتدا محذوف تقديره هذه سورة اي عظيمة او سورة انزلناها مبتدا
موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقال
الاخفش لا يبعد الابتدا بالنكرة فسورة مبتدا وانزلناها خبرها
ثم رغب في امتثال ما فيها مبينا ان تنويهها للتعظيم بقوله تعالى انزلناها
اي بما لنا من العظمة وتمام العلم والمقدرة وفرضناها اي قدرنا
ما فيها من الحدود وقيل اوجبناها عليكم وعلى من بعدكم الى قيام
الساعة وقرا ابن كثير وابو عمرو بتشديد الراء لكثرة الفروض والباقون
بالتخفيف وانزلنا فيها ايات بينات من الحدود والاحكام والمواعظ
والامثال وبينها بينات اي واضحات الدلالة لعلكم تذكرون اي
تتعظون وقرا حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال والباقون
بالتشديد ثم الله تعالى ذكر في السورة احكاما كثيرة احكم الاول الزانية
والزاني اي بغير المحصنين لرجمهما بالسنة والى فما ذكر موصولة وهو
مبتدا ولشبهه بالشرط دخلت الفا في خبره وهو فاجلدوا كل واحد

مئة مائة جلدة اي ضربة يقال جلده ضرب جلده وزاد على ذلك
بالسنة تغريب عام والرقيق على النصف مما ذكر ولا رجم عليه لانه
لا ينصف واعلم ان الزنا من الكبائر ويدل عليه امور احدها ان الله
تعالى قرنه بالشرك وقتل النفس في قوله تعالى ولا يزنون ومن
يفعل ذلك يلق اثاما ثانيها قوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان
فاحشة وساء سبيلا ثالثها ان الله تعالى اوجب المائة فيه بكمالها
بخلاف حد القذف وسوط الخمر وشرع فيه الرجم وروي حذيفة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست
خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الاخرة اما اللاتي في الدنيا فانه يذهب بالبهاء
ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الاخرة فسخط الله سبحانه
وتعالى وسوء الحساب وعذاب النار وعن عبد الله قال قلت يا رسول
الله اي الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي
قال ان تقتل ولدك خشية ان يأكل معك قلت ثم اي قال ان تزاني
حليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقا لذلك والذين لا يدعون مع الله
الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون والزنا
ايلاج حشفة او قدرها من الذكر اصلي من الآدمي الواضح
ولو اشل وغير منتشر وكان ملفوفا في خرقة بقبل محرم في نفس
الامر لعينه خال عن الشبهة المسقطة للحد مشتهى طبعا بان كان
زوج آدمي حي ولا يشترط ازالة البكارة حتى لو كانت عوراء وادخل
الحشفة فيها ولم يزل بكارتها ترتب عليه حد الزنا بخلاف التحليل لابد
فيه من ازالة البكارة لقوله صلى الله عليه وسلم حتى تذوق في عسيلته
واختلف في اللواط هل يطلق عليه اسم الزنا او لا فقال بعضهم يطلق
عليه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا اتى الرجل الرجل فهما زانيان

والذي

والذي عليه اكثر اصحابنا انه غير داخل تحت اسم الزنا لانه لو حلف لا يزني
فلاط لم يحنث واكد بعضهم ذلك بما روي عن ابن ليلى قوله صلى الله عليه وسلم
اذا اتت المرأة المرأة فهما زانيتان وللشافعي في حده قولان احدهما ان
الفاعل ان كان محصنا فانه يرجم والا فيجلد مائة ويغرب عاما واما
المفعول فلا يتصور فيه احصان فيجلد ويغرب والقول الثاني يقتل
الفاعل والمفعول به سواء كان محصنا ام لا لما روي عن ابن عباس انه
قال من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به واما اتيان
البهيمة فحرام باجماع الائمة واختلف في عقوبته على اقوال احدها حد الزنا
ثم يرجم المحصن ويجلد غيره ويغرب والثاني انه يقتل محصنا كان او
غير محصن لما روي عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه والثالث وهو الاصح انه يعزر
لان الحد شرع للزجر عن ما تميل النفس اليه وضعفوا حديث ابن عباس
لضعف اسناده وهو وان ثبت فهو معارض بما روي انه صلى الله
عليه وسلم نهى عن ذبح الحيوان الا لما كله واما السحق من السوأتين واتيان
المرأة الميتة والاستمناء باليد فلا شرع في شيء من ذلك الا التعزير
والمتيم للحد هو الامام او نائبه وللسيد ان يقيم الحد على رقيقه ولا
يجوز الشفاعة في اسقاط الحد ولا تركه ولا تخفيفه كما قال تعالى
ولا تأخذكم اي على اي حال من الاحوال بهما رأفة اي رحمة ورقة
فتعطلوا الحدود ولا يقيمها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة والباقون بسكونها
والسكون على اصله من البدل وقيل معنى الرأفة اي تخففوا الضرب
في دين الله اي الذي شرعه لكم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وروي ان عمر جلد جارية له زنت
فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولا تأخذكم بهما رأفة

في دين الله فقال يا بني ان الله لم يامرنا بقتلها وقد ضربت فاوجعت فان
سبحانه وتعالي زادني تحضيضا علي ذلك بقوله تعالي ان كنتم تؤمنون بالله
الذي هو ارحم الراحمين فانه ما شرع ذلك الا رحمة للناس عموما وللزانيين
خصوصا فلا تزيدوا في الحد ولا تنقصوا منه شيأ وفي الحديث يوتي بوال
نقص من الحدود سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم مني
فيؤمر به الي النار وبوتي بمن زاد سوطا فيقول ليتهوا عن معاصيك
فيؤمر به الي النار وعن ابي هريرة اقامة حد بارض خير من مطر
اربعين ليلة ثم اتبع ذلك بما يرهبه بقوله تعالي واليوم الاخر الذي
يحاسب فيه علي النقير والقطمير ويجزي ويجلي وليشهد اي وليحضر
عذابهما اي حدهما اذا اقيم عليهما طائفة من المؤمنين والطائفة
الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة واقلها ثلاثة واربعة وبي
صفة غالبة كما ان الجماعة كذلك حول الشيء وعن ابن عباس في
تفسيرها اربعة الي اربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن
عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن مجاهد اقلها رجل فصاعدا
وقيل رجلان وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي الجماعة
التي يثبت بها الزنا ويجب علي الامام حضور رجم ماعز واغامض
المؤمنين بالحضور لان ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قوم اجمل
ويشهد له قول ابن عباس الي اربعين رجلا من المصدقين بالله
تنبيه الضرب يكون بسوط لا حد يجرح ولا خلق للايلم ويفرق
بين السياط علي اعضائه ولا يجمعها في موضع واحد واتقوا علي
الله يتقي اجمالك كالوجه والبطن والفرج ويضرب علي الراس
لقول ابي بكر اضرب علي الراس فان الشيطان فيه ولا تبدد يده
ويتزع الثياب التي تمنع الم الضرب كالفراء ولو فرق سياط الحد

تعزيرا

تعزيرا لا يحمل به التنكيل مثل ان يضرب كل يوم سوطا او سوطين فان
فرق وضرب والالم موجود كفى وان وجب الحد علي حامل لم يقم عليها
حتي تضع وترضعه حتي تفطم وينبغي ان يحفر للمراة الي صدرها ان ثبت
زناها بالبينة لا باقرارها ولا يندب للرجل مطلقا وان وجب الحد
علي المريض نظر ان كان يرجي زواله كصداع انتظر والا يرجي كالزمانة
فلا يؤخر ولا يضرب بالسياط بل يعتكل عليه مائة شمراخ فيقوم ذلك
مع مقام جلده واما في حال الحر والبرد الشديدين فان كان الحد رجما
لم يؤخر لان النفس مستوفاة وان كان جلدا اخر الي اعتدال الهواء
ويقبل رجوع الزاني عن اقراره ولو في اثناء الحد واذا مات في
الحد يغسل ويكفن ويصلي عليه ويدفن في مقابر المسلمين احكم
الثاني قوله تعالي الزاني لا ينكح اي لا يتزوج الا زانية او مشركة
اي المعلوم اتصافه بالزنا مقصورا نكاحه علي زانية او مشركة والزانية
لا ينكحها الا زان او مشرك اي والمعلوم اتصافها بالزنا مقصورا
نكاحها علي زان او مشرك اذ الغالب ان الداعي الي الزنا لا يرغب
في نكاح الصواحب والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة
الالفة والانضمام والمخالفة سبب النفرة والافتراق وقال بعضهم
الجنسية علة الضم والمشاكلة سبب المواصلة والمخالفة توجب
المباعدة وتحرم الموالفة وعن ابي هريرة ان النبي صلي الله عليه وسلم
قال الرجل علي دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وعن علي رضي
الله تعالي انه خطب اهل الكوفة بعد ثلاثة ايام من مقدمه عليهم
فقال يا اهل الكوفة قد علمنا سؤاركم من خياركم فقالوا كيف وما
لك الا ثلاثة فقال كان معنا سؤار وخيار فالضم خيارنا الي خياركم
وسؤارنا الي سؤاركم وعن الشعبي انه قال ان الله ملكا موكلا بجمع الامثال

بعضها الي بعض وقال القايل للاستال وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن
يقتدي فان قيل لم قدمت الزانية علي الزاني اولا ثم قدم عليها
ثانيا اجيب بان تلك الاية سيقت لعقوبتهما علي ما جنيا والمراة
هي المادة التي نشات منها الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم تمكنه
لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك عبدي بذكرها واما
الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه الراغب فيه
والخاطب وعنه يبدو الطلب وحرم ذلك اي نكاح الزاني والزانية
تحريما لا مشوبة فيه علي اثنين واختلف العلما في معنى الاية
وحكمها فقال قوم منهم مجاهد وعطاء وقتادة والزهري والشعبي ورواه
عن ابن عباس قدم انها هاجروا المدينة وفيهم فقر لا مال لهم وللعشاير
وبالمدينة نساء بغايا ذوات يوم فرغب ناس من
فقراء المسلمين في نكاحهن ليستغنوا بهن فاستاذنوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الاية وحرم ذلك علي المومنين
ان يتزوجوا تلك البغايا لانهن مشركات وقال عكرمة نزلت في نساء
كن بمكة وبالمدينة لهن رايات يعرفن بهن منهن ام مهزول واية
السايب بن ابي السايب المخزومي وكان الرجل ينكح الزانية في
الجاهلية يتخذها ماكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن علي
تلك الصفة فاستاذن رجل منهم النبي صلى الله عليه وسلم في نكاح
ام مهزول فاستاذنت ان تنفق عليه فنزلت هذه الاية وروى
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد
ابن ابي مرثد الغنوي وكان يحمل الاساري من مكة حتى ياتي بهم
المدينة وكانت عكمة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية
فلما اتى مكة دعته عناق الي نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت

فانكحني

فانكحني فقال حتى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيت النبي صلى
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انكح عناقا فامسك رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يرد علي شيا فنزل الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتراها علي وقال لا تنكحها اخرجه الترمذي والنسايي وابو داود و
بالفاظ متقاربة المعنى فعلى هذا يكون التحريم خاصا في حق
اولئك دون سايرالناس وقال قوم منهم سعيد بن جبير والضحاك
ورواية عن ابن عباس المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الاية الزاني
لا يزني الا بزانية او مشركة والزانية لا تزني الا بزان او مشرك وقال
يزيد بن هارون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو
محرم فهو زان وعن عايشة رضي الله تعالى عنها ان الرجل اذا زنى
بامراة ليس له ان يتزوجها لهذه الاية واذا باشرها كان زانيا وكان
ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزاني الزانية فهما
زانيان ابدا وقال الحسن الزاني المجلود لا ينكح الا زانية مجلودة
والزانية المجلودة لا ينكحها الا زان مجلود وقال سعيد بن المسيب
وجماعة منهم الشافعي رحمهم الله تعالى ان حكم الاية منسوخ وكان نكاح
الزانية حراما بهذه الاية فنسخها الله تعالى بقوله وانكحوا الايامى منكم
وهو جمع ايم وهي من لا زوج لها دخلت الزانية في ايامى المسلمين
واحتج من جوز نكاح الزانية بما روي عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امراتي لا تمنع يد لامس قال
طلقها قال اني احبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية غيره
امسكها اذا وقد اجاز ابن عباس وشبهه بمن سرق سرقة ثم اشترا
وعند صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال اولد سفاح واخره

نكاح وعن عمر الله ضرب رجلا وامراة زنيا وحرص ان يجمع بينهما فابي الغلام
ولما نزه سبحانه وتعالى عن نكاح من اقتصف بالزنا من رجل او امراة بين
عن الرمي به فقال تعالى والذين يرمون اي بالزنا المحصنات جمع محصنة
وهي هنا المحصنة المسلمة الحرة العفيفة وهذا هو الحكم الثالث
والذي يدل على ان المراد الرمي بالزنا امور احدها تقدم ذكر الزنا
ثانيها انه تعالى ذكر المحصنات وهن العفايف وهذا يدل ذلك على ان المراد
بالرمي رميها بعد ذلك ثالثها انعقاد الاجماع على انه لا يجب الجلد
بالرمي بغير الزنا فوجب ان يكون المراد هو الرمي بالزنا رابعها قوله
تعالى ثم لم ياتوا اي الي الحكام باربعة شهداء اي ذكور
ومعلوم ان هذا العدد من الشهود غير شرط الا في الزنا وشرط القا ذف
الذي يحد بسبب القذف التكليف والاختيار والتزام الاحكام والعلم
بالتحريم وعدم اذن المقذوف واذ يكون غير اصل والفاظ القذف
تنقسم الي صريح وكناية وتعريض فمن الصريح قوله لرجل او امراة
زنيت او زنيت او يا زاني او زانية ولو كسر التاء في خطاب الرجل
وفتحها في خطاب المراة او زنيت في الجبل ومن الكناية زنأة وزنأة
في الجبل بالهمز فاذا نوي بذلك القذف كان قذفا والا فلا ومن
التعريض يا بن الحلال واما انا فلست بزاني فهذا ليس بقذف واذ
نواه فان قيل اذا كان ذلك القذف يشمل الذكر والانثى فلم كانت
الاية الكريمة في الاناث فقط اجيب بان الكلام في حقهن اشنع
وتبين ما على عظيم حق ام المومنين عايشة رضي الله تعالى عنها وحد
القاذف اخرعا نون كما قال تعالى فاجلدوهم اي ايها المومنون من
الائمة ونوابهم ثمانين جلدة لكل واحد منهم لكل محصنة وحد القاذف
الرقيق ولو مبعضا او مكاتبا اربعون جلدة على النصف من الحر لاية

النسا

النسا فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب فهذه الاية مخصوصة
بتلك اذ لا فرق بين الذكر والانثى ولا بين حد الزنا وحد القذف ويدل
على ان المراد بالاية الاحرار قوله تعالى ولا تقبلوا لهم اي بعد ذلك
شهادة اي شهادة كانت ابدا للحكم بفسقهم لان العبد لا تقبل شهاد
وان لم يقذف ولما كان التقدير انهم قد افتروا عطف عليه تحذيرا
من الاقدام عليه من غير تثبت واولئك اي الذين تقدم ذمهم بالقذف
فنزلت رتبتهم جدا هم الفاسقون اي المحكوم بفسقهم الثابت لهم
بهذا الوصف وان كان القاذف منهم محقا في نفس الامر وفي ذلك دليل
على ان القذف من الكباير لان اسم الفسق لا يقع الا على صاحب
كبيرة واختلف العلما في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وحكم هذا
الاستثنا المذكور في قوله الا الذين تابوا اي رجعوا عما وقعوا فيه من
القذف وغيره وندموا عليه وعزموا على ان لا يعودوا من بعد ذلك
اي الامر الذي اوجب البعد وهو ذهب قوم الي ان القاذف اذا تاب كما
بفسق القذف فاذا تاب وصلح حاله كما قال تعالى واصلحوا اي بعد التوبة
بمعنى ما يظن فيما حسن الحال وهي سنة يعتبر بها حال التايب با
لفصول الاربعة التي تكشف الطبايع فان الله اي الذي له صفة الكمال
غفور اي ستور لهم ما اقدموا عليه لرجوعهم عنه رحيم اي يتفضل عليهم
من الاكرام فضل الراحم بالمرحوم في قبول الشهادة وقبلت شهادته
سواء قبل الحد او بعده وذاهب عنه اسم الفسق وقالوا هذا الاستثنا
يرجع الي رد الشهادة والي الفسق ويروي ذلك عن ابن عمر وابن
عباس وجمع من الصحابة وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم
الي ان شهادة المحدود في القذف لا تقبل ابدا وان تاب وقالوا
الاستثنا يرجع الي قوله واولئك هم الفاسقون ويروي ذلك عن

المحصي وسئل عنه وبه قال اصحاب الراي قالوا ينبغي القذف لا الرد كشهادة
ما لم يحد قال الشافعي هذا هو قبل ان يحد ثم حسن حين يحد لان الحدود
كفارات فكيف يردونها في احسن حالية وذهب الشعبي الي ان حد
القذف يسقط بالتوبة فان قيل اذا قلتم بالاول فما معني قوله تعالي ابدا
اجيب بان معني ابدا ما دام مصرا علي القذف لان ابد كل انسان مدته
علي ما يليق بحاله كما يقال لا تقبل شهادة الكافر ابدا يراد بذلك ما
دام علي كفره فاذا اسلم قبلت شهادته تسمية الاقرار بالزنا هال بيت
بشهادة رجلين واربع كالزنا فيه قولان احدهما عمهما الله يثبت برجلين
بخلاف فعل الزنا لان الفعل يتمحض الاطلاع عليه واذا شهد علي فعل الزنا
يجب ان يذكر الزاني ومن زنا بها لانه قد يراه علي جارية لابيه فيظنه
زنا يوجب الحد واذ يقول في شهادته رايت ذكره يدخله في فرجها
وان لم يقل وحق له الميل في المكحلة ولكن قوله ذلك اولي فلو شهدوا
مطلقا انه زنا لم يقبلوا لانهم ربما يرون الفاحشة زنا ويشترط القضا
ان ينسق في الزنا له كالشهود ويصح رجوعه عن الاقرار ولو في اثنا
الحد كما مر ولا فرق في قبول الشهادة بين ان يجيء الشهود مترقين او
مجتمعين كما قاله الشافعي وقال ابو حنيفة اذا شهد واستوفين لا
يثبت وعليهم حد الزنا لقذف ولو شهد علي الزنا اقل من اربعة او
اربعة وفيهم الزوج لم يثبت الزنا وعليهم الحد لان شهادة الزوج
لا تقبل في حق زوجته قال ابن الرفعة في الكفاية لامرين احدهما
ان الزنا تعرض لحد حق الزوج فان الزاني يستمتع بالمنافع المستحقة
له فلم يسمع كما اذا شهد انه جنى علي عبده والثاني ان من شهد
بزنا زوجته فنفس شهادته دال علي اظهار القذف لان زناها
يوعن عبده يتبلغ مراسه وادخال الغير عليه وعلي ولده وهو

ابلغ

ابلغ من مولم العذب وفاحش السب ولو قذف رجل وجاء باربعة فشاف شهدوا
علي المقذوف بالزنا لم يحد والان شرائط الشهادة بالزنا قد وجدت عند القاضي
الا انه لم تقبل شهادتهم لاجل التهمة فكما اعتبرنا التهمة في نفي الحد عن المشهود
عليه فكذلك اوجبنا اعتبارها في نفي الحد عنهم ولما كان لفظ المحصنات
عاما للزوجات وكان لهن حكم غير ما تقدم وهو الحكم الرابع افرد هن
بقوله والذين يرمون اي بالزنا ازواجهم اي من الومنات والكافرات الحرائر
والاماء ولم يكن لهم شهداء فيشهدون علي صحة ما قالوه الا انفسهم
اي غير انفسهم وهذا مفهوم لو ورد حكاية واقعة لا سمو دفيها وقوله تعالي في الاية
قبلها ثم لم ياتوا باربعة شهداء فانه يقتضي كون الشهداء غير
الراي بالزنا ولعله استثناه من الشهداء لان لفظ الشهادة يكون بلفظ
الشهادة ومذهب الشافعي انه لا يقبل في ذلك كما قدمناه فشهادة
احدهم اي قالوا جب شهادة احدهم علي من رماها او فعليهم شهادة
احدهم اربع شهادات من خمس في مقابلة اربعة شهدوا بانه اي
مقرونة بهذا الاسم الكريم الاعظم الموجب لاستحضار جميع صفات
الكمال والجمال انه لمن الصادقين اي فيما قذفها به وقرا حفص وحمزة
والكسائي برفع العين علي انه خبر شهادة والباقون بنصبها
علي المصدر والخامسة ان لعنت الله اي الملك الاعظم عليه اي
القاذف نفسه ان كان من الكاذبين فيما رماها به وقرا نافع بتخفيف
ان ساكنة ورفع لعنة والباقون بتشديد النون منصوبة ونصب
لعنة وغضب مثله بتاء مجرورة وقف عليها بالهاء ابن كثير وابو عمرو
والكسائي ووقف الباقون بالتاء واذا وقف الكسائي امال الهاء
هذا اذا قذف الرجل وحكمه سقوط حد القذف عليه وحصول الفرقة

بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريقها لكمال فرقة طلاق عند ابي حنيفة وبني الولد لانه يقرض له فيه ويثبت حد الزنا على المرأة بقوله تعالى ويدرؤا اي يدفع عنها اي المعذبة فرقة العذاب اي المعهود وهو الحد الذي اوجبه عليها كما تقدم ان تشهد اربع شهادات من يمين بالله الذي له جميع الاسماء الحسنى والصفات العليا كما تقدم في الزوج انه لمن الكاذبين فيما قاله عنها والخامسة من الشهادات ان غضب الله الذي له الامر كله عليها ان كان من الصادقين اي فيما رماها به روى البخاري في تفسيره وغيره عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحما فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة او حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا رأى احدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة او حد في ظهرك فقال هلال بن امية والذي بعثك بالحق اني لصادق وليترلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل عليه السلام وانزل عليه والذين يرمون ازواجهم حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليهما فجاء فقام هلال بن امية فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا انها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا افضح قومي اليوم فمضت وقال النبي صلى الله عليه وسلم ابصروها فان جاءت به اكحل العينين سابغ الاليتين مدلج الساقين فهو لشريك بن سحما فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله كان لي ولها

شان وقد روى البخاري ايضا عن سهل بن سعد ان سبب نزولها قصة مثل هذه لعويمر رضي الله عنه وقد تقدم انه لا يمتنع ان يكون للاية الواحدة عدة اسباب مما وقع قرنه تنبيه حضت المرأة بالغضب لانه ابلغ من اللعن الذي هو الطرد لانه قد يكون بسبب غير الغضب وبسبب التغليظ عليها اكثر على اعترافها بالحق لما تقيد الزوج من القرينة من انه لا يتجشم فضيحة اهله المستلزم لفضيحته الا وهو صادق ولانها مادة الفساد وخالطة الانساب ويشرط في اللعان امر القاضي وتلقين كلما انتهى الى اجابتين فيقول قل اشهد بالله الخ لان اللعان يمين واليمين لا يبتدئ بها قبل استحلاف القاضي وان غلب عليه معنى الشهادة فهي للتردي عنده الا باذنه وان تتأخر لعانها عن لعانه لان لعانها لاسقاط الحد الذي وجب عليها بلعان الزوج كما علم مما مر ويلاعن الاخرس باشارة مفهمة او كتابة ويكرر كلمة الشهادة اربعا وكذبه بالمرة ويشير اليها اربعا ويصح اللعان بالعجمية وان عرف العربية ويشترط الموالاة بين الكلمات الخمس فبنوى الفصل الطويل ولا يشترط الموالاة بين لعاني الزوجين ولو بدل لفظ شهادة بحلف ونحوه او لفظ غضب بلعن او عكسه او ذكر احدهما اثناء الشهادة لم يضر ذلك ويصح ان يتلاعنا قاعدين وان يغلظ اللعان بزمان ومكان بعد عصر الجمعة فيوخر اليه ان لم يكن طلب اليدي والا بعد عصر اي يوم كان ويكان عند اشرف بلد اللعان فبمكة بين الركن الاسود والمقام وهو المسمى باكظم والمدينة على المنبر وبيت المقدس عند الصخرة ويغلظ على منبر الجامع وتلاعن حائض بباب المسجد وذمي في بيعة للنصارى وكنيسة لليهود وبيت نار لمجوسي لانهم يعظمونه لا بيت اصنام لوثني انه لا حرمة له ويراعى فص والخامسة الاخيرة

بالنصب والباقون بالرفع وقرا نافع بتخفيف النون ساكنة وكسر الفاء
ورفع الهاء من الاسم الجليل والباقون بتشديد النون مفتوحة ونصب
الفاء وخفض الهاء والمحرم سبحانه وتعالى بهذه الجمل الاعراض والاسباب
تفاوت بذلك الدين والاموال علم اذ التقدير فلولا انه سبحانه خير الفاتحين
وخير الراحمين لما فعل بكم ذلك ولا فضح المذنبين واظهر سرائر المستخفين
ففسد النظام فعطف على هذا الذي علم تقديره قوله تعالى ولولا فضل
الله اي بما له من الكرم والاتصاف بصفات الكمال عليكم ورحمته اي بكم
بالستر في ذلك وان الله اي الذي احاط بكل شيء ذلة وعلما توابٌ يقبل له
التوبة في ذلك وغيره ذلك حكيم يحكم الامور فيضعها من الفساد بما
يعلم من عواقب الامور لتصح كلمة عاصم ولم يجب بموجب اربعة شهداء
ستر الكم الحكيم الخامس قصة الافك المذكورة في قوله تعالى ان الذين
جاءوا بالافك اي اسوء الكذب سمي افكا لكونه مصروفا عن الحق من
قولهم افكه الشيء اذا صرفه عن جهته وذلك ان عائشة رضي الله
تعالى عنها وعن ابويها كانت تستحي الشاة اذا كانت عليها من الحمامة
والشرف والعفة والكرم ممن رماها بسوء فقد قلب الامر عن احسن
وجوهه الى اقبح اشتهاره فان قيل لم ترك تسميتها اجيب بانه ترك
تنزيها لها عن هذا المراد وقوله تعالى عصبة خبر ان اي جماعة
اقلهم عشرة واكثرهم اربعون وكذا الصحابة وقوله تعالى منكم
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولابي بكر وعائشة وصفوان ومن
يعد عندكم في عداد المسلمين يريد عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة
وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم
وقوله تعالى لا تحسبوه شرا لكم مستانف اي لا تشاءموا عنه فتنة ولا شدة
احد بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة

ظاهرة

ظاهرة وظهور كرامتكم على الله تعالى بانزال ثماني عشرة اية في براءتكم
وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا كل
واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتسلية له وتبرية لام المومنين رضي الله تعالى عنها وتعظيم لاهل البيت
وتهويل لمن تكلم في ذلك اي يسمع به فلم تجد اذناه وعدة الطاف
للسامعين والتالين الى يوم الدين وفوايد دينية واحكام واداب للتحفي
على متاملها ولما كان للاستفاضة لفيظ الانسان اعظم من انتصار الملك
الديان له علل ذلك بقوله تعالى لكل امرئ منهم اي الافكين ما اكتسب
فيه من الاثم الموجب لشقاوته والذي تولى كبره اي معظمه منهم اي من الافكين
وهو ابن ابي فانه بدا به واذاعه عذرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او هو وحسان ومسطح فانهما تابعاه بالتقريح به والذي بمعنى الذين
على هذا له عذاب عظيم في الاخرة او في الدنيا بان جلد واقيم
ابن ابي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمي شل اليدين ومسطح
مكفوف البصر بتنبيه قصة الافك معروفة في الصحاح والسنن وغيرها
شهيرة جدا ولكن نذكر منها طرفا نتبرك بذكر النبي صلى الله عليه وسلم
ويذكر السيدة عائشة وابويها رضي الله تعالى عنهم فنقول لعن عائشة
رضي الله تعالى عنها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اراد سفرا اقرع بين ازواجه فايتهن خرج اسمها خرج بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم معه قالت عائشة فاقرع بيننا في غزوة غزاها
فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما انزل
الحجاب فكنت احمل في هودج وانزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة
قافلين فاذن ليلة بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت حتى

جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي فلمست صدري واذا
عقد لي من جزع اظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني
ابتغاؤه قالت واقبل الرهط الذين يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلو
علي بعيري الذي كنت اركب عليه وهم يحسبون اني فيه وكان النسا
اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام
فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة
السن فبعثوا الجمل وساروا ورجدت عقدي بعد ما سار الجيش
فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فيممت منزلي الذي
كنت فيه وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون الي فبينما انا جالسة
في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن معطل السلمي
ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم فعرفني حين رآني وكان
يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي
بجلبابي والله ما كلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه
وهوى حتى ناخ راحلته فوطئ على يديها فقمت اليها فركبتها
فانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في
نحر الظهيرة فهلك من هلك وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن ابي بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت
بها شهرا والناس يفيضون في قول اصحاب الافك ولا اشعر بشيء
من ذلك وهو يريبني في وجعي اني لا اعرف من رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكي انما يدخل فيسلم ثم يقول
كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذي يريبني فيه ولا اشعر بالشر حتى
نقهت فخرجت انا وام مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا وكنا

لا نخرج

لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا فاقبلت انا
وام مسطح حين فرغنا من شاننا عثرت ام مسطح في مرطها
فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا
فقالت يا هنتاه الم تسمعي ما قال قالت وما قال فاخبرتني بقول
اهل الافك فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له أتأذن لي
ان آتي ابوي قالت واني اريد ان استيقن الخبر من قبلهما قالت
فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت ابوي فقلت لامي
يا اماه ماذا يتحدث الناس قالت يا بنية هوني عليك فوالله لما كانت
امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر الا اكثرن عليها قالت
فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة
حتى اصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي قالت فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب واسامة بن زيد
حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق اهله قالت فا
اسامة فاشار على النبي صلى الله عليه وسلم بما يعلم به من براءة اهله
وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود فقال اسامة هم اهلك يا رسول
الله ولا نعلم والله الا خيرا واما علي فقال يا رسول الله لم يضيق الله
عليك والنساء سواها كثير واسال الجارية تصدقك قالت فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة هل رايت
من شيء يريبك قالت والذي بعثك بالحق ان رايت عليها امرا قط اغمصه
اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتاتي الداجن
فتاكله فقالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر
من عبد الله بن ابي بن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني اذاه
في اهلي والله ما علمت على اهلي الا خيرا وقد ذكروا رجلا ما علمت
عليه الا خيرا ولم يدخل على اهلي الا معي فقالت فقام سعد اخو
بني عبد الاشهل فقال انا يا رسول الله اعذرك فان كان من
الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا
ففعلنا فيه امرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج قال
وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن حملته الحمية فقال لسعد كذبت
لعمر والله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما احببت
ان تقتله فقام اسيد بن حضير بن عم سعد فقال لسعد بن عبادة
كذبت لعمر والله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثارت
فتشاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم قايم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت فبكيت يومي ذلك كله
لا يرقا لي دمع ولا اكتحل ببوم قالت فاصبح ابواي عندي وقد
بكيت ليلتين ويوما لا اكتحل ببوم ولا يرقا لي دمع حتى اني لاظن
ان البكا فالق كبدي فبينما ابوي جالسان عندي وانا ابكي فا
ستاذنت علي امراة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي
قالت فبينما نحن على ذلك اذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها
وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شاني بشي قالت فتشهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد يا عايشة انه
قد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبريك الله وان كنت
المممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف

ثم تاب

ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته
قلص دمعي حتى لا احس منه بقطرة فقلت لابي اجب رسول الله عني
قال فقال اني والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قلت لامي اجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فقالت
امي والله ما ادري ما اقول لرسول الله فقلت وانا جارية حديثة
السن لا اقرا من القران كثيرا والله لقد علمت ما سمعتم هذا الحديث
حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلين قلت لكم اني بريئة لا تصدقوني
ولين اعترفت لكم بامر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقني فوالله
لا اجد لي ولكم مثلا الا ما قال العبد الصالح ابو يوسف فصبر جميل
والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت
واضطجعت على فراشي والله يعلم حينئذ اني بريئة والله مبري بي ايتي
ولكن والله ما كنت اظن ان الله ينزل في شاني وحيا يتلى لشاني
في نفسي كان احقر من ان يتكلم الله في بامر ولكن كنت ارجو ان
يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رويا يبرئني الله بها
فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج احد
من اهل البيت حتى انزل الله تعالى على نبيه فاخذه ما كان ياخذه
عند الوحي من البرحاء حتى انه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان
في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي انزل عليه فسري عن رسول الله
ما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لنفس
ابوي يستخرجان فرقا من ان ياتي الله بحقيقة ما قال الناس فلما
سري عنه وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال ابشري يا عايشة
قد براك الله فكنت اشد ما كنت غضبا فقال لي ابواي قومي اليه
فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمده ولا احمد كما ولا احمد الا الله الذي

انزل ببراءتي لقد سمعتم ما انكر عنكم ولا غيركم وانزل الله تعالى ان الذين
جاءوا بالافك عشر ايات كلها فقال ابو بكر والله لا انفق على مسطح بعد الذي
قال لعايشة ما قال فانزل الله ولا يأتل اولوا الفضل منكم الى قوله
غفور رحيم قال ابو بكر الصديق بلى والله اني لاحب ان يغفر الله لي
فرجع النفقة الى مسطح التي كان ينفقها عليه قال والله لا انزعها
منه ابدا قالت عايشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب
بنت جحش عن امري فقال لزينب ما علمت او رايت فقالت يا رسول
الله احمي سمعي وبصري والله ما علمت الا خيرا قالت عايشة وهي
التي تساميني من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله
بالورع قالت عايشة والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول
سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت كنف انثى قط قالت ثم
قتل بعد ذلك في سبيل الله قالت ولما نزل عذري قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلى القرآن وضرب عبد الله بن
ابي ومسطح وحمنة واكه قال عروة وكانت عايشة تكره
ان يسب عندها حسان وتقول انه الذي قال فان ابي ووالدي
وعرضي لعرض محمد منكم وقاء وقال الحافظ ابن عمر بن عبد البر
في الاستيعاب وانكر قوم ان يكون حسان خاض في الافك وجلد
فيه وردوا عن عايشة اخبارا تتضمن من ذلك اه وقال غيره وابعد
لا اظن به ذلك اصلا وانما جاءت تسميته في الصحيح فقد يخطئ
الثقة لسبب لا يخفى كما يعرف ذلك من مارس نقد الاخبار
وكيف يظن بذلك ولا شغل له الا مدح النبي صلى الله عليه وسلم
والمدافعة عنه والذم لاعدائه وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان جبريل معه وهو القائل بعد عايشة وليكذب من نقل عنه
ذلك

ذلك فحسان رضي الله عنه ما تزيد بريئة وتقيح عرضا بن لحوم الغوافل حليلة
خير الناس دينا ومنصبا نبي الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حي من لؤي بن غالب كرام المساعي مجدها غير زايل
مهذبة قد طيب الله خيمها وطهرها من كل رجس وباطل
وان كان ما بلغت عني قلته فلا رفعت سوطي الي انامل
فكيف ودي ما حييت ونصرتي لآل رسول الله زين المحافل
له رتبة عال على الناس فضلها لقاصر عنها سورة المتطاول
وفي هذا القدر كفاية لاولي الالباب فان في هذه القصة عبرة لمن اعتبر فان اهل
الافك استمروا في هذا الكذب من شهر والله تعالى عالم بما يقولون
واراد تولهم فيكاد يقطع الاكباد في اجل خلقه عليه وهو قادر على
تكذيبهم عند اول ما خاضوا فيه ولكنه سبحانه اراد لناس رفعة
الدرجات ولاحزين المملكات ولالباس بيان غريب هذه الالفاظ
التي وقعت في هذه القصة من كلام عايشة وغيرها قولها آذن
اي اعلم بالرحيل قولها فقدت عقدا لي من جزع اظفار هو نوع
من الكرز وهو اكبر اليماني المعروف وقولها لم يبن اب لم يكثر لحمها من
السمن فيثقل قولها انما يأكل العلقة من الطعام وهو بفتح
العين اي البلغة من الطعام وهو قدر ما يمسك من الرمق وقولها
ليس بها منهم داع ولا مجيب اي ليس بها احد لا من يدعو ولا من يرد جوابا
قولها فيممت اي قصدت قولها قد عرس من وراء الجيش
فادلج التعريس نزول المسافر في الليل للراحة والادلاج بالتشديد
سير آخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله وقولها باسترجاعه هو
قول القايل انا لله وانا اليه راجعون قولها اخمرت اي غطيت وجهي
جلبابي اي ازاري وقولها موعزين في نحوه الظهيرة قال الوعز

سنة اشهر وكذلك نحن نفعل بالظهيرة اي اوله قولها والناس يفيضون اي يخوضون
ويتحدثون قولها وهو يريبني يقال رابني الشيء يريبني اي تشككت فيه
قولها ولا اري من النبي اللطف اي الرفق بها واللطف في الافعال الرفق
وفي الاقوال لين الكلام قولها حتى تفهت اي افقت من المرض والمناصع
المواضع الخالية تقضي فيها الحاجة من غايط وبول واصله المكان
الواسع الخالي والمرط كساء من صوف او خز قولها فقالت تعس
مسطح اي عثر قولها يا هنتاه اي يا بلها كانها نسبتها الي البله وقلة
المعرفة قولها لا يرقى اي لا ينقطع وقول بريرة ان رايت بمعنى التغي
اي ما رايت منها امرا اغمصه عليها بالعاد والمهملة اي اعيبه
والداجن الشاة التي تالف البيت ويقيم به قوله صلى الله عليه وسلم
من يعذرني اي انا اكافيه على سوء صنيعه ان عاقبت او عاقبت
فالتلوموني علي ذلك قولها فتار وبكيات اي ثاروا والتهضوا
للقتال والتخاصمة وقولها فلم يزل يخفضهم اي يهونون عليهم ويسكت
وقوله صلى الله عليه وسلم ان كنت المممت قبل هو من اللمم وهو صغار
الذنب قيل معناه مفارقة الذنب من غير فعل قولها فتلمظ دمعي
اي انقطع جريانه قولها ما رام اي ما برح من مكانه والبرحاء الشدة
والجمان الدر وجمد جمان ينشر عنه اي كشف عنه وقولها ينبت
دمعي يسكي ويقرح اي امنعهما اي اجرهما لم اسمع ولم ار بمعنى قولها
وهي التي كانت تساميني من السمو وهو العلو والغلبة فعصمها
الله تعالى اي منعها الله تعالى من الوقوع في السوء بالورع وقول
الرجل ما كشفت كنف اي ستر انثي وقول حسان في عايشة
حصان بفتح الحاء امراة حصان اي متعففة مرزان اي ثابتة
ما تزن اي ترمي ولا تتهم بريبة اي امر يريب الناس وتفسح

عزبي

عذبة اي خالية الموت والفرث ما يجتمع من نحو الكرش فاجمع عاقلة والمعنى
انها لا تفتاب احدا من هو عاقل وقرا لا تحسبوه وتحسبوه ابن عامر
وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها والمراد بسبحانه وتعالى
بفتاب اهل الافك وكاذ في الموضعين من سمعه وسكت وقيل من سمعه
فتحدث به مستحسنا من قابله او مستشيعا في امره وقيل من الكذبة اشيعه
سبحانه وتعالى بعتابهم في اسلوب خطابهم مشيرا علي من كذب بقذف
سبحانه وتعالى مستانفا محرضا لولا اي هلا ولم لا اذ حين سمعتموه
ايها المدعوون للايمان ظن المومنون اي منكم والمومنات وكاذ الاصل
ظننتم اي ايها العصبة ولكنه التفت الي الغيبة تبكيتا علي التوبيخ وعرج
بالنساء تنبيه علي الوصف المقتضي لحسن الظن تحريضا للذي ظن
السوء من سوء الخاتمة بانفسهم حقيقة خيرا وهو دون من كذب عليها
فقطعوا بكمال ذلك لانه لا يتهم بالفاحشة الا من يتهم بها في الناس الا ما هو متصف به
او باخواتها لان المومنين كالجسد الواحد وذلك مخيل ما يروي ان ابا
ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل
صفوان كنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا قال
لا قالت ولو كنت انا بدل عايشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعايشة خير مني وصفوان خير منك وقالوا هذا افك مبين
اي كذب بين فان قيل هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم
خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الي الغيبة وعن الضمير الي الظاهر
اجيب بان ذلك مبالغة في التوبيخ علي طريقة الالتفات ويعرم
بلفظ الايمان الا علي ان الاشتراك فيه يقتضي ان لا يصدق ومن
علي اخيه ولا مومنة علي اختها قول عايب ولا طاعن وفيه تنبيه
علي ان حق المومن اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيها علي

القول لا على الشك وان يقول بما لا يعلم بناء على ظنه بما هو من الخير هذا ان كان
مبنيا بهذا اللفظ المصرح ببراءة ساحته لا يقول له كما يقول المستيقن العالم
على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي تحلى القائم به وتحافظ
له ولتيك بخلق من يسمح فيسكت ولا يشيع ما يسمعه بما ان له عمل بجانبه
وتعالى كذب الافكين ان قالوه بما لمن احتلقه واذاعه على قتلهم المريد به
الى ظن الخير لولا اي هلا ولم لا جاءوا عليه باربعة شهداء كما تقدم ان
القذف لا يباح الا به فاذ اي حين لم يأتوا بالشهداء اي الموصوفين
فاولئك اي البعداء من الصواب عند الله هم الكاذبون فتدخل ام التفضيل
بين الرجل في الصادق والربي الكاذب بشهادة سماوية المعقود الالوية
وانتفاء بها الذين رموا عائشة لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت
عليهم الحجة وكانوا عند الله اي في حكمه وكتابه كاذبين وهذا توبيخ
وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا في رفضه وانكاره واحتقاب
عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف
بغير بينة في التنكيل به اذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء
المسلمين فكيف بأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم حبيبة رب العالمين وما بين سبحانه
وتعالى الدليل على كذب الخائضين في هذا الكلام وانهم استحقوا
السلام فالرعاطفا على لولا الماضية التي للتخصيص ولولا التي
هي لامتناع الشيء لوجود غيره ففضل الله اي المحيط بصفات الكمال عليكم
ورحمته اي سعادتاه لكم بمزيد الانعام والاكرام اللازم للرحمة في الدنيا
بقبول التوبة والمعاملة بالحلم والاخرة بالعفو عمن يريد ان يعفو
عنه منكم لولا عاجلكم في ما افضتم اليها الخصبة اي خضتم فيه
من حديث الافك عذاب عظيم يحتقر معه اللوم والجلد فانه لا يليق

بمن تقلد طوعة في الرسم من ملكها ترى يحرك بين تعالى وقت حلول العذاب لزجرهم
عن مثله بقوله تعالى اذ اي حين تلقونه اي يختلقه بعضكم عن بعض
هذا الكلام الفاحش والقاية بالسنتكم اي يروي بعضكم عن بعض وذلك
ان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول له بلغني كذا وكذا فينقلونه تلقفا بالقية
بعضهم الى بعض وهذه تفسير الفعل احدى القراءتين وتقولون بافواهكم
اي كلاما مختلفا بالافواه مجرد كلام لا حقيقة له فلا يمكن ارتسامه في
القلب بموجب دليل وأكد هذا المعنى بقوله تعالى ما ليس لكم به علم
اي يلزم من الوجوه وتنكيره للتحقير فان قيل القول لا يكون الا بالفم فما
معنى قوله تعالى بافواهكم اجيب بان معناه ان الشيء المعلوم يكون علما
في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري
على الالسنة كما يدور في افواههم من غير ترجمة عن علم بد في القلب
كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه بدليل
سكوتكم عن انكاره هينا اي لا اثم فيه وهو في الحال انه عند الله اي الذي
لا يبلغ احد مقداره عظمة عظيم في الوزر واستجرار العذاب فيه انه
ثلاثة اثام مرتبة على اعظم العناية العظيم تلقي الافك بالسنتهم
والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم ذلك وهو عند الله عظيم
ولولا اي وهلا ولم لا اذ اي حين سمعتموه قلتم من غير توقف ولا تفكر
ما يكون اي ما ينبغي وما يصح لنا ان نتكلم بهذا اي القول المحظور ويجوز
ان تكون الاشارة الى نوعه فان قذف احاد الناس محرم فكيف
بمن اختارها العليم الحكيم لصحبة اكمل الخلق فان قيل كيف جاز الفصل
بين لولا وقلتم اجيب بان الظرف تنزل من الشيء منزلة نفسه
لوقوعه فيها واعتنائها لاشتمالها عليه فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع
في غيرها فان قيل اي فائدة في تقديم الظرف حتى اوقع فاصلا

اجيب بان الفائدة فيه بيان انه كان الواجب عليكم الذي بدا اول ما سمعوا
بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر لوقت اهم وجب التقديم فان قيل ما معنى
يكون والكلام بدونه مستقيم لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا اجيب بان معناه
ينبغي ويصح اي ما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا وما يصح لنا كما تقدم تقريره ويكون
ما يكون لي ان اقول كما ليس لي بحق وقوله تعالى سبحانك تعجب من ان
يخطر ذلك ببال في حال من الاحوال فان قيل ما معنى التعجب في
كلمة التسبيح اجيب بان الاصل في ذلك ان يسبح الله تعالى عند رؤية
المتعجب من صنايعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه وقيل تنزيه
هو منزه عن ان يرضى بظلم هو لا يهم القذفة وعن ان الانبياء هم وعن
ان تكون حرمة نبيه صلى الله عليه وسلم فاجرة قال البيضاوي فان
تجويزها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بحكمة في كونها فانه لا ينفر
اب وليهذا كانت امراة نوح ولوط كافرتين وهذا يقتضي حل نكاح
الكتابية صحابيا كان او غيره صلى الله عليه وسلم لان تكوه صحبته ولا ان يزين
من ان يضع ماءه في رحم كافرة بنكاح وقوله تعالى وازواجه امهاتهم
ولا يجوز ان تكون الكافرة ام المومنين ولخبر سالت ربي ان لا ازوج
الا من كان معي في الجنة فاعطاني رواه الحاكم وصححه واسناده
اما التسري بالكافرة فلا يحرم فانه صلى الله عليه وسلم تسرى
بريحانة وكانت يهودية من بني قريظة ولا يشكل تقليلهم السابق
من انه اشرف ان يضع ماءه في رحم كافرة لان القصد بالنكاح
اصالة التوالد فاحتيط له وبانه يلزم فيما ذكر ان تكون الزوجة
المشتركة ام المومنين بخلاف المملوكة فيهما هذا بهتان اي كذب يبهت
من يواجه به لشدة ما فيه في العرفي الباطنة لانه في غاية
العقلة عنه لكونه ابعد الناس عنه ثم علله بقوله عظيم لعظمة المملوك

عليه

عليه فان حرمة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها ولما كان هذا كله
وعظا لهم واستعطافا حاترجمه بقوله يعظكم الله اي يقول قولا يكم الذي له
الكمال كله فيعمل بمقتضاه ولا يعمل بخلافه ان اي كراهة ان تعودوا لمثله
ابدا اي ما دمتم احياء مكلفين مع عظم هذا الوعظ بقوله تعالى ان كنتم
مومنين اي متصفين بالايمان راسخين فيه فانكم لا تقودون فان
الايمان يمنع عنه وهذا تهييج وتقريع لانه يخرج عن الايمان كما تقو
المعتزلة فان قيل هل يجوز ان يسمي الله واعظا لقوله يعظكم الله
اجيب بانه لا يجوز كما قاله الرازي فانكم لا يجوز ان يسمي معلما
كقوله تعالى الرحمن علم القرآن لانه تسمى الله تعالى بذلك بتوقيف
ويبين الله اي بما له من صفات الكمال والاكرام لكم الايات اي الدالة
على الفرايض ومحاسن الاداب كي تتعظوا وتنتهوا والله اي المحيط
بجميع الكمال عليم اي بما يامر وينهى عنه حكيم لا يضع شيئا الا في احكم
مواضعه وان دق عليكم فهم ذلك فلا تتوقفوا في امر من اوامره
ولما كان من اعظم الوعظ بيان ما يستحق عليه الذين من العذاب
بينه بقوله تعالى ان الذين يحبون اي بقلوبهم وعبر بالحب اشارة
الى انه الذي يكسب هذا القبح عقلا لا يحب له ولا يحبه الا بعد عن
الاستقامة ان تشيع اي تنتشر بالقول او الفعل الفاحشة الفعلة الكبيرة
القبح في الذين امنوا اي بشهتها اليهم وسم العصبة وقيل المنافقون لهم
عذاب اليم في الدنيا اي بالحد للقذف والاخرة اي بالنار لمن لم
تاب ان لم يتب والله اي المستجمع لصفات الكمال ومنها الكمال
العلم التام فهو يعلم مقادير الاشياء ما ظهر منها وما بطن وما الحكمة
في اظهاره او ستره او غير ذلك من جميع الامور وانتم لا تعلمون اي
ليس لكم علم من انفسكم فاعملوا بما علمكم ولا تتجاوزوه ولا تعتقدوا قبل

معناه يعلم ما في قلب من يحب ان تشيع الفاحشة فيجازيه عليها وانتم لا تعلمون ذلك وقيل والله يعلم انتفاء الفاحشة عنهم وانتم الجهال القصيرة لا تعلمون وجودها منهم وقوله لعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ايمنكم تكرير للمنة بتركه المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذ اعطف عليه وان الله اي الذي له الفضل التام فتسبقت رحمته غضبه رؤف رحيم على حصول فضله ورحمته وجواب لولا محذوف كانه قال لعذبكم واستاصلكم لكنه رؤف رحيم قال ابن عباس الخطاب لحسان ومسطح وحمنة قال الرازي ويجوز ان يكون الخطاب عاما وقيل جواب قوله تعالى ما زكى منكم من احد وقرا نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بضم الهمزة والباقون بفتحها يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات اي طرق الشيطان بتزيينه اي لا تسلكوا مسالكه في اشاعة الفاحشة ولا في غيرها ومن يتبع خطوات الشيطان فانه اي المتبع يامر بالفحشاء اي بالفتايح من الافعال والمنكر اي ما انكره الشرع وهو كل ما يكبر هذا الله تعالى وقرا قنبل وابن عامر وحفص والكسائي بضم الطاء والباقون بالسكون ولولا فضل الله اي الذي لا الة غيره عليكم ورحمته اي بكم بتوفيق التوبة المحاة للذنوب وكرئ احد وذ المكررة لها ما زكى اي ما طهر من ذنبها منكم من احد ابدا اخذ الدهر والاية عند بعض المفسرين على العموم قالوا اخبر الله انه لولا فضله ورحمته ما صلح منكم من احد وقال ابن عباس الخطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا اصلح امره بعد الذي فعل بالتوبة منه ولكن الله اي العلم باحوال الخلق يزكي اي يطهر من يشاء من الذنوب بقبول التوبة منها والله سميع اي لاقوال العباد عليم اي عالم بما في قلوبهم ولا يائتل اي يحلف فيفعل من

الالية

الالية وهو القسم اولوا الفضل اي اصحاب الغنى منكم والسعة ان اي ان لا يوتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا ليصفحوا عنهم في ذلك الا تحبون ان يغفر الله لكم اي على عفوكم وصفحكم واحسانكم الي من اساء اليكم قال المفسرون لما نزلت هذه الاية في ابي بكر حلف ان لا ينفق على مسطح وهو ابن خالة ابي بكر وكان يتيما في حجره وكان ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط قال لهم ابو بكر والله لا انفق عليه شيئا ابدا ولا اصل قرابتي منه ولست منكم وكان بذلك داعيا في المنع فان الانسان اذا احسن الي قريبه وكافاه بالاساءة كان اشد عليه مما اذا صدرت الاساءة من اجنبي قال الشاعر

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند

فقال له مسطح نشدتك الله والاسلام والقرابة لما حق جنا الى احد فما كان لنا اولا الامر من ذنب فقال الم تتكلم فقال قد كان بعض ذلك عجبا من قولك احسان فلم يقبل عذره وقال انطلقوا ايها القوم فان الله لم يجعل لكم عذرا ولا مخرجا فخرجوا الا يدرون اين يذهبون واين يتوجهون من الارض ويئسوا من الصحابة واقسموا ان لا يتصدق على احد منكم بشيء من الافك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر وبراءه عليه الاية فلما وصل الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم اي مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه قال بلى يا رب اني احب ان يغفر لي فذهب ابو بكر الى بيته وارسل الى مسطح واصحابه وقال قبلت ما انزل الله تعالى علي الراس والعين وانما فعلت بكم ما فعلت ان سخط الله عليكم اما اذا عفى عنكم فمرحبا بكم وحبذا لكم ومثلي ما كان له وقال والله لا انزع عما ابدا وذلك من اعظم انواع المجاهدات ولا شك ان هذا اعظم من مقاتلة الكفار لان هذا مجاهدة مع النفس وذاك مجاهدة مع الكفار ومجاهدة النفس اشد ولهذا روي انه صلى الله عليه وسلم قال رجعنا من

ل

الجهاد الاصغر الي الجهاد الاكبر ان الذين يرمون المحصنات اي العفائف الغافلات
اي عن الفواحش وعن السيئات الصدور والعفيفات القلوب بان لا يقع في
قلوبهن تعقلها اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم
يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن المجربات العرافات قال القائل ولقد
لهون بطفلة ميالة بلهاء تظلعني على اسرارها وكذلك البله من
الرجال في قوله صلي الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وقيل البله
هم الراضون بنعيم الجنة والغافلون لم يرضوا الا بالنظر الي وجهه الكريم
المؤمنات بالله ورسوله لعنوا في الدنيا والاخرة اي عذبوا في الدنيا
بالحد وفي الاخرة بالنار ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم قال القائل
هذا خاص في عبد الله بن ابي المنافق ورد ذلك انه قيل لسعيد بن جبير
من قذف مومنة يلعنه الله في الدنيا والاخرة قال ذلك لعائشة خاصة
قال الزمخشري ولو تليت القران كله وفتشت عما اوعد به العصاة
لم تر الله عز وجل قد غلظ في شيء تغليظه في افك عائشة رضي الله
عنها ولا انزل من الايات القوارع المتشابهة في الوعيد الشديد والعقاب
البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستعظام
ما اقدم عليه ما انزل فيه علي طرق مختلفة واساليب متنوعة كل
واحد منها كاف في بابه ولو لم تنزل الا هذه الثلاث ايات لكفي حيث
جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم
في الاخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم كما قال تعالي
يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون اي
من قول وفعل وهو يوم القيمة بما انكروا وجحدوا فانه يوفيهم اجزاءهم اتم
كما قال تعالي يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اي جزاءهم الواجب الذين هم
اهله ويعلمون عند ذلك ان الله هو الحق المبين حيث حقق لهم جزاء الذي

كانوا

كانوا يشكون فيه فاورثهم ذلك واسبغ وفضل واجمل واكد وكرر وجاء
بما لم يقع في وعيد المشركين وعبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة
وساذكر لك الا الاخر وعن ابن عباس انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان
يسال عن تفسير القران حتي سئل عن هذه الايات فقال من اذنب ذنبا
ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة وهذا منه مبالغة
وتعظيم للامر الا فك ولقذف الله تعالي اربعة باربعة براءة يوسف عليه
السلام بلسان الشاهد وكم شاهد من اهلها وبراءة موسي من قول
اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبراءة مريم بانطاق ولدها حين نادي
من تحتها في عبد الله وبراءة عائشة بهذه الايات العظام في كتاب المعجز
المتلو علي وجه الدهر مثل هذه التبرية بهذه المبالغات فانظر كيف
بينها وبين تبرية اوليك وعاذ ك الله ان يظاهر علي من لقه رسول الله
صلي الله عليه وسلم والتنبيه علي انافة محل سيد ولد آدم رحمة
الاولين والاخرين وحجة الله علي العالمين ومن اراد ان يتحقق عظمة
شانه وتقدم قدره واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتتبع
ذلك من ايات الافك وليتامل كيف عقب الله تعالي له بتي حرقته وكيف
بالغ في نفي التهمة عن حجابه وقال توم لعائشة وازواج النبي صلي الله
عليه وسلم لم يذكرني قد فهمت توبة ومن ذكرني قد تهمني او الرواية
توبة عين هذا فان قيل ان كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات
اجيب بانها لما كانت ام المومنين جمعت ارادة لهما ولبناتها من نساء
الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان ولذا قيل ان هذا حكم
كل قاذف لعالم بتيء فان قيل ما معني تو له تعالي هو الحق المبين اجيب
بان معناه ذو الحق المبين اي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم
في حكمه والحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته كان له

ان يجازي المحسن علي احسانه والمسيء علي اساءته فحق مثله ان ينتحى ويجتنب
محارمه وقرا ورش سيشهد حمزة والكسائي بالياء التحتية والباقون
بالفوقية ويوم ناصبه الاستقرار الذي تعلق به لهم وقرا ابو عمرو
بوقفهم الله بكسر الهمزة لهما والميم وحمزة والكسائي بهم الهاء والميم
والباقون بكسر الهاء وضم الميم هذا كله في الوصل واما الوقف
فالجميع بكسر الهاء وسكون الميم الخبيثات اي من النساء الكلمات الخبيثات
من الناس والخبيثون اي من الناس للخبيثات اي مما ذكر والطيبات
اي مما ذكر للطيبين اي من الناس والطيبون اي منهم للطيبات اي
مما ذكر فالمراد بالخبيث مثله وبالطيب مثله اولئك اي الطيبون والطيبات
من النساء وقيل عائشة ومنهم صفوان وعائشة مبرؤن مما يقولون
اي الخبيثون والخبيثات من النساء وقيل عائشة وصفوان ذكرهما
بلفظ الجمع كقوله تعالى فان كان له اخوة اي اخوان لهم اي للطيبين
والطيبات من النساء على الاول ولصفوان وعائشة على الثاني
مغفرة اي عفو عن الذنوب ورزق كريم هو الجنة وردي ان عائشة
رضي الله عنها كانت تفتخر باشياء اعطيتها لم تعطها امراة غيرها منها
ان جبريل عليه السلام اتى بصورتها في سرقة من حرير وقال هذه
زوجتك وردي انه اتى بصورتها في راحته ومنها انه صلى الله عليه
وسلم لم يتزوج بكرا غيرها ومنها انه قبض صلى الله عليه وسلم
ورأسه في حجرها ومنها انه دفن في بيتها ومنها انه كان ينزل عليه
الوحي وهو معها في لحافها ومنها ان براءتها نزلت من السماء ومنها
انها ابنة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه وخلفته
طيبة ووعدت بمغفرة ورزق كريم وكان مسروق اذا روى عن عائشة
قال حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه
وسلم

وسلم المبرأة من السماء الحكم السادس ما ذكره بقوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم اي البيوت المسكونة مما قام الموجود المعين
لابد خلال الاباذن وقرا ورش وابو عمرو وحفص بهم الباء الموحدة
والباقون بكسرها وفي قوله تعالى حتى تستانسوا وجهان احدهما من
الاستيناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الاذن الذي يطرق
باب غيره لا يدري ايوذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه
فاذا اذن له استانس فالمعنى حتى يوذن لكم كقوله تعالى لا تدخلوا بيوت
النبي الا ان يوذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع
من الاستيناس يرد في الاذن في صنع موضح الاذن والثاني ان يكون
من الاستيناس بمعنى الاستعلام والاستكشاف استفعال من
انس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى تستعملوا وتستكشفوا
حال هل يراد دخولكم لا وعند قولهم استانس هل تريد احدا
واستانست فلم ار احدا اي تفرقت واستعملت وقال الخليل الاستيناس
الاستبصار ومن قولهم آنست نارا اي ابصرت وقيل هو ان تتكلم
بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة ويتنحنح ليوذن اهل البيت وعن ابي
ايوب الانصاري قال يا رسول الله ما الاستيناس قال ان يتكلم الرجل
وتسلموا على اهلها كان يقول الواحد السلام عليكم ادخل ثلاث
مرات فان اذن له والا رجع قال قتادة الاولى للتسميع والثانية
ليتهيا والثالثة ان شاء اذن وان شاء رد وهذا من محاسن الآداب
فان اول مرة ربما منعهم بعض الاشتغال من الاذن وفي الثانية
ربما كان هناك مانع يقتضي المنع فان لم يجب في الثالثة يستدل
بعدم الاذن على مانع ولهذه الاولى في الاستيذان ان لا تكون
متصلة بل يكون بين كل واحدة والاخرى وقت ما ولا بد من اذن

صريح اذا كان الداخل اجنبيا او قريبا غير محرم سواء كان الباب مغلقا
ام لا وان كان محرما فان كان ساكنا مع صاحبه فيه لم يلزمه الاستيذا
ولكن عليه ان يشعره بدخوله بتنحنح او سقطة وطي او نحو ذلك ليستتر
العريان فان لم يكن ساكنا فان كان الباب مغلقا لم يدخل الا باذن
وان كان مفتوحا فوجهان والارجح الاستيذان وعن ابي موسى الاشعري
انه اتى باب عمر فقال السلام عليكم ادخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستيذان ثلاثا واستاذن
رجل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اكما فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لامراة يقال لها روضة قومي الي هذا فعلميه
فانه لا يحسن ان يستاذن فقولي له يقول السلام عليكم ادخل
فسمع الرجل فقال ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم
اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساكم ثم يدخل فربما
اصاب صاحب البيت مع امراته في لحاف واحد فنهوا عن ذلك
وعلم الاحسن الاجمل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس
كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك قال
الزمخشري بينا انت في بيتك اذ رعن عليك الباب بواحد من غير
استيذان ولا تحية من تحايا الاسلام وللجاهلية وهو ممن يسمع
ما انزل الله فيهم وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اين
الاذن الواعية ذلكم خير لكم اي من تحية الجاهلية ومن ان تدخلوا
من غير استيذان روي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
استاذن علي امي قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري استاذن عليها
كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستاذن
وقوله تعالى لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل لعلكم وقيل

لكم

لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب الاستيذان
وقرا حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال والباقون بالتشديد فان لم
تجدوا فيها اي البيوت احدا ياذن لكم في دخولها فلا تدخلوها حتى
يؤذن لكم اي حتى يأتي من ياذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع
على العورات فقط وانما شرع ليلا يقف على الاحوال التي يطويها
الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع احد عليها ولانه
قد يرى في ملك غيره ما لا بد ان يكون برضاه والا اشبه الغصب
والتغلب فان قيل لكم ارجعوا اي بعد الاستيذان فارجعوا اي اذا
كان في البيت احد وقال لكم ارجعوا فارجعوا هو اي الرجوع ازكى
اي اطهر واصلح لكم من الوقوف على الابواب منتظرين لان هذا مما
يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا اذا كان ذوي مروة
مرتاضين الاداب الحسنية واذا نهي عن ذلك لاداب ترجع الى الكف الهة
وجب الانتهاء عن كل ما يودي اليها من قرع الباب بعنف والتصييح
بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من اكثر
الناس وعن ابي عبيد رضه استعالي ما قرعت بابا علي عالم قط
وكفى بفعلة بني اسد زاجرة وبابن ليلى من تولة تعالى ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون وعن قتادة اذا لم يرد
له الدخول علي الباب فان للناس حاجات وان حضر ولم يستاذن
وقعد علي الباب منتظرا جاز كان ابن عباس يأتي باب الانصاري
لطلب الحديث فيقعد علي الباب حتى يخرج ولا يستاذن فيخرج الرجل
فيقول يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرتني فيقول هكذا
امرنا ان نطلب العلم واذا رقت ثلاثة ينظر من شق الباب اذا كان الباب
مردودا لما روي عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه

ب

وسلم من اطلع في بيت قوم فقد حل لهم ان يفقؤا عينه وفي رواية للنسائي
قال فلو ان امرا اطلع عليك بغير اذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك
جناح ولو عرض امرئ في دار من خرق او هدم او هجوم سارق او ظهور
منكر يجب انكاره جاز الدخول بغير اذن واسداء الذي لا يخفى عليه شيء
بما تملكون من الدخول باذن وبغير اذن عليم فيجازيكم عليه ولما نزل
اية الاستيذان قالوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على
ظهر الطريق ليس فيها انسان فانزل الله تعالى ليس عليكم جناح ان
تدخلوا بيوتا غير مسكونة اي بغير استيذان وذلك كبيوت الخانات
والربط المسبلة فيها متاع اي منفعة لكم وانتفاعكم فيها بالنزول والاوا ع منه
المتاع والاقتعاد من الكرد البرد ونحو ذلك وقال ابن زيد هي بيوت التجار
وحوانيتهم التي بالاسواق يدخلها للبيع والشراء وهو المنفعة وقال
ابراهيم النخعي ليس على حوانيت الاسواق اذن وكان ابن سيرين اذا اتى
الى حانوت السوق يقول السلام عليكم ادخل ثم يدخل وقال عطاء البيوت
الخربة والمتاع هو قضاء الحاجات فيها من البول والغائط وذلك استثناء
من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون
اي تظهرون وما تكتمون اي تخفون في دخول غير بيوتكم من قصد صلاح
او غيره وفي ذلك وعيد لمن دخل لفساد او تطلع على عورات الناس
ثم اذا دخلوا بيوتهم سلموا على انفسهم والحكم السابق حكم النظر
المذكور في قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي عما لا
حل لهم نظره ويحفظوا فروجهم اي عما لا حل لهم فعله مما تنبيه
من التبعيض والمراد غض البصر عما لا يحل كما مر والاقتصار عليه
ما يحل وجوز الاخفش ان تكون من زيدة واباه سيبويه فان قيل
لم دخلت من في غض البصر دون حفظ الفرج اجيب بان في ذلك
دلالة

دلالة على ان المراد انما هو النظر او سع بدليل جواز النظر لمحارم فيما
عدا ما بين السرة والركبة والحاذق الفرج فالامر فيه ضيق وكفاك
فرقا ان ابيح النظر الي ما استثني منه وحظر بجماع الا ما استثني منه
ويجوز ان يراد بحفظها عن الاقفا الي ما لا يحل حفظها عن الايذاء
وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا هذا
فانه اراد الاستتار فان قيل لم قدم غض البصر على حفظ الفرج اجيب
بان البلوى فيه اكثر روي عن جرير بن عبد الله قال سألت النبي
صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة فقال اصرف بصرك وعن بريدة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة
فان لك الاولى وليست لك الثانية اخرجه ابو داود والترمذي وعن
ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل
الى عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة ولا يفضي الرجل الى الرجل
في ثوب واحد ولا تفضي المرأة الى المرأة في ثوب واحد ذلك اي غض
البصر وحفظ الفرج ازكى اي خير لهم لما فيه من البعد عن الريبة سيل
السبكي رحمه الله تعالى عن قوله تعالى يغضوا من ابصارهم فقال البصار
الرؤس على المحرمات وابصار القلوب عن المحرمات ثم اجرى كلامه تعالى
بانه خبير باحوالهم وافعالهم بقوله تعالى ان الله اي الملك الذي لا يخفى
عليه شيء خبير بما يصنعون بسائر احوالهم وجوارحهم فعليهم اذا عرفوا ذلك
ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات
يغضضن من ابصارهن عما لا يحل لهن نظره ويحفظن فروجهن عما
لا يحل فعله بما روي عن ام سلمة انها قالت كنت عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحارث اذ اقبل ابن ام مكتوم فدخل عليه
وذلك بعد ما امرنا بالحجاب فقال صلى الله عليه وسلم احتجبا منه

وقلت يا رسول الله ايس هو اخي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افهما
وانما انتما ابصرا الله **ولا يبدين** اي يظهرن **زينتهن** اي ليس لهن
والزينة خفية وظاهرة فالخفية مثل الخلخال والكحل والخضاب في الرجل
والسوار في المعصم والقرط في الاذن والقلايد في العنق فلا يجوز
للمراة اظهارها ولا يجوز للاجنبي النظر اليها والمراد من الزينة في اصلها
من البدن وذكر الزينة لما انها لغة في الامر بالعورة والستر لان هذه
الزينة واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها **الا ما ظهر**
منها اي الزينة الظاهرة واختلف اهل العلم في هذه الزينة التي
استثناها الله تعالى فقال سعيد بن جبير وجماعة هي الوجه والكفان
وقال ابن مسعود هي الثياب وقال ابن عباس هي الكحل والخاتم
والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للاجنبي النظر
اليها اذا لم يخف فتنة في احد وجهين عليه الاكثر وانما رخص في هذا
القدر للمراة ان تبديه من يديها لانه ليس بعورة في الصلاة وساير
ما عورة منها ولانستره فيه حرج فان المراة لا تجد بدا من مناولة
الاشياء بيديها وعن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة
والمحاكمة والنكاح وتنظر الى الميت في الطرقات وخاصة الفقيرات
والوجه الثاني يحرم لانه محل الفتنة ورجح حسما للباب **وليضربن**
بخمرهن على جيوبهن اي يسترن الرؤس والاعناق والصدور
بالمقانع فان جيوبهن كانت واسعة تبدو امنهن وتحور هن و
صدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من وراهن فتبقى
مكشوفة فامرن بان يسدلن لها من قدامهن حتى تغطيها ويجوز ان
يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح
الجيب بالنون والصاد اي سليم الصدر وعن ذلك ضربت بخمارها على

جيبها

جيبها كما تقول كذا ضربت بيدي على كمايطا واوصفها عليه قالت عايشة رضي
الله تعالى عنها يرحم الله تعالى نساء المهاجرات لما انزل الله تعالى وليضربن
بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها والمرط كساء من صوف او
خز او كتان وقيل هو الازار وقيل الدرع وقرا نافع وابو عمرو وهشام
وعاصم بضم الخاء والباقون بكسرها وكرر قوله تعالى **ولا يبدين زينتهن**
ليبان من حل له الابداء ومن لا يحل له اي الزينة التي يظهر لهن كشفها
في الصلاة ولا للاجانب وهي ما عدا الوجه والكفين **الا لبعولتهن** اي فانهم
المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج والدبر
يكره وقال ابن عباس لا يقبلن لكلباب والخاتم والاذن واجهن **او ابايهن**
او آبا بعولتهن او ابنايهن او ابنا بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن
او بني اخواتهن يجوز لهم ولا ان ينظروا الى الزينة الخفية ولا ينظروا الى
ما بين السرة والركبة وانما سوغ في الزينة الخفية لا ولئك المذكورين
الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ولمخالطتهم ولمشقة الفتنة منهم لما تقدم
ولما في الطباع من التنفر عن مماسة القرائب وتحتاج المراة الى مجيئهم
في الاسفار للنزول والركوب وغير ذلك **او نسايهن** اي المومنات
فان الكافرات لا يتجردن عن وصفهن للرجال فلا يجوز للمسلمة ان
تتجرد بين ايدي نساء الكافرة لانهن اجنبيه في الدين فكانت كالرجل الاجنبي
ولكن يجوز ان تريهن ما يبدو عند المهنة وقد كتب عمر الى ابي عبيدة
ابن الجراح ان يمنع نساء اهل الكتاب ان يدخلن الحمامات مع المسلمات
وقيل النساء كلهن وللعلما في ذلك خلاف تنبيه العورات على
اربعة اقسام عورة الرجل مع الرجل وعورة المراة مع المراة وعورة
المراة مع الرجل وعورة الرجل مع المراة اما الرجل مع الرجل
يجوز ان ينظر الى بدنه ما عدا ما بين السرة والركبة وكذلك

المرأة مع المرأة واما المرأة مع الرجل اذا الرجل مع المرأة فلا ينظر احدهما من
الاخر شيأ وقيل يجوز للاجنبي ان ينظر الى يديها وكفيها اذا امن الفتنة
ولم تكن سمينة وقيل يجوز لها ان تنظر منه ما عدا ما بين السرة والركبة
ويجوز لمن اراد ان يخطب حرة ان ينظر وجهها وكفيها وهي تنظر منه اذا
ارادت ان تتزوج به ما عدا ما بين السرة والركبة واذا اراد ان يتزوج
بامة جاز ان ينظر منها ما عدا ما بين السرة والركبة ويحرم النظر لشهوة
بكل منظور اليه الا لمن اراد ان يتزوج بها او للجليلة وبباح النظر
لاجنبي لمعاملة وشهادة حتى يجوز النظر الى الفرج للشهادة على
الزنا والولادة والى الثدي للشهادة على الرضاع وتحمل ومداواة
بقدر الحاجة وكلما حرم نظره متصلا حرم نظره منفصلا كشعر العانة
من رجل او قلامة طفر من اجنبية ويحرم اضطجاع رجلين او امرأتين
في ثوب واحد اذا كانا عاريين واذا كان كل منهما في جانب من الفراش
الحي المتقدم ويجب التفريق بين ابن عشر سنين واخوته واخواته
في المضجع اذا كانا عاريين وبين مصافحة الرجلين والمرأتين الحي
ما من مسلم ابن ثلاثين وبقي مصافحا الا غفر لهما قبل ان يتفرقا قالوا
مصافحة من به عاهة كجذام او برص فالمصافحة والتقبيل في الرأس
للحي عن ذلك الا لقادم من سفر او بتباعد جدا وبين تقبيل الطفل
ولو لغير شفقة ولا باس بتقبيل وجه الميت الصالح وبين تقبيل يد
الحي لصلاح او علم او زهد او غير ذلك ويكره لغنا او وجاهة او نحو
ذلك وقوله تعالى او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد فيحل نظر
العبد العفيف غير المبعض والمشترك والمكاتب الى سيدته العفيفة
لما روي ابو داود انه صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعبد وهب لها
وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها

لم يبلغ راسها فلما رآها النبي صلى الله عليه وسلم وما تلقى قال صلى الله
عليه وسلم انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وعن عائشة
رضي الله تعالى عنها انها قالت لعبد هاذكوان انك اذا وصفتني في القبر
وخرجت فانت حر اما الماشق والمبعض والمشترك والمكاتب فكالا
بل قيل ان المراد بالاية الاماء وعبد المرأة كالاجنبي وبه قال ابن المسيب
وجزاوقال لا يغرنكم اية النور فان المراد بها الاماء والتابعين اي الذين
يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم غير اولي الاربة اي اصحاب الحاجة
الى النساء من الرجال اي ليس لهم همة الا ذلك ولا حاجة لهم في النسا
لاعدم بله لا يبرمون شيأ من امرهن وقيل هم شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن
عفوا العبارة رقيل هم المجبوبون ستوا كان حرا ام لا وهو الاصح
الذكر والانثى اما ذاهب الذكر فقط او الانثيين فقط فكالخصي
ابي حنيفة لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم
قال الزمخشري فان قلت روي ان الله يمطر سول الله صلى الله عليه وسلم
خصي فقبله قلت لا يقبل فيما يعم به البلوى الا حديث مكشوف وان
صح فلعله قبله ليعلمه او لسبب من الاسباب انتهى وعندنا يجوز
جميع ذلك اذ لا مانع من ذلك وقيل المراد باولي الاربة هو المخنث
وقرا ابن عامر وشعبة بنصب الراء على الاستثناء والكال والباقون
بكسرها على الوصفية وقوله تعالى او الطفل بمعنى الاطفال وضع
الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبينه ما بعده وهو قوله تعالى
الذين لم يظهروا اي لم يطلعوا على عورات النساء للجماع فيجوز لهن ان
يبدين لهم ما عدا ما بين السرة والركبة قال امام الحرمين اذا لم
يبلغ الطفل حد الحكي ما يراه فكالعدم او بلغه من غير شهوة فكالبالغ
او بشهوة فكالبالغ ولا يضربن باارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن

وذلك ان المراة كانت تضرب برجليها الارض ليتقعقع خلخالها فيعلم انها
ذات خلخال وقيل كانت تقرب باحدى رجليها على الاخرى ليعلم
انها ذات خلخال اين فهمان عن ذلك لان ذلك يورث ميلا في الرجال
واذا وقع النهي عن اظهار ما من شانه ان يدعو الخالي الى ما لا ينبغي فاولى
في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه
واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه ولذلك قال تعالى وتوبوا الى الله
اي الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات جميعا ايها
المؤمنون اي مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره وشرط
التوبة ان يقلع الشخص عن الذنب ويندم على ما مضى ويعزم على
ان لا يعود ويرد المظالم لحقوق لا تعلق لها بوقت الا ان عامر في الوصل ايام التوبة من
بعض الهما لانها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما استقطت الالف
لالتقاء الساكنين انتقلت حركتها حركة ما قبلها والباء توذن بفتحها واما
الوقف فوقف ابو عمرو والكسائي بالالف بعد الهاء ووقف الباقون على
الهاء ساكنة لعلكم تفلحون اي تنجون من ذلك لان قبول التوبة منه
وفي الاية تغليب الذكور على الاناث وعن ابن عباس توبوا مما
كنتم تفعلون في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والاخرة فان
قيل على هذا اذا صحت التوبة بالاسلام لا ينبغي ما قبله فما معنى
هذه التوبة اجيب بان بعض العلماء قال ان من اذنب ذنبا ثم تاب
عنه لزمه كلما ذكره ان يجدد التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه
وعزمه الى ان يلقى الله تعالى والذي عليه الاكثر انه لا يلزمه
ذلك بدليل ما روي عن ابي بردة انه سمع الاغر المزني يحدث ابن عمر انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس توبوا الى ربكم فاني
اتوب الى ربي كل يوم مائة مرة وعن ابن عمر قال انا كنا لنعد لرسول

الله صلى الله عليه وسلم في المجلس بقول رب اغفر لي وتب علي انك انت
التواب الغفور مائة مرة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه وعن
انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله افرح بتوبة
عبده من احدكم يستطعم على بعير وقد اضله في ارض فلاة وانما ذكر
هما لما سيفضي الى السماح المخل بالنسب المقتضي للالفة وحسن التربية
ومن بعد الصفة الوحدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه خطبه
بالحكم الناشئ من وقوع الامر بالنكاح المذكور في قوله تعالى وانكحوا الايامى
منكم جمع ايم والايامي والتيامي اصلها ايايم وتيايم فقلبا والايم من
لا زوج لها زوج بكرا كانت او ثيبا ومن ليس له امراة فيشمل ذلك الذكر
والانثى قال الشاعر فان تنكحي انكحي وان تتايمي وان كنت افتى منكم
اتايم اي اقرب الى الشباب منكم وتايم بالرفع على قلة جواب ان
تتايمي وما بينهما جملة معترضة والمعنى ان فاتك في حالتي التزوج
والتايم وانا كنت اقرب الى الشباب منك وعنه صلى الله عليه وسلم
اللهم انا نعوذ بك من الغيمة والغيمة والايمة والقرم والقرم العيمة
شهوة اللبن والغيمة الحبشي والايمة شهوة النكاح مع الخلو من الرفاق
والقرم الجمل والقرم كثرة اللحم وهذا في الاحرار والحرائر واما غيرهم
فهو قوله تعالى والصالحين اي الموحدين من عبادكم وهم من جموع عبد و
اماءكم والخطاب للاولياء والسادة وهذا الامر امر ندب فيستحب لمن
تاقت نفسه للنكاح ووجد اهبته ان يتزوج ومن لم يجد اهبته استحب
له ان يكسر شهوته بالصوم لما ورد انه صلى الله عليه وسلم قال يا معشر
الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن
للفرج ومن يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء اي قاطع لشهوته لان

الوجا بكسر الواو وقوع من الخصاء وهو ان ترض عروق الانثيين وتترك الخصيتان
كما هما فتشبه الصوم في قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذي يقطع النسل
والباءة بالمد موئن النكاح وهي الممر وكسوم فعل التمكين وفقته يومه
فان لم تتكسر بالصوم لا تكسر هما بالكافور ونحوه بل يتزوج ويكره
لغير التائق ان فقد الاهبة او وجدها وكان به علة كهرم فان
وجدها ولا علة به وهو غير تائق فالتخلي للعبادة افضل من النكاح
ان كان متعبدا فان لم يتعبد فالنكاح افضل من تركه لقوله صلى
الله عليه وسلم من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه
صلى الله عليه وسلم من كان له حال يتزوج به فلم يتزوج فليس منا
وعنه صلى الله عليه وسلم اذا تزوج احدكم فقد عج شيطانه ياويلاه
عصم ابن آدم مني ثلثي دينه والاحاديث في ذلك كثيرة وربما
كان واجب الترك اذا ادى الى معصية او مفسدة وعنه صلى الله
عليه وسلم اذا اتى على امتي مائة وعشرون سنة فقد حلت لهم
العزوبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وفي رواية ياتي على
الناس زمان لا تنال العيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك
الزمان حلت العزوبة ويندب النكاح للمراة التائقة وهي معناها
المحتاجة الى النفقة والكاينة من اقتحام الفجرة ويستحب ان تكون
المنكوحة بكرا لا لعذر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار انهن اعذب
افواها واسخن ارحاما واقل خبا وارضى باليسير وفي رواية
عليك بالولود الودود فاني
مكاثر بكم الامم يوم القيمة وفي رواية يا عياض لا تتزوجن عجوزا ولا
عاقرا فاني مكاثر بكم لما روي عبد الله بن عمرو ان صلى الله عليه وسلم
قال الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة وقيل المراد بالصالحين
الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه وقوله تعالى ان يكونوا ايا الاحرار

نقرأ

فقراء يغنهم الله اي بالتزويج من فضله ولما عسى يمنع من النكاح اي المبني
لا يمنعهم من فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية
عن المال فانه غاد ورايح او وعد من الله تعالى بلا عنا لقوله صلى الله
عليه وسلم اطلبوا الغنا في هذه الاية لكن ينبغي ان تكون مرتبطة الله
تعالى غير منيته في هذا الوعد ونظايره وهي مشيئة ولذا ختم الحكيم
الامر افتقتضته الحكمة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة مفوضة في قوله تعالى وان خفتم
عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله تعليم حكيم ومن
لم يتنس هذه الشريطة لم يتقرب معترضا بتعزب كان غنيا فاقترن
النكاح وبقاسق تاب واتقى الله تعالى وهو فاسق ففي واصبح
مسكينا ورد المتسول الرزق بالنكاح وشكى الى النبي صلى الله عليه وسلم
رجال الحاجة فقال عليك بالباءة اي النكاح وعن عمر رضي الله عنه عجبت
لمن يبتغي الغنا بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يغنهم الله
من فضله وحكي عنه انه قال عجبت لمن لا يطلب الغنا بالباءة وقال
طلحة بن مطرف تزوجوا فانه اوسع لكم في رزقكم واوسع في اخلاقكم
وبيد الله ما تزوجتم وقال الرجل يحترفني ولقد كان عندنا رجل راشح
الحال ثم رايته بعد سنين وقد استفشت حاله وحسنت هيئته فقال
كنت في اول امري على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت
بكرا ولدي تواقيت عن العقر قال فلما ولدلي الثاني ازددت خيرا
فلما تناموا ثلاثة صب الله تعالى علي اكثر صبا فاصبحت الي ما ترى
والله اي الذي له الملك كله واسع اي ذو سعة لخلقه لا تنفد نعمه اذ
لا تتناهى قدرته عليم بهم يبسط الرزق لمن شاء ويقدر ولما ذكر تعالى
ترغيب الاحرار والاماء ذكر حال من يعجز عن ذلك بقوله وليستعفف

الذين لا يجدون نكاحا اي وليجتهدوا في طلب العفة عن الزنا لكرام
الذين لا يجدون ما ينكحون به من مهر ونفقة يوم التمكين وكسوة
فصله وقيل لا يجدون ما ينكحون حتى يغنيهم الله اي يوسع عليهم من
فضله فينكحون ولما ذكر تعالى نكاح الصالحين من العبيد والاماء
حث على كتابتهم بالحكم التاسع وهو الامر بالكتابة في قوله تعالى
والذين يبتغون الكتاب اي يطلبون المكاتبة مما ملكت ايمانكم
اي من العبيد والاماء فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا اي امانة
وقدرة على الكسب لادآء مال الكتابة سبب نزول هذه الاية ما
روي ان غلاما لحويطب بن عبد العزى يقال له الصبيح سأل
مولاه ان يكاتبه فابى فانزل الله هذه الاية فكاتبه حويطب على
مائة دينار ووهب له منها عشرين فاداها وقتل يوم حنين
بني اكرب واركانها اربعة رقيق وصيغة وعوض وسيد وشرط
السيد كونه مختارا اهل تبرع وولاء وكتابة مريضا مرض
الموت محسوبة من الثلث فان خلف مثلي قيمته صحت الكتابة
في كله او مثل قيمته صحت في ثلثيه او لم يخلف غيره صحت
في ثلثه وشرط في الرقيق اختيار وعدم صبي ومجنون وان
لا يتعلق برقه حق ادمي لازم وشرط في الصيغة لفظ يشعر بالكتابة
كان يقول السيد لمملوكه كاتبتك على الف عين في كذا من
شهر بالف فاذا اديتها فانت حر فيقول قبلت ذلك فلا يصح
عقدها الا موجلا منجما بنجمين فاكثر كما جرى عليه الصحابة فمن
بعدهم فلا بد من بيان قدر العوض وصفته وعدد النجوم وقسط
كل نجم فلا يجوز عند الشافعي بنجم واحد ولا حالا لان العبد
لا يملك شيئا فعقده حالا منع من حصول العتق لانه لا يقدر

على اداء البدل عاجلا وعند ابي حنيفة يجوز حالا وبوجلا منجما وغير
منجم لان الله تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود والاية نزلت لادا حبة
وان طلبها الرقيق ليلا يتعطل امر الملك وتحكم انما لمملوك على المالك
طلب رقيق امين قوي على الكسب وبها فسر اتاني في الاية
واعتبر الامانة ليلا يضيع ما يحصله فلا يعتق والطلب والقدرة
على الكسب ليوثق بتحصيل النجوم روي انه صلى الله عليه وسلم
قال ثلاثة حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الاداء والناكح
يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله فان فقدت هذه الشروط
او بعضها فمباحة اذ لا يتوثق بها والا فيكره مجانا لانها عقد
هذا ما ذكره جمع يعفى الى العتق ثم ان كان الرقيق فاسقا بسرقة
او نحوها وعلم سيده انه لو كاتبه مع العجز عن الكسب اكتسب بطل
الفسق لم يبعد بحثه بما لو تضمنها التمكين من الفساد وتضع على
عوض كثير او قليل ويجب ان يحط عنه قدر عتقة منجم لا من
النجوم او يدفعه اليه من جنسها او من غيرها كما قاله وآتوهم من
للسادة من مال الله الذي اتاكم اي ما يستعينون به في اداء
ما التزموه بل حط اولى من الدفع لاداء القصد بالحط الاعانة على
العتق وهي متحققة فيه وهو متهم في الدفع اذ قد يصرف المدفوع في
جهة اخرى وكون ذلك في النجم الاخير اولى منه فيما قبله لانه اقرب
الى العتق وروي ان عمر رضي الله تعالى عنه كاتب عبدا لديكن اباه
امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه بالنجم فرده فدفعه
اليه عمرو قال استعن به على كتابتك فقال لو اخرته الى آخر نجم فقال
اخاف ان لا ادرك ذلك وكونه ربعا من النجوم اولى فان لم تسمح به
نفسك فكونه سبعا اولى ردي حط الربع النصاي وغرم وحط السبع

مالك عن ابن عمر وعند ابي حنيفة امر المسلمين علي جهة الوجوب باعانة
المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي جعله الله لهم من بيت المال كقوله
وفي الرقاب والمراد بين تعالي ما يصح من تزويج العبيد والاماء اتبع
ذلك بالحكم العاشر وهو الاكراه علي الزنا المذكور في قوله تعالي
ولا تكرهوا فتياتكم اي اماءكم علي البغاء اي الزنا كان لعبد الله
ابن ابي راس المنافقين ست جوار معاذة ومسيكة وامية وعمرة
واروي وقتيلة يكرههن علي البغاء ويضرب عليهن ضرائب
فشكت ثنتان منهن الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فنزلت
وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يواجرون اماءهم فلما جاء الاسلام
قالت مسيكة لمعاذة ان هذا الامر الذي نحن فيه للبغاء من وجهي
فان يك خيرا فقد استكثرت منه وان يك شرا فقد آن لنا ان
ندعه فانزل الله هذه الاية وروي ان احداهما اتت احدي الجاريتين
بولد فجاءت الاخري بدينار فقالت لهما ارجعا واليا
فقالا والله لا نفعل فاتا الاسلام وحرم الزنا فاتيا رسول الله
صلي الله عليه وسلم وشكيا اليه فنزلت ويكني والفتاة والفتاة
عن العبد والامة وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل
عبدي وامتي ان اردن تحصنا اي تعففا عند وهذه الارادة محل
الاكراه فلا مفهوم للشرط لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة
التحصن فاما اذا لم ترد المراة التحصن فانما تبغي الطبع طوعا
وكلمة ان دالة بها علي اذ اي اذ ان بان الباعثة كن يفعلن
ذلك برغبة وطوعية منهن واما ما وجد من معاذة ومسيكة
من جنس الشاذ النادر ولان الكلام ورد علي سبب وهو الذي
ذكر في سبب نزول الاية فخرج النهي علي صورة صفة السبب

وهو ان

وان لم يكن شرطا فيه وقال الحسين بن الفضل في الاية تقديم وتاخير
تقديرها وانكحوا الايامي منكم ان اردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم
علي البغاء لتبتغوا عرض الحياة الدنيا اي تطلبوا من اموال الدنيا
بكسبهن وارفادهن ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن
غفور اي لهن رحيم بهن وكان الحسن اذا قرا هذه الاية يقول لهن
والله لهن اي لا لمكرهه الا اذا تاب فان قيل ان المكرهة غير آثمة
فلا حاجة الي المغفرة اجيب بان الزنا لا يباح بالاكراه وهي آثمة
لكن لا حد عليها للاكراه ولما ذكر تعالي في هذه السورة هذه الاحكام
وصف القرآن بصفات ثلاث احدها قوله تعالي ولقد انزلنا
اليكم ايات مبينات اي الايات التي بينت في هذه السورة وارشدت
فيها الاحكام والحدود وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي
بكسر الياء التحتية والباقون بفتحها لانها واضحات لقد تتها الكتب
المتقدمة والعقول المستقيمة من يبين بمعني تبين اي لانها تبين
الاحكام والحدود وثانيها قوله تعالي ومثلا من الذين خلوا من قبلكم
اي من جنس امثالكم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة
عائشة رضي الله تعالي عنها فانها كقصة يوسف ومريم عليهما
السلام فالتشبيه قوله تعالي وموعظة للمتقين اي ما وعظ به في
قوله تعالي ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله وقوله تعالي لولا
اذ سمعتموه ظن المؤمنون الاية وفي قوله تعالي يعظكم الله ان
تعودوا الاية اشارة الي تخصيصها بالمتقين لانهم المنتفعون بها وخالفه
في معني قوله تعالي الله نور السموات والارض فقال الزجاج
هادي اهل السموات والارض فهم بنوره الي الحق يهتدون
وبهداياته من حيرة الضلالة يخرجون وقال الضحاك منور السموات

والارض فقال نور السموات بالملائكة ونور الارض بالانبياء وقال مجاهد
مدبر الامور في السموات والارض وقال ابي بن كعب واكثر المفسرين وابو
العالية يزين السموات والارض زين السموات بالشمس والقمر والنجوم
وزين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين ويقال بالنبات والاشجار
وقيل معناه الانوار كلها منه كما يقال فلان رحمة اي منه الرحمة
وقد يذكر مثل هذا اللفظ على طريق المدح كما قال القائل اذا
سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار فيها نورها وجمالها وسبب
هذا الاختلاف ان النور في الاصل كيفية تدرك بها الباصرة
اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيران
على الاجرام الكثيفة المحاذية لها وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه
على الله تعالى الا على ضرب من المجاز كالامثلة المتقدمة اذ
على تقدير معناه كقولك زيد كرم وجود ثم تقول ينفش الناس
بكرمه وجوده والمعنى ذو نور في السموات والارض اكتفى بالنور
بالنور في ظهوره وبيانه كقوله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم
من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور الى
السموات والارض لاحد معنيين احدهما للدلالة على سعة اشراقه
ونفوذ اضاءته حتى يقتبس له السموات والارض واما ان يراد اهل
السموات والارض وانهم يستضيئون به واختلف اصحابنا في معنى
قوله تعالى مثل نوره فقال ابن عباس مثل نوره الذي اعطى
المؤمن اي مثل نور الله في قلب المؤمن وهو النور الذي يهتدي
به كما قال تعالى فهو على نور من ربه وقال الحسن وزيد بن اسلم
اراد بالنور القرآن وقال سعيد بن جبير والضحاك هو محمد صلى
الله عليه وسلم وقيل اراد بالنور الطاعة سمي طاعة الله نورا

واضاف

واضاف هذه الانوار الى نفسه تفضلا اي صفة نورها العجيبة الشان
في الاضاءة كمشكاة اي كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة
فيها مصباح اي سراج ضخم ثاقب المصباح في زجاجة اي قنديل من
زجاج شبهها في ازهر والتماع ذكر الزجاجة لان النور وضوئها ريهما ابين
من كل شيء وضوءه يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاجة بقوله تعالى
الزجاجة كانها اي النور في الكوكب درى اي يضيء بشبهها في الضوء
باحد الدراري من الكواكب المضيئة العظام وهي المشاهير المسترية
والزهرة والمريخ وزحل وعطارد فان قيل لم شبه بالكواكب
ولم يشبه بالشمس والقمر اجيب بانهما يحتجبان احيانا والكواكب
والكواكب لا يحتجبان ذلك وقرأ ابو عمرو والكسائي بكسر الدال من
الدرء بمعنى الدرع لدفعه الظلام والباقون بضمها منسوب الى الدر
اللؤلؤ في صفائه وحسنه وان كان الكواكب اكثر عددا من الدر
لكنه يفضل الكواكب بصفائه كما يفضل الدر سائر الحب وهم جميع الحد
ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي والباقون بغير همز وكل من اهل
الهمز على مرتبته في المد توقد من شجرة مباركة زيتونة اي يتقد
بقوة من شجرة الزيتون المكاثر نفعها بان زيت فتيلة المصباح
بزيت الشجرة وهي شجرة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت
يسرج به ويدهن به وهو ادام وهو اصفى الادهان واضواها
وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح التاء والواو وتشديد القاف على
وزن تفعل على الماضي اي المصباح وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي
بضم التاء الفوقية وتخفيف القاف اي المصباح لا شرقية ولا غربية
اي ليست بشرقية وحدها لانصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية
فلا تصيبها الشمس اذا طلعت بل هي صاحبة للشمس طول النهار

تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية فاخذ
ظلها من الامرين فيكون زيتها اصفى وهذا كما يقال فلان ليس اسود
ولا ابيض خالص بل اجتمع فيه كل واحد منهما وهذا الزمان ليس بحلو
ولا حامض اي اجتمع فيه الحلاوة والحموضة هذا قول ابن عباس والاكثرين
وقال السدي يعني اجاجة تقديره انها ليست في مقناة لا تصيبها الشمس ولا
في مضحاة لا يصيبها الظل فهي لا يعزبها شمس ولا ظل والمقناة بقاف
مفتوحة فهمزة وهي بفتح الزاي وهي المكان الذي لا تطلع عليه الشمس
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري وفي الحديث لا خير في بيعة في مقناة
ولا في بيعة في مقناة لا خير فيهما في معجمي قال ابن حجر المستغلون
لم اجده ويقال معناه انها معتدلة ليست في شرقي يصيبها الحر والا في
غرب تنفر منها البرد ويقال معناه صبي شامية لان الشام وسط الاراضي
لا شرقي ولا غربي ويقال ليست هذه الشجرة من اشجار الدنيا لانها لو
كانت في الدنيا كانت شرقية او غربية وانما هو مثل ضربه الله تعالى
لنوره يكاد زيتها اي من صفايه يضيء ولو لم تمسسه نار اي يكاد يدل لا لا
ويضيء بنفسه من غير نار نور على نور اي نور المصباح على نور
الزجاجة تشبيه اختلف اهل العلم في معنى هذا التمثيل فقال بعضهم
وقع التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار
اخبرني عن قول الله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله
لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح
فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد دائره
يتبين للناس ولو لم يتكلم انه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم
تمسسه نار وروى سالم عن عمر في هذه الاية قال المشكاة جوف النبي
صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله في

لا شرقية ولا يهودي لا غربية ولا نصراني توقد من شجرة مباركة ابراهيم
نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال
محمد بن كعب القرظي المشكاة ابراهيم والزجاجة اسماعيل عليهما السلام
والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم فسماه الله تعالى مصباحا كما سماه سراجا
فقال تعالى وسراجا منيرا توقد من شجرة مباركة وهي ابراهيم عليه
السلام سماه مباركا لانه اكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية
يعني ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لا ان
اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضيء
ولو لم تمسسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس
قبل ان اوحي اليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور
ابراهيم وقال بعضهم وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن روى ابو
العالية عن ابي بن كعب قال هذا مثل المؤمن والمشكاة نفسه
والزجاجة صدره والمصباح ما جعل الله من الايمان والقرآن في قلبه
توقد من شجرة مباركة زيتها الاخلاص لله وحده تمثل بشجرة
التف بها الشجر تنبي حضرا ناعمة لا تصيبها الشمس لا اذا طلعت
ولا اذا غربت فكذلك المؤمن قد احتبس من ان يصيبه كل من الفتن
تهب بين اربع خلال ان اعطي شكر وان ابتلي صبر وان حكم عدل
وان قال صدق يكاد زيتها يضيء اي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق
قبل ان يبين له لو لم يقرأ ولم يسمع نور على نور قال ابي فهو يتقلب
في خمسة انوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور
ومصيره الى النور يوم القيمة هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن
كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل ان تمسسه النار فاذا مسته النار
ازداد ضوءا على ضوء كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل ان

بايته العلم فاذا جاء العلم ازداد هدي على هدي ونور على نور وقال الكلبي
قوله تعالى نور على نور يعني ايمان المؤمن وعمله وقال السدي نور الايمان
ونور القرآن وقال الحسن وابن زيد هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن
فكما يستضاء بالمصباح يهتدي بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة
فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة الوحي بكادت يتها يعني يكاد حجج القرآن
تتفجر وان لم تقرأ نور على نور يهدي بعضي بعضي القرآن المؤمن من الخلق مع ما
اقام لهم من الدلايل والاعلام قبل نزول القرآن فازداد وابذلك
نورا على نور يهدي الله لنوره قال ابن عباس دين الاسلام وقيل
القرآن من يشاء فان الاسباب بدون مشيته لاغية وقيل يوفق للهداية
الاصابة من تطهر وتدبر بعين عقله والانصاف من نفسه ولم
يذهب عن العبادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر تهوكا لاعمى
سواء عليه جنح الليل الدامس وضوء النهار الشامس ويضرب اي يبين
الله الامثال للناس تقريبا للافهام وتسهيلا للادراك والله بكل شيء
عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد لمن
تدبرها ولم يكترث بها وقوله تعالى في بيوت يتعلق بما قبله اي كمشكاة
في بعض بيوت الله وهي المساجد كما انه قيل مثل نوره كما ترى في المسجد
نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت او بما بعده وهو يسبح اي يسبح
رجال في بيوت وفي قوله فيها تكرير لقوله في بيوت كقولك
جالس فيها او بمحمد ون كقوله تعالى في فتح ايات اي يسبحوا في بيوت
والبيوت هي المساجد قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال المساجد
بيوت الله في الارض وهي تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض
وقيل المراد اربعة مساجد لم يبنها الا نبي الكعبة بناها ابراهيم واسمعيل
عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا بناهما النبي صلى الله عليه

وسلم وانما جيء فيها بجمع الكثرة دون جمع القلة للتغليب اذن الله ان ترفع
قال مجاهد تبنى تظيم قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت
وقال الحسن تعظيم اي نظافتها المنزهة من القول والفعل المطهرة من الانجاس
والاقذار وقوله تعالى ويذكر فيها اسمه عام فيما يتعلق من ذكره فيها
في افعاله والمباحثة في احكامه وقال ابن عباس يتلى فيها كتاب يسبح اي
يصلي له فيها بالغدو والاصال اي بالغداة والعشي قال الكلبي التقدير
اراد به الصلوات المفروضة فالتي تؤدي بالغداة صلاة الفجر والتي
تؤدي بالاصال صلاة الظهر والعصر والعشاين لان اسم الاصيل
يقع على هذا الوقت وقيل اراد به الصبح والعصر قال صلى الله عليه
وسلم من صلى البردين دخل الجنة اراد صلاة الصبح وصلاة العصر
وقال ابن عباس التسبيح بالغدو صلاة الضحى وروي من مشى الى
صلاة مكتوبة وهو متطهر فاجره كاجر الحاج المحرم ومن مشى الى تسبيح
الضحى لا ينصبهما الا اياه فاجره كاجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة لا لغو
بينهما كتاب في عليين وعن ابن عامر وشعبة بفتح الباء الوحدة والباقون
بكسرها رجال لا تلهيهم تجارة اي معاملة رابحة وقيل المراد بالتجارة
السفر لقوله تعالى ولا بيع عن ذكر الله اطلاقا لاسم الجنس على
النوع كما تقول رزقه غلات تجارة صالحة اذا اتجر له بيع صالح او شرا
وعلى الاول ذكر مبالغة للتعميم بعد التخصيص وقيل التجارة للاهل الجلب
تقول تجر فلان في كذا اذا جلب تنبيه قوله تعالى رجال فاعل
يسبح بكسر الباء على فتحها نايب الفاعل لدل رجال فاعل فعل
مقدر جواب سؤال مقدر كانه قيل من يسبحه وحذف من قوله تعالى
واقام الصلاة الهاتخفيفا اي واقامة الصلاة واراد بهما ادايها في
وقتها لان من اخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة

واعاد ذكر اقامة الصلاة مع اذ المراد من ذكر الله الصلوات الخمس
لانه تعالى اراد باقامة الصلاة حفظ الوقت ويدل عليه ما روي عن ابن عمر
انه كان في السوق فاقيمت الصلاة فقام الناس وخلقوا حوانيتهم
فدخلوا المسجد قال ابن عمر فيهم نزلت الاية **واما الزكاة**
قال ابن عباس اذا حضرت اذا الزكاة لم يحبسوها اي يخرجون
ما يجب اخراجه من المال للمستحقين وقيل هي الاعمال الصالحة ورفع
ما هم عليه **يخافون يوما** هو يوم القيمة **تتقلب** اي تضطرب **فيه القلوب**
بين الحناجر والمهالك **والابصار** بين ناحيتي اليمين والشمال وقيل
تتقلب القلوب مما كانت عليه في الدنيا من الشك الى اليقين وترفع
الابصار من الاغطية وقوله تعالى **ليجزيهم الله** متعلق بيسبح اي
يفعلهم ذلك او بيخافون **احسن ما عملوا** في الطاعات فرضها ونفلها
اي ثوابه الموعود لهم من الجنة واحسن بمعنى حسن **ويزيدهم من**
فضله ما لم يستحقوه باعمالهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت وقوله
تعالى **والله يرزق من يشاء بغير حساب** تقرير للزيادة وتنبيه
على كمال القدرة وفاد المشيئة وسعة الاحسان وكمال جوده فانه
سبحانه وتعالى لما وصفهم بالجد والاجتهاد في الطاعة ومع ذلك
يكون امنهم من عذابه كون والله سبحانه وتعالى يعطيهم الثواب العظيم
على طاعتهم ويزيدهم الفضل الذي لا حد له في مقابلة قوله تعالى
والذين كفروا اعمالهم كسراب اي فحالهم على هذا ذلك وعلى ما ذكرنا اعمالهم
التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدون عنها لا عينا محجبة في
الغاية كسراب وهو ما يرى في الفلاة رقت العين الاكبر بسبب
بالماء الجاري وليس بماء ولكن الذي ينظر اليه من بعيد يظنه ماء
جاريا وقيل هو الشعاع الذي يرى نصف النهار في سطوح

في المرادي

في البراري يجيل للناظر انه الماء الساراب اي الجاري فاذا قربه
الظمآن لم ير شيئا واما الاله فانما يكون نهارا كانه ما بين
السماء والارض وقال المغربي والاله ما ارتفع من الارض وهو
شعاع يجري بين السما والارض بالغدوات شبه بالمرآة يرفع
فيه المتخوض ترى فيه العين كبيرا والقصير طويلا والرقراق يكون
بالعشا وهو ما يترقرق من السراب اي جاء وذهب وقوله تعالى
بقيعة جمع قاع وهو ارض سهلة مطمئنة تنفرج عنها الجبال
والاكام قاله في القاموس وقيل القيعة بمعنى القاع وهي
الارض المستوية المبسطة وقيل ما يكون السراب وقال الفراء جمع قاع
كجار وجيرة وقال الفارسي جمعه قيعان **يحسبه** اي يظنه
الظمآن اي العطشان الشديد العطش من ضعف العقل **ماء** فيقصده
ولا يزال سائرا **حتى اذا جاءه** اي ما قدر انه ماء وقيل جاء الى موضع
السراب **لم يجده شيئا** مما حسبه ووجه التشبيه ان الذي حسبه الكافر
ان كان من افعاله البر فهو لا يستحق عليه ثوابا مع انه يعتقد ان له
ثوابا عليه وان كان من افعاله الاثم فهو مستحق عليه العقاب مع
انه يعتقد انه ليس له ثوابا تكيف كان فهو يعتقد ان له ثوابا عند الله
تعالى فاذا وافى عرصات القيمة ولم يجد الثواب بل وجد العقاب
العظيم عظمت حسرته وتنادي عمه فيشبه حاله حال الظمآن
الذي اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب في البر
تعلق به قلبه فاذا جاءه لم يجده شيئا فكذلك حال الكافر يحسب
ان عمله نافع فاذا احتاج الى عمله لم يجده شيئا ولا ينفعه وقال
شاهد السراب عمل الكافر وانبأنه اياه موته ومفارقة
الدنيا فاذ قيل قوله تعالى حتى اذا جاءه بدل على كونه شيئا

وقوله تعالى لم يجده شيئا مناقض له اجيب بان معناه لم يجده شيئا فما
كما يقال فلان ما عمل شيئا وان كان قد اجتهد او انه اذا جاء موضع
السراب لم يجد السراب لان السراب يرى من بعيد بسبب الكثافة
كانه ضباب وهباء اذا قرب منه رق وانتشر وصار كالهواء
ووجد الله عنده اي وجد عقاب الله الذي توعد به الكفار او
وجد زبانية الله او وجده محاسبا اياه وتقدم على الله **فوفاه**
حسابه اي جزاء عمله قيل نزلت في عتبة بن ربيعة كان قد تعبد
ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام قال
ابن الخازن والاصح ان الاية عامة في جميع الكفار **والله سريع**
الحساب لانه تعالى عالم بجميع المعلومات فلم يشغله محاسبة
واحد عن واحد وهذا رد على المشبهة قبحهم الله تعالى لانه تعالى
لو كان متكلما بالة كما يقولون لما صح ذلك وقوله تعالى **او كظلمات**
عطف على كسراب على حذف مضاف واحد تقديره او كذي ظلمات
ودل على هذا المضاف قوله تعالى اذا اخرج يده لم يكد يراها فان
الكناية تعود الى المضاف المحذوف وهو قول ابي علي وقال
غيره على حذف مضاف تقديره او كاعمال ذي ظلمات فقد ذكر
ليصح عود الضمير اليه في قوله تعالى اذا اخرج يده ويقدر اعمال
ليصح تشبيه اعمال الكافر باعمال صاحب الظلمة اذ لا معنى
لتشبيه العمل بصاحب الظلمة او للتخيير فاذا اعمالهم كونها
لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها فاسدة عن نور الحق
بالظلمات **لجي** كثير من لجج البحر والامواج والسحاب او للتنويع
فاذا اعمالهم اذا كانت حسنة فكالسراب واذا كانت قبيحة فكالظلمات
ظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا

وكالسراب

وكالسراب في الاخرة وقوله تعالى **في بحر لجي** صفة لظلمات فيتعلق بمحذوف
واللجي منسوب الى اللجة وهو معظم البحر وقيل منسوب الى اللجة بالتا
وهي ايضا معظمه فاللجي هو العميق الكثير الماء وقوله تعالى **يغشاه**
اي يغطي هذا البحر ويعلوه **موج** كائن **من فوقه موج** اي امواج متراكمة
من فوقه اي الموج الثاني المركوم وقوله تعالى **سحاب** اي غيم
غطى النجوم وحجب انوارها صفة اخرى لبحر وقوله تعالى **ظلمات**
اي من البحر والموج والسحاب خبر مبتدا محذوف تقديره هذه ظلمات
او تلك ظلمات ويجوز ان يكون ظلمات مبتدا والجملة من قوله تعالى
بعضها فوق بعض خبره ذكره الكوفي فان قيل لا مسوغ للابتداء
بهذه النكرة اجيب بانها موصوفة تقديرا اي ظلمات كثيرة متكاثفة
وقرا البزي كحاب بلا تنوين وجر ظلمات وقنبل ينون سحاب
ويجر ظلمات والبزي جعل البر طوح المتراكم بمنزلة السحاب واما
قنبل فانه جعل ظلمات بدلا من ظلمات الاولى والباقون بتنوين
سحاب وظلمات بالرفع فيهما **اذا اخرج يده** اي الكافر في هذا المثل
بدلالة المعنى وان لم يجر له ذكر **يده** وهي اقرب ما ترى اليه في هذه
الظلمات **لم يكد** اي الكافر فيه **يراها** اي لم يقرب من رديتها فضلا عن
ان يراها كقوله ذي الرمة اذا غير الناي ابي البعد وفي نسخة
الهجر الحبيبي لم يكد رسيس الهوى اي ثابتة بمعنى الهوى الثابت
من حب هيتة يبرح اي يزول والمعنى لم يقرب من البراح فضلا
عن ان يبرح تنبيه في كيفية هذا التشبيه وجوه احدها ان الكفار
قالوا ان الله تعالى ذكر ثلاثة انواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة
الامواج وظلمة السحاب كذا الكافر له ظلمات ثلاثة ظلمة الاعتقاد
وظلمة القول وظلمة العمل ثانيها قال ابن عباس شبه

قلبه وسمعه وبصره بمدلول الكلمات الثلاث فانها ان الكافر لا يدري
ولا يدري انه لا يدري ويعتقد انه يدري فهذه المراتب الثلاث
شبه تلك الظلمات الثلاث وايهما قلب مظلم اي عديم مظلم في وجود
مظلم خامسها ان هذه الظلمات ستر الحكمة فكذا الكافر لشدة اصراره
على كفره قد تراكمت عليه الضلالات حتى لو ذكر عنده اظهر
الدلايل لم يفهمه ومن لم يجعل الله ايه الملك الاعظم له نورا فما له
من نور قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين
له وقيل من لم يهده الله فلا هادي له لانه تعالى قادر على ما يريد
ولما وصف تعالى انوار قلوب المومنين وظلمات قلوب الجاهلين
اتبع ذلك بالدلايل التوحيد بقوله تعالى الم تر اي تعلم علما يشبه
المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي والاستدلال ان الله
اي بجلايل الصفات الكمال يسبح له اي ينزهه عن كل شايبة نقص
من في السموات والارض لان التسبيح لا يدرى بالبصر بل يعلم
بالقلب وهذا استفهام والمراد به التقرير والبيان وهذا التسبيح
اما ان يكون المراد به دلالة مخلوقات هذه الاشيا على كونه تعالى
منزها عن النقايص موصوفا بنعوت الجلال او يكون المراد منه
في حق البعض الدلالة على التنزيه وفي حق الباقين النطق با
للسان قال الرازي والاول اقرب لان القسم الثاني متعذر
لان في الارض من لا يكون مكلفا لا يسبح بهذا النحو والمكلفون
منهم من لا يسبح البتة بهذا المعنى كالكفار واما القسم الثاني
وهو ان يقال ان من في السموات وهم الملايكة يسبحونه بالسنة
واما الذين في الارض فمنهم من يسبح على لسان الدلالة فهذا
يقتضي استعمال اللفظ الواحد في الحقيقة والمجاز معا وهو غير
جايز

جايز اي عند اكثر العلما فلم يبق الا القسم الاول وهو ان هذه الاشيا
مشتركة في ان اجسامها وصفاتها دالة على تنزيه الله تعالى
وقدرته والهيته وتوحيده وعدله فسمي ذلك تسبيحا توسعا
فان قيل فالتسبيح بهذا المعنى حاصل لجميع المخلوقات فما وجه
تخصيصه ههنا بالعقلا اجيب بان خلقة العقلا اشد دلالة على
وجود الصانع سبحانه وتعالى لان امر الطير دلالته اعجب ولانها قد
تكون بين السما والارض فتكون خارجة عن حكم من ينها حضها بالذكر
من جملة الحيوان بقوله تعالى والطير صافات باسطات اجنحتها
في جو السما لا يجمعهن الا الله تعالى وامساكه لها في الجو
مع انها اجرام ثقيلة وتقديره لها فيه على التقبض والبسط حجة
قاطعة على كمال قدرته تعالى واختلف في عود الضماير في قوله تعالى
كل اي من المخلوقات قد علم صلاته وتسبيحه على قولين احدهما
انها كلها عايدة على كل قد علم صلاته وتسبيحه اي كل قد علم هو
صلاة نفسه وتسبيحها قال ابن عادل وهذا اولى لتوافق الضمايرة
ثانيهما ان الضمير في علم عايد الى الله تعالى وفي صلاته وتسبيحه عايد
على كل ويدل عليه قوله تعالى والله اي المحيط علما وقدرة عليم بما
يفعلون وقيل ان ضرب اجنحة الطير صلاته وتسبيحه وهذا يرد
ان المراد من التسبيح دلالة هذه الامور على التنزيه لا النطق باللسان
روي انه اتاه اتا قال كنت جالسا عند ابي جعفر الباقر فقال
لي اتدري ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها
قال قلت لا يقدس الله من ذنبها ويسبحه قوة يوم حتى قال بعض
العلما انا نشاهد من الطيور وسايرالحيوانات اعمالا لطيفة يعجز
عنها كثير من العقلا فاذا كان كذلك فلم لا يجوز ان يلهمها معرفته

ودعاه وتسبيحه وبيان انه تعالى الهمها الاعمال اللطيفة بوجوه
احدها ان الدب يرمي بالحجارة ويأخذ العصي ويرمي الانسان
حتى يتوهم انه حاتغيث كه وربما عاد ديشمه ويتجسس نفسه ويقصد
الشجرة احت صعود ويهشم الجوز بين كفيه تقريبا بالواحدة وصدة
بالاخرى ثم يفتح فيه فيدر اقشره ويتفذى به ويحكي عن الفار
في سرقته امور عجيبة تابيها امر النحل وما لهما من الرياسة
والبيوت المسدسة التي لا يتمكن من بنايها افاضل المهندسين
تالتها انتقال الكركي من طرق من اطراف العالم الي الطرف الآخر
طالبا لما يوافقها من الاهوية ويقال من خواص الخيل ان كل
واحد يعرف صوت الفرس الذي قاتله وقتالها والتاسيح
تفتح افواهها للطائر يقع عليها يقال له القطقاط وينظف ما
بين اسنانها وعلى راس ذلك الطائر كالشوكة فاذا تم التمسا
بالتمام ذلك الطائر تاذي من ذلك الشوكة ففتح فاه فيخرج ح
ذلك الطائر والسحلفاه تتناول بعد اكل الحية صقرا جبليا ثم
تعود وتقيء من ذلك وحكي عن بعض الثقاة المجربين للصيد
انه شاهد اكباري تقاتل الافعى ويتهزم عنها الى بقلة تتناول
منها ثم يعود ولا يزال كذلك وكان ذلك الشخص قاعدا في كن وكانت
البقلة قريبة من مسكنه فلما استغل اكباري بالافعى قلع البقلة
فاتى الهباري الى منبتها فلم يجدها فاخذ يدور حول منبتها
دورانا متتابعا حتى حزر منها فعلم الشخص انه يعالج باكلها من اللسعة
وتلك البقلة هي الجرجير البري وابن عرس يستظهر في مقاتلة
الحية باكل الراب فانه ينكهة الرايحة ينفر عنها الافعى
والكلاب اذا دودت بطونها اكلت سنبل القمح واذا جرحت داوت

الجراحة

الجراحة بالصعتر اكيلي رابعها القنا فد قد تحس بالشمال والجنوب
قبل الهبوب فتغيض الماء حتى الي مجراها وكان الرجل بالقسطنطينية
قد اري بسبب انه يتذر بالرياح قبل هبوبها وينتفع الناس باذاه
وكان السبب فيه قنفذ في داره يفعل الصنيع المذكور فيستدل به
واتخذ صناع في اتخاذ العش من الطين وقطع الخشب فان
اعوزه الطين ابتل وتمرغ في التراب ليحمل جناحاه قدر ما من الطين
واذا اتخ بالغ في تعهد الفراخ وتاخذ زقها بمنقارها وتريها
من العش والفرانيق تقعد في اجوعنه الطيران فاذا جب بعضها عن
بعض سحاب او ضباب احدثت اجنحتها حفيفا مسموعا يتبع به
بعضها بعضا واذا باتت على جبل فانها تقنع راسها تحت اجنحتها
الا القايد فانه ينام مكشوف الراس فيسرع الانتباه واذا سمع
حرسا صاح وحال النمل في الذهاب الي مواضعها على خط مستقيم
يحفظ بعضها بعضا امر عجيب واذا كشف عن بيوتها السابر الذي
كان يسيرها وكان تحته بيضة بها فاذ كل نملة تاخذ بيضة في فمها
وتذهب في اسرع وقت والاستقصا في هذا الباب مذكور في
كتاب طبايع الحيوانات والمقصود من ذلك ان الفضلا من العقلا
يعجزون عن امثال الحيل واذا كان كذلك فلم لا يجوز ان يقال الله
تسبح اسمه تعالى وتثنى عليه واذا كانت غير عارفة بالامور وسايرة
الامور التي يعرفها الناس ويويد هذا قوله تعالى ولكن لا تفقهون
تسبيحهم وقوله صلى الله عليه وسلم ان نوحا عليه السلام اوصى ابنه
عند موته بلا اله الا الله فان السموات السبع والارضين السبع لو
كن في حلقة بهمة قصمتهن وسبحان الله تحمده فانها صلاة كل شي
وبها يرزق الخلق وقال الغزالي في الاحياء روي ان رجلا اتى الى النبي

صلي الله عليه وسلم فقال قولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال
له صلي رسول الله صلي الله عليه وسلم فاين انت من حلقة الملايكة
وتسبيح الخلايق وبها يرزقون قال فقلت وبماي يارسول الله
قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله ماية مرة
مابين طلوع الفجر الي ان يصلي الصبح تاتيك الدنيا راغمة طاعرة
ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله الي يوم القيمة لك
ثوابهم ثم نبه سبحانه وتعالي بقوله تعالي ولله ملك السموات والارض
علي ان الكل منه لان كل ما سواه ممكن وكل ممكن وكل محدث لابد
الاعند الانتهاء الي القديم الواجب الوجود ويدخل في هذا جميع الاجرام
والاعراض وافعال العباد واحوالهم وخواطرهم وفي قوله تعالي والي الله
اي الذي له الاحاطة بكل شئ المصير دليل علي المعاد وانه لابد من مصير
الكل اليه بعد الفناء والروية في قوله تعالي الم تر بعين الله اي ذي
الجلال والجمال يزجي سحابا اي يسوقه برفق بعد ان انشاه من العدم
تارة من السفل وتارة من العلو ضعيفا رقيقا متمزقا قاله ابو حيان
وهو اسم جنس واحده سحابة والمعني يسوق سحابة الي سحابة
وهو معني قوله تعالي ثم يؤلف بينه اي بين اجزايه بعد ان كان قطعا
في جهات مختلفة فيجعل القطع الملتفة قطعة واحدة ثم يجعله
ركاما اي في غاية العظمة متراكما بعضه علي بعض بعد ان كان في
غاية الرقة فترى اي في تلك الحالة المستمرة الودق اي المطر يخرج
من خلاله اي من فتوقه التي حدثت بالتراكم وانتصار بعضه من
بعض فان قيل بين اما تدخل علي مثنى فما فوقه فاد خلت هنا
علي مفرد اجيب بان المراد بالسحاب الجنس فعاد الضمير علي
حكمه او علي حذف مضاف اي بين اجزايه كما مر في بين قطعه فان

كل

كل قطعة سحابة وقرا السوسي فتري في الوصل بالاصالة بخلاف
عنه والباقون بالفتح واما في الوقف فابو عمرو رحمة والكسائي بالاصالة
بخفته وورش بالاصالة بين بين والباقون بالفتح وينزل من السماء
اي من الغمام وكل ما علا فهو سما من جبال فيها اي في السما وهي
السحاب الذي صار بعد تراكمه كالجبال وقوله تعالي من برد بيان
للجبال والمفعول محذوف اي ينزل عبتدا من السما من جبال فيها من برد
فمن الاولي لابتداء الغاية باتفاق والثانية للتبعيض والثالثة للبيان
ويجوز ان تكون الثانية لابتداء الغاية ايضا ومجرورها بدل من الاولي
باعادة العامل والتقدير وينزل من جبال اي من جبال فيها فهو
بدل اشتمال والاخيرة للتبعيض واتقن موقع المفعول فان قيل ما
معني من جبال فيها من برد اجيب بان فيه معنيين احدهما ان
يخلق الله في السما جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر وليس في
العقل قاطع يمنعه الثاني ان تريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان
يملك جبالا من ذهب وقرا ابن كثير وابو عمرو وبسكون النون واحدهما
عند البزي وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي
ثم بين تعالي ان ذلك باختياره والدته بقوله تعالي فيصيب به اي بكل
من البرد والمطر علي وجه النعمة او الرحمة من يشا اي من الناس
وغيرهم ويصرفه عمن يشا صرفه عنه فالية عن معطوفة من من في
الرسم ثم نبه تعالي علي ما هو غاية في العجب في ذلك مما في السما
من النور الذي ربما نزل منه صاعقة فاحرقت ما لاتحرق النار بقوله
تعالي يكاد اي يقرب سنا اي ضوء برقه وهو اضطراب النور في خلاله
يذهب اي هو ملتبسا بالابصار اي الناظرة له اي يخطفها لشدته
لما فيه من تلالو به فتكون فيه قوة البرق دليلا علي تكاثف السحابة وشيرا

بقوة المطر وتذرية الريح تزول الصواعق واعلم ان البرق الذي صفته كذلك لابد وان يكون نارا عظيمة مخالفة للنار ضد الماء والبرد ظهوره يقتضي ظهور الضد من الضد وذلك لا يمكن الا بقدرة قادر حكيم ثم ذكر تعالى ما هو دليل على الاختيار بقوله تعالى من جملة ما استدل بما مضى وزيادة يقلب الله اي الذي له الامر كله بتحويل الظلام ضياء والضياء ظلاما والنقص تارة والزيادة اخرى بما ذكر من المطر تارة والصحو اخرى الليل والنهار فينشأ عن ذلك التقليب من الحر والبرد واليبس والتروية واليبس ما يبهر العقول ولهذا قال بنبها على النتيجة ان في ذلك الامر العظيم الذي ذكر من جميع ما تقدم لعبرة اي دلالة على وجود الصانع القديم وكماله قدرة واحاطة علمه ونفاذ مشيته وتنبيهم عن الحاجة وما يفضي اليها لاولي الابصار اي لاصحاب البصائر على قدرة الله تعالى وتوحيده ولما استدل تعالى اولا باحوال السماء والارض وثانيا بالانار العلوية استدل ثالثا باحوال الحيوانات بقوله والله اي الذي له العلم الكامل والقدرة الشاملة خلق كل دابة اي حيوان من ماء وقرأ حمزة والكسائي بالف بعد الخاء وكسر اللام ورفع القاف وكسر لام كل والباقون بفتح اللام والخاء ولا الف بينهما ونصب لام كل فان قيل كثير من الحيوانات لم يخلق من الماء كالملائكة خلقوا من النور وهم اعظم الحيوانات عددا وكذا الجن وهم مخلوقون من النار وخلق آدم من التراب كما قال تعالى خلقه من تراب وخلق عيسى من الروح كما قال تعالى فنفخنا فيها من روحنا وبقي كثير من الحيوانات متولدة لا من نطفة اجيب بوجوه احسنها ما قاله القفال ان ما صلة كل دابة وليس مهم من صلة خلق والمعنى ان كل دابة متولدة من الماء فهي مخلوقة لله تعالى بانبها

ان

ان اصل جميع المخلوقات من الماء على ما روي ان اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم خلق من ذلك الماء النار والهواء والنور والمقصود من هذه الاية بيان اصل الخلقة وكان اصل الخلقة الماء فلهذا ذكره الله تعالى ثالثا والمراد من الدابة التي تدب على وجه الارض ومسكنها هناك فيخرج الملائكة والجن وانبها الساكنات الغالب من هذه الحيوانات كونها مخلوقة من الماء اما لانها متولدة من النطفة واما لانها لا تعيش الا بالماء اطلق عليها لفظ كل تنزيلا للغالب من لة الكل فان قيل لم ذكر الماء في قوله تعالى من الماء كل شيء حي اجيب بانه جاء هنا منكرا لان المعنى خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة وعرف في قوله تعالى من الماء كل شيء حي لان المقصود هناك كون جنس من هذا الجنس مخلوقين من الماء فهو الى انواع كثيرة فمنهم اي الدواب من يمشي على بطنه كالحية والحيتان والدود وانما ذكر المشي للزحف على البطن كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر وتقول لذلك ما مشى لي امر وتسمي بذلك للمشاكلة لذكر المناصف مع المشي ومنهم من يمشي على رجلين اي فقط كالادمي والطير ومنهم من يمشي على اربع اي من الدواب والارجل كالنعم والوحش فان قيل لم تقرر القسمة في هذه الثلاثة النواع من المشي وقد يجيء من يمشي على اكثر من اربع كالعناكب والعقارب والحيوان الذي له اربع واربعون رجلا الذي سمي دهاك الاذ نا اجيب بان هذا القسم الذي لم يذكر كالنادر فكان ملحقا بالعدم وقال القفال انه اكتفى بذكر ما يمشي على اربع عن ذكر ما يمشي على اكثر من اربع لان جميع الحيوان انما اعتماده على اربع وهي قوائم مستمرة وكثرة الارجل لبعض الحيوان ذلك في

ن

الخلقة لاحتياج ذلك الحيوان في معيشته الي جميعها وبان قوله تعالي
يخلق الله ما يشا كالتنبيه علي سائر الاقسام فان قيل لم جاءت الا
حيوانات الثلاثة علي هذا الترتيب اجيب بانه قدم ما هو اعرق في
القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من له ارجل او قوائم ثم الماشي
علي رجلين ثم الماشي علي اربع تنبيه انما اطلق من علي غير العاقل
لاختلاطه بالعاقل في المفصل عن وهو كل دابة وكانه التغيير عن
اولي ليوافق اللفظ ولما كانت هذه الادلة ناظرة الي البعث اتم نظر
وكانوا منكرين له اكد ذلك في قوله تعالي ان الله اي الذي له الكمال المطلق
علي كل شيء من ذلك ومنه قدير لانه القادر علي الكل والعالم بالكل
فهو المطلع علي احوال هذه الحيوانات فاي عقل يقف عليها واي
خاطر يصيل الي ذرة من اسرارها بل هو الذي يخلق ما شيا كيف
شيا ولا يمنعه منه مانع ولما اتضح بهذا ما له من صفات الكمال والتنزه
عن كل شائبة نقص وقامت ادلة الوحدانية علي ساق واتسقت
براهين الالوهية اي اتساق قال تعالي من جملة تلك الادلة لقد
انزلنا اي في هذه السورة وما قد مهنا بانا من العظمة ايات
اي من الحكم والاحكام والادلة والامثال مبينات للحقائق بانواع
الدلايل التي لاضاءتها والله اي الملك الاعظم يهدي من يشا من عباده
الي صراط هو دين الاسلام الموصل الي دار الحق والفوز بالجنة ولما
ذكر تعالي دلايل التوحيد اتبعه بذم قوم اعترفوا بالدين بالسنتهم
ولكن لم يفعلوا بقلوبهم فقال تعالي ويقولون اي الذين ذمهم الله
تعالي امنا بالله اي بالذي اوضح لنا جلاله وعظمته وكماله
وبالرسول اي الذي علمنا كمال رسالته وعمي مما قام عليها
من الادلة واطعنا اي واجدنا الطاعة لله ولرسوله ثم عظم التخالفة

بين الفعل والقول باداة البعد فقال تعالي ثم يتولي اي يرتد بانكار القلب
ويعرض عن طاعة الله ورسوله ضلالا منهم عن الحق فريق منهم اي
ناس يقصدون الفرقة من هؤلاء الذين قالوا هذا المقالة من بعد ذلك
اي القول الشديد الموكد مع الله الذي هو اكبر من كل شيء ومع رسوله
الذي هو اشرف المخلوقين وما اولئك اي البعداء البغضاء الذي صار دأ
بتوليهم في محال البعد بالمؤمنين اي المعهودين الموافق قلوبهم
السنتهم فان قيل الله تعالي حكي عن كلهم انهم يقولون آمنا ثم حكي عن
فريق منهم التولي فكيف يصح ان يقول في جميعهم وما اولئك بالمؤمنين
مع ان المتولي فريق منهم اجيب بان قوله تعالي وما اولئك بالمؤمنين
راجع الي الذين تولوا الا الي الجملة الاولي ولو رجع الي الجملة الاولي
لصح ويكون معني قوله تعالي ثم يتولي فريق منهم اي يرجع هذا الفريق
الي الباقي فيظهر بعضهم لبعض الرجوع كما اظهروه ولما فضحهم بما
اخفوه من توليهم قبح عليهم ما اظهروه فقال تعالي معبرا باداة
التحقيق واذا دعوا اي الذين ادعوا الايمان من اي داع كان الي الله
اي الي ما نصب الملك الاعظم من احكامه ورسوله وانزل الفيصل في
قوله تعالي ليحكم وقد تقدم ان الله سبحانه وتعالي ورسوله فهو كقوله
تعالي والله ورسوله احق ان يرضوه لان حكم رسوله هو حكمه
قال الزمخشري كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه
ومنهل من العلائي اوسطه غلسته قبل الغطا فرطه اي قبل فرط
الغطا بينهم اي بما اراده الله اذا فريق منهم اي ناس مجبولون علي
الاذي معرضون اي فاجوا الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم
لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم اي علي سبيل الفرض الحق
اي بلا شبهة ياتوا اليه اي الرسول مذعنين اي منقادين لعلمهم بانه

بحكم لهم لانهم يعلمون انه دايرهم اجتى لهم وعليهم فليس انقيادهم لطاعة
الله ورسوله تنبيه قوله تعالى اليه يجوز تعليقه بيأتوا الان اتى قد جا
قد جآ محمد بني باتي ويجوز ان يتعلق بمذعنين لانه بمعنى مسرعين
في الطاعة وصححه الزمخشري قال لتقدم صلته ودلالته على
الاختصاص ومذعنين حال ثم قسم تعالى الامر في صدورهم عن
حكومته صلى الله عليه وسلم اذا كان اجتى عليهم بين اذ يكونوا
مرضى القلوب بقوله تعالى افي قلوبهم مرض اي نوع فساد من اصل
الفطرة يحملهم على الضلال او مرتابين في نبوته بقوله تعالى ام ارتابوا
اي بان رأوا منك تهمة فزال ثقتهم ويقينهم بك اذ حاكيفي اكيف
في تضاعيف بقوله تعالى ام يخافون ان يحيف اي يجور الله اي النبي
عن كل شيء لانه كلي عليهم ورسوله اي الذي لاينطق عن الهوى
تم اضرب عن القسمين اللذين لتحقيق القسم الاول بقوله تعالى بل
اولئك اي البعداء البغضاء هم الظالمون اي الكاملون في الظلم وجه
التقسيم ان امتناعهم اما في خلل او في احكام والثاني اما ان يكون
ممتنعا عندهم او حقا وكلا منهما باطل لان منصب نبوته وشرط
امانته تمنعه فتعين الاول فظلمهم بهم خلل عقيد تهم ومسيل نفوسهم
الى الكيف وضمير الفصل لنفي ذلك عن غيرهم فان قيل اذا خافوا
ان يحيف الله عليهم ورسوله فقد ارتابوا في الدنيا واذا ارتابوا ففي
قلوبهم مرض لكل واحد فاي فائدة في التقديد اجيب بان الله تعالى
نبههم على كل واحد من هذه الاوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو
النفاق وكان في نهاتك وارتياب وكانوا يخافون الكيف من الرسول
وكل واحد من ذلك كفر ونفاق واختلفوا في سبب نزول هذه الاية
فقال مقاتل نزلت في بشر المنافق وكان قد خاصم يهوديا في ارض
فقال

فقال اليهودي نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق نتحاكم الى كعب
ابن الاشرف فان محمد يحيف علينا فانزل الله تعالى هذه الاية وقد مضت
قصتها في سورة النساء وقال الضحاك نزلت في المغيرة بن وايل كان بينه
وبين علي رضي الله تعالى عنه ارض فقاسمها فوقع الي علي ما لا يصيبه
الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعني ارضك فباعها اياه وتقابضا فقيل
للمغيرة اخذت سبخة لا ينبت بها شيء فقال لعلي اقبض ارضك فانما اشتريتها
ان رضيتها ولم ارضها فقال علي بل اشتريتها وقبضتها ورضيتها
لا اقبلها منك ودعاه الى ان يحاكمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال المغيرة اما محمد فلا فانه يقضي ولا احاكم عليه فانه يبغضني وانا اخاف
ان يحيف علي فنزلت الاية وقال الحسن نزلت في المنافقين الذين
كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر والمعنى تعالى عنهم الايمان
الكامل بما وصفهم الله به كانه سئل عن حال الموصوفين فقال
تعالى انما كان اي دايما قول المؤمنين اي العريقين في هذا الوصف
اذا دعوا اي من اي داع كان الى الله اي الى ما انزل الملك الذي لا كفوء
له من احكامه ورسوله الذي لا ينطق عن الهوى ليحكم اي الرسول بينهم
بما اراه الله تعالى اي حكومة من الحكومات لهم او عليهم ان يقولوا
سمعنا اي الدعاء واطعنا اي بالاجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم
وهذا ليس على طريق الخبر ولكنه تعليم ادب الشرع بعفوان المؤمنين
ينبغي ان يكونوا هكذا واولئك اي العالوا الرتبة هم المفلحون
الذين وصفهم الله تعالى في اول المؤمنين وهذا يدل على عادته
تعالى في اتباع ذكر المحق الممطل والتنبيه على ما ينبغي ان يكون
مما لا ينبغي ولما رتب تعالى الفلاح على هذا النوع الخاص اتبعه
بعموم الطاعة بقوله تعالى ومن يطع الله اي الذي له الامر كله

ورسوله اي فيما امراه ونهاه ويخشى الله اي فيما يعد رحمة من الذنوب
فيما مضى ليجعل ذلك علي كل خير ويتقه اي الله فيما يأتي من عزم بان يجعل
بينه وبين ما يسخطه وقاية من المباحات فيترك كثيرا ورعا فاولئك اي العالو
الرتبة هم الفايزون بما لا عين رات ولا اذن سمعت من النعيم المقيم
وعن ابن عباس في تفسير هذه الاية ومن يطع الله في فرايضه ويطع رسوله
في سننه ويخشى الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن
بعض الملوك انه سيل عن اية كافية فتليت هذه الاية وقرا الاعمش
وشعبة وخلاد بسكون الهاء مجلا فان عن خلاد وقالون باختلاس
كسرة الهاء وحفص بسكون القاف وقصر كسرة الهاء ولما ذكر
تعالى مارتب على الطاعة الظاهرة التي هي دليل لانقياد الباطن
ذكر حال المنافقين بقوله تعالى واقسموا بالله اي الذي له الكمال
المطلق وقوله تعالى جهد ايمانهم جهد اليمين مستفاد من جهد نفسه
اذا بلغ اقصى وسعها وبلغ غايتها وكادتا وعن ابن عباس
من قال بالله فقد بلغ في اليمين وبلغ غاية شدتها لين امرتهم اي
احرجتهم الامور ليخرجن معكم متلبسون به من خلافه كما ينبا ما كان
وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اينما كنت نكن معك لين خرجت خرجنا معك ولين اقمت اقمنا
وان امرتنا بالجهاد جاهدنا فقال الله تعالى قل اي لهم لا تقسموا اي
للتحلفوا فانا اعلم بما انتم عليه لا يحتاج الي الاقسام وعلل فقد
تم الكلام ولما كان تقديرهم صادقا امرهم اعذلا ان من حلف على
القيام بالبر لا ينهى عنه فبنت ان قسمهم كاذب لنفاقهم وكان باطنهم
مخالفا لظاهرهم ومن نوى العذر لا الوفا فقسمه قبيح قال المتنبي
وفي يمينك مما انت واعده ما دل انك في الميعاد فتهم وفي ذمم

قوله

قوله تعالى طاعة معروفة ثلاثة اوجه احدها انه خبر مبتدا محذوف
تقديره امرنا طاعة او المطلوب طاعة ثانيها انه مبتدا والخبر محذوف
اي امثل او ادلي او خير اي طاعة معروفة للنبي صلى الله عليه وسلم
خير من قسمكم الذب لا تصدقوا فيه ثالثها طاعة بدلا اي هذه الحقيقة
ومعروفة هو الخبر اي معروفة منكم ومن غيركم واراد بالحقيقة هو
الذي يسوغ الابتداء بها مع تنكيرها لعظمها لانه العموم الذي يصلح له كما قالوا
من اعرف المعارف والمعنى ان الطاعة واجتهاد العبد في اخفايها
لابد ان تظهر سماتها على شمايله وكذا المعصية لان ما اسر عبد سريرة
الا البسه الله رداها وروى الطبراني عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى
عنه قال لو ان رجلا دخل بيتا في جوف بيته فادي هناك عملا اوشك
الناس ان يتحدثوا به وما من عامل عمل عملا الا كساه الله رداء عمله
ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وعن سعيد لو ان احدكم
يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا من
كان ان الله اي الذي له الاحاطة بكل شي خبير بما تعملون اي لا يخفى
عليه شي من سرايركم فانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم
ولما نبه تعالى على حذاعهم واشار الى عدم الاعتداد بايمانهم امر
بترغيبهم وترهيبهم مشيرا الى الاعراض عن عقوبتهم بقوله تعالى
قل اي لهم اطيعوا الله اي الذي له الكمال المطلق واطيعوا الرسول اي
الذي له الرسالة المطلقة ظاهرا وباطنا وقوله تعالى فان تولوا
اي عن طاعته بحذف احدى التاين خطاب لهم اي فان تتولوا فما
ضر رسوله وانما ضر رتم انفسكم فانما عليه اي محمد صلى الله عليه وسلم
ما حمل اي ما حمله الله تعالى من اداء الرسالة واذا ادى فقد خرج عن
عهدة تكليفه وعليكم اي وانما انتم فعليكم ما حملتم اي ما كلفتم من التلقي

بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط
الله وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم من الكرم وعن العلالة
الى الهدى فالنفع والضرر عايد اليكم **وان تطيعوه** بالاقبال على كل ما
يامركم به **تهتدوا** اي الى كل خير **وما على الرسول** اي من جهة غيره
الا البلاغ اي وما الرسول الا ناصح زهاد وما عليه الا ان يبلغ فما له
نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ
كالنذير بمعنى التنذير وبمعنى **المبين** كونه معززا بالايات
والمعجزات روي انه صلى الله عليه وسلم قال على المنبر من لم
يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله
والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب
وقال ابو امامة الباهلي عليكم بالسواد الاعظم فقال له رجل
ما السواد الاعظم فنادى ابو امامة هذه الاية في سورة النساء
النور فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله تعالى
وعد الله اي الذي له الاحاطة كقوله **الذين امنوا منكم وعملوا**
اي تقدم بقاليا نهم **الصالحات** خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والامة او له ولمن معه ومن الحيوان ثم اكد غاية التاكيد بلام القسم
لما عند اكثر الناس من الريب في ذلك بقوله تعالى **ليستخلفنهم**
في الارض اي ارض العرب والعجم بان يبيد زمانهم وينفذ احكامهم
فيجعلهم متصرفين في الارض تقرن الملوك في ممالكهم **كما استخلف**
الذين من قبلهم اي من الامم من بني اسرائيل وغيرهم من كان
حصلت له مكنة وظفر على الاعداء بعد الضعف الشديد كما كتب
في الزبور ان الارض يرثها عبادي الصالحون وكما قال موسى عليه
السلام ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

وقرا

وقرا ابو بكر بضم التاء الفوقية وكسر اللام والباقون بفتح التاء واللام **ه**
وليمكنن لهم اي في الباطن والظاهر **دينهم الذي ارتضى لهم** وهو
دين الاسلام وتمكينه تبيينه وتاكيده واعانة المهم اشارة الى روح
الذي اسلموا فيه وانه الذي لا ينسخ ولما بشرهم بالتمكين اشار لهم الى معذاره
بقوله تعالى **وليبدلنهم من بعد خوفهم** اي الذي كانوا عليه **امنا**
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين
خايفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون
فيه حتى قال رجل ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال
صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في
الملا العظيم محتبيا ليس فيه حديدة واعز الله تعالى وعده واظهرهم
على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب وهزموا
ملوك الاكاسرة وملكوا اموالهم وابنائهم واستولوا على الدنيا واستعبدوا
ابناء القياصرة وملكوا شرقا وغربا ما كنة لم تحصل لغيرهم لامة من
الامم كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله زوى لي الارض فرايت
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها واما قتلوا
عثمان رضي الله عنه وخرجوا على علي عم ابنه الحسن نزع الله تعالى
ذلك الامر كما اشير اليه بمن وتنكر امنا وجاء الخوف واستمر
بتطاول ويزداد قليلا قليلا الى ان صار في زماننا هذا الى امر عظيم
وذلك بعد ما قاله عليه افضل الصلاة والسلام الخلافة
بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فيصير ملكا عمر تغير بن يزيد
قطع سبل وسفك دماء واخذ اموال بغير حقها والثلاثون
خلافة ابو بكر ستان وخلافة عمر عشر وخلافة عثمان اثنى عشر
وخلافة علي ستة والبزيزي بكسر الباء وتشديد الزاي الاولى

والقصر السلب والتغيير وقوله قطع السبل تفسير لما عطف بيان
لقوله يزيزي او بدل منه وقرا ابن كثير وابو بكر بسكون الباء الموحدة
وتخفيف الدال والباقون بفتح الموحدة وتشديد الدال مع اتباع ذلك
بنتجة بقوله تعالى تعليلا للتمكين وما معه يعبدونني اي وحدي
وقوله تعالى لا يشركون بي شيا حال من الواو في يعبدونني اي
مشركين فان قيل فما محل يعبدونني اجيب بانه مستانف لانه
لو كان قبلا لقال ما لهم مستخلفون ويومنون فقال يعبدونني
ويجوز ان يكون حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال
عبادتهم واخلاصهم فيحله النصب ولما كان التقدير فمن ثبت على دين
الاسلام وانقاد لاحكامه واستقام قال هذه البشرى عطف عليه
قوله تعالى ومن كفر اي ارتد وكفر هذه النعمة بعد ذلك اي بعد الوعد
والخلافة فاولئك اي البعداء من الخير هم الفاسقون اي الخارجون
عن الدين خروجا كاملا لا يقبل معه معذرة ولا تقال لصاحبه
عثرة بل يقام عليهم الاحكام بالقتل وغيره ولا يراعى منهم
سلام ولا توخذهم رافة عند التقام كما تقدم اول السورة فيمن
لزمه الجلد وقيل المراد بالكفر كفران النعمة لا الكفر بالله وقوله
تعالى فاولئك هم الفاسقون اي العاصون لله وقوله تعالى واقيموا
الصلاة اي قائما قوام ما بينكم وبين ربكم معطوف على اطيعوا الله
واطيعوا الرسول قال الزمخشري وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف
والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير
المعطوف عليه واتوا الزكاة قائما نظام ما بينكم وبين اخوانكم واطيعوا
الرسول اي في كل حال يامركم به وكررت طاعة الرسول تاكيدا
لوجوبها لعلكم ترحمون اي لتكونوا على رجاء من الرحمة مني لان الراحم

في

في الحقيقة غيره والفاعل في قوله تعالى لا تحسبن ضمير المخاطب اي
لا تحسبن ايها الطالب الذين كفروا اي وان ازدادت كثرتهم على العدد
وتجاوزت عظمتهم الحد معجزين اي لاهل ودنا وقيل لنا في الارض
اي فائتين ما خوذ من الاعجاز وقرا ابن عامر وحمزة بالتاء على الغيبة
قال النحاس ما علمت احدا من اهل العربية بصريا ولا كوفيا الا وهو
يخطئ قراءة حمزة فمنهم من يقول هي لحن لانه لم يات الا بمفعول واحد
ليحسبن واجيب عن ذلك من وجهين احدهما ان المفعول الاول
محذوف تقديره ولا تحسبن الذين كفروا انفسهم معجزين الاان
حذف احد المفعولين ضعيف عند البصريين وسنة نزلت فلا تظنن غيره
نزلت فلا تظنني غيره مني بمنزلة المخبر المكرم اي تظنني غيره واقعا
الثاني ان المفعولين هما قوله معجزين في الارض قاله الكوفيون وقرا
الباقون بالتاء على الخطاب وفتح السين ابن عامر وعاصم وحمزة
وكسرها الباقون وقوله تعالى ومأواهم النار اي مسكنهم معطوف
على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون
ربهم ويدنا او لا يفوتوننا ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون بالله
جهد ايمانهم ولما كانت سكنى الشيء لا تكون الا بعد المصير اليه قال تعالى
ولبئس المصير اي المرجع مصيرها فكيف اذا كان على وجه السكنى واختلف
في سبب نزول قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت
ايمانكم الاية فقال ابن عباس رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر رضي الله تعالى عنه
وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فراى عمر عجالة كره عمر رؤيته ذلك فنزلت
وقال مقاتل نزلت في اسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها
في وقت فكرهته فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان

خدمنا وعلمانا يدخلون علينا في حال نكرهها فنزلت واللام في
ليستاذنكم للامر وملك اليمين ليملوا العبيد والاماء قال بعض
المفسرين هذا الخطاب وان كان ظاهره للرجال فالمراد به الرجال
والنساء اذ التذكير يغلب على التانيث قال الرازي والذي عندي
ان الحكم ثابت في النساء بقياس جلي لان النساء في باب العورة
اشد حالا من الرجال فهو كتحريم الضرب بالقياس على حرمة
التافيف وقال ابن عباس رض في الرجال دون النساء اي البالغين
او ما قارب البلوغ ليستاذنون على كل حال في الليل والنهار
للدخول عليكم كراهة الاطلاع على عوراتكم والتفرغ بذلك الى
مساءكم واختلف العلماء في هذه الامر فقيل للندب وقيل للوجوب
واستظهر والذين اي ليستاذنكم الذين ظهروا على عورات النساء
ولكنهم لم يبلغوا الحلم وقيده بقوله تعالى منكم ليخرج الكفار والارقا
وعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه الغالب في ولايلة ثلاث مرات في اليوم
والليلة وقيل ثلاث استيذانات في كل مرة فان لم يحصل الاذن رجع
المستاذن كما تقدم المرة الاولى من الثلاث الاوقات الثلاث من قبل
صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم المرة
الثانية وحين تضعون ثيابكم اي التي للخروج بين الناس من
الظهيرة اي شدة الحر وهو انتصاف النهار المرة الثالثة من بعد
صلاة العشا لانه وقت الانفصال من ثياب اليقظة والاتصال بثياب
النوم وخص هذه الاوقات لانها ساعات الخلوة ووضع الثياب والالتحاف
بالحاف وانبت من في الوضعين دلالة على قرب الزمن من الوقت المذكور
لضبطه واستظهر في الاوسط دلالة على استقلال ثلاثة غير منضبط
ثم علل ذلك بقوله تعالى ثلاث عورات اي اختلالات في الستر

والتحفظ

والتحفظ لكم لانها من ساعات وضع الثياب والخلوة قال البيضاوي واصل
العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل اعور اي اذا بدا فيه خلل
وقرا الله وسميت هذه الاوقات عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه
فربما تبدو عورته وقرا ابو بكر رحمة والكسائي ثلاث بالنصب بتقدير
اوقات منصوبا بدل من محل ما قبله قام المضاف اليه مقامه والباقون
بالرفع على انها خبر مبتدا محذوف بعده مضاف وقام المضاف اليه
مقامه اي تلك اوقات ويجوز ان يكون مبتدا وخبره ما بعده ثم
بين ما يقتضيه سبحانه وتعالى حكمه بعد ذلك بقوله تعالى مستانفا
ليس عليكم اي في ترك الامر ولا عليهم اي المماليك والصبيان
في ترك الاستيذان جناح اي اثم واصله الميل في الدخول عليكم في
جميع الساعات بعد في اي بعد هذه الاوقات الثلاثة اذا هجموا عليكم
ثم علل الاباحة في غيرها محرجا اليهم بقوله تعالى طوافون عليكم
اي بعمل ما تحتاجون في الخدمة تكم انتم طوافون عليهم لعمل ما يصلحهم
ويصلحكم في الاستخدام بعضكم طوافون على بعض لعمل ما يخرج عن
الاحراز ويشق عليه فلعم الامر بالاستيذان لادب الي اخرجه فان
قيل هم رفع بعضكم على بعض اجيب بانه رفع بالابتدا وخبره على
بعض على معنى طوافون على بعض وحذف لان طوافون يدل
عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة كذلك اي كما بين
ما ذكر يبين الله اي بما له من احاطة العلم والقدرة لكم ايها الامة
الايات في الاحكام ويعرفها بعلمه وحكمته والله اي الذي له الاحاطة
العامة بكل شي عليم بكل شي حكيم فيما يريده فلا يقدر احد على
نقضه وختم الاية بهذا الوصف يدل على انها محكمة لم تنسخ واختلف
في ذلك فقال الزمخشري عن ابن عباس انه قال اية لا يؤمن بها

اكثر الناس اية الاذان وابي لاحر جارتي ابن زوجتي ان تستاذن على
وسالته عطا استاذن على اختي قال نعم وان كانت في حجرك عمرتما
وتلا هذه الاية وعنه ثلاث ايات تجدهن الناس الاذن كله وقوله
تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقال الناس اعلمكم بيتا وقوله
واذا حضر القسمة وعن مسعود عليكم ان تستاذنوا على ابائكم
وامهاتكم واخوانكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان
الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير ان
الناس يقولون بي منسوخة والله ما هي منسوخة ولكن الناس
لهاونوا بها وقال قوم هي منسوخة روى البغوي عن ابن عباس
انه قال لم يكن للقوم سعة ولا حجاب فكان الخدم والولائد
يدخلون فربما يرون منهم ما لا يحبون فامروا بالاستيذان وقد
بسط الله الرزق واتخذ الناس الستور فلعل الرواية اختلفت
عن ابن عباس ولما بين تعالى حكم الصبيان والارقاء الذين هم
اطوع للامر واقبل لكل خير اتبعه حكم البالغين من الاحرار
بقوله تعالى **واذا بلغ الاطفال منكم الحلم** اي اذا بلغ اطفالكم
الاحرار بلوغ السن الذي يكون فيه ان لو كانوا سواد آبائهم
اولا واختلف في ذلك السن فقال عامة العلماء هو خمسة عشر
سنة اي تحديدية لا فرق في ذلك بين الذكر وغيره وقال
ابو حنيفة هو ما في عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة سنة في
الجارية وعن علي رضي الله عنه انه يعتبر العانة ويقدره خمسة
اشبار وبه احذ الفرزدق في قوله ما ان مدحت يداه ازارة
وسما فادرك خمسة الاشبار واعتبر عمر الانبات اي للعانة
وعن عثمان رضي الله تعالى عنه انه سال عن غلام له فقال هل

احفر

احفر ازاره اي نبت شعر عانته اسند الاحفار الى الازار على
المجاز ولانه مما اشتمل عليه الازار ونبات العانة الخشن عندنا
علامة على بلوغ ولد الكافر فقط اما ازار ابي اليمني في وقت امكانه
وهو استكمال تسع سنين قمرية فانا نحكم ببلوغه سواء كان ذكرا ام انثى
مسلما ام كافرا واما الحيض فلابد ان يمني من فرجه او يحيض
بالفرج ويمني من الذكر **فليستاذنوا** اي على عزيمهم في جميع الاوقات
كما استاذن الذين من قبلهم اي من الاحرار والكبار الذين
حملوا قسيما للمماليك فلا يدخل في ذلك الارقاء فلا يستدل
بذلك على ان العبد البالغ يستاذن على سيدته وقيل الذين
كانوا مع ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام **كذلك** اي كما
بين لكم ما ذكر **يبين الله** اي الذي له الاحاطة والقدرة **لكم** ايتها
الامة **اياته** اي ولا لا تبين **والله** اي الذي يعلم السر واخفى **عليم**
باحوال خلقه **حكيم** اي فيما دبر لهم قال سعيد بن المسيب يستاذن
الرجل على امه فانما انزلت هذه الاية في ذلك وسئل حذيفة
ايستاذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل رايت منها ما تكره
وعن انس قال كان صبيحة يوم احتلمت دخلت على النبي صلى
الله عليه وسلم فاخبرته اني قد احتلمت فقال لا تدخل علي الا
باذني علي يوم كان اشد منه وبما ذكر تعالى اقبال الشباب في
تعيين حكم الحجاب اتبعه لكم عنه ادبار الشباب في القاء الظاهر
من الثياب بقوله تعالى **والقواعد من النسا** اي اللاتي تقعدن
عن الولد ولا يحضن مثل الكبر فلا يلدن ولا يحضن واحدتها قاعد
بلا هاء وقيل قعدن عن الازواج وهو معنى قوله **اللاتي لا يرجون**
نكاحا اي لا يريدون الرجال لكبرهن قال ابن منيه سميت المراة

قاعدا اذا كبرت لا يمكنها القعود وقال ابن ربيعة هن العجز اللواتي اذا رآهن
الرجل استقذرهن وايما من كان فيها بقية من جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل
في هذه الاية فليس عليهن جناح اثم حرج ان يضعن ثيابهن اي الظاهر
فوق الثياب السابقة بحضرة الرجال كالجلباب والرداء والقناع فوق الخمار
اما الخمار فلا يجوز وضعه لما فيه من كشف العورة غير متبرجات بزينة
اي من غير ان يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن
يعني ان الزينة الخفية في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن
او غير قاصدات بالوضع التبرج والتبرج هو ان تظهر المرأة محاسن
ما ينبغي لها ان تستره ولما ذكر اسم تعالى الحجاب عقبه بالمستحب
بعثا منه على اختيار افضل الاعمال او حسنها بقوله تعالى وان
يستعففن اي فلا يلقين الرجال والجلباب خير لهن عن الالقاء
كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وان تصدقوا لانه ابعد عن التهمة
والله اي الذي جلت عظمته سميع لقولكم عليم بما في قلوبكم
واختلف في سبب نزول قوله تعالى ليس على الاعمى حرج اي
في مواكلة غيره ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اي
فقال ابن عباس لما انزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مواكلة المرضى والزمنا
والعمي والعرج وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهى الله تعالى
عن اكل المال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب
والاعرج لا يمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام
والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفي من الطعام حقه فانزل
الله تعالى هذه الاية وعلى هذا يكون على معنى ان ليس على
الاعمى ايه ليس عليكم في مواكلة الاعمى والاعرج والمريض حرج

وقال

وقال سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما كان العرجان والعميان
والمرضى يتنزهون عن مواكلة الاصحاء لان الناس يستقذرونهم
ويكرهون مواكلتهم وعن عكرمة كانت الانصار في
انفسها فزارة فكانت لا تاكل من هذه البيوت اذا استغنوا وكانوا
هؤلاء يقولون الاعمى ربما اكل اكثر وربما سبقت يده الى
ما سبقت عين الكمية اليه وهو لا يبصر والاعرج ربما اخذ
في مجلسه مكان اثنين فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو
من زمانة تؤذي او جرح يبضع او نحو ذلك فنزلت وقال
مجاهد نزلت الاية حيضا لهم ولا في الاكل من بيوت من سمى
الله في هذه الاية وذلك انهم لما كانوا يدخلون محل الرجل
لطلب الطعام فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى
بيته اليه وبيت امه او بعض من سمى الله تعالى في هذه الاية
فكان اهل الزمانة يتحرجون من هذا الطعام ويقولون ذهب
بنا الى بيت غيره فنزلت الاية وقال سعيد بن المسيب كان
المسلمون اذا غزوا علقوا مفاتيح منازلهم وبيوتهم عند فقرائهم
ويقولون قد احللنا لكم ان تاكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون
من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم منقبيا فانزل الله هذه الاية
رخصة لهم وقال الحسن نزلت رخصة لهموكة في التخلف عن الجهاد
وقال تم الكلام عند قوله تعالى ولا على المريض حرج وقوله تعالى
ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم كلام مستانف منقطع
عما قبله فانه قيل ابيحت فاية في اباحة اكل الانسان طعامه في
بيته احيب بان المراد من البيوت التي فيها ازواجهم واجرى عيالهم
فيدخل فيه بيوت الاولاد لان بيت ولده كبيته قال صلى الله

عليه وسلم انت ومالك لابيك وقال صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما ياكل
المرء من كسبه وان ولده من كسبه وقيل لما نزل قوله تعالى ولا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لاحد منا ان ياكل عند احد فانزل
الله تعالى ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم اي لا حرج عليكم ان تاكلوا
من بيوتكم او بيوت اباءكم اي واذا بعدت انسابكم بهم قال المجتبى
ولعله جمع ذلك فانها من ابائكم وحرمتها حرمتكم او بيوت امهاتكم
كذلك وقدم الاب لانه اجل وهو حاكم بيته دايما والمال له او بيوت
اخوانكم اي من الابوين او الاب او الام بالنسب او الرضاع فانهم
من اولي من رضي بذلك بعد الوالدين لانهم منكم وهم اولى بيوتكم
او بيوت اخواتكم فانهن بعدهم من اجل من ولي البيت اذا كن من زوجات
الزوج او بيوت اعمامكم فانهم شقايق اباءكم سموا كانوا اشقاء ام لاب
ام لام ولو افرد العم لتوهم انه الشقيق فقط فانه احق بالاسم
او بيوت عماتكم فانهن بعد الاعمام لضعفهن ولا يمنع ربما كان
اهلها بيوتهن الازواج او بيوت اخوالكم لانهم شقايق امهاتكم
او بيوت خالاتكم احرزهن لما ذكر في العمات او ما ملكتم مفاتحه
قال ابن عباس عني بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وما
سئيته لا باس عليه ان ياكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته
ولا يحمل ولا يبيع وملك المفاتيح كونها في يده وحفظه وقال الضحاك
يعني من بيوت عبيدكم وما لسيدكم لانه السيد يملك منزل عبده
والمفاتيح الخزائن لقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو
ويجوز ان يكون الذي يفتح به وقال عكرمة اذا ملك الرجل
المفتاح فهو خازن فلا باس ان يطعم الشيء اليسير وقال الحسن
الرجل يولي طعامه غيره ويقوم عليه فلا باس ان ياكل من ثمنه

وقيل

وقيل وما ملكتم مفاتحه ما خزن عندكم وقال مجاهد وقتادة
من بيوت انفسكم مما اخترعتم وملكتم او صديقكم اي او بيوت اصدقائكم
والصديق هو الذي صدقت في المودة ويكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط
والقطين والعدو وقال ابن عباس نزلت في الحارث بن عمرو حين خرج
غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على
اهله فلما رجع وجده بحيث ما يسره عن حاله فقال لقد خرجت عن اكل
طعامك بغير اذنك فانزل الله هذه الآية يعني عن الحسن انه دخل
داره واذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا سيوفا لا من تحت ستور
فيها الحفيض وبطائف الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون فتهللت
اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد
كبراء الصحابة ومن تقدمهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل داره
صديقه وهو غايب فيسئل جاريته كسبه فيما خذ ما شاء الله
فاذا احضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن
محمد من عظم حرمة الصديق ان جعل الله من الانفس والثقة للانبساط
وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس
الصديق اكبر من الوالدين انكم تحتشمون لهما استغنوا ولم يستغنوا
بالاباء والامهات بل قالوا انما لنا من شافعين ولا صديق لهم
والمعنى يجوز الاكل من بيوت من ذكر وان لم يحضروا واذا علموا رضا
صاحب البيت باذن او قرينة ظاهرة كالحال فان ذلك يعم مقام
الاذن الصريح ولذلك حضر هؤلاء فانهم يتبادرون التبسط
بينهم وربما سمح الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام
فاستاذن صاحبه في الاكل منه فان قيل اذا كان ذلك لا بد
من العلم بالرضا فيه لا فرق بينهم وبين غيرهم اجيب بان هؤلاء

يكفي فيهم ادني قرينة بل ينبغي ان يشترط فيهم ان لا يعلم عدم الرضى
بخلاف غيرهم لابد فيه من صريح الاذن او قرينة قوية هذا ما ظهر
لي والله اعلم من تعرض لذلك وكان الحسن وقتادة يريان دخول الرجل
بيت صديقه والاكل من طعامه بغير اذنه لهذه الاية واحتج ابو حنيفة
بهذه الاية على ان من سرق من ذي رحم محرم انه لا يقطع لان الله
تعالى اباح لهم الاكل من بيوتهم ودخولها بغير اذنهم فان قيل فيلزم ان
لا يقطع اذا سرق من مال صديقه اجيب بان من سرق من ماله
لا يكون صديقا له وقيل ان هذا كان اول الاسلام ثم نسخ فلا دليل
له فيه وقرا بيوتكم ويبوتا ورش وابو عمرو وحفص بضم الباء
الموحدة والباقون بالكسر وقرا حمزة والكسائي امهاتكم في الوصل بكسر
الهمزة والباقون بالضم وكسر الميم حمزة وفتحها الباقون ولما ذكر تعالى
معدن الاكل ذكر حاله بقوله تعالى ليس عليكم جناح اي اثم ان
تاكلوا جميعا اي مجتمعين اواشتاتا اي متفرقين واختلف في سبب
نزوله هذه الاية فقال الاكثرون نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة
وكانوا يتحرجون اذا ياكل الرجل وحده فاتي بما قد ينتظر اتمامه
الى الليل فاذا لم يجد من يواكله اكل ضرورة وقال عطاء عن ابن عباس
كان الغني يكره ان يدخل على الفقير منهم وحده ويتحرج ان
يجد عنده الى طعامه فيقول والله اني لاجنح اي اتحرج منك
اذا اكل معك وانا غني وانت فقير فنزلت هذه الاية وقال عكرمة
وابو صالح نزلت في قوم من الانصار كانوا لا ياكلون اذا نزل بهم
ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم في ان ياكلوا كيف شاؤا مجتمعين
او اشتاتا متفرقين وقال الكلبي كانوا اذا اجتمعوا لياكلوا اطعاما
ما عزلوا للاعمى طعاما وحده وكذلك الزمنى والمريض فبين

الله تعالى لهم ان ذلك غير واجب وقيل ترجوا عن الاجتماع على الطعام
لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض تنبيه جميعا
حال من فاعل تاكلوا واشتاتا عطف عليه وهو جمع شتت وشتى
جمع شتيت ورباعه تثنية ستت رويي ان رجلا قال للنبي صلى الله
عليه وسلم انا ناكل ولا نشبع قال فلعلكم تاكلون متفرقين اجتمعوا على
طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه ورويي انه صلى الله
عليه وسلم كلوا جميعا ولا تفترقوا اذكروا اسم الله فان البركة مع
الجماعة ولما بين تعالى مواطن الاكل وكيفيته ذكر الحال الذي
يكون عليها الداخل في تلك المواطن او غيرها بقوله تعالى فاذا دخلتم
اي بسبب ذلك او غيره بيوتا اي من هذه البيوت فسلموا على
انفسكم اي على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة جعل النفس
المسلمين كالنفس الواحدة كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم وقال ابن
عباس اذا لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال قتادة اذا دخلت بيتك
فسلم على اهلك فهم احق بالسلام من سلمت عليهم فاذا دخلت
بيتا لا احد فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا
ان الملائكة ترد عليه تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة
من لدنه مباركة اي لانه يرجى بها زيادة الخير والثواب طيبة اي
يطيب الله بها نفس المسلم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم
عليه والمحيا من عند الله وصفها بالبركة والطيب لانها دعوة
مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس
قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وقيل تسع
فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته

وكنت واقفا على راسه اصب الما على يديه فرفع راسه فقال الا
اعلمك ثلاث خصال تنتفع بما قلت بلى بابي انت وامي يا رسول
الله قال حيثما لقيت من امتي احدا فتسلم عليه يطل عمرك واذا
دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى
فانها صلاة الابرار الاوابين تنبيه تحية منصوب على
المصدر من معنى فسلموا انهم من باب قعدت جلوسا فكانه
قال فحيوا تحية وقال القفال وان كان في البيت اهل الذمة
فليقل السلام على من اتبع الهدى وكرر رفقوله تعالى
كذلك يبين الله اي الذي احاط علمه بكل شيء علما لكم الايات
ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وتفضل الادلين
بما هو المقتضي لذلك وذلك بما هو المقصود منه فقال تعالى
لعلكم تعقلون اي عن الله امره ونهيه وادبه ولما كان امر الرسول
صلى الله عليه وسلم اجل موطن يجب الاقامة فيه ويحرم
عداه من الاوطان قال تعالى انما المؤمنون اي الكاملون في
الايمان الذين امنوا بالله اي الملك الاعلا ورسوله اي
ظاهرا وباطنا واذا كانوا معه اي الرسول صلى الله عليه وسلم
على امر جامع اي يجمعهم من حرب حضرت او صلاة جمعة او عيد
او جماعة او تشاور في امر نزل ووصف الامر بالجمع للمبالغة وفي
الاستناد المجازي لانه لما كان سببا في جمعهم نسب الفعل اليه
مجازا لم يذهبوا اي يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا مما اجتمعوا له بعد
ان يعرض في خطبته بالمنافقين وبعينهم فينظر المنافقون يمينا
وشمالا فاذا لم يروا احدا انسلوا وخرجوا ولم يصلوا واذا لهم

احد

احد ثبتوا وصلوا خوفا فنزلت هذه الاية فكان المؤمن بعد نزولها
لا يخرج لحاجة حتى يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
المنافقون يخرجون بغير اذن قال المجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان
يشير بيده قال اهل العلم كل امر اجتمع عليه المسلمون مع
الامام لا يجاز الغوثه ولا يجوز عنه الا باذنه وهذا اذا لم يكن سبب
يمنعه من المقام فان حدث سبب يمنعه عن المقام كان يكون في
المسجد فتحيض منهم امراة او يجنب رجل او يمرض له مرض فله الخروج
الى الاستيذان وانما كان الاعتبار الاذن كما عهدت لصحة كما ل
الايمان واتميز للمخلص فيه اعاده موكدا على اسلوب ابلغ بقوله
تعالى ان الذين يستاذنونك اي تعظيما لك ورعاية للادب
اولئك اي العالوا الرتبة الذين يومنون بالله اي الذي له
الامر كله ورسوله فانه يفيد ان المستاذن مومن لا محالة وان
الذاهب مؤمن لا محالة بغير اذن ليس كذلك ولما قصر على
الاستيذان تسبب عن ذلك العلام صلى الله عليه وسلم بما
يفعل اذا ذاك بقوله تعالى فاذا استاذنوك لبعض شانهم وهو
ما تشتد الحاجة اليه فاذن لمن شئت منهم بالانفراد اي ان شئت
فاذن وان شئت فلا تاذن فمضى ذلك تفويض الامر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم واستدل به على ان بعض الاحكام مفوض
الى راية قال الضحاك ومقاتل المراد عمر بن الخطاب وذلك انه
استاذن في غزوة تبوك في الرجوع الى اهله فاذن له وقال
الطلق فوالله ما انت بمنافق يريد ان يسمع المنافقون ذلك
الكلام فلما سمعوا ذلك قالوا ما بال محمد اذا استاذنه اصحابه
اذن لهم واذا استاذنه ابي فوالله ما نراه يعدل قال ابن

عباس ان عمر استاذن النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فاذن
له ثم قال يا اباحفص لاتنسانا من صالح دعائك ولما كان في
الاستيذان ولو لعذر قصور لان فيه تقديما لامر الدنيا على امر
الدين امره الله تعالى بان يستغفر لهم بقوله تعالى واستغفر
لهم الله اي الذي له الامر كله بعد الاذن ليكون ذلك شاملا
لمن صحت دعواه وغيره ثم علل ذلك ترغيبا في الاستغفار
وتطييبا لقلوب اهل الاوبار بقوله تعالى ان الله اي الذي لايخفى
عليه شيء غفور اي لفرطات العباد رحيم اي بالتستر عليهم
ولما اظهرت هذه السورة بعض مهما ولهذه الايات بعض صفا
من شرف الرسول مما يهز العقول صرح بتفخيم شانه وتعظيم
مقامه بقوله تعالى لاتجعلوا اي يا ايها الذين امنوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال سعيد بن جبير وجماعة معناه
لاتنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا يا ابا
القاسم بل نادوه وخاطبوه بالتوقير فقولوا يا رسول الله
يا نبي الله وعلى هذا يكون المصدر مضافا للمفعول وقال
المبرد والقتال لاتجعلوا دعاءه اياكم كدعاء بعضكم لبعض فتباطؤا
عنه كما يتباطأ بعضكم عن بعض اذا دعاه لامر يجب
عليكم المبادرة لامره ويؤيده قوله تعالى فليحذر الذين
يخالفون عن امره وعلى هذا يكون المصدر مضافا للفاعل
وقال ابن عباس احذروا دعاء الرسول عليكم اذا اسخطتموه
فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره ورويت عنه العبارة تزعموا
اصواتكم في دعائه وهو المراد من قوله ان الذين يغضون
اصواتهم عند رسول الله وقول المبرد كما قال ابن عادل اقرب

الى نظم الاية ولما كان بعضهم يظهر الموافقة ويبطن المخالفة حذر
من ذلك بقوله قد يعلم الله اي الذي لايخفى عليه خافية الذين
يتسللون منكم اي يتسللون قليلا قليلا ليجلوا ذهابهم في
غاية الخفاء ونظير تسلل تدرج وتحفز وقوله تعالى لواذا
حال اي ملاوذين واللواذ والملاوذة التستر بشيء لاذ فلان
بكذا اذا استتر به وقال ابن عباس ان يلوذ بعضهم ببعض
وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم
الجمعة لاسيما في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون
ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقد للتحقيق
وتسبب عن علمه تعالى قوله تعالى فليحذر اي يوقع الحذر الذين
يخالفون عن امره اي يعرضون عن امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويخرجون عنه بغير اذنه وقال ابوبكر الرازي
الضمير في امره لله لانه يليه وقال الجلال المحلي اي الله او
ورسوله وكل صحيح فان مخالفة امر احدهما مخالفة امر الاخر
ان اي ليلا تصيبهم فتنة قال مجاهد اي بلاء في الدنيا وعن ابن
عباس فتنة قتل وعن عطاء زلازل واهوال وعن حبيب بن محمد
يسلط عليهم سلطان جائر او يصيبهم عذاب اليم اي وجيع
في الاخرة تنبيه الاية تدل على ان الامر للوجوب لانها تارك
المامور مخالف للامر ومخالف الامر يستحق العذاب ولا معنى
للوجوب الا ذلك ولما اقام تعالى الادلة على انه نور السموات
والارض وختم بالتحذير لكل مخالف اتبع ذلك انه له كل شيء
فقال تعالى الا ان لله ما في السموات والارض خلقا وملكا
وعبيدا فان قيل ما فائدة ذكر عبيد البعد ملكا اجيب عنه

انما ذكر ليلا يتوهم ان ما لا يعتد به فقط ولما كانت احوالهم
من جملة ما هو له وانما يخلقه قال تعالى قد يعلم ما انتم عليه
اي ايها المكلفون عليه اي من الموافقة والمخالفة والاخلاص
والنفاق وانما اكد علمه بقد لتاكيد الوعيد وذلك
ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما ورافقت
ربما في حزورها الى معنى التكثير في نحو قول بعضهم
قد تمنع مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوقوف وقودها
ونحو قول ذهير اخي ثقة لا تملك اكمن ماله
ولكنه قد يهلك المال نائله
والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختص به تعالى
فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون
في ستر ها عن الناس واخفائها وقوله تعالى ويوم
اي ويعلم يوم يرجعون اليه فيه التفات عن الخطاب
اي ممن تكون او يوم يرجعون المنافقون اليه للجزاء فينبئهم
اي فتنسبب عن ذلك انه يخبرهم بما عملوا اي من الخير والشر
تبكيتا لهم عليه والله اي الذي لا يخفى عليه خافية بكل شيء
اي من اعمالهم وغيرها عليم عن عائشة رضي الله تعالى عنها
وعن ابي سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا
النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل ونعم سورة
النور اخرجه ابو عبد الله من البيهقي في صحيحه واما قول
البيضاوي تبعا للكشاف من قرا سورة النور اعطي من
الاجر عشر حسنات بعدد كل مومن ومومنة فيما مضى
وفيما بقي فهو موضوع وكان الفراغ من كتابة

هذا

هذا الجزء يوم الجمعة المبارك سنة ١٢٤٣
وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه
وسلم
امين

فصل ورخص فيه ثلاثة امور الاول للسفر

مسافته توجب القصر كما تقدم ولا يجوز الافطار الا اذا خرج من المحل كما القصر
وعدم بالله اذا خرج من العمران ثم رجع من المحل فافطر ثم اضر عت
السفر لم يلزمه الامساك بقية اليوم ذكره السيد قال مولانا علم وهو موافق
للاصول المذهب و الثاني الاكراه على الفطر وذكر بان بنوعه من هو قادر
على انفاذ ما نوعه به بان يحبسه او يضربه او يضر مصر يحمنا ان لم يفطر
فانه حينئذ يجوز له الافطار واختلف في حد الاجحاف نقل ان تخشا التلف

فائدة ومن ذلك عدم الكفارة بالجماع بعد الفجر ناسيا لان الكفارة تندرئ بالشبهة

الكين مفتوحة وهي الكاف والياء المثناة من تحت الذي يصيبه في الأنف وهو الصداع

الذي تنقبض الصفوط له أي تسترخي وضابطه أنه ما استرخت له الصفوط

أي تنقبض بياض له عامر وينزل في الكفارة وان كان في وقت

الليل بما فطره أو عامر وينزل في يومه

ينزل بعد محل ليل لم يفسد ولو حل

في وقت مظلوم من أيام

الشارح المحقق خلاف الأولى

المقصود بقولنا معه الثالث من المستثنيات بقوله او اذا النزاع من الجنسوم الى الخوف

شيء من سعوط الليل فانه لا يفسد الصوم فاما سعوط النهار فانه يفسد قبل لم

من افطر باي تلك الاسباب لغير عذر عنه اربعة احكام اثنان يعمان الناسي والعامد

والثاني يخصان العامد الاول الاتمام للصوم رعاية لحرمة الشهر ولو كان

يسمى مفطرا غير صائم والثاني وجوب القضاء وبكونه يقضي يوم كان

يوم عندنا فهذان الحكمان يعمان العامد والناسي ثم علم الحكمين اللذين يختصان

بالعامد فقال ويفسق العامد اي المتعمد للافطار لو يوما وجاء عندنا فيسند له

صوابه ولا تفاوت هو حتى

وانما لم يذكر الشيخ قال لان الاربعة

والوجه انه